

جامعة الجزائر
كلية العلوم الإنسانية
والاجتماعية
قسم التاريخ

أثر الاستعمار الاستيطاني على
المجتمع الجزائري
من خلال بني مناصر وأهل
يسر
ما بين عامي 1830 - 1872

رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

الدكتور

من إعداد الطالبة:
تحت إشراف:
الاسم: خديجة
جمال قنان
اللقب: كريمي

السنة الجامعية 2005 - 2006

جامعة الجزائر
كلية العلوم الإنسانية
والاجتماعية
قسم التاريخ

أثر الاستعمار الاستيطاني على
المجتمع الجزائري
من خلال بني مناصر وأهل
يسر
ما بين عامي 1830-
1872

رسالة لنيل شهادة الماجستير في
التاريخ والمعاصر

قائمة أعضاء لجنة المناقشة:

د/ عائشة
غطاس..... رئيسة
د/ جمال
قنان..... مقرر
د/ محمد
القورصو..... عضوا

د/ بوضرساية
بوعزة.....عضوا

من إعداد الطالبة:

تحت إشراف:

خديجة كريمي

جمال قنان

الدكتور

السنة الجامعية 2005 - 2006

الإهداء

إلى والداي
ومن خلالهما إلى عائلتي
كريمي وأحمد سايج

خديجة

كريمي

كلمة الشكر

ها هو ذا قد وصل جهد أزيد من عقد من الزمن إلى نهايته. ولم يكن لينجز هذا البحث المتواضع لو لا تضافر بعض العوامل التي مكنتني من المثابرة والإصرار على إكماله. وعليه أتوجه بالشكر والامتنان إلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد. وأخص بالذكر:

- أستاذي الدكتور جمال قنان الذي كانت لي تحت إشرافه الحرية المطلقة في طرح ومعالجة إشكالية البحث، والذي لم يدّخر جهداً لكي لا أحيد عن البحث التاريخي لصالح السوسولوجيا. وأسأل الله أن أكون قد وفقت ولو نسبياً في الالتزام بنصائحه وتوجيهاته أثناء تسليط الضوء على صمود بني مناصر وأهل يسر وما آلت إليه حالهم بعد عام 1872.

- وأتوجه بتحية تقدير واحترام إلى السيد محمد الطاهر صحراوي، وهو ذلك الأستاذ الذي لم تشنه متاعب السنين عن تحمل المسؤولية الملقاة على عاتقه، مضاعفة، إذ كان ساهراً، وهو يقوم بتقديم خدمات ذات طابع نفعي (فردية - عائلية) للمجتمع بحكم وظيفته كموثق، على حماية ذاكرة الأمة من الضياع. إن الوثائق التي يعتمد عليها في نشاطه اليومي، من عقود مختلفة والتي تضمن لكل صاحب حق حقه (خاصة في مجال الملكية العقارية)، تعود إلى عهد الاستعمار.

لقد كان شديد الحرص على وضع هذه الشهادات الصارخة على ما تعرض إليه المجتمع الجزائري طيلة فترة الاحتلال في مآمن من نوائب الدهر. وهكذا لم يهدأ له بال حتى أودع، أمام محضر قضائي، تلك الأمانة التي تُقاس بالآلاف من الكيلومترات بمصلحة أرشيف ولاية تيارة. إنَّ هذا الأرشيف هو اليوم مفتوح، وفي ظروف مقبولة، أمام المواطنين والباحثين على حدٍّ سواء.

- كما أتوجه بشكري الخالص لكلٍّ من عائلتي حمادة بالشرافة، موسوني ببوزريعة لما أحاطني به أفراد كلٍّ واحدة منهما من تشجيع ودعم معنوي لا مثيل لهما.

- ولا يفوتني في الأخير أن أثني على عائلتي الكريمة لصبرها عليّ طيلة مدّة البحث.

قائمة المختصرات

- دليل الجزائر - A.A. (J.) Annuaire de l'Algérie (Journal) (جريدة)
- نشرية شهرية - BMCFE. Bulletin Mensuel de la Colonisation Française- للاستعمار لفرنسي
- النشرية الرسمية - B.O.A.G. Bulletin Officiel des Actes du Gouvernement- لقرارات الحكومة
- الفقرة - Chap Chapitre -
- الكونت - Cte Comte-.....
- لجنة استعمار - C.C.A. Commission de Colonisation de l'Algérie- الجزائر.....
- بلدية كاملة الصلاحيات (ب. ك. - C.P.E. Commune de Plein Exercice- ص.....)
- دوار كومون - D.C. Douar Commune-.....
- مرسوم إمبراطوري - D.I. Décret Impérial-.....
- مرسوم وزاري - D.M. Décret Ministériel-.....
- دار النشر - Ed. Edition-.....
- إمبراطور - Emp. Empereur-.....

- F.A. (J.) La France Algérienne (Journal)- **فرنسا الجزائرية**
(جريدة)

-Gnl. Général- **العام**

-G.G.A. Gouverneur Général de l'Algérie- **الحاكم العام للجزائر**
.....

-MNOA Mélanges et Nouvelles d'Orient et d'Algérie- **متنوعات وأخبار من الشرق والجزائر**

-M.A.T. Moniteur de l'Algérie et du Tell- **مدرب الجزائر والتل**
.....

ILL. (J. U.) Illustration (Journal Universel) -

O.P.U. Office de Publication Universitaire-

P. Pp. Page (s)-

REV. AF. Revue Africaine-

REV. Alg. Ill. Revue Algérienne (Illustrée) -

R.O.A.C. Revue de l'Orient et de l'Algérie et des Colonies-

R.H.M. Revue d'Histoire Maghrébine-

Rev. Hor. Magh. Revue Horizon Maghrébine-

R. O. A. Revue de l'Orient et de l'Algérie-

T.S.E.F.A. Tableau de la Situation des Etablissements de France en Algérie-

Sén. Con. Sénatus - Consulte-

S.N.E.D. Société Nationale d'Edition et de Diffusion-

المقدّمة

لم تكن فكرة دراسة المجتمع الجزائري خلال القرن التاسع عشر فكرة ظرفية أو مناسباتية، وإنّما لطالما تساءلنا عن مصدر اختلال التوازن بين القوى المهيمنة على البحر الأبيض المتوسط خلال القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر، وإشكالية الغزو الذي تعرّضت له الجزائر عام 1830، وكيفية وقوعها في قبضة المحتل؟ وهل حقا أن مسألة الدفاع عن الوطن كانت آنذاك مرهونة بقوة البحرية الجزائرية فقط؟ إلى غيرها من التساؤلات التي أوصلتنا إلى ضرورة البحث في الوضع الاجتماعي ليس في الفترة التي سبقت الغزو وإنّما ساعة المواجهة بين الأهالي والغزاة. إنّ القضية حسب اعتقادنا لا تتوقف عند حدود المجالين السياسي والعسكري.

وعليه ونظرا للدور الذي يلعبه المجتمع في التأثير من قريب أو من بعيد على قرارات السلطة المركزية بصفة عامة صغت إشكالية البحث على النحو التالي: "أثر الحركة الاستيطانية على المجتمع الجزائري خلال القرن التاسع عشر". وبموافقة أستاذي الدكتور جمال قنان شرعت في البحث مدركة تمام الإدراك حجم المغامرة الفكرية التي أقحمت نفسي فيها سواء على مستوى الأرشيف من حيث مدى توفر المادة وإمكانية الوصول إليها وكيفية استغلال ما سنتمكن من الإطلاع عليه من وثائق، أو من حيث المدة التي ستستغرقها الدراسة.

إنّ الخوض في مسألة شائكة كالاحتلال الذي تعرض له المجتمع الجزائري ما بين عامي 1830 - 1962، يتطلب الوقوف على جوهر المصطلحات الشائعة خلال القرن التاسع عشر انطلاقا من الواقع السياسي آنذاك لعله يتسنى لنا ضبط الانعكاسات الناجمة عن اقتران الاستيطان بالاستعمار. عرفت الأمم عبر مراحل تاريخ كلّ واحدة منها، صراعات من أجل السيطرة على هته أو تلك القطعة لما يتوفر بها من ضروريات العيش. فعلى قدر ما تتطافر عوامل الاستقرار والتمدن بمنطقة ما على قدر ما يكون الاصطدام اعنفا. إنّ الإنسان مدني بطبعه.

لكن الأمر هنا مختلف، فالجزائر ليست أرضا شاغرة لتصلح أن تكون ميدانا للتوسع والمنافسة، وإنّما المسألة تتعلق باعتداء وقع على أمة ضاربة هي جذورها في أعماق التاريخ، وعليه فكيف واجهت حينذاك الأمة الجزائرية الغزو الفرنسي؟

إنّ حصر دراسة مخلفات الاستعمار الاستيطاني في عينتين من المجتمع الجزائري ك: " بني مناصر وأهل يسر" يعدّ محاولة متواضعة منا لضبط منهجية تدلّل الصعاب أمام كلّ من يسعى إلى البحث عن

الصورة الحقيقة لمجتمع ما ومن ثمّ حفظ ذاكرته من الضياع.

أمّا عن اختيار العنيتين المذكورتين فإنّه ناتج عن معادلة بسيطة أردناها مقارنة بين منطقتين متوازيتي الموقع بالنسبة لدار السلطان وبايليك التيطري ومختلفتين خاصة من حيث مرفولوجية سطح الأوطان، كما هو الشأن بالنسبة لأوطان بني مناصر وأهل يسرّ، وهذا لما كان للطبيعة من دور أساسي في توجيه تصرفات الحكومة الاستعمارية وفي اتخاذها مختلف القرارات وتنفيذها. وما الاستثناءات والتباينات في المواقف التي تحدث عند كلّ محاولة شرع بتنفيذ قرار من القرارات من قبل الجهات المعنية إلاّ دليلاً على ضرورة مراعاة طبيعة ونوعية السطح ما دام الأمر يتعلق بإنجاح الاستيطان الأوروبي.

هذا في حين يعود حصر دراسة تطورات الإشكالية زمنياً ما بين عامي 1830 - 1872، إلى ضرورة ضبط مجريات أحداث العقود الأولى من الاحتلال، كما لطبيعة المواجهة دوراً في تحديد الإطار الزمني، ناهيك عن اعتبار الحكومة الاستعمارية تلك الفترة مرحلة إيجابية بالنسبة لها حيث توصّلت فيها إلى ما قد يمكنها من تحقيق التغير الجذري المخطط له في الجزائر بدءاً من شلّ الحركة المجتمع الجزائري الطبيعية، وأنّ قواتها الغازية صارت مسيطرة على أوطان الأهالي بصفة شبه كلّية. ونظراً لكون الاحتلال فعلاً تاريخياً فيه غالب ومغلوب ارتأينا ضرورة استحضار عوامل تفوق طرف وإخفاق الآخر ولو نسبياً ثمّ تحليل الانعكاسات الناجمة عن الوضعية الجديدة.

لقد أحدثت الثورتان الصناعية والفكرية اللتان عرفتهما شعوب أوروبا خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر، تغيرات عميقة خاصة في المجتمعين الإنجليزي والفرنسي. هذا في الوقت

الذي كانت فيه شعوب الضفة الجنوبية من البحر الأبيض المتوسط تعرف ركودا شبه عام، فتراجع هبة الخلافة العثمانية التي صارت على نقيص الانقلاب الإيجابي الذي حققته الدول المنافسة لها على الطريق التجاري القديم الرابط بين أوروبا وآسيا. ومن ثمّة وفي الوقت الذي كان فيه الغرب يعيش نهضة فكرية وسياسية واجتماعية وانطلاقة اقتصادية التي رفقت الإقلاع الصناعي، كان الضعف قد دبّ في أوساط المسلمين من جراء صراعات الساسة وقادة الجيش على السلطة، فتصاعدت موجة التمردات الداخلية، وانتشرت الحركات الانفصالية التي كانت تغذيها الدول الأوروبية سعيا وراء خلق فرص للتمكن من السيطرة على البحر الأبيض المتوسط، مستغلة تطور نفوذها داخل الدولة العثمانية ذاتها والناجم عن استفادتها من امتيازات تعود إلى القرن السادس عشر.

فإذا كانت الدراسة التاريخية تقتضي عرض الوقائع في إطارها الزمني والمكاني، فإنّ الأمر يقتضي أيضا تقديم صورة شاملة عن الأجواء العامة التي مهدت لها وأحاطت بها، كما هو الشأن بالنسبة للغزو الفرنسي للجزائر.

إنّ الموقع الجغرافي الذي تنفرد به الجزائر جعلها على مدار العصور عرضة لأطماع الأمم القوية. وما كان لفرنسا التي عرفت انتعاشا اقتصاديا مع نهاية القرن الثامن عشر إلا أن تخوض هي الأخرى غمار التوسع، وأن تبني استراتيجيتها التنموية على غرار الدول الكبرى أذاك على أساس السيطرة على الأسواق الخارجية.

وعليه وبعد فشلها أمام بريطانيا في العالم الجديد وجهت فرنسا اهتمامها نحو إفريقيا مع التركيز على الجزائر، إلى أن وطأت أقدام الدفعة الأولى من جيوشها الساحل الغربي من الجزائر العاصمة في جوان 1830، ليبدأ الاصطدام الفعلي والمواجهة

دفاعا عن الوطن والصمود أمام جحافل القوات الغازية المدعمة بأحدث الأسلحة.
إنّ موضوع: "أثر الاستعمار الاستيطاني على المجتمع الجزائري ما بين عامي 1830 - 1872 من خلال بني مناصر وأهل يسر"، يطرح إشكالية طبيعة الصراع بين المستعمر والمستعمّر، وكيفية مواجهة إجراءات تفكيك التركيبة الطبيعية للمجتمع وتعامل الأهالي مع الوحدات الاجتماعية الجديدة المركبة تركيباً إدارياً من طرف إدارة الاحتلال. كما يسعى إلى إبراز مدى نجاعة أو فشل سياسة حرب الإبادة وملاحقة الأهالي من طرف قوات الاحتلال في تحقيق أهداف فرنسا الاستعمارية.
وللتعرف على حقيقة ما تعرّض له كلّ من بني مناصر وأهل يسر، ارتأينا ضرورة تقسيم البحث إلى مدخل وثلاثة أقسام يحتوي كلّ قسم عدداً من الفصول.

فالمدخل المعنون بـ "حركة المجتمع الجزائري" أردنا من خلاله تقديم نظرة عن حالة المجتمع الجزائري قبيل الغزو، ليتسنى لنا تقدير التغيرات التي طرأت على تركيبته من جراء غزو القوات الاستعمارية، واحتلال المستوطنين الأوروبيين أوطان الأهالي بعد أن هيأت لهم الإدارة الاستعمارية أرضية وظروف الاستقرار بالجزائر بين عامين 1830 و1872.

القسم الأول: "أصول وأوطان؛ جاء في ثلاث فصول. ونظراً لضرورة تحديد المجال الجغرافي للوحدتين كما تقتضيه أصول الدراسة التاريخية، حاولنا استنباط حدود أوطان بني مناصر وأهل يسر انطلاقاً من كتابات الضباط الأوائل باعتبارهم شهود عيان. ولكن عدم اتضاح الرؤية بعد فصل كامل بالمعنون: "دراسة في أصول أهل يسر وبني مناصر" كمحاولة أولى في تحديد الأوطان على أسس عرقية ولغوية. ومن ثمّ حاولنا في الفصل الثاني الذي عنوانه: "حدود بني مناصر

وأهل يسرّ" من ذات القسم تتبع أثار مشايخ وقادة
الوحدتين وامتداد نفوذهم، فتبين أنّ مساحة
الأوطان، وإنّ لم تضبط حدودها بعد بدقة ، بأنّها أوسع
مما أقرّت به مختلف المصالح الاستعمارية في
وثائقها الرسمية. ولاستكمال أبعاد ميدان كلّ خلية
اجتماعية، استعنا في نفس الفصل بتحركات الأهالي
قبل الغزو ثمّ أثناء مقاومتهم طيلة العقد الأول من
الاحتلال. هذا قبل أن يتمّ حصر في مناطق وعرة.
ثمّ خصصنا الفصل الثالث: " المواجهة والصمود"
لتصدي أهل يسرّ وبني مناصر للقوات الغازية
وبدايات احتلال أوطانهم التي تأخرت إلى أزيد من
عشرية كاملة من سقوط القصبّة. وكما نلفت الانتباه
هنا إلى كون مقاومة بني مناصر وأهل يسرّ اكتست
منذ بدايتها طابعا وطنيا، ولم تكن مجرد مقاومة
محلية أو جهوية. لقد لعب هؤلاء دورا كبيرا ضمن
صفوف الجيش النظامي الذي أنشأه الأمير عبد
القادر مدغمين إياه بصفوف من المتطوعين كما
سيوضح ذلك في الفصل الأول من القسم الثاني.

القسم الثاني: " الاحتلال عن طريق التعديلات الإدارية"

لم تكن القوة العسكرية دوما قادرة على تحقيق مآرب
حكوماتها، وعليه سنتطرق من خلال فصول هذا
القسم إلى كيفية توظيف الحكومات الاستعمارية
التنظيم الإداري لتحقيق فعل الاحتلال. فإذا كانت قد
تمكنت من الأوطان بقوة الحديد والنار فإنّه يصعب
عليها تحقيق نفس الغاية مع أهالي تلك الأوطان.
وعليه انتهجت إدارة الاحتلال سياسة تمزيق القبائل
حيث ذهبت الخلية الاجتماعية الطبيعية ضحية لإعادة
التركيب بعد التفكيك على الشكل الذي يضمن التحكم
أكثر في المجتمع الجزائري، وذلك رغم محاولة
التستر وراء الادعاء بأنّها ستراعي النموذجين المتعود
عليهما، الأول لحكومة الديوان والثاني للأمير عبد
القادر.

فبوضع هيكلية إدارية جديدة للأهالي تكون الحكومة الاستعمارية قد تمكنت من آلية تسيير الأهالي، لكن مسألة ضبط إدارة خاصة بالأهالي لم تكن بالأمر الهين، ولتقدير انعكاسات التعديلات الإدارية السريعة والقرارات الارتجالية والمتضاربة وغير المنسجمة مع واقع الأهالي، خصصنا الفصل الأول المعنون: "احتلال الأوطان وملامح إدارة الأهالي ما بين 1843 - 1847" لإلقاء نظرة سريعة على الإدارتين المذكورتين أعلاه، مع التركيز على الوضعية الإدارية لبني مناصر وأهل يسّر في ظل دولة الأمير عبد القادر ومسايرتها لأحداث ما بين عامي 1830 - 1842، وكيف تبلورت ملامح إدارة الأهالي في ظل الاحتلال؟ وكيف فقد، من قرار إلى آخر ومن قانون مجحف إلى أحف منه، بني مناصر وأهل يسّر أوطانهم؟ ومن ثمّ تبدّد مع مطلع الخمسينيات من القرن التاسع عشر خليتهم الأصلية، دون أن تتوصل الحكومة الاستعمارية إلى هيكلية إدارة عامة واضحة المعالم؟ كما سنوضحه في الفصل الثاني والذي جاء تحت عنوان: "التنظيم الإداري المفروض على الأهالي عام 1849".

أمّا الفصل الثالث والمعنون: "من الاحتلال إلى الاستيطان" فإنه يتناول الانعكاسات الأولى للاحتلال بعد عقدين من الزمن سادتهما بسالة وصمود الأهالي حيث تمكنت الجيوش الاستعمارية بعد إنهاك قواهم من إجلاءهم وحصرهم في مناطق صعبة، ومن ثمّ الشروع في تنفيذ مشروع الاستيطان الذي أجماع بشأنه المنظرون على أن مستقبل الاستعمار الفرنسي في الجزائر مرهون بالقوة العددية للمستوطنين بغية إحداث توازن بين هؤلاء وبين الأهالي. فكان من الطبيعي تخصيص فصلا لسياسة الاستيطان التي سعت من خلالها الحكومة الاستعمارية إلى ترجيح الكفة لصالح المستوطنين

برفع عدد الأوروبيين بالجزائر ومن ثمّ المزيد من تطويق الأهالي.

القسم الثالث: " الاستيلاء على العقار بالجزائر " : يتضمن هو

الأخر ثلاثة فصول.

يدور محتواها حول الآليات التي استعملتها الحكومة الاستعمارية لتحقيق عملية فرنسة العقار بالجزائر ومن خلاله القطر بأكمله. فالفصل الأول: " إجراءات الاستيلاء على العقار " خصصناه لطبيعة ملكية العقار بالجزائر قبل الاحتلال محاولة منا التدقيق في ما هو للدولة أي للبايليك، وما للقبيلة وما للأشخاص الطبيعيين والمعنويين لأننا وجدنا اهتماما كبيرا من قبل الحكومة الاستعمارية عبر مختلف مراحل توغل قواتها بتصنيف الملكية ومن ثمّ كان يتم تحديد إجراءات وقنوات تحويل العقار إلى التشريع الفرنسي. هذا في حين تناولنا في الفصل الثاني أحد الإجراءات قانونية لاستكمال ضبط مواقع ما تبقى من أراضي خصبة في يد الأهالي والتي يمكن سلبها منهم تحت أية ذريعة كلّ اقتضت مصلحة الاستيطان ذلك. فصل يحمل كعنوان اسم قانون : " السيناتوس كنسلت 22 أفريل 1863 " الذي يعد عينة من تلك الترسانة القانونية الموجهة لتحويل العقار بالجزائر وإيهام الجزائريين بأنّها الحكومة الاستعمارية تسعى إلى تمكينهم من ملكية مشخصة على الطريقة الغربية.

لكن سياسة التملك هذه باءت بدورها بالفشل فمن خلال الفصل الثالث: " انعكاسات السيناتوس كنسلت 22 أفريل 1863 " إذ يظهر من خلال انتفاضتي عامي 1864 و 1871، والتي تعدّ مرحلة جس النبض وتحسس موقف الأهالي من هذا القانون، تعدّ رفضا صارحا على المزيد من تفكيك الملكية الجماعية. فالانتفاضتان ليستا بمعزل عن بقية ردود الفعل الطبيعية لمقاطعة كلّ ما من شأنه استهداف

خصوصيات المجتمع الجزائري. إذن هناك علاقة سببية قوية بين محاولة تنفيذ قانون السيناتوس كنسلت 22 أفريل 1863 وانتفاضة عام 1871 على وجه الخصوص

وأخيرا جاءت الخاتمة في شكل حوصلة لما آل إليه حال كل من بني مناصر وأهل يسر ومن خلالهما المجتمع الجزائري

نظرة على بيبليوغرافيا البحث

لكل مشروع أو دراسة جديدة مهما كانت طبيعة الإشكالية التي تطرحها فإنها تتطلب تحضيراً جاداً لأدوات البحث، إذ يتعين على الباحث جمع ما أمكن من وثائق أرشيفية، مصادر، ومراجع لعله يستفيد مما توصل إليه أصحابها من نتائج انطلاقاً من زاوية مختلفة، والتي يمكنه بناءً على أساسها طرحاً جديداً بغية تسليط المزيد من الضوء على الموضوع وتعميق دراسته. فعلى قدر ما يتوخى المرء الدقة في اختيار الوثائق المعتمدة على قدر ما تتضح أمامه الرؤى أكثر، ومن ثم يتسنى له الاقتراب أكثر من الحقيقة التاريخية. وعلى هذا الأساس لابد من كلمة حول طبيعة الوثائق التي اعتمدنا عليها في دراسة أثر الاستيطان على المجتمع الجزائري سواء من حيث طبيعتها، أو أماكن تواجدها بل وحتى عن كيفية الحصول عليها إن اقتضى الأمر.

إن مثل هذا الموضوع يقتضي إطلاعا وإلماما شاملين على تركيبة المجتمع قبل الغزو، ليتسنى الوقوف على التغير الذي تعرض له بعد أربعة عقود من الزمن من جراء الإجراءات العسكرية والإدارية. ولتفادي الانسياق وراء ما كتبه الأقلام الاستعمارية أو الوقوع في الذاتية، حاولنا قدر المستطاع التنويع في المصادر مع إخضاعها لميزان العقل. ولاستقراء ما تحمله من منطق اعتمدنا على المقارنة بين محتويات مجمل الوثائق من أخبار

والتحقيق في الأحداث كأسلوب للتأكد واستنباط الحقائق منها. فغالبا ما كانت هذه المنهجية تعطي نتائج إيجابية إذ مكنتنا في العديد من المرات من تصحيح تصورات خاطئة لأنها كانت أصلا غير مؤسسة. وعليه يمكن تصنيف مصادر ومراجع البحث على الشكل التالي:

المصادر والمراجع باللغة العربية:

أول ما سيلاحظه المتصفح لهذه الدراسة ندرة المصادر باللغة العربية والمكتوبة بأقلام محلية وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على الركود العام الذي بلغته شعوب العالم الإسلامي. - المجموعة الأولى:

مؤلفات عايش أصحابها تطور الأحداث ما بين 1826 - 1834، من الحصار إلى الغزو. وعلى الرغم من ندرتها إلا أن ما كتب عن تلك الفترة يعد مصدرا أساسيا للموضوع، نذكر "المرآة" لحمدان خوجة، وما كتبه الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر، وتراجم الشيخ أبي القاسم الحفناوي. أما الوثائق الإدارية والقنصلية التي اعتمدنا عليها فهي تلك التي جمعها وحقق فيها بعض الأساتذة المؤرخين، والتي قُدمت في شكل كتب مرجعية كنصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500 - 1830، ونصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830 - 1914 " للدكتور جمال قنان، وبحوث في التاريخ المغربي؛ الجزائر، ليبيا، تونس، 1816 - 1871 " للأستاذ عبد الجليل التميمي.

- المجموعة الثانية

هي عبارة عن مراجع متخصصة حيث ركزنا على وجه الخصوص على جملة من الدراسات يأتي في طليعتها " النظام المالي للجزائر في العهد العثماني (1792 - 1830) " للأستاذ ناصر الدين سعيدوني، ومهمة ليون روش في الجزائر (1832 - 1845) "

للأستاذ يوسف مناصرية. ومن أهم المؤلفات التي تعتبر مصادرا لا يمكن الاستغناء عنها تأتي "مقدمة" عبد الرحمان بن خلدون بلا منازع لغزارة ما تحمله من أخبار عن الأمم الغابرة ومنها أهل المغرب العربي.

- المجموعة الثالثة

تتضمن كتابات ساعدتنا على الغوص في أجواء الصراع الأوروبي - العثماني عامة، والفرنسي - الجزائري خاصة، مع التنبيه إلى ندرتها في هذا الباب باللغة العربية إن لم نقل بانعدامها تماما. مما فرض علينا استغلال مؤلفات الجيش الاستعماري بشكل واسع لكن بحذر شديد.

المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

لقد تعددت المصادر والمراجع باللغة الأجنبية إلا أن دراستها استغرقت منا وقتا طويلا، والتي غالبا ما كانت تعيدنا إلى حيث بدأنا، أي ننهي قراءتها لكن دون أن يتسنى لنا العثور أو الوصول إلى معلومة تاريخية جديدة، لأن أصحابها انطلقوا من نفس التصور والمسطر مسبقا.

ولتسهيل الأمر على كل من سيطلع على هذا البحث ارتأينا تقديم المصادر والمراجع الأجنبية لغزارتها على النحو التالي:

المجموعة الأولى: الوثائق الإدارية منها ما هو مخطوط ومنها ما هو مطبوع

- المخطوطات

سواء كانت وثائق خاصة بالإدارة المدنية أو بالإدارة العسكرية. فمنها ما جاء في شكل ملفات إدارية أو قضائية، ومنها ما هو في شكل سجلات عقود الزواج وعقود الطلاق، مجلدات لقضايا اجتماعية ومنازعات فصل فيها قضاءه محليون معينون، تحت الرقابة الصارمة لرؤساء الدوائر الثانوية. هذا على سبيل المثال لا الحصر.

سجلات خاصة بمصالحتي المسح العقاري ومحاكم الدوائر، وعروض- حال تتضمن تقارير لجان السيناتوس كنسلت. كما يمكن إدراج الخرائط وتصاميم التقطيع الخاصة ببعض المساحات المصادرة من الأهالي لتوزع لاحقا على المستوطنين أو لتهيئ تحضيراً لمشاريع جديدة تقضي با تقضي ستقبال المزيد من المعمرين.

ومن المؤسف أن نشير هنا إلى الوضعية المزرية التي هي عليها الآن معظم السجلات والخرائط بمؤسسة حفظ الأرشفة العقاري

- أرشفة وثائقي خاص

يأتي على رأسه الأرشفة الشخصي للأستاذ الموثق السيد محمد الطاهر صحراوي الذي تسلمه من والده الذي اشتغل قبلها موثقاً في العهد الاستعماري. مخزون من العقود والتقارير (باللغتين العربية بالنسبة للتي حرّرت من قبل القضاة وبالفرنسية بالنسبة لتلك المحرّرة على يد ضباط إداريين)، مع العلم أنّ ما يتعلق بالأهالي مباشرة غالباً ما كان مترجماً. وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ أقدم وثيقة في هذا الأرشفة تعود إلى عام 1843 وهي أول وثيقة فتحت بها الإدارة الاستعمارية مصلحة التوثيق بشرشال. لم يخف الأستاذ صحراوي عند استقبالنا في 31 مارس 2000 بمكتبه بمدينة شرشال، تخوفه من ضياع هذا الإرث الهائل لعدم صلاحية المكان خاصة بعد التصدعات التي تعرض لها المبنى بعد زلزال أكتوبر عام 1989.

وتجدر الإشارة هنا ومن هذا المقام إلى ضرورة لفت انتباه وإخبار كل باحث أو دارس للمنطقة الغربية من دار السلطان أنّ هذا المخزون الأرشفة هو اليوم بالإضافة إلى كونه في مأمن في حفظ، وظيفي إذ بعد بلوغ مسمع السيد مدير الأرشفة الوطني بئر خادم انشغال الأستاذ صحراوي عن ذلك

المخزون من الوثائق الذي لم يعد مكتبه المتواضع يتسع له، والصورة المزرية التي آلت إليها حالة الأرشيف التوثيقي (Archives Notariales) تضافرت جهود الجميع حيث تمّ التنسيق بين وزارة العدل والمصالح القضائية من جهة ومسؤولي الأرشيفين الوطني والولائي تحت رعاية السيدة والية تيبازة من جهة أخرى، إلى أن تمّ نقل ذلك الكم الهائل من الوثائق تحت العين الساهرة للأستاذ محمد الطاهر صحراوي أطلال الله في عمره وإيداعه مصلحة الأرشيف الولائي بتيبازة.

- الوثائق المطبوعة

- الجرائد الرسمية التي اتخذت أسماء وأشكالا متعددة لا يتسع المقام هنا التطرق إليها نظرا لغزارتها، لكن سنقف عند كل مجلد ونهمش له كلما اقتضى الأمر ذلك.

- المجموعة الثانية: هي في شكل كتب؛ مذكرات، مؤلفات؛ دراسات تاريخية

- تأتي في طليعتها مذكرات ضباط الجيش الاستعماري التي تعددت هي الأخرى.

- الكتابات التاريخية: اطلعنا على عدد من الدراسات نذكر على سبيل المثال لا على سبيل الحصر "

المملكة العربية: سياسة نابليون الثالث الجزائرية

1861 - 1870 " لري-غولدزيغر (REY- GOLDZEIGER)

(Annie) ، و" تطبيق السيناتوس كنسلت 22 أفريل 1863 بمقاطعة الجزائر

1863 - 1870 " لسانت-ماري (SAINT-MARIE) و"المكاتب العربية

وتطور نمط حياة الأهالي بالتل الغربي لمقاطعة

الجزائر... " لقرافي ياكونو (Xavier YACONO).

- كما أنه لابدّ من الإشارة هنا إلى اعتمادنا على

العديد من الجرائد والصحف التي واكبت الاستعمار

وجمعت بين نشر الأخبار والأفكار معا. لقد أفادتنا

كثيرا في فهم منطق منظري سياسة الاستعمار

الاستيطاني وساسته.

وهكذا يظهر من خلال هذا التنويع المرجعي أنّ
الدراسة التي قمنا بها لا هي سرد كرونولوجي
للأحداث ولا هي مقتصرة على أخبار حرب رغم كثافة
المعارك المتناولة ولا هي ترجمة لشخصيات بعينها،
تكون قد برزت في فترة حاسمة من مقاومة وإنما
أردناها تحليلا شاملا لنقل بصدق انعكاسات الاستعمار
على المجتمع الجزائري من خلال العينتين
المذكورتين: بني مناصر وأهل يسر.

المدخل

حركة المجتمع الجزائري

أ - طبيعة المجتمع قبيل الغزو

ب - القاسم المشترك بين قبائل المجتمع

ج - أدوات التمييز بين مختلف وحدات المجتمع

الجزائري

د - بعض العينات من المجتمع الجزائري

أ - طبيعة المجتمع قبيل الغزو

لم تكن الفلاحة بالجزائر حكرا على أهل الريف
فحسب بل كان لأعيان المدن ضلع فيها. إذ كان العديد
من الحضر - البلدية - ⁽¹⁾ يسيرون بأنفسهم أملاكهم

¹ - البلدية: "صنّف سكان المدن بالجزائر قبل الغزو إلى ثلاث طبقات وذلك حسب أوضاعهم الاجتماعية وهي: طبقات الحضر و البراني والدخلاء. تتكون طبقة الحضر من العائلات المتأصلة بالبلاد إي بالمدينة ومن مهجري الأندلس... وما ترجمة لكلمة "البلدية" بكلمة (Citadin) التي تحمل معنى الحضري من طرف هنريش (HEINRICH) (1) ثم تفسير معناها بأنه يراد بها الاستهزاء بمن تطلق عليه. يكون بذلك قد أفرغ مصطلح البلدية من معناه الأصلي. لقد كتب في هذا الصدد قائلا: "... إن الحضر - البلدية - كما يُطلق عليهم باستهزاء الأتراك وباستخفاف - يشرفون على ممتلكاتهم بأنفسهم في سهل متيجة."

" On ne peut se faire une idée, en effet du Joug intolérable, que la soldatesque brutale qui régnait... " ,à Alger faisait peser sur les malheureux habitants (nommés plus haut : population indigène...) ceux-ci que les Turcs appelaient avec mépris les Baldis (citadins), étaient en général des gens de mœurs douces et inoffensives, ne demandant qu'à se livrer en paix aux occupations du négoce ou à l'exploitation des propriétés qu'ils possédaient dans la Mitidja ..."

ملاحظة:... لكن بهذا التأويل يكون هنريش قد سار على منوال بعض معاصريه ومنظر بعدهم للاستعمار

متجاهلين مقومات الارتباط بين الجزائر والدولة العثمانية، إذ كان الدين والمصير المشترك القاسم المشترك بينهما . هذا وكأنّه كان يسعى إلى التمهيد لأن يطلق على الجزائر لاحقا إي مع بداية الإحتلال عام 1830 اسم الأهالي)

المترامية الأطراف بالأحواز عبر سهل متيجة كتلك التي يملكها حمدان خوجة⁽¹⁾. وما إغاثة الحكومة الجزائرية الشعب الفرنسي بإرسالها إياه كميات من القمح⁽²⁾ أثناء الأيام العصيبة التي عاشها من جراء أحداث ثورة عام 1789⁽³⁾ إلا دليلا قاطعا على وفرة

(indigènes) بدل المحليين. كيف يمكن التفكير في الاستهزاء والعلاقة لم تنقطع بين سكان الجزائر والباب العالي حتى فيما بعد الغزو، وهذا حمدان خوجة يستنجد بالسلطان محمود الثاني⁽²⁾ حيث راسله يشكو له حال الجزائريين في مكتوب من باريس بتاريخ 29 ربيع الأول 1249 قائلا: "...ملجأنا الوحيد هو الله ثمّ شخصكم..."⁽³⁾.

? - 1 - انظر: HEINRICH (Pierre); *L'alliance Franco-algérienne au 16 siècle*. Traduit de l'allemand

au français (sans nom). Ed. Mougin – Rusand, Lyon 1898. (229 p) p. 128

? - 2 - محمود الثاني عاش ما بين عامي 1785-1839. السلطان الثلاثون للدولة العثمانية، حكم من 1808 إلى 1839 في عهده ثار اليونانيون عام 1821، وهو الذي استعان بفتوى شيخ الإسلام في استبدال الجيش الانكشاري بالجيش المحمدي (الواقعة الخيرية عام 1827) والملفت للانتباه هو تزامن أحداث اليونان بما يحدث بالجزائر فمعركة نافارين عام 1827 يقابلها حصار الجزائر في حين يقابل سقوطها تحت الاستعمار عام 1830 استقلال اليونان باسم القومية. _ عبد القادر ده ده: السلطان العثمانيون. دار سحنون للنشر، تونس 1990. ترجمة من اللغة العثمانية إلى اللغة العربية محمد جان . ص. 76-77.

- 3 - ? (عبد الجليل) التميمي: بحوث في التاريخ المغربي. الجزائر، تونس، ليبيا، 1816-1871. منشورات ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1985. منشورات مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني. الطبعة الثانية زغوان 1985. الوثيقة رقم 5 ص. 114-118. - لإزالة أي لبس محتمل حول المعنى الحقيقي لمصطلح البلدي سنستعين بما كتبه حمدان خوجة عن نفسه وهو عينة من طبقة الحضر أصحاب الأراضي الواسعة: "... أحد كبراء وأغنياء المدينة، لقد كنت أملك في منطقة المتيجة MITIDJA بمزارعي عشرة آلاف رأس غنم وستمائة رأس بقر ومائتي زوج بقر للحرثة) وستين جملا، ومائتي رأس ما بين فحول وفرسان، وستين بغلا وعددا آخر من الحيوانات. كنت أملك بالإضافة إلى هاته الثروة الفلاحية، ستمائة معسلة، وخمسة آلاف كيلة. (الكيلة = 25 كيلو غرام) من القمح والشعير وعدة آلاف من المساحة الصالحة للحرثة "... كيف يمكن أن يحمل مصطلح البلدي إذن معنى الاستهزاء أو السخرية. Le mépris ?

- عبد الجليل التميمي:

المصدر نفسه. ص 35 .

? 1 - (حمدان) خوجة: هو حمدان ابن عثمان خوجة من مواليد عام 1773 بالجزائر من عائلة عريقة لها أملاك كبيرة في ضواحي مدينة الجزائر ومنطقة متيجة بصفة عامة. ومن المهم أن نشير هنا إلى جملة من العوامل التي جعلت حمدان خوجة قريبا من مصدر الخبر ووسعت بصيرته هو أن كونه والده كان فقيها ومدرسا، واشتغل في منصب مكتباحي أي أميناً عاما للإيالة (*) ، وسار حمدان

**الإنتاج الذي كانت تخر به الجزائر، كما يؤكد على ذلك حمدان خوجة بنفسه في كتاب "المرأة..."⁽¹⁾.
لكن يبدو أن استمرارية الصراع بين المحافظين والجمهوريين على السلطة⁽²⁾ أنسى حكام باريس صنيع نظرائهم بالجزائر، تجاه المجتمع الفرنسي، حين أنهكت حروب الثورة وفتكت به الأمراض والأوبئة وتراجع مردوده الزراعي وخنقه الحصار المضروب عليه من قبل أصحاب الأنظمة الملكية المستبدة سعيًا**

خوجة على منوال أبيه حيث اشتغل هو الأخير بالتدريس قبل أن يتعاط التجارة. أما عن احتكاكه بالعالم الخارجي فكانت أول رحلة له تلك التي قام بها إلى إستانبول في حدود عام 1784 في حين تأخرت زيارته إلى فرنسا إلى عام 1820 أي في وقت كانت فيه هذه الأخيرة قد عادت إلى حضيرة الدول ذات الأنظمة الملكية. وكان عشية الغزو مستشارا لدى الداي حسين. _ (محمد العربي) الزبيري: مذكرات احمد باي، وحمدان خوجة، وبوضرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر عام 1981 . الطبعة الثانية. عدد الصفحات 202. ص.ص 137-133.
* - الإيالة: مأخوذة من آل بمعنى الوالي إذن الإيالة يقصد بها الولاية. - المنجد اللغوي.

² - يحي بوعزيز؛ علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا. دار النشر ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر. الطبعة 1980. ص. 108
"...وبعد أن وافق الداي حسين والديوان على تزويد حكومة الثورة بالحبوب ومواد أولية أخرى وضع الداي مبلغ 250 ألف فرنك تحت تصرف القنصل لتمكينه من شراء الكمية اللازمة من الحبوب من عناية وقسنطينة...."

³ - ¹ أنظر: GRIMBERG et (Ragnar) SVANSTROM; La Révolution française et (Carl) - l'Empire. Histoire Universelle T.9. Traduit par (Gérard) COLSON. Adaptation française sous la direction de (George- H) DUMONT. La mise en page est d'Yvan Robert. Cartes de (Willy) ROUSSEAU et fils. Collection Marabout. Ed. Gérard Verières Belgique. 1964. P.221

² - ² جاء في خطاب روبسبيار (Robespierre) يوم 07 فيفري 1794 أنه "... لا يوجد قط في الجمهورية إلا الجمهوريين. أما الملكيون والمتآمرون ما هم بالنسبة إليها إلا أجانب أو بالأحرى أعداء..."

- أنظر: CHANDRON, (Reimy) KNAFOU (sous la direction de) : HISTOIRE - (Eric) - GEOGRAPHIE 4°. Ed. Belin, Paris 2002 (336 p.) P.86

¹ - تعرف "المرأة..." : صدر في باريس كتاب بعنوان: "المرأة؛ نظرة تاريخية عن إيالة الجزائر" (Le MIROIR; Aperçu historique sur la Régence d'Alger) في شهر أكتوبر 1833 لصاحبه حمدان بن عثمان خوجة. يقول عنه رضا باشا ابن حمدان خوجة أن أباه ألف كتابا بالعربية ثم ترجم إلى الفرنسية وطبعه هناك وكان من خلاله يسعى إلى أن يطلع وزراء الحكومة الفرنسية على مستوى الإدارة المدينة بالجزائر.

_ (عبد الجليل التميمي): بحوث في التاريخ المغربي...

المصدر نفسه ص. ص: 40-31.

GRIMBERG et (R) (C) -

² - أنظر:

SVANSTROM; op. Cit. p.229

وراء تطويق نفوذ إدارة الثورة (le Directoire) ⁽¹⁾ وإفشال سياستها. فبدل من تسدد الديون المتراكمة على الدولة الفرنسية، لجأت عام 1827 الحكومة الرجعية بدورها ⁽²⁾ إلى سياسة الحصار تجاه الدولة الجزائرية كأسلوب للردّ على الموقف الإنساني الذي سلكته الحكومتها. فإذا كان ما ورد أعلاه يحمل جملة من الحقائق التاريخية فإنّه في ذات الوقت يعكس واقع المجتمع الجزائري المعروف بطابعه البدوي ⁽³⁾. مجتمع تُعدّ فيه القبيلة ركيزته الأساسية اجتماعيا واقتصاديا، إذ يعود لها الفضل في وفرة الإنتاج الفلاحي. لم يكن ترحال القبائل عبر القطر من السهول إلى الجبال

¹ _ إدارة الثورة 26 : LE DIRECTOIRE أكتوبر 1795 إلى غاية 10 أكتوبر 1799.

² - الحكومة الرجعية أو عودة الملكية الدستورية (La Restauration où la monarchie constitutionnelle) من 1815 إلى 1848. أعيد الحكم الملكي من جديد إلى فرنسا مع تنصيب الملك لويس الثامن عشر على العرش من 1814 إلى 1824 (ناقص المائة يوما التي عاد فيها نابليون إلى الحكم). لقي آل بوربون الدّعم من قبل الحكومات الأوروبية المحافظة. كما ساندت ودعمت تلك الحكومات النبلاء الفرنسيين المهاجرين خلال مؤتمر فيينا 1815. مرّ هذا النظام بثلاث مراحل متباينة من حيث أسلوب العمل وعلاقة السلطة التنفيذية بالقاعدة الجماهيرية الواسعة.

تميز عهد لويس الثامن عشر ما بين 1815 و 1824 بالاعتدال حيث قبل الملك بالحكم مع برلمان منتخب من قبل الملاك الكبار وافر بالمبادئ المكتسبة للثورة الفرنسية. في حين يعتبر عهد شارل العاشر محاولة قوية للعودة بالحكم إلى سابق عهده أي إلى ما كان عليه قبل عام 1789 ومن ثم عمل بموجب الحق الإلهي خاصة بعد تثبيتته من قبل البابوية عام 1825. لكن التغيرات التي عرفها المجتمع الفرنسي من جراء الثورة حالت دون تمكين شارل العاشر من تحقيق أهدافه على المدى البعيد. فكان استبداده وراء انقلاب جويلية 1830. أمّا العهد الأخير من حياة الملكية في فرنسا فتميز بانتقال الحكم إلى آل بوربون من خلال شخص لويس فيليب. حاول هذا الأخير الجمع بين الحق الإلهي والرغبة الوطنية. فوسع حق التصويت ليشمل الذكور من العامة. لكن تحديده للحريات كلفه انقلابا ثوريا عام 1848.

³ - (عبد الرحمن) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر؛ الجزء الأول: مقدمة ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، تاريخ الطبعة غير مذكور (588) ص (ص.128).

ومن الصحاري إلى التلال دوما عائقا (4). إنها إذن وحدة اجتماعية ذات وزن اقتصادي وسياسي. مجتمع متجذّر وثابت ومتفاني في خدمة أرضه (1)، عكس ما كان عليه نظيره الفرنسي حتى وإن ارتفع لديه عدد ملاك العقار الفلاحي بعد عام 1789 (2)، إلا أنه لم يتمكن من تغطية حاجياته الغذائية. لم ينقلب النظام الاقتصادي في فرنسا من النظام الإقطاعي إلى النظام الرأسمالي حيث انتشرت الملكية الخاصة بالنظام الملكي - نظام الملكية الخاصة - دون أن ينجرّ عن ذلك الانقلاب العديد من المشاكل. فزادت الوضعية الاقتصادية خاصة في المجال الزراعي تدهورا حيث نشب صراع حاد حول حيازة قطع أرضية في أوساط الفئة العامة نفسها. فتسبب إتلاف عقود ملكية النبلاء والكنيسة (3) لتغطية الاستيلاء على العقار في انتشار الفوضى.

4 - 1 - أنظر: (Félix) - (319p.) (Sans maison d'édition), (sans date). MORNAND; *La vie arabe*.

2 - ? - أنظر: (Antoine - Ernest - Hippolyte) - CARETTE et ROZET; *Etude sur les routes Arabes dans la partie méridionale de l'Algérie et de la Régence de Tunis pour servir à l'établissement du réseau géographique de ces contrées, accompagnée d'une carte itinéraire 1844*

1 - في الوقت الذي كان فيه الديوان والرياس، على وجه الخصوص، منشغلون بحماية السواحل، لم يتوقف السكان عن أنشطتهم المختلفة سواء كانوا بالسهول أو الجبال. لقد كان الفلاحون يساهمون في تموين خزينة الدولة بدفع ضريبة عينية تقدر بحمولة جمل من القمح (200 كيلو غرام)، ومثلتها من الشعير. يستلم الفلاح عند الدفع وصلا من طرف قابض الضرائب. - حمدان خوجة؛ المرأة... المصدر نفسه، ص. 125.

2 - 1 - أنظر: (Carl) - GRIMBERG (De) et (Rognar) SVANSTRÖM; *La Révolution Française*... op. cit P. 229

2 - ? - أنظر: الكتاب المدرسي الفرنسي (Eric) CHAUDRON ; op. cit. p. 35 et (Rémy) KNAFOU

3 - ? - توجه الباريسيون يوم 6 أكتوبر ... 1789 نحو قصر فرساي. هذا كعينة عن البؤس والجوع الذي بلغته تلك الفئة التي كانت تتغذّى بخبز الشعير والخرطال المخلوط.

4 - ? - الطبقة الكادحة الريفية، التي تمثل 85 % من مجموع سكان فرنسا آنذاك - الكتاب المدرسي: (Eric) CHAUDRON ... المرجع نفسه، ص. 34-35.

Cit. p. 164 GRIMBERG et (R)

3 - ? - أنظر: SVANSTRÖM. Op. - (C)

طغى على الكتابات الاستعمارية مصطلح "القبيلة"، مع العلم أنّ ضعف سيطرة إدارة الاحتلال على حقيقة الوضع الاجتماعي استمرّ لعقود من الزمن. ويبقى معنى القبيلة في نظر هؤلاء مرادفا للحياة البدائية والتخلف، فاستبعدوا أنّ يكون المجتمع الجزائري وهو على هذا الحال، حاملا لمؤشرات التطور أو حتى القابلية أو الاستعداد للخروج من دائرة التخلف. إذن لم يستوف بعد في المجتمع الجزائري حسبهم شروط تأسيس دولة قومية. لقد ورد في قاموس اللغة البربرية ⁽¹⁾ لمؤلفه فانتور دي بارادي (جان ميشال) (Venture De PARADIS) ⁽²⁾ مصطلح العشائر (Les peuplades) عدة مرات وجاء مرادفا لمصطلح القبائل (Les Kabyles) إذ حملهما فانتور نفس المعنى، فكتب: "... إنّ الجبال الأكثر تعمير من طرف القبائل (Kabyles) في إيالة الجزائر هي زواوة التي تبعد بنحو يومين عن عنابة غربا فهي عشيرة قوية (C'est une peuplade) (...) وبقبيلة (Cabylate) فليسة أمّ الليل ...". ⁽³⁾ في حين غلب محمد شريف

1 - 2 - 1 أنظر: de VENTURE de PARADIS; Grammaire et (Jean Michel) - Dictionnaire Abrégés de la Langue Berbère. Revus par (P. Amédée) JAUBERT et publiés par la société de Géographie. Ed. imprimerie ROYALE, Paris MDCCCXLIV (236 p)

2 - 2 - اللغة البربرية: "... لغة خالية من المصطلحات التي تحمل التصورات. لهجة لا تملك من الكلمات إلى ما يرى بالعين المجردة. ويؤكد فانتور دي بارادي بأنّ الأمازيغية اقتبست من اللغة العربية كل الكلمات التي لها علاقة بالعلوم والفنون والدين ..."

المصدر نفسه ص.

4.

2 - فانتور دي بارادي (جان ميشال) (Venture De PARADIS) من مواليد 1739، أرسل إلى مصر قبل الغزو الفرنسي كمترجم مكلف بالمسائل الشرقية. زار فانتور دي بارادي المغرب الأقصى عام 1778 ثمّ عينه الملك لويس السادس عشر كمترجم لدى القنصل الفرنسي بتونس عام 1780. ومن المهام التي كلف بها عام 1788، هي حلّ الأزمة التي عرفتها العلاقات الجزائرية - الفرنسية، كما كلفته فيما بعد حكومة الإدارة أولا كمسؤول رئيسي على المترجمين في القليق الفرنسي عام 1792. وعُين أستاذا للغة العثمانية (التركية) بالمدرسة المتخصصة في اللغات. لقد كان فانتور من المقربين للرّحالة المستشرق فولني (VOLENY)

3 - أنظر: - (J M) ; op. cit. VENTURE de PARADIS.

"... تعرف عشائر جبال مراکش بالشلوح وتلك التي تقطن السهول من ذات الإمبراطورية بالبربر. أمّا بالنسبة للقاطنين بجبال الجزائر وتونس فهم يسمون

الزهار عبارة أهل المنطقة للدلالة على سكان موطن
من الأوطان كقوله: " أهل جبال فليسة ووطن
حجوط... " (1) معبرا بذلك عن إحدى خلايا المجتمع
الجزائري وارتباطها بالإدارة المركزية.
إنّ المتتبع لتطور المعنى المتداول لمصطلح
القبيلة من طرف الضباط العسكريين والإداريين في
كتاباتهم ستعترضه حتما صعوبة الوقوف على المعنى
الأصلي لما حمّاه هؤلاء من صور ومفاهيم دخيلة
خدمة لأغراض الإدارة الاستعمارية كما سيظهر ذلك
من خلال العينتين المختارتين في هذا الموضوع ألا
وهما أهل يسّر وبني مناصر.
ففي الوقت الذي كانت فيه خريطة العالم
الإسلامي تتعرض إلى التمزيق من قبل الدول الكبرى
آنذاك، عرفت خريطة أوروبا تعديلات وفق تصورات
مترتبة عن تبلور مبدأ " القومية " (2) والأفكار

بالكبايل أو الجبالية....والجبال الأكثر اعتبارا من حيث قوة تمركز الكبايل في
مملكة الجزائر (الايالة) هي الجبال الشرقية التي تعيش بها عشيرة قوية في
أمن مع الجزائر (العاصمة): بترون، فليسة-أم-الليل، زرقاوة، جرجرة، بوزدين.
في الغرب لرهاط، سيدي فرج، شنوه تشنوه بني حواء، بني فراح، بني مناصر،
بونتيفو، بني منات ..."

Les peuplades ceux des montagnes qui appartiennent à Maroc se nomment Chuluhs. Ceux qui
Habitent dans les plaines de cet empire ..., se nomment Berbères, et ceux qui vivent dans les montagnes
d'Alger et Tunis se nomment Cabayles ou Gébalis ... Les montagnes les plus considérables des
Cabayles ; dans le Royaume d'Alger' sont à l'Est c'est une peuplade puissante en paix avec Alger,
Batroun, Felissa ou Mellil, Zerkawas, Gergera Bouzdine. A l'Ouest Larhat Sidi Ferouch, Chenwa, Béni
« ...Haoua Béni Farah Béni Manassar, Bountifoux Béni Menat

- المصدر نفسه . ص. 236.

1 ؟ _ أحمد الشريف الزهار: مذكرات الحاج محمد الشريف نقيب أشرف الجزائر.
- تحقيق توفيق المدني.

الطبعة الثانية، الشركة الوطنية

للنشر والتوزيع . الجزائر 1980

2 ؟ -1 أنظر: (Janine) - BREMOND, (Vincent) MERLE, (Marie Martine) SALORT; Sciences
Economiques et Sociales; classe de 1^oEd. Hâtier 1988.

- Dossier: Eux Et Nous Identité Sociale et Culturelle. Chapitre: Unité Nationale, Diversité culturelle.

.Langue française et Unité Nationale. L'Etat et Patois. Pp. 55-72

2 ؟ _ لإضفاء طابع القومية على الدولة الفرنسية الجديدة سطر قادة الثورة
سياسة تربية دخلت حيز التنفيذ عام 1793. سياسة مفادها فتح أقسام لتدريس
اللغة الفرنسية في كل البلديات. وهي في الواقع تلك اللغة التي حررت بها
وثيقة حقوق الإنسان و المواطن. ومن ذاك التاريخ صارت جميع المراسلات
الإدارية من وإلى باريس تحرر بلغة الباريسيين التي اتخذت لغة رسمية وجامعة
للقومية الفرنسية. " إن اللغة هي الوسيلة التي تمكننا من الالتقاء مع بعضنا

التحررية التي طبعتها خلال القرن التاسع عشر الميلادي. فهناك ما يعكس التطور الطبيعي للقومية كما هو الحال بالنسبة لألمانيا وإيطاليا، وهناك ما هو على وشك التجسيد لكن تحت العين الساهرة للدول المتنافسة على الدولة العثمانية في ظل ما أقرته مؤتمرات التقسيم والتسوية.

وهكذا تنطلق رعاية الدول الكبرى "لمبدأ القومية" من منطق مدى ضمانه لمصالحها على المدى القريب والبعيد. فهي تعارض كل محاولة تحمل بوادر التحرر خارج نطاق مراقبتها ونفوذها. وعليه لم تترك الفرصة أمام شعوب الضفة الجنوبية من البحر الأبيض المتوسط لإعادة ترتيب بيتها وفق متطلبات العصر لما في ذلك من تهديدات لمصالحها وتعطيل لتوسعاتها في الولايات العثمانية. لم يكن إذن مستوى الوعي القومي يقاس بتلك الرغبة المحركة لأفراد مجتمع في تحقيق المزيد من التلاحم والتأزر للعيش في سياق أمة متكاملة، وإنما حسب ما سيجلب لها كل تمرد من فرص تحقيق مشاريعها الاستعمارية في الدولة العلية. فعلى قدر ما كانت مساعدها لشعوب البلقان قوية ولتمكينها من إنشاء دول قومية بالمنطقة، على قدر ما تصدّت لكل محاولة إصلاحية ⁽¹⁾ من شأنها النهوض بالأمة الإسلامية، تحسبا لظهور قوة جديدة قد تخلف للدولة العثمانية.

و لتعطيل نمو المجتمعات العربية فراح كل دولة من الدول المتنافسة على الدولة العلية، تبحث عن مبررات واهية وافتعال الحجج، ليس لإفشال

البعض. "

_ المرجع نفسه : مقطع لجان باتيست BATISTE (Jean) ص. 63.

3-? _ في نفس الفصل الذي خصصته وزارة التربية الفرنسية عام 1988

لموضوع القومية. ننقل من ذات المرجع العناوين التالية:

- "البيت القبائلي بالجزائر" (La maison kabyle en Algérie)

- "مسكن القبائل بفرنسا" (L'habitation des Kabyles en France)

1 - (خديجة) كريمي؛ محمد علي باشا ومحاولة تأسيس دولة حديثة (1805 -

1848). مذكرة السنة الثانية ماجستير. جامعة الجزائر 1993/1994

الإصلاحات فحسب، وإنما تحضيراً لأجواء الظفر ببعض المواقع الإستراتيجية كخطوة أولية للسيطرة على الطريق التجاري القديم، ثم تقسيم قارتي إفريقيا وأسيا إلى مناطق استعمارية. في الواقع ما استمرار الغزو الفرنسي للجزائر في ظل حكم الجمهوريين (الجمهورية الملكية) ⁽¹⁾ بعد نفي داي الجزائر ⁽²⁾ بمعية طاقم حكومته إلا دليلاً على أن المسألة أخطر من أن تتلخص في الانتقام لشرف فرنسا المجسد في "مسرحية المروحة" ⁽³⁾.

لكن سرعان ما أدركت القوات الغازية أن المقاومة في الجزائر ستكون على أشدها لا شيء إلا لقوة "الروح القومية" التي يتمتع بها المجتمع الجزائري. ورغم ذلك تجاهلت فرنسا - متحجة بالتركيبة القبلية التي كان يتميز بها - استوفاه على مقومات "الدولة القومية" وفق النمط الحديث رغم كونه السباق في خوض مثل هذه التجربة التي تعود

¹ - ثورة باريس 29 - 26 جويلية 1830 أوصلت الجمهوريين إلى السلطة، فوقوف الدوق أورليان من عائلة بوربون إلى جانبهم جعلهم بتعيينه ملكاً على فرنسا يجمعون بين التيارين الجمهوري والملكي. امتد حكم أورليان من جويلية 1830 إلى فيفري 1848.

² - حسين بن عليّ حكم إيالة الجزائر منذ عام 1818 إلى أن سقطت الحكومة التركية العثمانية الجزائرية بيد الاستعمار الفرنسي يوم 5 جويلية 1830 فانتقل حينذاك من الجزائر إلى إيطاليا ثم إلى فرنسا ومنها إلى الإسكندرية وبها كانت وفاته ومدفنه عام 1838.

المرجع نفسه. ص. 568.

³ - (جمال) قنان؛ قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر. منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر عام 1994. (325 ص). ص 62 "... اتسمت العلاقات الجزائرية الفرنسية منذ مطلع القرن 16 الميلادي بالتوتر وعدم الاستقرار. حيث تخللتها العديد من الأزمات الدبلوماسية ..." وتبقى واقعة أواخر ربيع 1827 أخطرها أخطرها والتي أطلق عليها الساسة الفرنسيون " قضية المروحة " تلك المسرحية التي برع القنصل دوفال (Le Consul DUVAL) في تمثيل الدور الرئيسي فيها ما دام قد تمكن من تحويل موقع فرنسا يوم 29 أبريل 1827 من موقع المدعى عليه إلى موقع المدعى وتحويل المسألة من أزمة الديون إلى قضية المروحة. كما برع فيتغير صلب الإشكالية لصالح فرنسا فمن مطالبة الجزائر حكومة فرنسا بوضع حد لتماطلها في دفع تلك الديون إلى مطالبة فرنسا بحق الانتقام لشرف الدولة بسبب الإهانة التي تلقاها ممثل الملك في الجزائر.

¹ - أنظر : HEINRICH (P.), Op. Cit.

² - (ج) قنان : المرجع نفسه .

إلى مطلع القرن السادس عشر ميلادي. وللحيلولة دون استمرارية التطور العادي الذي كان يسير عليه المجتمع كما يظهر من خلال ديناميكية القبيلة اقتصاديا واجتماعيا، أبت إدارة الاحتلال إلا أن تعمل على توقيف تلك الديناميكية بتفكيك القبيلة ذاتها، منتهجة أساليب ووسائل لا تقل خطورة عن سياستي فرق تسد والأرض المحروقة، إيدانا بتشكيل القبيلة المصطنعة التي يرتقب أن تكون عناصرها الفاعلة والفعالة في قبضتها ولعلها تضامن التحكم في مراقبة الأهالي ومن ثم القدرة على توجيه مسارهم وفق ما يخدم الاحتلال عامة والحركة الاستيطانية خاصة.

ولهذا الغرض ركزت المؤسسات الاستعمارية عسكرية كانت أم مدنية على البحث في تركيبة المجتمع الجزائري قبيل الغزو مستعينة في بعض الأحيان بمنهجية علم الابيستيمولوجيا⁽¹⁾ لجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات. اجماع الجواسيس والرحالة المستشرقين⁽²⁾ على الطابع القبلي

1 - علم الابيستيمولوجيا: عرف هذا العلم قفزة نوعية لا مثيل لها خلال العهد الاستعماري خاصة مع إنشاء المجلة الإفريقية (Rev. Af) عام 1856 التي جمعت بين كافة التخصصات العلمية (1). لكن هل تاريخ المجتمع الجزائري حظي لدى هؤلاء الباحثين بما حظي به لدى ابن خلدون في "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" (2)

- 1 ؟ - صدر الرقم الأول للمجلة الإفريقية (La Rev. Af) عام 1856 تحت إشراف الشركة التاريخية الجزائرية
الجزائر لتتوقف عن الصدور عام 1961.

- 2 ؟ - نذكر بعض عناوين الفصول من مقدمة ابن خلدون كدليل على العناية التي أولاهها هذا المفكر لعلم الابيستيمولوجيا:
- في فصل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والإلمام لما يعرض للمؤرخين من المغالط وذكر شيء من أسبابها.
- في طبقة العمران في الخليفة وما يعرض فيها من البدو والحضر والتغليب والكسب والمعاش والصنائع والعلوم ونحوها وما لذلك من العلل والأسباب.

- في العمران البشري على الجملة وفيه مقدمات .

2 - لقد كان فانتور دي بارداي أحد مرافقي نابليون برتبة قائد مترجم لما تتوفر لديه من خبرة بالمجتمع الشرقي لطول مدة إقامته بينهم.

أنظر: - VENTURE DE PARADIS; Grammaire et Dictionnaire, ... Notice Biographique sur l'auteur - par JOMARD. Op. Cit

للمجتمع الجزائري (1) قبيل الغزو، لم يُمكن إدارة الاحتلال من الاهتداء إلى سياسة تكون نموذجية وواضحة لإخضاع الأهالي. كما لم تقلل التقارير اليومية المحررة من قبل ضباط الجيش من حدة الإشكال. وما يلفت الانتباه هو إجماعها على تنوع القبائل من حيث اختلاف طبيعة ارتباط عناصر الواحدة منها عن الأخرى، ومن حيث طبيعة صلتها بالإدارة المركزية، كما أخذ بعين الاعتبار في تصنيفها أيضا نمط العيش.

لم تمكن تلك محاولات التفكير المبكرة التي تعرضت لها التركيبة البشرية للقبيلة إدارة الاحتلال من تحليل الواقع ولا من إخفاء القواسم المشتركة التي تجمع بين خلايا المجتمع الواحد، لأنّ تطور القبيلة بالجزائر لم يخضع لقرار سياسي أو إداري وإنما هو نتاج تفاعل ظروف بيئية وتاريخية، وأنّ تجددتها وتحرك عناصرها يبقيا رهينة ذلك التفاعل. فهل تقديم النسيج الاجتماعي على أنه أشبه ما يكون بفسيفساء من القبائل سيلغي تماسك وحداته أو سيقول من قوة ترابطها؟
إنّ الأسواق الأسبوعية (2) التي يلتقي فيها الوافدون من كل حذب وصوب كقبيلة بالردّ على مثل هذا التساؤل، إذ أنّها تبقى أحسن شاهد على التكامل

1 - أنظر: CUVILLIER (Armand) : Textes choisis des auteurs PHILOSOPHIQUES, op. cit. p. 251

2 - أنظر: URBAIN; Notice sur l'Ancienne Province de TITTERI. Organisation de la (Joseph) - province sous la domination turque. T.S.E.F. A. 1843. Ed. Paris (523 p.). P. 400

ملاحظة: صدر المجلد الأول الذي يحمل عنوان: جدول وضعية المؤسسات الفرنسية بالجزائر عام 1836. تحت إشراف وزارة الحرية. - الأسواق الأسبوعية: دورها بعهد الأتراك: "... كانت الأسواق بمثابة جمعية عامة ... عرفت السلطة كيف تستفيد منها ...". ساهمت الأسواق في التقريب بين قبيلتين أو أكثر، مثال على ذلك: يترأس يوم الاثنين قائد السوق الأسبوعي لقبيلتي أولاد سي بن عيسى وأولاد الكرايب. ويتوجه هؤلاء إلى الأسواق الأسبوعية الواقعة أو التابعة لقبائل مجاورة أيام الخميس والأربعاء والأحد. فأولاد سدي أحمد بن يوسف مثلا ليس لهم سوقا خاصة بهم لذا هم يتوجهون يوم الأحد إلى سوق ربايع (REBAIA)، وإلى سوق بني سليمان

Son rôle au temps des turcs :

"...Le marché était une sorte d'assemblée publique, l'autorité sût tirer parti de ces marchés ..."

القائم بين عناصر المجتمع الجزائري. هذا ناهيك عن التفاف القبائل حول مدن رئيسية هي بمثابة أقطاب حضرية (1) تُشدُّ إليها الرحال.

قبائل: "... أمازيغية، عربية، متخالفة، مخزانية، مرابطية، رعوية، مزارعية، جبلية، تلية، صحراوية ...".
تلكم هي إذن وحدات المجتمع بالجزائر، الأكثر شيوعاً في كتابات وتقارير اللجان المكلفة من قبل الإدارة بالوقوف على خصوصيات التنظيمات القاعدية لكل قبيلة مع التركيز على تفصيل يوميات لكل واحدة منها. لكن المنطق الذي سارت عليه الحكومة الاستعمارية أوقع معظم اللجان في الخلط ومن ثمّ في الغموض بسبب التناقضات التي لا تعدّ ولا تحصى. ففي الوقت الذي كانت تروّج فيه فرنسا لفكرة الدولة القومية بأوروبا وتعمل على إخراجها إلى الوجود في إقليم البلقان (2) وهاواي (3) إلا أنّ موقفها تجاه أهالي الجزائر كان مغايراً لمبدأ القومية التي كانت تنادي به، إذ لم تر في ذلك كفاية للاعتراف بـ "مقومات الأمة الجزائرية" رغم تميز هذا الشعب عن بقية شعوب المتوسط منذ قرون. لكن فرنسا صاحبة المشاريع التوسعية ليست هي التي ستدافع عن "مبدأ القومية" بالجزائر على غرار ما فعلته مع اليونانيين لأنّ ذلك وبكل بساطة يتعارض مع مصالحها التوسعية.

لقد اعتمد أغلب المهتمين بتركيبة المجتمع من ضباط الجيش وأدباء، عُصْرَ "اللغة" كركيزة اجتماعية قوية في نشأة القبيلة. وسار على نفس المنوال

1 - 1 _ أنظر: - (G) - ESQUER; *La vie intellectuelle ...* Op. Cit. Pp. 5- 15.

? - 2 _ نذكر من الأقطاب الحضرية: مدن الجزائر، المدينة، قسنطينة، تلمسان وهران.

2 - البلقان: (La péninsule Balkanique) القسم الجنوبي الشرقي من أوروبا حسب التعريف الحالي والذي يشمل ألبانيا، بلغاريا، اليونان، يوغوسلافيا سابقاً، والقسم الأوروبي التابع لتركيا. شبه جزيرة البلقان أطلق عام 1808 على شبه جزيرة اليونان (La péninsule Hellénique)

3 - جزر هاواي مستعمرة خاضعة للولايات المتحدة الأمريكية تتوسط المحيط الهادي.

مقررو اللجان من مختلف التخصصات، في تصنيف القبائل وتحديد هوية كل وحدة وحداتها منها، إلى أن ضُعفت لديهم القدرة على التمييز بين اللغة أو اللهجة المتداولة كمصدر جامع بين أفراد القبيلة، واستغلال العرق كرابطة بيولوجية. فالاعتناء بتصنيف الوحدات الاجتماعية على النحو المذكور مفاده الوصول إلى افتعال هوة بين تلك الوحدات ومن ثم تفكيك خيوط تركيبة المجتمع الجزائري.

في الواقع اصطدام إدارة الاحتلال بقوة الوعي القومي لدى أهل الجزائر جعلها تلجأ إلى تنمي الفكر القبلي الانطوائي الضيق تمهيدا لإفراغ مصطلح "قبيلة" من كل مظاهر التكتل المبني على التكتاف والتكامل الاجتماعيين بين عناصرها، لتحوّلها إلى مجرد تنظيم إداري خاص بالأهالي، ثم اقتصار المعنى الجديد لمصطلح القبيلة بعد تحريفه معنا ولفظا للإشارة إلى سكان منطقة جرجر وضواحيها في بداية الأمر ليشاع في ما بعد كتسمية على أهاليها بدل اسم أهل "زواوة"⁽¹⁾. فكلمة "كآبيل" رغم أصلها العربي إلا أنها صارت غريبة ودخيلة على اللغتين الأمازيغية والعربية معا من حيث الروح والمعنى.

يعود حسب بعض الأقلام الاستعمارية استقرار أهل زواوة بجبال شديدة الانحدار كجبال جرجرة، وتحمل قسوة العيش بها، إلى العهد الأول من الفتوحات الإسلامية التي عرفه شمال إفريقيا، ومن ثمة فإنّ هذا الاستقرار يُعدّ في نظرهم نوعا من المقاومة السلبية، متناسين أنّه تاريخا يعود إلى تمركز هؤلاء بتلك المرتفعات إلى أبعد من القرن الثامن للميلاد خاصة وأنّ نوميديا تعرضت عبر العصور إلى العديد من الهجمات.

1 - محمد بن عبد القادر الجزائري؛ تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر. شرح وتحقيق الدكتور ممدوح حقي. الطبعة الثانية. دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر 1384 هـ / 1964 م. (960 ص.). ص. 164.

إنَّ المراد من وراء سياسة التجزئة والتركيز على منطقة بعينها بات واضحة فمحاولة استمالة أهاليها يراد من خلاله احتواء سخط سكان المنطقة، ومن ثمَّ ضمان عدم تمردهم⁽¹⁾.

لكن سرعان ما أدركت الحكومة الاستعمارية أنَّ صعوبة التحكم في المُسلم وإخضاعه لا تكمن في تعقيدات البيئة التي يحتمي بها، وإنَّما تكمن في مقاطعته لسلطة حكومة يراها كافرة، مما يجعله باستمرار في حالة استنفار قصوى، مستعداً للجهاد في أية لحظة، مترقباً الفرصة السانحة للهجوم. ولن تُنقِىَ لا إدارة الاحتلال ولا جيشها نقمة السكان إلا إذا تحقق لهما التحكم في مشايخه⁽²⁾ واستمالة على الأقل البعض منهم مع إبقاء فرصة الاستبدال قائمة بعناصر محلية تكون أكثر مرونة وانسياقاً وراء إدارة الاحتلال أو موالية لها تماماً.

الأمر الذي جعل الحكومة العامة أكثر اهتماماً بتركيبة قبائل المرابطين، والسعي إلى فهم جانب من شخصية شيوخ وقادة القبائل عامة لعلها ستتمكن من إغرائهم ثمَّ سلخهم من جلدتهم وإبعادهم عن أهاليهم للاستعانة بهم في مقارعة الآخرين المقاومين الصامدين. وعليه يتطلب الأمر تشكيل قيادة محلية جديدة يتوفر فيها شرطان أساسيان ألا وهما التمتع بسمعة طيبة ونفوذ قوي على الأهالي والولاء لإدارة الاحتلال بل والخضوع لإرادتها. في الواقع إنَّ الجمع بين الشرطين صعب المنال هذا إن لم نقل بلا معقوليته.

AZAN; L'expédition (Paul)

¹ _ أنظر:

- d'Alger. Paris 1850 .

² - مصطلح المشيخة كثير الاستعمال في لغة ابن خلدون

ب - القاسم المشترك بين قبائل المجتمع

تكمن عظمة الرابطة الدموية بالنسبة عند ابن خلدون ⁽¹⁾ في قدرتها على ضمان التلاحم والاتحاد بين أفراد الخلية الاجتماعية الواحدة. كما لا يقل عنده دور الوطن أهمية لا من حيث تقوية الرابطة الدموية ولا من حيث التكامل الاقتصادي ⁽²⁾ لأن الاسترزاق متوقف أساساً على ما تدره الأرض من خيرات. وبالتالي فاستمرارية التلاحم والاتحاد متعلقة بمدى ضمان استمرارية استغلال الوطن من قبل هاته أو تلك الوحدة، كثيراً ما ساهمت الأوطان في التقريب بين قبائل مختلفة من جهة وبين فروع البعض منها من جهة أخرى. فسخر الجميع، بعد أن وقع الانسجام بين الأفراد ونشأت بينهم الألفة، جهودهم في بناء مستقبل مشترك على أساس المعطيات الجديدة التي فرضتها عليهم الظروف.

إن تأقلم الفرد (أو الجماعة) مع بيئة "وطن جديد" والانسجام اجتماعياً ستعكسه حتما الكنية التي ستطلق عليه وعلى ذريته من بعده، على غرار من سبقوه في الاستقرار بذات الوطن. أن يُكْنَى الشَّخْصُ باسم الموطن الذي حطَّ به الرحال لا يلزمه بالتكرار لانتسابه إلى عصبية الأصلية،

¹ - ابن خلدون (عبد الرحمان) من مواليد 28 ماي 1332. عاش حياة سياسية نشيطة ومضطربة خاصة بين 1352-1375. دخل في خدمة السلطان الحفصي إسحاق إبراهيم عام 1352. ليسجن هناك بين عامي 1356-1358. وفي عام 1362 مثل إدارة غرناطة لدى قصر بيار الفطيع دي قستيل (Pierre le Cruel de Castille). ومن غرناطة إلى بجاية التي وصلها عام 1364 واشتغل بالتدريس والقضاء بالقاهرة بعد أن التحق بها عام 1384 وذلك إلى أن وافته المنية عام 1407.

² - عبد الرحمان ابن خلدون المغربي: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. الناشر دار الياز التراث العربي، بيروت لبنان. (588 ص).
_ الفصل الثامن: _ في العصبية إنما تكون من الالتحام بالنسب أو ما في معناه.

_ الفصل التاسع: _ في أن الصريح من النسب إنما يوجد للمتوحشين في القفر من العرب ومن في معنائهم.
_ الفصل العاشر: _ في اختلاط الأنساب كيف يقع من (ص. 128 إلى ص. 131).

بل سيضاف إليها لقباً جديداً. ومن ثمّ فإنّ هذه التسمية المركبة التي صارت عليها كنية الشخص شهادةً تاريخيةً تساعد على تتبع تطورات الحركة داخل المجتمع دون المساس بصلة الرحم والولاء لمصدر الاسترزاق أي للوطن.

1 - عنصر النسب في الميزان

عُرف العرب منذ القدم باهتمامهم بعلم الأنساب كما يوضحه ابن خلدون في كتابه "المقدّمة" (1) الذي يُعد بحق مرجعية أساسية لكلّ من يهتم بسكان المغرب العربي وتعميره عبر العصور. ولكن ونظراً لتعقيد إشكالية موضوع الأنساب لم يكتفِ ابن خلدون بالتعبير عن قناعته، وإنّما نقل لنا آراء بعض معاصريه الذين لم يروا ضرورة الإصرار على معرفة الأنساب التي لا تتجاوز أهميتها في نظرهم حماية الأرحام. حيث لخصّ تصورهم بقوله: "...فالشغل به (علم الأنساب) في نظرهم مجانا... وأنّه علم لا ينفع وجهالة لا تضر...". (2). فعلم الأنساب هو إذن معرفة

1 _ مقدّمة ابن خلدون حرّر عبد الرحمان مؤلفه: " كتاب العبر ... " في ظرف أربع سنوات، حيث عزل نفسه بين عامي 1375-1379. لقد اتخذت المقدّمة وهي الجزء الأول من "كتاب العبر ..." أبعاداً عالمية إلى درجة أنّها أوقعت بقية الأجزاء في الظل.

تتناول المقدّمة تطور التحركات السوسيو-سياسية للمجتمع، ضمّنها صاحبها مدخلا يُعرّف فيه علم التاريخ فكراً ومنهجاً ونقداً مع التأكيد على أهمية التاريخ في حياة الأفراد والأمم وجملة من الفصول منها: _ علم الاجتماع الحضري أي " العمران " ، _ المجتمع البدوي ، _ فلسفة السياسة ، _ المجتمع الحضري ، _ الاقتصاد السياسي ، _ فلسفة التاريخ ، _ سوسيولوجية المعرفة إنّ هذه المقدّمة التي تتمتع باستقلالية واضحة عن بقية أجزاء "كتاب العبر ..." تتضمن عناصراً أساسية يمكن استغلالها لفهم التركيبة التاريخية لسكان المغرب العربي. ونذكر منها: _ أنّ ابن خلدون يُعد من مؤسسي علمي الديموغرافيا والأنثروبولوجيا.

_ لم تكتشف أوروبا تأثير ابن خلدون لا على نُخبها ولا على حكام الدولة العثمانية (السلطان والخلافة) إلا في القرن التاسع عشر ميلادي.

_ إذ في بداية الأمر همّشوا الفكر الخلدوني ثمّ اكتفوا بمقارنته ببعض أفكار الفلاسفة الغربيين أمثال مونتيسكيو (MONTESQUIEU).

UNIVERSALISTE: CD ROM -

- أنظر:

2000

2 ؟ 1 _ ابن خلدون: المقدّمة ... المصدر نفسه.

2 ؟ 2 - أنظر:

UNIVERSALISTE: CD ROM 2000

لا تحمل لا ضررا ولا فائدة خاصة في عملية ضبط حدود القبائل.

فإذا كانت تلكم قناعة البعض من نخبة القرن الرابع عشر ميلادي فلماذا أصرت مثيلتها في التاريخ الحديث على إنشاء علم قائم بذاته يُعنى بالأنساب؟⁽¹⁾. وهل كان حقا المجتمع الجزائري في القرن التاسع عشر بحاجة إلى تحليلات تصنيفية كتلك التي أنجزت في إطار الدراسات الإثنولوجية تحت إشراف الحكومة الاستعمارية؟ وفيما سيفيد الاهتمام بأصول القبائل وأنسابها تلك الحكومة، خاصة وأن استمرارية حركية خلايا المجتمع زادت مع مرور الزمن اختلاطا ومن ثم تعقيدا؟

2 - إشكالية ضبط القبيلة وحدودها

إنّ ما ميّز الجزائر ما بين عامي 1518 و1830 عن باقي الولايات العثمانية هو استقلالية حكومة الديوان في قراراتها السياسية عن الباب العالي، إذ على الرغم من استفادة فرنسا من بعض الامتيازات التي منحها إياها الباب العالي في القرن السادس عشر ميلادي بالجزائر إلا أنّ أبواب الإيالة بقيت موصدة في وجه الأجانب مقارنة مع المشرق، ولم يتمكن من الاقترب والاحتكاك بالسكان قبل الاحتلال إلا نفر منهم، وهم كانوا في غالب الأحيان من الرحالة والعلماء⁽²⁾.

أوعز الضباط العسكريون صعوبة الغزو، وتواصل المقاومة لعقود طويلة إلى عدم تحكمهم في مقومات المجتمع الروحية منها والمادية، وما وصفها بمجرد عمليات منعزلة ذات طابع جهوي إلا دليل على إصرار الغزاة على التنكر لوجود شعب متماسك، له

¹ _ علم الأنساب أو علم الانثولوجيا: علم يهتم بدراسة المجتمعات البشرية على أساس الانحدار من جدٍّ واحدٍ أو بعبارة أخرى مجموعة بشرية تنتمي إلى نفس العرق، وتتكلم نفس اللغة ولها ثقافة متجانسة. هذا كما يعرفه بول مارسى (Paul MERCIER).

² _ أنظر: - VENTURE de PARADIS; Dictionnaire...op. cit (J.M).

خصوصياته عن بقية المجتمعات. إنَّ تواصل المقاومة واستمراريتها لعقود طويلة يعكس صمود أمةً بأكملها. إذن فرغم النشاط الحثيث للجوسسة قبل الغزو، إلا أنَّ الجيش الاستعماري لم يكن مزودا بما فيه الكفاية عن طبيعة مقومات المجتمع الجزائري، ولم يكتشف جانبا منها إلا من خلال الميدان إي أثناء التوغل التدريجي لقواته في الأراضي الجزائرية. لم تكتف الحكومة العامة، لتغطية عجزها هذا، بتنصيب لجان تحقيق وتدقيق في العناصر المحركة لديناميكية المجتمع الجزائري، وإثما كان على القادة العسكريين استكمال تلك الأبحاث بتسخير كافة عناصر وحدات الجيش الاستعماري. فانصبت توصيات وتوجيهات هؤلاء القادة كلها في سياق واحد، ألا وهو أن تدرج عملية جمع المعلومات مهما بدت تافهة، ضمن مهام كل عسكري وأن تُستغل أوقات الراحة في تدوينها (1).

كما فتحت أبواب الجزائر على مصراعيها أمام العلماء، على غرار ما حدث بمصر، أثناء حملة نابليون بونابرت عام 1798 (2). فمنذ عام 1830 والجزائر ناهيك عن كونها ميدانا للحرب ومجالا واسعا لتنفيذ النظريات العسكرية المتوصل إليها من قبل خرجي مدرسة سان سير (SAINT - CYR)، حيث تحولت بوجود ضمن صفوف القوات العسكرية علماء وخبراء من شتى التخصصات وحصولهم على جميع التسهيلات، إلى أكبر مخبر للتجارب العلمية والإدارية والدراسات

1-؟ نقترح في هذا المجال تلك الرسائل التي بعث بها المارشال سانت أرنو (SAINT- ARNAUD) لعائلته في فرنسا وبشكل أدق تلك التي خص بها أخاه لوروا دي سانت أرنو (Leroy de SAINT - ARNAUD). إنَّ الملفت للانتباه هي تلك الدقة التي كان المارشال

يصف بها الأشياء والوقائع .

2-؟ أنظر: DE SAINT-ARNAUD (Le Maréchal); (Jacques Leroy) -

Les Lettres du Maréchal DE SAINT-ARNAUD. Publiés par (Adolphe Leroy) De SAINT-ARNAUD.

T.1, Ed. Michel Lévy, Paris 1855. (572 p.)

2 - لقد ضم جيش دو بورمو (De BOURMONT) في صفوفه العديد من أولئك الذين شاركوا في حملة نابليون على مصر.

الاجتماعية (1). مخبر استقطب كل من تستهويه المغامرة والبحث في مختلف الميادين خاصة إذا كان لديه إحساس بوجوب المساهمة في تقديم خدمة ما للوطن.

فتبقى أهم الورشات على الإطلاق تلك المنشغلة بالموارد البشرية كورشات الإيستمولوجيا، الإتنولوجيا والإنثروبولوجيا (2)، إذ كان يعول الكثير على ما ستسفر عنه أبحاث خرائثها من نتائج لعلمهم يسلطون الضوء على بعض الجوانب الغامضة من المجتمع مع تقديم بعض التوضيحات التي مفادها تبديد انشغالات أصحاب القرار. لقد ركز هؤلاء على ظروف تشكيل وتطور أنماط معيشة المجموعات البشرية وما يصلح منها لتسخيره في خدمة الإدارة الاستعمارية كما أولى باحثي الورشات بعاداتها وتقاليدها عناية خاصة واهتموا بالمؤسسات المؤطرة لمصالح كل وحدة اجتماعية والمسيرة لشؤونها؟ تلكم هي عملية تمهيدية للكشف عن واقع الملكية العقارية في الجزائر كمصدر رزق قبل الغزو. لأن علاقة المحليين بالأرض تعدّ جوهر الإشكال بالنسبة للإدارة الاستعمارية التي تسعى إلى خلق

1 - يعتبر فتح جامعة بالجزائر عام 1905 تنويعا للكلديات التي بدأت تظهر مع منتصف القرن التاسع عشر ميلادي ككلية الطب عام 1880 (1)، فكان ذلك إذن تنويعا للنشاط الفكري والعلمي الذي انطلق بمجرد وقوع الإنزال بسيدي فرج ... سنكتفي هنا بذكر الجندي مونارد (MONARD) الخبير في علم الأعشاب (2) .
1-1 - ؟ أنظر: ESQUER; la (.G) -

Vie Intellectuelle ... Op. Cit. p. 1

2 - 1 - ؟ المصدر نفسه، ص. 8.

2 - ؟ إن أعضاء اللجنة الوزارية الخمسة والعشرين التي وصلت إلى الجزائر عام 1834 كلهم من أصحاب التخصص.
أنظر المصدر نفسه . ص. 8

2 - الإنثروبولوجيا: علم يهتم بحياة المجتمعات البشرية تاريخيا وحاضرا ويهتم أيضا بدراسة لغات ومعتقدات المجتمعات.

مجتمع جديد على أرض جديدة⁽³⁾ بمواصفات جديدة
بتنفيذ فكرة الاستيطان في الجزائر.

ج - أدوات التمييز بين مختلف وحدات المجتمع الجزائري
إنّ تجاهل الإدارة الاستعمارية وإهمالها لواقع
الدين في المجتمع الجزائري من حيث كونه الإسمنت
الذي تُشَدُّ به وحدة الأمة⁽¹⁾ كما ذكر ابن خلدون
قائلاً: "... إنّ الصبغة الدينية تذهب بالتنافس
والتحاسد فإذا حُضِلَ لهم (الأقوام) الاستبصار في
أمرهم لم يقف لهم شيء لأنّ الوجهة واحدة
والمطلب مُتساوي عندهم وهم مستميتون عليه..."
⁽²⁾ زاد من غموض سياستها تجاه الأهالي، وضاعف
من التناقضات بين القرار والتنفيذ.
وعلى الرغم من تصنيف تلك الإدارة سكان
جرجرة وضواحيها على أنّهم جنس متميز عن سكان
المناطق الأخرى من القطر⁽³⁾، وإصرارها على أنّهم
كبربر هم الأسبق استقراراً بهذا الأخير من العرب
والأتراك إلّا أنّ ذلك لم يمنع الحكومة الاستعمارية من
تلخيص سياستها العامة تجاه كافة المحليين وحصرها

3 - 1 المجتمع الجزائري الجديد الذي أطلقت عليه الإدارة الاستعمارية عام
1838 (La société Algérienne)

أنظر: (P) op. cit. AZAN.

? - 2 - أنظر: - CAPPE; Les bases de la société nouvelle. Notes fournies au lieutenant général
le Comte d'ERLON Paris 1834. (16 p)

1 - ? 1 - عَلَبَ العرب وقواتهم تقارب الثلاثين ألف، جيوش الروم في اليرموك
في أوت 636 وعددهم يفوق الأربع مائة ألف... وجيوش الفرس بالقادسية في
سبتمبر من نفس السنة وعددهم يزيد عن مائة وعشرون ألف...
"... إنّ الإجماع الديني ضاعف قوة عصبيتهم بالاستبصار والاستماتة... ولم يقف
لهم شيء واعتبر ذلك إذا حالت صبغة الدّين وفُسدت كيف ينتقض الأمر وبصير
الغالب على نسبة العصبية وحدها دون زيادة الدّين فتغلب الدولة من كان تحت
يدها من العصائب المكتفية لها..."
ابن خلدون: المقدمة الصدر نفسه. ص. 158.

2 - ? - أنظر: - MONTAGNE; Physiologie Morale et Physique d'Alger 1833. Ed. Marseille, Paris, -
(D J)

- Alger. 1834. (336 p). - Chapitre II: Population et Mœurs. Pp. 25-69

2 - ابن خلدون: المقدمة المصدر نفسه. ص. 158.

3 - أنظر: - (M. J. E) - DAUMAS (Le Général); Exposé de l'état actuel de la société arabe du
gouvernement et de la législation qui la régit. Alger 1844. Pp. 124-169

في كلمة واحدة وهي " العرب " التي صارت لدى المستعمر مرادفة لمصطلح الأهالي كما هو وارد في جميع المراسيم الإدارية والقرارات الحكومية، حيث لا تميز بين هذا أو ذاك لا على أساس عرقي ولا لغوي⁽¹⁾. هذا في حين عمدت توظيف مصطلحي البربر والآثراك لتمرير سياستها التفكيكية وضرب استقرار المجتمع إذ لعلّ القول بأنّ البربر عرقيا هم أكثر نقاوة من غيرهم، وأنّ الآثراك أمّة عسكري...⁽²⁾ سيُمكنها من إضعاف صفوف المقاومة أمام قواتها العسكرية.

د- بعض العينات من المجتمع الجزائري

إنّ التزام الجنرال دumas⁽³⁾ بسياسة التفضيل (التمييز) المعتمدة منذ بداية الاحتلال لم يوفر عليه التعثر أمام التركيبة الاجتماعية المحلية المعقّدة، إذ غالبا ما اختلطت عليه الأمور. لم تصرف تلك السياسة دumas وغيره ممن تبناها في كتاباتهم عن الموضوع

1 - أنظر - DAUMAS; Exposé...; op. cit.

2 - أنظر: DAUMAS; Mœurs et coutumes de l'Algérie. (M. J. E) -

Introduction d'Abd-El-Kader Djeghloul. Ed. Sindbal Paris 1988.(287 p.).Pp.14 / 15

? - 1 _ استعمل دumas مصطلح كبايل (Kabayle).

? - 2 _ في إشارته إلى الأمازيغ استعمل ابن خلدون المصطلح الروماني

المعروف وهو البربر(1). أمّا عبد الرحمان بن محمد الجيلالي فإنّه قد جمع بين مصطلحي البربر والزواوة. فالأول للدلالة على جميع القبائل الأمازيغية والثاني خصّ به سكان القسم الشرقي من مقاطعة الجزائر (2)، في حين كتب رين (RINN) بصريح العبارة أنّ كلمة "كبايل" هي ابتكار فرنسي محض حيث خصّت به الإدارة الاستعمارية منطقة جرجرة وضواحيها

.. La dénomination . (Les Berbères...occupent...la région dénommée " KABYLIE" par les français

(.de kabyle est purement française

1- 2- ? _ المصدر نفسه. ص. 22-26

2- 2- ? _ (عبد الرحمان) بن محمد الجيلالي؛ التاريخ العام للجزائر ج. 1. 320.

3 - ? - أنظر: RINN; L'ALGERIE ASSIMILEE. Etude sur la constitution et (Louis Marie)

la réorganisation de l'Algérie par un chef de bureau arabe. Edition Constantine, Paris 1871 (160 p). P.

51

3 - (ميلشور جوزيف أوجين) دumas (Melchior Joseph Eugène). DAUMAS. وصل

الجزائر في العام 1835. شارك في العديد من المعارك منها: سيدي يعقوب، أولاد خالفة عام 1840 و عام 1841 في معركة سيدي لخضر، وفي عام 1842. وهو من ألمع قادة الاستخبارات .

(¹) عن التركيز على العنصر العربي كما يظهر من خلال الفصل الأول (²) من كتابه: "عرض حال المجتمع العربي في الوقت الراهن من خلال الحكم والتشريع الذي يسيّره" إذ لم يحظ العنصر الأمازيغي (البربري) في فصل "تنوع الأعراق التي تعمّر الجزائر" إلا بأربع صفحات من أصل ست وعشرين صفحة (³)، ناهيك عن المغالطات والتفاهات التي حاول دوماس إلصاقها بالمحليين، كقوله: "... يغادر الكبايلي (le Kabaylie) مسقط رأسه من أجل العمل في المدن حيث يقوم بكل الحرف بغية جمع النقود. فهو على غرار العربي تغلب عليه نزعة التعطش للمال ..." (⁴).

¹ 2 - أنظر: (M.J.E) - Les diverses races qui peuplent l'Algérie - DAUMAS; Exposé... Chapitre I; -Pp. 1 26.

² 2 - العنصر الثاني من الفصل الأول الذي جاء تحت عنوان: _ عن العرق القبائلي (de la race Kabayle)، يُعرف دوماس ذلك العرق الفريد من نوعه على حدّ قوله بأنه نتاج الاختلاط الذي وقع بين العديد من الشعوب المنهزمة.
³ 1 - المصدر نفسه. ص. 24.

² 2 - أنظر: (A) (d) - AMAURY; L'Algérie et le paupérisme en France. Alger 1847. P. 14

³ 3 - أنظر: (Eugène) - GAY; L'Algérie colonisation par enfants assistés de la Seine. (Eugène) - Conférence faite à la Mairie du XVI arrondissement, le 17 février 1897 sous les auspices de l'association polytechnique
Paris 1897. (24 p.). P. 10

⁴ - 4 لكن يبدو أنّ دوماس لم يميز بين السعي وراء العمل الشريف والسطو على أموال الغير بغير حق، وإلاّ كيف يفسر انشغال العلماء الاقتصاديين الغربيين منذ وقت طويل بالبحث عن علاج شافي للجرح المتعفن الذي كان يعاني منه المجتمع الفرنسي. والذي كان على الدولة كما جاء به أموري (AMAURY) أن تحسن استغلال هذه الهبة الربانية، قاصداً بذلك الجزائر، لمعالجة ما عجز عنه علماؤها، وإلاّ ستمرّ قرون ولن تجد وسيلة بديلة وأقوى من أرض الجزائر لإنقاذ تلك الطبقة المحتاجة.

⁵ 5 - إنّ قوة حب المال والرغبة في جمعه يبدو أنّها ليست لا خاصية عربية ولا أمازيغية فقط فللأوروبي نصيب فيها وإلاّ كيف يفسر ربط بعض الاقتصاديين مصطلح الكولون (Le colon) بمفهوم الوظيفة (وظيفة الكولون) ((Faire métier de... colon).... لقد أدرك غي

(GAY G) وهو المستشار العام لمقاطعة لا سين (La Seine) أنّ الذين يهاجرون ليسوا من الأثرياء ومن ثمّ على الدولة "صاحبة الأرض" (Propriétaire de terres) أن توفر لهؤلاء أسباب الاستقرار هنا كما يؤكد على ضرورة الحرص على أن يكون أصحاب الأرض الجدد فرنسيين مقترحاً إرسال الأطفال المسعفين كما هو الشأن بالنسبة لمقاطعة لاسين التي أرسلت إلى الجزائر من ليس لهم ما يخسرون في وطنهم الأم.

⁴ - أنظر: - DAUMAS; op. cit. - Chapitre IV; Des attributions des autorités. P.53-80

تعرض دوماس في كتابه ذاك والمفترض أنه يقتصر على طبيعة القبائل وأصنافها، تعرض فيه إلى مسألة العقار. وأمام بديهية انتشار الملكية المشخصة بالجزائر، اعتمد دوماس أسلوب التشكيك في شرعيتها وطرح كل التصورات المحتمل أن يلجأ إليها العربي (على حدّ قوله) لإثبات شرعية حيازته لها، أو لتلك القطعة.

إنّ الغرض المتوخى من الاستجابة الفورية لأوامر بيجو⁽¹⁾ والقاضية بضرورة ضبط أنواع الملكيات العقارية المحتمل انتشارها بالجزائر يكمن في رغبة دوماس في المساهمة في تحضير الأرضية القانونية للتحكم فيها وليتسنى للإدارة مستقبلا هندسة السطو عليها عن طريق نصوص تشريعية مضمونة النتائج عند التحويل ورادعة، كلما اقتضت الضرورة ذلك، لأية مواجهة مرتقبة من طرف الأهالي.

فانتهى دوماس إلى نقطتين أساسيتين وهما: - إمكانية إسقاط شرعية الملكية مهما كانت صفتها أو وضعيتها القانونية، كلما ظهرت أهمية قطعة ما في نظر الإدارة الاستعمارية ورأتها صلاحيتها للاستيطان، وأنّ أمر إنجاز مشروع الاستيطان متوقف على عاتق الإداريين خاصة بعد أن مهّد أمام الطريق باعتماد أسلوب التشكيك في تصريحات الأهالي. فيبقى إذن علي هؤلاء الإداريين التدقيق في أمر استنباط، من الوضعيات التي سيقفون عندها، ما يمكن إشهاره من مبررات في وجه أصحاب الأرض الشرعيين لانتزاع منهم المزيد من الأراضي، التي قرّرت الحكومة الاستعمارية أنّها لا تصلح لغير المستوطنين وأنّ هؤلاء هم أحق بها من الأهالي.

إنّ عدم إشارة دوماس في مقدّمة كتابه إلى دوافع إقباله على مثل هذا العمل، وعدم إفصاحه عن كونه كلف بمهمة التأليف تلك من قبل الدوائر

¹ _ الجنرال بيجو (ماركيز دي لا بيكنيار) حاكما عاما بالجزائر ما بين 1847 - 1840. مهندس سياسة الأرض المحروقة.

الرسمية على أعلى مستوى متلقيا الأمر مباشرة من الحاكم العام الجنرال بيجو، يفرض التحفظ على مصداقية ما قدّمه دumas من معلومات. وعليه لابدّ من التعامل مع محتوى الكتاب بحذر شديد. لقد كانت الحكومة الاستعمارية بالجزائر، قد سطرت مسبقا الأهداف التي كان على دumas وغيره من القادة العسكريين ضبطها وتدوينها.

يلخص هذا المؤلف قراءة دumas للأحداث التي عايشها وعاصر تطورها خاصة ما يتعلق منها بعمليات التحويل الأولى للملكية العقارية من المحليين إلى الأوروبيين. فدارت جميع أبوابه حول فكّ تعقيدات النظام العقاري في الجزائر. خاصة وأنّه كلما زادت القوات العسكرية توغلا كلما زاد الطلب على الأرض ارتفاعا.

لكن إصرار الأهالي على مواصلة المقاومة مدّد من حالة الشعور بالآمن، عرقل عملية تحويل العقار لصالح المستوطنين، مما دفع بالجنرال بيجو صاحب فكرة المستوطنات العسكرية ⁽¹⁾ إلى إصدار مجموعة من القرارات تقضي بتحويل الملكية العقارية أهمها قرار 1 أكتوبر 1844 الذي تضبط بموجبه حدود الملكية الخاصة وفق الرؤية الاستعمارية، حتى يظهر جليا ما للدولة (الفرنسية) من عقار في الجزائر. هذا مع التشديد والتأكيد على الحالات التي تُسقط الحق

1 - أنظر: (Le Maréchal Duc D'Isly) - 1847. Alger. De la colonisation de l'Algérie. BUGEAUD; Chapitre: De la colonisation militaire. 33-51.

? - 2 أنظر: (Charles Louis Pinson) - Dictionnaire de la législation (de) MENERVILLE; Algérienne, code, annoté et manuel raisonné. Des lois, ordonnances, décrets décisions et arrêtés publiés au

1830-1860. 2° éd. Alger – Paris 1860. Bulletin Officiel des actes du gouvernement.

- Ordonnance du 1-20 Octobre 1844

? - 3 أنظر: (J) - Commentaire explicatif et critique de l'ordonnance royale du 1 MONTAGNE;

1845. Alger. sur la propriété en Algérie octobre 1844.

- كتب مونتان (MONTAGNE) ما يلي: "...تجمع حكومة الديوان (الباليك) بين مسؤولية السلطة وما يعرف عادة بالدولة. لقد كان الباليك من أكبر ملاك الأراضي..."

"Le gouvernement Turc (Beylick) était tout à la fois le responsable de l'autorité souveraine, de..."

"... ce qu'on appelle généralement l'Etat...Le Beylick était le plus considérable des propriétaires

الطبيعي والمعنوي للشخص (أو الجماعة) في حيازة مساحة ما لتوضع تحت تصرف الإدارة العامة (الدولة) ⁽¹⁾.

يقول دوماس على أن تصنيفه للقبائل مستوحى من سياسة الأمير عبد القادر تجاه القبائل، وقبله من طبيعة ارتباطها بحكومة الديوان، فجاء تركيزه أساسا على درجة ولاء القبائل للسلطة المركزية سواء كان بالنسبة لفترة ما قبل الغزو أو ما بعده يرمي إلى تحديد نصيب الدولة (البايليك) من العقار بكل أوطان القبائل. نصيبُ تزداد أهميته، حسب دوماس، ويتسع كلما تبين أن حضور الدولة قويا من خلال انتشار أجهزة السلطة التنفيذية كوحدات المخازنية مثلا. هذا تحضيرٌ للاستيلاء على أملاك القبائل بحجة أن ما للبايليك يتحول مباشرة إلى المؤسسة العقارية الاستعمارية. وللمزيد من النهب بحكم المستعمر ورثا للبايليك استكمال تحديد تلك البايليك أرفق دوماس تصنيفه للملكيات تحليلا للتنظيمين الإداري ⁽²⁾ والضرائبي ⁽³⁾ لأنهما في نظره يعكسان حقيقة طبيعة الملكية.

هذا في حين يرجع الجنرال رين (RINN) ⁽⁴⁾ مصدر تصنيفه إلى عهد الداوي حسين، كما يوحي به على

¹ _ أنظر: ADRIEN; Du régime de l'expropriation pour cause d'utilité publique en (Jacques) - Algérie.

(Paris 1901 (234 p.)

² _ أنظر: DAUMAS; Exposé de... ; Op. Cit., Chapitre III - Des bases de l'organisation française - Pp. 44-52

³ _ أنظر: DAUMAS; Ibid; Chapitre VI: - Des - .

Impôts. Pp. 97-106

⁴ - رين (لويس ماري) (RINN (Louis Marie): ضابط عسكري علاقته بالجزائر تعود إلى عام 1864. هو أحد المعربين المتميزين، متخصص في "شؤون الأهالي" (Les affaires arabes) قاد قوم باتنة أثناء انتفاضة عام 1871. ثم مكلف بقسم شؤون الأهالي عام 1880، فمستشار لدى الحكومة العامة، له عدة مؤلفات، نذكر: عام 1871 م - الجزائر مدمجة (L'Algérie Assimilée) عام 1881، ملاحظات حول - الأصول البربرية (Notes sur les origines berbères). وفي عام 1884، - المرابطون والمُريدون (Marabouts et Khaouans) عام 1885 - اللجان التأديبية (Les commissions disciplinaires) . وله العديد من المقالات في المجلة الإفريقية ما بين 1885 1888.

الأقل عنوان مقاله الصادر بالمجلة الإفريقية (1) (Rev) (ue Africaine): "إيالة الجزائر تحت إمارة آخر داي" (2) (L) a Régence d'Alger Sous le royaume du dernier Dey. لكن المتمعن في محتوى تلك الصفحات سيلاحظ مدى التزام رين هو الآخر بالسياسة العامة المسطرة من قبل الحكومة الاستعمارية إذ ضبط بدقة هيكلية لإدارة المحليين وفق ما من شأنه أن يسهل التحكم فيهم وتسيير شؤونهم حسب الوضعية الجديدة.

فالمصطلحات الإدارية الواردة في المقال شاهدة في معظمها على أن ما قدّمه رين بإسهاب ما هو إلا تصميم مفصل للتقطيع الإداري الجاهز الذي ساهمت في ضبطه مختلف المصالح الاستعمارية، وهو ذاك الذي شرعت بالفعل الحكومة العامة في تطبيقه مع مطلع الأربعينيات، مما يدل أن رين حاد عما يفترض أن صياغة يكون تحليلًا لعنوان مقاله. ومن ثم لم تكن كتابات رين لا أكثر موضوعية ولا أكثر واقعية من تلك التي ألف دوماس. وأمّا عن أسباب هذا الانزلاق فيمكن إيجازها فيما يلي:

- 1 _ الرغبة الجامحة في إحكام قبضة الإدارة الاستعمارية على المحليين بشريا واقتصاديا.**
- 2 _ إسكات الأصوات المناهضة لسياسة التردد في الجزائر والهادفة إلى تعطيل ديناميكية الاستيطان.**
- 3 _ وضع تصنيف قبلي جديد مفاده تمكين المؤسسات الاستعمارية من تبرير اقتطاعها المزيد من الأراضي العقارية.**

أمّا عن أنواع القبائل (3) التي ورد ذكرها من قبل رين، فإنّها لا تختلف عن تلك التي أشار إليها دوماس

¹ - أنظر: المجلة الإفريقية (Rev. Af.) ((: صدر أول رقم للمجلة عام 1856

² - أنظر: (L.M.) - Rev. Af., 41^e année RINN; La Régence d'Alger sous le Royaume du dernier Dey. Ed. Alger, sans date. P. 121 - 350 nos 225 - 226, 2^o et 3^o trimestres 1897.

³ - أصناف القبائل حسب رين: بدأ رين مقاله بتقديم التقسيم الإداري للقطر بمقاطعاته الثلاث بابليك الشرق وعاصمته قسنطينة، بابليك الغرب وعاصمته وهران، وبابليك التيطري وعاصمته المدية ثم دار السلطان وعاصمتها مدينة الجزائر لكل مقاطعة مجموعتها من القبائل على منوال دار السلطان: أهل المخزن.

وهذا أمر طبيعي لأنّ كلا المؤلفين حررا في سياق إستراتيجية الحاكم العام الجنرال بيجو. فعلى الرغم من محاولة إقناع القارئ باختلاف مصادره عن تلك المعتمدة من طرف دumas إلا أنّ تطابق تصنيفه شكلا ومضمونا مع تصنيف هذا الأخير يثبت العكس. ولعلّ الإستثناء الذي يميز تصنيف رين هو بروز تنوع القبائل وتعددتها وفق تنوع الملكيات العقارية. ومن ثمّ جاء تأليفه هذا أكثر استجابة لأهداف الحكومة الاستعمارية. إذ ركّز في عرضه على ما إذا كانت إقامة القبيلة بوطن من الأوطان دائمة أو مؤقتة وما إذا كانت مقيمة مقابل موقف سياسي تجاه الإدارة المركزية، أم لحاجة اقتصادية، كأن تكون الجماعة ذات نشاط زراعي أو رعوي، أو على أساس طبيعة العناصر البشرية التي تشرف على تسيير شؤون الوحدة الاجتماعية، فمنها من كانت تحت إشراف الإدارة المركزية مباشرة وبالتالي كان يتمّ تعيين المؤطرين من قبل حكومة الديوان. ومنها ما كانت تحت إشراف مشايخ محليين. كما حاول رين في هذا الصدد تقديم كل الاحتمالات، لكن على مستوى محدود جدا.

تشكلت قبائل المخزن والرعية (1) مع التنازل التدريجي لحكومة الديوان عن بعض أراضي البايليك لصالح القاطنين عليها مقابل التزامهم ببعض الخدمات العسكرية والاقتصادية تجاه الدولة، إذ كان المخازنية و الرعية مكلفين بأمن الأوطان التي يقطنون بها والنواحي المجاورة لها، وهم في نفس الوقت مكلفون، كوكلاء أو مجرد مزارعين، باستثمار أراضي البايليك المنتشرة عبر الأوطان خاصة في السهول كما هو الحال بالنسبة للقبائل التابعة إداريا لقيادة (مقاطعة) سيباو.

1 - 1 - أنظر: CARETTE et (Auguste) WARNIER; Notice sur la Division (A.E.H) -

territoriale de l'Algérie. T.S.E.F.A., Paris 1844 - 1845. P. 383

? - 2 - أنظر - (L) - op. cit RINN; La Régence...

إنَّ الاهتمام الكبير التي لقيته قبائل الرعية
والمخزن من قبل دوماس وارين، يعكس مدى
حرصهما على إنجاز عمليتي التمهيد والتحضير
لإضفاء شرعية السيطرة على أجود الأراضي
وتحويها لصالح الاستعمار باعتباره الوريث الشرعي -
بحكم الغلبة - لحكومة الديوان، ومن ثمَّ تبرير استيلاء
الحكومة العامة - الممثلة للدولة الفرنسية - على
أراضي أهل سهلي سيباو ويسر وغيرها من الأوطان
التي كانت في نفس الوضعية.
أمَّا فيما يخص الصنف الثاني من القبائل الذي
سنقف عنده فإنَّه يشمل القبائل المعروفة في
الأدبيات الاستعمارية بالقبائل المستقلة ⁽¹⁾ كما هو
الحال بالنسبة لبني مناصر وذلك لمعرفة إن كانت
هناك حظوظ للحكومة الاستعمارية في العثور على ما
يمكن أن ترثه بأوطان بني مناصر وهي التي يغلب
عليها طابع الملكية المشخصة. وكيف يمكن لذات
الإدارة تحويل عقار أوطان بني مناصر لصالح
الاستيطان في غياب الحق الشرعي الذي منحه
لنفسها مع تناؤل احتمال العثور عليه كلما زاد جيش
الاحتلال توغلا في أوطانهم. في على ما يبدو إنَّ في
مثل هذه الوضعية تبقى "القوة" الوسيلة الأكثر
نجاعة لتحويل الأراضي لصالح الاستيطان، ومن ثمَّ
فستجعل سياسة الأرض المحروقة من العقار غنيمة
حرب.

1 - ؟ 1 _ وواريني ؛ المرجع نفسه. ص.ص. 388-389.

2 - ؟ 2 _ أنظر - (A) 56 n° 1976 Juin. R.H.M. NOUSCHI; Les villes dans le Maghreb précolonial. "....يختلف حكم داي الجزائر عن أمراء فاس وتونس. يُعين على رأس الإيالة من بين دايات أو بايات الجزائر، المدينة، قسنطينة، معسكر أو وهران...كم هم الدايات الذين لم يسجل لهم بالجزائر إلا مرور عابر...فنغوذهم مهدد باستمرار..كانت إيالة الجزائر عشية الاحتلال عبارة عن تنظيم مفكك للدولة الجزائرية... شيوخ وقياد المنطقة يقاوضون مع الشركات التجارية..." - المرجع نفسه.

القسم الأول أصول وأوطان

الفصل الأول

دراسة في أصول أهل يسر

وبني مناصر

- أ - أهل يسر قبيلة نسب أم موطن؟
- ب- بني مناصر قبيلة موطن أم نسب؟
- ج- لسان حال القوم
- د- أخبار تاريخية من خلال تحليل اسمي
بني مناصر وأهل يسر

إنّ الغموض الذي يكتنف معظم المؤلفات
الاستعمارية خاصة ما أنجز منها خلال العقود الأربع

الأولى (1) والتي تناول فيها أصحابها طبيعة النسيج الاجتماعي الجزائري عشية الاحتلال يعود إلى تجاهل هؤلاء طبيعة الحركة المميزة للمجتمع الجزائري، وإهمالهم المتعمد لمقومات التفاعل الكامنة في عناصره على غرار الشعوب الأخرى (2). فخرص أصحابها على توجيه تنظم وترتيب تصنيفاتهم وفق ما يخدم المصلحة الاستعمارية، مما زاد كتاباتهم تلك إبهاما دون أن ينفرد مؤلف واحد بخبر أو معلومة جديدة تستحق الإشادة بها. ولعل ما ميز التركيبة الاجتماعية في الجزائر عشية الغزو هو وجود وحدات اجتماعية تشكلت أثناء

1 - 1 أنظر : - (D). Ed. MONTAGNE; *Psychologie Morale et Physique d'Alger* 1833. Marseille,

Paris, Alger 1834. (336 p.). Chapitre II: Population et Mœurs. Pp 25-69

1 - 2 ملاحظة: نكتفي بذكر أسماء بعض المؤلفين: مثل دوماس (DAUMAS)، كاريت (CARETTE)، واريني (WARNIER)، روزي (ROZET)، عريان، (URBAIN). هذا على سبيل الذكر وليس الحصر لأن أسماء أخرى ومؤلفاتها ستظهر تدريجيا خلال هذه الرسالة.

2 - 1 أنظر: COMTE: *Leçons du cours de philosophie positive*. Paris de (Auguste)

2 - 2 1830 - 1842. - يمرُّ الفكر البشري في نظر أوغست كونت بمراحل ثلاث وهي: المرحلة اللاهوتية التي يطبعها الاعتقاد بمنطق المسلمات القدسية حيث لا دور للإنسان فيما يحيط به من أشياء. ثم مرحلة الميتافيزيقيا التي ينتقل فيها فكر الإنسان إلى الاهتمام بماهية الأشياء وجوهرها. ويتساؤل عن تطوراتها يكون قد تجاوز الاكتفاء بما يرى ويلمس فقط ليسجل بذلك بداية التحرر من منطق المسلمات ليقترح عالم المعقول. ومن ثم الانتقال إلى المرحلة الثالثة من نمجه الفكري حيث اقتنع الإنسان بقدراته على توجيه مسار الأشياء. تطور فكري شمل أيضاً الأمور الاجتماعية، إن إدراك الإنسان قدرته على التأثير على الجماعة التي ينتمي إليها أدى إلى إحياء الرغبة فيه في المساهمة في تسييرها عن طريق العقد الاجتماعي. عقد يتنازل بموجبه كل فرد عن جزء من حريته أو عن حقه للصالح العام الذي ستسهر عليه النخبة المخولة لها تمثيل المجتمع بالعدل. فيكون هذا الأخير قد دخل مرحلة الحركة (le dynamisme) التي ستعمل النخبة بمختلف أنواعها على تسييرها تسييرا يضمن للمجتمع الراحة والرفاهية. إن حركة المجتمع تستمد حيويتها من التجربة. هناك ملاحظتان لابد من التنبيه إليهما:

1 - يظهر من خلال نظرية الديناميكية التي توصل إليها كونت مدى تأثير الفكر الخلدوني على الفكر الغربي.

2 - نسجل محدودية التحرر الفكري لدى الغرب ما دام هذا الأخير قد تسبب في تعطيل الحركة (الديناميكية) الطبيعية لشعوب أخرى حيث تنكر لحقها إذ وقع إجماع أوروبي في مؤتمر فيينا 1815 على توجيه ضربة قاضية على الجزائر انتهت إلى استعمارها عام 1830. فهل كان بإمكان المجتمع الجزائري لعقود طوال بعد هذا التاريخ أن يسير وفق نظرية كونت التي عرفت النور في نفس السنة.

فترة ارتباط القطر بالدولة العثمانية (1518-1830)
وحدات اجتماعية على أساس وظيفي أطلق عليها
اسم "قبائل الرعية" و"قبائل المخزن"، التي تنوعت
بتنوع مواقع انتشارها ⁽¹⁾ واختلاف المهام المنوط
بكل واحدة منها.

غَلَبَ إذن على المجتمع الجزائري عشية الاحتلال
الطابع البدوي. لكن هل كانت تلك الحالة الطبيعية
حاجزا أمام التقارب بين مختلف وحداته ؟ أم أنَّ
تأثيرها عبر الأوطان لا يغدو عن كونه عاكسا لبساطة
العيش ومسايرة المجتمع لمعطيات بيئية ؟ هذا ما
سنحاول الوقوف عنده من خلال أهل يسر (Les gens
d'Isser) ⁽²⁾ وبني مناصر.

أ- أهل يسر قبيلة نسب أم موطن؟

اعتمد الحكومة الاستعمارية في تعاملها مع
المجتمع الجزائري و في وقت مبكر على إستراتيجية
التطويق بعزل وحدات مجتمع سريع الحركة عن
بعضها البعض لم يكن بالأمر اليسير، وبالتالي فإنَّ
الإخفاق في تحقيق الأهداف المتوخاة سيكون الأكثر
توقعا نظرا لما تتطلبه مثل هذه السياسة من دقة في

¹ - أنظر: MM. CARETTE et WARNIER: Notice sur la division territoriale -
de l'Algérie Chapitre: Colonies: 1 - Administratives civiles. 2 - Administratives militaires. P. 389 et
suivantes Ministère de guerre, T.S.E.F.A. Paris 1844 - 1845. (pp 377 - 524)

يرجع كاريت تنوع قبائل المخزن إلى اختلاف طرق تشكيلها ونشأتها وإلى
الوظائف المنوطة إليها جامعا إياها تحت عنوان: "المستوطنات الإدارية
والمستوطنات العسكرية. وأهم الأسماء التي أطلقت على قبائل المخزن:
زماله، زمول، دوار ودوائر، عبيد، مكاحلية عزارة

² - أنظر: PELLISSIER; Annales ALGERIENNES. Nouvelle édition, avec (Reynaud) (De)-
appendice, contenant le résumé de l'histoire de l'Algérie de 1848 à 1854 et de divers Mémoires et
Documents

Tome 1° Paris, librairie Militaire, (J) DUMAINE, librairie éditeur de l'empereur. Alger librairie

.Bastide, Octobre 1854

_ أهل يسر (Les Gens d'ISSER) ص. 436.

ضبط الحدود الإقليمية لأوطان القبيلة الواحدة ومجالها الحيوي.

ولعلَّ عدم التطابق بين ما جاء في محاولات التصنيف لكل من كاريت (Carette) ووارنيي (Warnier) ⁽¹⁾، عريان (Urbain) ⁽²⁾، فيلياس (Fillias) ⁽³⁾ وأكاردو (Accardo) ⁽⁴⁾ كافٍ ليقَرَّ المرءُ بصعوبة إبراز خصائص المجتمع الجزائري وحصرها. فأهل يسرّ مثلاً قدّمهم كاريت ووارنيي في إخباريتهما على أساس أنّهم قبيلة من أربعة فروع وهي عسات الويدان، عسات الجديان، عسات أولاد سمير وعسات الظهور ⁽⁵⁾. أسماء مستمدة من الطبيعة توحى بقوة ارتباط أهل يسرّ بالأرض أي بالوطن وليس بالنسب، باستثناء أولاد سمير.

¹ - ² - كاريت ووارنيي عضوان في اللجنة العلمية بالجزائر، محررا الإخبارية المشار إليها أعلاه والتي مفادها شرح وتلخيص الخريطة المنجزة من طرفهما والتي تعود إلى سنة 1838-1839.

² - ³ - أنظر: CARETTE et WARNIER; Notice... op. cit.

¹ - ² - إسماعيل عريان مترجم رئيسي للجيش الإفريقي، بعد اعتناقه الإسلام حضى لدى الأمير بمنصب مستشار قبل أن يعود لوضعه الطبيعي لدى حكومة الإمبراطور الثاني نابليون الثالث كمستشار لدى هذا الأخير. لقد ساهم في التنظير للمملكة العربية بجدة والإشهار لتلك الفكرة. انتهى عريان بالاعتراف بما ارتكبه الدولة الفرنسية من اعتصاب لجنسية قائمة بذاتها وهي الجنسية الجزائرية.

¹ - ² - أبو القاسم سعد الله؛ الحركة الوطنية الجزائرية 1930 - 1900، الجزء الثاني، الطبعة الثالثة، الشركة الوطنية.

للنشر و التوزيع، الجزائر

1983 . ص 38 .

² - ³ - أنظر: - (J) - URBAIN: Notice sur l'ancienne province de TITTERI, organisation de la province sous la domination turque. In T.S.E.F.A . op. cit. PP. (397 / 444)

¹ - ² - ³ - (أشيل) فيلياس: قائد الفيلق الشرقي ضابط أكاديمي. صاحب عدة مؤلفات منها:

² - ³ - أنظر: - (A) - FILLIAS; Géographie de l'Algérie. 5° éd. Hachette, Paris 1886

¹ - ² - ³ - ⁴ - أكاردو: كان ملحقا في مصلحة الطوبوغرافية، مرتبط بالإدارة الداخلية. أنظر: - ACCARDO; Répertoire Alphabétique des Tribus et Douars de l'Algérie. Dressé

d'après les Documents officiels sous la direction de M. Le Myre De VILERS. Ed. Jourdan Alger 1879
- Première partie (200p.) + deuxième partie (après exécution des 1° et 2° parties du Sénatus
.Consulte du 22 avril 1863) (87 p.)

² - ³ - ⁵ - أنظر: CARETTE et WARNIER: Notice...In -

T.S.E.F.A. op. cit. P. 489

إنَّ إصرار كاريت ووارنيي على أنَّ تصنيفهما للقبائل وتقطيعهما الإداري العام للقطر⁽¹⁾ مستنبطان من واقع المجتمع قبل الغزو، يعتبر محاولة منهما إيهام كل متصفح غير حذر لتلك الإخبارية بصحة ومصداقية ما نُشر من معطيات إخبارية. وسار عربان فيما ألحقه بذات الإخبارية فيما كتبه حول بايليك التيطري على نفس المنوال⁽²⁾. كما تبينه نتائج الموازنة أو المقارنة بين العديد من الوثائق الاستعمارية الأخرى. أنَّ محتوى تلك الكتابات هو مجرّد تخطيط إداري تكميلي لعملي دumas⁽³⁾ ورين⁽⁴⁾ في إطار تهيئة الأرضية أمام مشروع الإدارة الاستعمارية في الجزائر، إذ يتميز عمل كلٍّ من كاريت ووارنيي وعربان بالتحكم أكثر في التصميم الذي أقبلت الحكومة الاستعمارية على تطبيقه ما بين 1843-1845، وذلك انطلاقاً من تقارير ضباط الجيش الذين مهدوا لإعادة تنظيم القبائل وفق تعليمات الحكومة العامة.

وهكذا إذن، يعدّ ذلك التصميم⁽⁵⁾ بحق منعرجاً حاسماً في سياسة تطويق الأهالي حيث تمّ تجاوز مرحلة الغزو ليشرع الغزاة الآن في الاحتلال (La conquête)⁽⁶⁾

1 - أنظر:

- Ibid. . Pp. 377 - 396

2 - أنظر: - (J) op. cit. URBAIN: Notice sur ...

3 - العودة إلى المدخل ص. 40

4 - العودة إلى المدخل ص. 43

5 - أنظر: كاريت ووارنيي؛ الإخبارية... المصدر نفسه. فصل المستوطنات ... ص. 389

6 - يعود تأخر الاحتلال الاستعماري للقسم الشرقي لمقاطعة الجزائر بعقدين من الزمن على الأقل من تاريخ الغزو إلى تواصل المقاومة.

وهذا بيليسي دي رينو (PELLISSIER DE RENAULD) (1) يذكر في "حوليات الجزائر" (2) أهل يسّر على أساس أنهم قبيلة موطن، إذ ورد في عرضه تفاصيل حادثة وقوع أعضاء طاقم سفينة استعمارية عند نزولهم البر بدلس بين أيدي أهل يسّر الذين رفضوا إطلاق سراحهم إلا مقابل دية، وهو يواصل سرده للأحداث يذكر: "...أنه كان لابد من أن تفهم قبيلة يسّر (على أساس الموطن ما دامت الحادثة قد وقعت في ميناء دلس) أنها لن تواصل تهديداتها للممتلكات الفرنسية في شمال إفريقيا دون عقاب ..." (3). كما استعمل بيجو في نفس السياق وهو يحاول استمالة الخليفة بن سالم عام 1846، عبارة: "كل منطقة يسّر" (4).

في حين تعكس المعطيات التي يتضمنها "قاموس بلديات ومدن وقرى الجزائر..." (Dictionnaire des Communes, Villes, Villages d'Algérie) (5) والذي قدّم له

¹ _ نبذة عن حياة بيليسي (أمابل، جون جاك دوق دي مالاكوف) - PELLISSIER De - REYNAUD (Aimable, Jean-Jacques, duc de Malakoff) شارك في الإنزال بسيدي فرج بصفته ضابط الأركان العامة في جيش الاحتلال. إقامته الأولى بالجزائر: من جوان 1830 إلى مارس 1831. الثانية: من 1839 إلى 1854. ومن أهم المراتب التي بلغها والمناصب التي شغلها نذكر: قائد الأركان العامة لمقاطعة وهران 1840، نائب القائد العام للأركان العامة بالجزائر 1842... حاكم عام بالنيابة 1851. ...إقامته الثالثة بالجزائر: حاكم عام للجزائر بتعيين صادر بتاريخ 24 نوفمبر 1860 ليبقى بها إلى غاية وفاته عام 1864. ويبقى اسمه مرادفا لمفحمة الفراشيش حيث ذهب ضحيتها ما يقارب 1000 شخص من قبيلة بني رباح في 20 جوان 1845.

² - ؟ أنظر: (538 - (522 p.) (3 volumes (482 p) 1854. Paris Alger PELLISSIER; *Annales algériennes*.

³ ؟ بيليسي: المصدر نفسه. الجزء الأول ص 436

⁴ - ؟ أنظر: (383 p.) Tome II - GERMAIN; *La politique indigène de BUGEAUD*. Ed. Larose Paris 1955 (Roger)

- "... لحملة عام 1842، التي أفقدت الخليفة كل منطقة يسّر، ولا حملتي 1844، 1845 اللتان طرد على إثرهما أغا سيباو أقنعتهما (بن سالم، بلقاسم) بالاعتراف بنا..."
أنظر: المصدر نفسه. ص. 178

⁵ - ؟ قاموس من إنتاج الإدارة الاستعمارية وقدّم له أشيل فيلياس أنجز على أسس آخر المعلومات الرسمية التي تمّ جمعها عام 1878 والتي تدور حول الوضعية الإدارية والجغرافية والسكانية بالإضافة إلى المعلومات القانونية، الدينية، العسكرية والبحرية. قاموس موجه بالدرجة الأولى إلى المستوطنين خاصة الجدد منهم. يحتوي على 144 صفحة.

فيلياس. عام 1878 الملامح الأولى ليسر المُستوطنة⁽¹⁾، حيث تعرض السهل إلى تقطيع إداري وفق متطلبات الاستيطان، فصارت الأسماء الغربية محلّ محلّ الأسماء الأصلية، مما يحمل مؤشرات الانقلاب الاجتماعي الذي كانت تسعى الحكومة الاستعمارية إلى تحقيقه. انقلاب من حيث التركيبة البشرية وتنظيمها الإداري تماشياً مع عمليات إعادة التعمير التي يطلقون عليها في لغتهم (Le peuplement)⁽²⁾ . ومن المراكز الاستيطانية الأولى بسهل يسّر نذكر كلّ من يسّر بورغ (Issers bourg)⁽³⁾، وخان يسّر (Le

والتحويل هذا جارٍ إلّا أنّ قاموس البلديات المذكور أعلاه لم يتعرض فيه صاحبه إلى أهل يسّر إلّا من خلال يسّر الوديان.

ولم يخصص فيليبس في كتاب "جغرافية الجزائر" (2) لأهل يسّر حيزاً أكبر من ذلك الذي خصصت لهم في قاموس أكاردو. فاقصر وصفه لسهل يسّر على أنّه مجرد رواق ممتد بين أوطان زواوة (الكبائل) (3) ومحصور بين وادي يسّر غرباً وسيباو شرقاً.

ففي الوقت الذي تجاهل فيه فيليبس وجود سكان محليين بالسهل ولم يعرهم أي اهتمام، نقل لنا أكاردو وضعية هؤلاء في ظل الإدارية الجديدة مباشرة. هذا مع العلم أنّ الدراسات الجغرافية لم تُقص يوماً من اهتماماتها العنصر البشري، بل كان على مرّ العصور مركز انشغالات الجغرافيين وسيظل كذلك. لكن يبدو أنّ الثروة الغاية التي يتمتع بها سهل يسّر (4) أنست فيليبس أهل هذا الأخير إي قاطني السهل، إذ لم يكلف نفسه ولو بإشارة منه إلى وجودهما على الشكل الذي فرضه عليهما كاريت وواريني.

أمّا عن محتوى الكشكول الأبجدي لقبائل ودوائر الجزائر (Répertoire alphabétique de tribus et douars de L'Algérie) ، الذي أنجزه أكاردو تحت إشراف لومير دي فيلرس (Le

- أنظر : - ACCARDO; Répertoire Alphabétique des Tribus et Douars...op. cit. 1^o partie (F) -

-.p.86

1 ؟
- خان يسّر (كارافانسيراى) (Caravansérail): منزل منفرد على طريق تكثر به الحركة، له دور محطة عبور في انتظار أن يأخذ شكل مركز استيطاني.

2 - أنظر: - FILLIAS (Achille); Géographie de l'Algérie. Ed. librairie Hachette Paris - 1886. 5^o éd

3 ؟
سوف يتكرر معنا استعمال مصطلح كابيل بهذا الشكل للدلالة على إنّ سكّان شرق مقاطعة الجزائر وبالأخص زواوة حفاظاً على المعنى الحقيقي لكلمة " القبائل " العربية والتي تعنى الجماعة وليس العرق. ومن جهة أخرى تغاديا الوقوع في متاهات الخلط ومن ثمّ المغالطات.

4 ؟
- فيليبس: "جغرافية... " المرجع نفسه. ص.24.

Myre De Villers) ، فأثَّه يبدو ضمنيا أقرب إلى "إخبارية" كاريت ووارنيي منه إلى ذلك القاموس الذي قدَّم له فيلياس "البلديات..." رغم تزامن صدوره مع هذا الأخير.

تكمن أسباب الاختلاف في الدور التوظيفي المرتقب لكل مؤلف (منتوج) وفق التعليمات المسطر والمحددة مسبقا ما ينتظر من كل من له علاقة بالشؤون العربية. فهذا "القاموس..." جاء في شكل دليل، لأنَّ صاحبه حرص على تقديم المعلومات الدقيقة حول مواقع المراكز المهيأة للاستيطان وكيفية الوصول إليها، مرفقا بالمسافات الفاصلة بين المستوطنات والمدن الرئيسية كان موجه خصيصاً للمتوافدين.

هذا في حين كان مؤلف أكاردو موجهها خصيصا

للإدارة المكلفة بتسيير الشؤون العربية (Les affaires arabes) (1) حيث ضمَّنه التعديلات والترتيبات التي

أدخلت بعد خمس وثلاثين سنة من نشر "إخبارية" كاريت ووارنيي على القبائل وفرقها. إذ تمَّ من خلاله التأكيد على فصل فروع أهل يسَّر عن بعضها البعض كما فرضته عليهم إدارة الاحتلال،

مقدما إياها على أساس أنَّ كلَّ فرع هو بمثابة قبيلة قائمة بذاتها (2): كقبيلة قبيلة يسَّر الجديان، قبيلة يسَّر الغربي (الويدان)، قبيلة يسَّر أولاد سمير، ويسَّر الظهور (3). يضيف أكاردو أنَّه انبثق عن هذه

1 ؟ الشؤون العربية (les affaires arabes) : تنظيم إداري أنشأته السلطة الاستعمارية ليشرف موظفيه على إدارة شؤون الأهالي عن طريق التعليمات وفق السياسة التي تنتهجها الإدارة العامة تجاه المحليين. وأول خلية أنشئت لهذا الغرض هي " المكاتب العربية العسكرية " (1830 - 1837)، لتتحول إلى مركزية الشؤون العربية بفتح مكتب بالحكومة العامة عام 1837 ، لتنتقل ثانية إلى يد الأركان العامة عام 1839. ومع تطور الأحداث العسكرية أعيدت إدارة مصالح الشؤون العربية بموجب مرسوم 16 أوت 1841 إلى الحكومة العامة. لكن على أسس أفرزها تطور توغل القوات الغازية رغم اشتداد المقاومة. ملاحظة: عدم استقرار هذه الإدارة يعكس عدم استقرار الأوضاع في

الجزائر منذ عام 1830

2 - أكاردو: " كشكول أبجدي...". المصدر نفسه. ص. 86 .

الأخيرة قبيلتي أولاد مدجكان (1) وأولاد عيسى (2) لثَرَّتْبا بدورهما على أساس أُنَّهما، من حيث المنشئ، قبيلتا نسب إلى جانب قبيلة الظهور. كما اعتبر في تديونه التفرعات الثانوية المستحدثة والمنبثقة عن التنظيم الجديد قبائل كاملة المعالم.

إنَّ التعقيدات التي تطبع تلك الكتابات ليس مرَّدها صعوبة ضبط إقليم القبيلة، ولا الوصول إلى وقائع الحياة اليومية لأهل يسر، وإنما هي سابقة خطيرة تعود بشكل واضح إلى السياسة المعتمدة من قبل الإدارة الاستعمارية. فإسقاط معطيات مستقاة من واقع قبيلة ما على بقية الوحدات الاجتماعية بهدف التعجيل في تحقيق مصلحة المستوطن - مصلحة فوق كل اعتبار - كان وراء تضارب المعلومات المقدمة للإداريين من طرف الضباط العسكريين. لكن سرعان ما تبين، عند احتلال أوطن جديد، أنَّ لكلِّ قبيلة خصوصياتها حينئذٍ وقع الاصطدام بواقع المجتمع الجزائري المعقَّد تركيباً، ومن ثمَّ صعوبة التعامل مع كافة القبائل بنفس الأسلوب وبنفس الطريقة.

- قبيلة يسر من إشكالية الأصل إلى إشكالية الوجود

نطرح إشكالية وجود قبيلة باسم "يسر" من عدمه، أي هل عرف التاريخ فعلاً قبيلة بهذا الاسم قبل عام 1830 ؟ وهذا في ندرة المصادر وتضارب ما

3 ؟ _ أولاد سمير: قبيلة، بلدية مختلطة بيسر، تابعة للمقاطعة القضائية ببرج منايل، دائرة تيزي وزو.

_ أنظر: أكاردو؛

المصدر نفسه، ص. 164

1 - أولاد مدجكان: تعرض أكاردو لفرع أولاد مدجكان (Ouled Medjkan) في الملحق على أساس أنَّه دوار تابع للبلدية المختلطة لبيالسترو (Palestro) (الأخضرية) وللإدارة القضائية لمينرفيل (Ménerville) دائرة الجزائر. ومدجكان القبيلة. _ أنظر: أكاردو؛

المصدر نفسه، ص. 60 .

2 - أولاد عيسى Ouled Aissa ذكر أكاردو هذا الفرع أيضاً في الملحق المذكور أعلاه.

_ المصدر نفسه ص 53 ..

تحمله هذه الأخيرة من معطيات كما سبقت إليه الإشارة.

إنّ الفوضى التي انجرت عن الغزو حالت دون تمكين ضباط الجيش والإداريين الأوائل الوصول إلى معلومات دقيقة حول التركيبة الاجتماعية ولا إلى معرفة طبيعة التنظيم الداخلي الذي كانت تسيّر وفقه علاقة الوحدات الاجتماعية، الإدارية والإقليمية بالسلطة المركزية ⁽¹⁾. يضاف إلى ذلك تفاوت سرعة اجتياح الأوطان واختراقها كما هو الشأن بالنسبة لأوطان يسّر وأوطان بني مناصر، إذ لم تطأ أقدام القوات الاستعمارية تلك الأوطان إلا في حدود عام 1840 ⁽²⁾

¹ - أنظر: (M.L.) - Rev. Af., n° 41 "La Régence d'Alger sous le Royaume du dernier Dey." année nos 225-226 et 3° trimestre 1897. Ed. OPU Alger, sans date. P.149

Chapitre III: Rayât: Outane El Issers (1837 -1844)

أهل يسّر كما قدّمهم رين في مقاله: " المملكة ... " المصدر نفسه. المجلة الإفريقية. ص. 149

الرعية أو الأتباع المسخرين والمستغلين بدون شفقة، يحتلون ما يقارب 4 25 000 هكتار

أوطان يسّر (1837-1844) :

1 - يسّر الظهور = أولاد مدجكان، دوار كومون (بالسترو، المختلطة)، رعایش؛ دوار كومون (برج منايل، بلدية كاملة الصلاحيات) .

2 - القيوس، دوار بلدي قديم تبذرت أراضيه بين مستوطنتي ليسّر فيل و برج منايل.

3 - يسّر الجديان = عين مودر، دوار بلدي (تابع للغابة المقدّسة، بلدية كاملة الصلاحيات)، بوبراك، دوار بلدي، (الغابة المقدّسة، ب.ك.ص.). _ الجديان، هو ذلك الدوار البلدي القديم الذي ذاب في أراضي الاستيطان للغابة المقدّسة وملاحقها.

4 - يسّر الغرب، ير الوديان، (د.ب) (بلاد قيتون، ب.ك.ص.)، وكوربي زموري، (ب.ك.ص.) .

5 - يسّر أولاد سمير، أولاد سمير، (د.ب.) (برج منايل، ب.ك.ص.).

6 - تارا (1844)، (د.ب) قديم بنفس الاسم، أرض أوروبية ليسّر-فيل، (ب.ك.ص.)

_ المصدر نفسه. ص. 124

Les Rayât ou Sujets taillables et corvéables à merci occupaient environ 4.425.000 hectares

: Outane El Issère (1837 / 1844) -

1 - Issère El Drouh. = Ouled Medjekane, (D.C.) (Palestro, M.); Raicha, (D.C.) (Bordj-Ménaiel, P.E.)

. El Guious, ancien (D.C.), absorbé dans les territoires de colonisation d'Isserville et Bord- Ménaiel

2 - Issère Djediane = Aine Moudeur, (D.C.) (Bois Sacré, P. E.); Bouberak, (D.C.) (Bois Sacré, P.E.)

3 - El Djediane, ancien (D.C.), absorbé dans les territoires de colonisation de Bois Sacré et annexes

4 - Issère Gherbi, Issère El Ouidane; (D.C.) (Bled Guitoun, P.E, et Courbet Zamouri, P.E.)

5 - Issère Ouled Smi. Ouled Semi, (D.C.) (Bordj Ménaiel, P.E)

6 - Teura (1844), ancien (D.C.) du même nom; territoire européen d'Isserville, P.E

وما زاد من تعقيد إشكالية الفصل في أصول
قبيلة يَسَّر من حيث كونها ذات تركيبة عرقية أم
موطنية؟ تعمّد وإصرار النخبة الاستعمارية على
العودة بأصول سكان المغرب الأوسط إلى ما يفترض
أنهم كانوا عليه خلال العهد الروماني (1)، متجاهلة
مسيرة المجتمع منذ عهد غابرة إلى يومنا هذا مروراً
بعهد الفتوحات الإسلامية. إجحاف أريد به شطب أحد
مقومات نمو المجتمع الجزائري، وعامل من عوامل
انصهار الأعراق في بعضها البعض بالقطر، وما بلغه
من تطورات عبر الزمن بفعل والدين (2).

2 - كان بيجو في حدود جويلية 1842 يحتفظ بفيلق احتياطي يقوده بنفسه
باتجاه شرق مقاطعة الجزائر قاصداً يَسَّر (1). وفي 11 ديسمبر 1842 عين
شانغاني على رأس 4 000 عسكري لمحاصرة السكان (كايل) من أعالي يَسَّر (2)
- أنظر: D'ESTRE; *Mémoires du Général CHANGARNIER*. Ed. Berger- Levrault, Paris 1930 (H).

1 - أنظر: المصدر نفسه، ص. 251.

2 - أنظر: المصدر نفسه، ص. 225.

1 - أنظر: GIRAULT: *Principes de la colonisation et de législation coloniale*. Tome III; (A) - Algérie et Tunisie. Ed Librairie de la société du recueil (J.B.) SIREY et Du Journal du palais (571p.). pp 17-29.

2 - أنظر: - بيرار؛ الدليل السنوي 1848 ص.ص. 102 _ 232
- ملاحظة: رغم ما تسبب فيه كل من أهل يَسَّر وبني مناصر من متاعب للقوات
الغازية قبل أن تحتل أراضيها إلا أن بيرار لم يخصصها بالعناية الكافية مكتفياً
بالإشارة إلى سوق يَسَّر (1) وأنه بالنسبة لبني مناصر أن بيجو علم بوجود زاوية
بأوطان بني مناصر هي معقل للمحرضين على المقاومة (2)
1 - 2 - المرجع نفسه، ص. 237.

2 - 2 - المرجع نفسه، ص. 259 و ص. 262

2 - تستعمل الإدارة الاستعمارية بعض الأوراق الإستراتيجية كالدين واللغة
والعرق لضرب السكان المحليين، إذ تغنت في كل ما يمكن أن يفصل بين
مختلف القبائل إذ زعمت أن سكان جرجرة وضواحيها لا يخضعون إلى التشريع
المعمول به لدى بقية القبائل الجزائرية. فهم في نظرها يخضعون إلى قوانين
وضعية (1) عكس بقية القبائل التي تستمد تشريعها من القرآن الكريم (2)
وكان أهل جرجرة لم يعتنقوا الإسلام بعد، والغريب في الأمر أن الفرنسيين
اتهم لم يتحرروا كلية من قيود أو تأثير الكنيسة الكاثوليكية وهم أصحاب ثورة
فكرية سياسية واجتماعية.

1 - أنظر: VILLOT; *Mœurs, Coutumes et Institutions des Indigènes de l'Algérie*. Alger. (E).

(521 p)

3° éd 1888. Pp. 451- 453.

2 - المرجع نفسه.

فإذا كان أهل يسرّ يُشكلون قبيلة بالمفهوم الضيق، فلماذا لم يتعرض إليها أصحاب المؤلفات الأولى، ولم يتعامل معها الضباط العسكريون خلال غزوهم الأوطان على هذا الأساس بوضوح؟ ، والإداريون على ذلك الأساس وبوضوح؟ ولماذا لم تلق طبيعة وحدة أهل يسرّ، وحدودها الإدارية إجماعاً من طرف هؤلاء؟ أليس لأنها وحدة من ابتكار الإداريين، ومن ثمّ إنشائها بموجب مرسوم صادر على الحكومة العامة أثناء تقسيم المنطقة إدارياً على ضوء توجيهات العسكريين، في وقت صعب ميّزه تواصل المقاومة. تعرض سكان سهلي يسرّ وسيباو الخصبين إلى التشييت. إستحدثت الحكومة الاستعمارية تقطيعاً إدارياً جديداً بهدف السيطرة على الأهالي ومن ثمّ على العقار ليتسنى لها توفير أحد شروط إنجاح سياسة الاستيطان⁽¹⁾ طَبَعَ قبل الفتوحات الإسلامية امتداد قبيلة تلكاتة الأمازيغية⁽²⁾ عرقياً (اثنيا) السكان من سهل الشلف غرباً إلى سهل يسرّ شرقاً بصبغة أمازيغية⁽³⁾. لكن سهولة الاستقرار به ساهمت في جلب العديد من

CARETTE et WARNIER; Notice ... T.S.E.F.A. -

1-؟ - انظر:

Op. cit. P. 489

2-؟ - سيتم التعرض إلى هذه النقطة بإسهاب في فصل لاحق.

2 - رشيد بورويبة: الدولة الحمادية، تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر 1977 م 1397- هـ

- "...قبيلة تلكاتة إحدى بطون قبيلة صنهاجة ...". المرجع نفسه ص..

6

3-؟ "...كانت تلكاتة، قبيلة بني حماد، تسكن ناحية المغرب الأوسط التي تمتد من شرشال إلى مرسى الدجاج شمالاً ومن وادي الشلف إلى القبائل الكبرى لتمتد من هذه الحدود إلى البيان والحصنة تتولى الأمر في أشير ومليانة والجزائر والمدية وحمزة والمسيلة ..."

- المرجع

نفسه، ص. 158.

**فروع بني هلال (1) منها بني ثور (2) وبني سليمان
على وجه الخصوص (3). فكانت اللغة العربية سريعة
الانتشار بالناحية (4).**

كما كان سهل يسرّ الواقع في مفترق الطرق
والرابط بين سهلي متيجة غربا وسيباو شرقا،
وانفتاحه شمالا على البحر الأبيض المتوسط وامتداده
نحو التلّ جنوبا، كان في القرن السادس عشر
ميلادي، وجهة العديد من الموجات البشرية حيث عرف
تدفقا بشريا لا مثيل له، حيث استقطب من الجهة
الغربية المورسكيين الملاحقين من قبل القوات
الإسبانية (5) ومن الجهة الشرقية العثمانيين

1-؟ 1 - "... أَمَا فِي عَهْدِ بَلَكَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَصَلَتْ قَبَائِلُ بَنِي هَلَالٍ وَانْصَهَرَتْ بَعْضُ فُرُوعِهَا فِي الْقَبَائِلِ الْمَتَوَاجِدَةِ بَيْنَ الْمَكَانِ، فَتَوَلَّتْ تِلْكَ الْقَبَائِلُ (الْهَلَالِيَّةُ) بَعْدَ ذَلِكَ الْأَمْرِ فِي الْأَرْيَافِ بِمُوجِبِ الْإِتِّفَاقِ الَّذِي أَيْرَمَ بَيْنَ بَنِي هَلَالٍ وَبَيْنَ بَنِي حَمَادٍ..." وَذَلِكَ مِنْذُ الْقَرْنِ الْحَادِي عَشَرَ الْمِيلَادِيِّ.

المرجع نفسه، ص. 160.

2 - عبد الرحمان بن محمد الجيلالي؛ تاريخ الجزائر العام. الجزء الأول. الطبعة الثانية؛ مكتبة الشركة الجزائرية الجزائر ومنشورات دار مكتبة الحياة بيروت 1965 م - 1374 هـ. (421 صفحة).

3 - أنظر فصل: "أهم المواطن الهلالية بالجزائر..."؛ المرجع نفسه. ص. 345.

2 _ بني ثور: يعرفهم مارتوس أوتري (Marius OUTREY) قاموس النواحي الجزائرية؛ أسماء المدن والقرى ... على أنهم يشكلون قبيلة متموقعة على بعد 12 كلم من مدينة دلس تتألف من 23 فرع عدد السكان = 3240 نسمة.

OUTREY; Dictionnaire de TOUES LES LOCALITES de L'ALGERIE. Ed Alger. (430: أنظر -
- .p).P.77

³ _ بني سليمان: هذا الاسم كثير الانتشار في مقاطعة الوسط. أمّا عن المقصودين في هذا المقام فهم يمثلون أحد الفروع التي ألحقها الإدارة الاستعمارية بسطيف

- أنظر: المصدر نفسه ص. 77 .
_ عبد الرحمان بن محمد الجيلالي؛ تاريخ الجزائر العام. الجزء الأول. المرجع نفسه. ص. 345.

4 ؟_ أبو زيد الهلالي؛ سيرة بني هلال. تقديم: روزلين ليلي قريش. الجزء الأول : 188 صفحة، منها: 6 صفحات للمقدمة.
سلسلة أنيس تحت إشراف محمد بلقابد.

٥٢ _ عبد الرحمان بن محمد الجيلالي؛ تاريخ الجزائر العام الجزء الثالث. طبعة جديدة منقحة و مزيدة. طبع ونشر ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ودار الثقافة بيروت، لبنان 1402 هـ - 1982 م (608 ص.).
_ أنظر: _ نزوح الأندلسيين إلى الجزائر. ص. 52 وما يليها.

الوافدين من الأناضول لنصرة المسلمين بالمغرب العربي⁽¹⁾.

لكن هل ستمكن تلك الموجات البشرية (الوافدة طواعة أو تلك المضطهدة) من الاحتفاظ بعد استقرارها بسهل يسرّ أين انتهى بها المطاف وأين وجدت الأمن والأمان وشروط الاسترزاق، هل ستمكن من الاحتفاظ بخصوصياتها العصبية دون أن تؤثر وتتأثر بخصوصيات قدماء الموطن أو من قدموا إليه من بقاع غير بقاعها؟ أم سيكون لطبيعة المكان إلى جانب المآسي ونوائب الدهر قوة التقريب بين الجميع وتمكينهم من الانصهار في وحدة جديدة منسجمة؟⁽²⁾

إنّ الانسجام والتعايش اللذان عرفهما أهل يسرّ سمحا بطغيان عصبية الموطن على حساب العصبية الأخرى دون أن يمحى طبعاً العصبية العرقية. ومن ثمة احتمال إمكانية أن تكون قبيلة يسرّ قد نشأت على أساس عصبية عرقية قائمة بذات قد تراجع بل تلاشى تماماً.

أمّا عن اعتماد عنصر اللغة من قبل الإدارة الاستعمارية كأحد مقومات العصبية العرقية (الجنياالوجية) على أساس أنّها إرث حضاري تتوارثه الأجيال، لم يعد اعتماده في تصنيف أهل يسرّ صالحاً، لأنّ لغة القرآن الكريم التي عرفت انتشاراً واسعاً بين سكان الحوض خاصة مع وصول بني هلال، بل زادهم التعايش اللغوي تلاحماً⁽³⁾ على غرار معظم أهالي

¹ انتقل الأتراك في بداية الأمر إلى الجزائر كان على أساس أنّهم محاربين مجاهدين لذا كان مشكلاً من الجيش الإنكشاري بالدرجة الأولى في العقود الأولى من وصولها إلى الجزائر في ذات القرن، كانت بقية الوافدين في شكل مجموعات عائلية.

² يقول ابن خلدون: "...اعلم أنّ اختلاف الأجيال في أحوالهم إنّما هو باختلاف يخلّتهم من المعاش فإن اجتمعوا إنّما هو للتعاون على تحصيله والابتداء بما هو ضروريّ منه... فمنهم من يستعمل الفلاح من الغراسة والزراعة ومنهم من ينتحل القيام على الحيوان من الغنم والبقر والمعر والنحل والدود لنتاجها..."
_ ابن خلدون : المقدمة ... المصدر نفسه. ص 120.

³ أنظر: (J.M) - VENTURE De PARADIS; Grammaire et Dictionnaire Abrégés de la langue Berbère Revue par (P. Amédée) JAUBERT et publié par la société de Géographie. Ed. imprimerie

مقاطعة الوسط مع بعض التفاوت في شيوع إحدى اللغتين الأمازيغية أو العربية من منطقة إلى أخرى، لكن دون أن يصل ذلك إلى حدّ إقصاء إحداهما الثانية. ويتضح من خلال ترتيب أهل يسّر ضمن مجموعة القبائل الأمازيغية أي فرع "الكبايل" أنّ أولئك الذين أنجزوا ذلك التصنيف لم يلتزموا لا بمنهجية علم الأنساب الخلدونية، ولا بمنهجية المدرسة الغربية التي ظهرت مع مطلع القرن التاسع عشر ميلادي. إنّ الاختلاط والتمازج بين المقيمين بحوض يسّر وتقارب أنماط معيشتهم، ولد لديهم منفعة مشتركة لا تسمح بتمايز نسب دون بقية أنساب المستزرقين من ذات المصدر ومن ثمّ شاع انتساب الجميع إلى الوطن الواحد أي إلى سهل يسّر. أمّا إدراج روزي (ROZET) وكاريت أهل يسّر ضمن قبائل الرعية فإنّه يعود حسب تقديراتهما إلى استجابة هؤلاء للإدارة المركزية وقبولهم بمهمة السخرة لصالح البايك والقيام في بعض الأحيان بخدمات سواء في المجال الأمني أو الفلاحي مقابل الاستقرار بأملاك الدولة المترامية الأطراف بسهل يسّر والاسترزاق منه ⁽¹⁾. جاء هذا التصنيف ليرجح كفة كون أهل يسّر من قبائل الموطن ⁽²⁾ أكثر مما هم قبائل عرقية. وللتأكد من صحة أو بطلان هذا الاستنتاج يمكن الاستعانة ببعض الوحدات الاجتماعية التي تشترك في سهل يسّر. ففرع نزيوة ⁽³⁾ مثالا فانطلاقا من

Royale, Paris MDCCCXLIV (236 p)

¹ - أنظر: - RINN; *Le Royaume d'Alger...* Op. Cit. p. 124 (L)

" الرعية هم عناصر موالية مسخرة إلى أقصى حدّ يشغلون حوالي 4.425.000 هكتار من أملاك البايك إنهم مُستغلون..."

² - أنظر: ROZET, (E) CARETTE; *L'Algérie*. (P) -

Paris 1862 in 8 (228 p.)

³ - نزيوة: أفراد هذا الفرع المستقر على القسم الجنوبي من سهل يسّر متكون من أصول مختلفة ويحملون اسم نزيوة لنزولهم بالمنطقة. صُنّفوا ضمن قبائل المكلمية.

- أنظر: - B.O.G.G.A. année 1870 p. 216 op. cit

التسمية ذاتها يمكن الجزم أنه من الفروع التي استقرت بالسهل، إذ لا يمكن أن تحمل تسمية نزليوة - نزل - هنا إلا معنى حط الرجال ومن ثم الاستقرار. وعليه إطلاق مثل هذا الاسم على إحدى المجموعات التي يعود وصلها (نزلها) إلى سهل يسر إلى حدود القرن الحادي عشر ميلادي (1). أما عن نزوح هؤلاء النزلاء من شمال السهل نحو الجنوب الشرقي منه فإنه يعكس قوة توافد المهاجرين الأندلسيين في القرن السادس عشر ميلادي، مما أعطى دفعة قوية لحركة أهالي المنطقة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن العديد من أسماء فروع يسر تحمل معنى الاستقرار، وإن لم تتقاسم مع اسم نزليوة نفس اللفظ، فإنها تشترك معه من حيث المعنى، كما هو الشأن بالنسبة لكل من الدوائر، الزمالة، المخزن، والرعية التي تلتقي عند معنى واحد وهو الإنزال والاستقرار. وبالتالي إن يحول هذا الزخم البشري إلى قبيلة خارج طابع الموطن يبدو صعب التصور.

أما كون أهل يسر يشكلون قبيلة بالمفهوم الضيق فمن الأرجح أنه يعود إلى العقدة الأولى من الغزو حيث استعملت عبارة " قبيلة يسر " من قبل القوات العسكرية للدلالة على قسم من أهل السهل، والذي لم تتمكن منه بعد كلية وذلك، دون تميز بين وحداته الثانوية. رغم عزل كاريث ووارنيي قبيلة يسر في إخباريتهما في القسم الغربي من أوطانها وبالتالي خصها بهذا الاسم البعض من قاطني السهل

1 - 1 - أنظر : Op. Cit. P.443 et suivantes - (R) PELLISSIER (de) ; Les Annales

Algériennes

2 - 2 - "...السبايحية أو السبايسية... هم عبارة عن مليشية يطلق عليها أيضا مصطلح زمالة. أما عناصرها المعروفون بالمغامرة يطلق عليهم باسم الزمول. تُسلمهم الحكومة مساحات أرضية لاستغلالها مقابل خدمات عسكرية يقومون بها عند الضرورة ..."

Les spahis ...une sorte de milice, que l'on appelait Zemala d'ou on appelait Zemoul les individus qui... "faisaient partie. C'étaient des aventuriers à qui le gouvernement avait concédé des terres, à la charge du "service militaire"

- ملاحظة: في الواقع الزمول ما هي إلا جمع الزمالة.

فقط، ورغم جزم بيليسي (PELLISSIER) على أن مصطلح "الوطن" لا يغدو عن كونه مُجرّد وحدة إدارية⁽¹⁾، وأنه بات من الواضح أنّ قبيلة يسّر ما قبل الغزو (أهل يسّر قاطبة أو قسم منهم فقط) تحمل ملامح قبيلة "الموطن" وفق النظرية الخلدونية. ولم يُفقد التحديد المسطر من قبل الإدارة الاستعمارية عام 1843⁽²⁾ أسماء أنساب كل من اغتُرفَ لهم بالانتماء إلى قبيلة الوطن بل كانت تعود من جديد إلى الواجهة كلما اشتدّت قبضة⁽³⁾ المحتل على قبيلة يسّر مبتورة من سكان قسمي الشمال الشرقي والجنوب الغربي من السهل، ليشكل انطلاقاً منها مستقبلاً وحدات إدارية جديدة في شكل دواوير مصطنعة يطلق عليها أسماء الأنساب وكأنّها لا تمت بصلة لقبيلة يسّر الموطنية.

ب - بني مناصر قبيلة موطن أم نسب؟

بعد أن تمّ الفصل في طبيعة وحدة أهل يسّر حيث سيتمّ التعامل معها على أساس قبيلة موطن في إطار الحدود الإدارية الضيقة، علينا الآن أن ننظر في طبيعة بني مناصر، إذ رغم ما تحمله إشارة الانتساب "بني" (Beni)⁽⁴⁾ من وضوح المعنى وبالتالي الإقرار بكون بني مناصر يمثلون وحدة

1 ؟ "...التقسيم الإداري للولاية في إقليم الجزائر إلى أوطان لم يكن، إطلاقاً، على أساس عرقي. إنّ العملية كانت تتم على أساس إداري محض. بيد أنّ الأتراك كانوا يسعون إلى الجمع بين العرب والكبايل في نفس الدائرة..."

Dans la province d'Alger, la division par outans n'était point basée sur la diversité des races: elle était purement administrative. Il semble que les Turcs avaient pris tâche de réunir des arabes et des kbailes dans la même circonscription

- PELLISSIER: les Annales ...Ibid. . "T 1 , P.90 -

2 ؟ _ أنظر: - CARETTE et WARNIER; Notice ... op. cit

3 - يقطع أوطان يسّر الواقعة شمال أوطان حمزة وشرق أوطان خشنة المتميزة بخصوبتها، وادي يسّر الذي ينحدر من هضبة حمزة وهو مجرى ذا أهمية معتبرة. يفصله عن وادي سيباو وادي النساء وبوبراك.

PELLISSIER; Op. cit; T.1 .p.

_ أنظر:

4 ؟ - أنظر: - TABET; Ethnologie Arabe. Notes sur l'organisation des Tribus et (Elie) -

d'Ethnologie des noms Propres. Ed. imprimerie de l'association, Oran 1892. P. 2

جمعت بين أفرادها رابطة الدّم. هذا إلاّ أنّ هناك جملة من التساؤلات يستوجب الوقوف عندها لقطع دابر الشك أو على الأقل تذليله. فمن ضمن تلك التساؤلات نذكر: ماهية العوامل التي ساعدت على صمود العصبية العرقية لدى بني مناصر هذا إن كان هناك صمود حقاً؟ وما طبيعية الظروف التي تطور فيها هؤلاء؟ وما البعد التاريخي الذي يمكن الرجوع إليه بالاسم الأبوي؟ (1) ومن أية نظرية من النظريتين الخلدونيتين نشأة قبيلة بني مناصر هي الأقرب، أم من نظرية العصبية الدينية؟ (2). وما دور الموطن في تلاحم فروع بني مناصر؟ هذا إلى غيرها من التساؤلات.

1 - 1 - أنظر: المرجع نفسه، ص. 16.

2 - 2 - أنظر: PHARAON; Voyage de sa Majesté NAPOLEON III en Algérie. (Florian) - Illustré par Darjou, Ed. Plon Paris 1865. (96 p.). P.23

2 - 2 - نظرية النسب عند ابن خلدون:

"...إِنَّهُ مِنَ الْبَيْنِ أَنَّ بَعْضًا مِنْ أَهْلِ الْأَنْسَابِ يَسْقُطُ إِلَى أَهْلِ نَسَبٍ آخَرٍ بِقَرَابَةِ إِلَيْهِمْ أَوْ حَلْفٍ أَوْ وِلَاءٍ أَوْ لِفِرَارٍ مِنْ قَوْمِهِ بَجَنَابَةٍ أَصَابَهَا فَيُدْعَى بِنَسَبِ هَؤُلَاءِ وَيُعَدُّ مِنْهُمْ فِي ثَمَرَاتِهِ مِنَ التَّعَرُّوِّ وَالْقَوْدِ وَحُمْلِ الدِّيَّاتِ وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ وَإِذَا وَجَدَتْ ثَمَرَاتُ النِّسَبِ فَكَأَنَّهُ وَجَدَ لِأَنَّهُ لَا مَعْنَى لِكُونِهِ مِنْ هَؤُلَاءِ مِنْ هَؤُلَاءِ إِلَّا جَرِيَانُ أَحْكَامِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ عَلَيْهِ وَكَأَنَّهُ التَّجَمُّ بِهُمْ ثُمَّ إِنَّهُ قَدْ يَتَنَاسَى النِّسَبَ الْأَوَّلَ بِطَوِيلِ الزَّمَنِ وَيَذْهَبُ أَهْلُ الْعِلَنِ بِهِ فَيُخْفِي عَلَى الْأَكْثَرِ وَمَا زَالَتْ الْأَنْسَابُ تَسْقُطُ مِنْ شَعْبٍ إِلَى شَعْبٍ وَيَلْتَحِمُ قَوْمٌ بِآخَرِينَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ وَالْعَرَبِ وَالْعَجَمِ..."

- ابن خلدون؛ المصدر نفسه. الفصل الثاني: في العمران البدوي

الوحشية والقبائل وما يعرض في ذلك من الأحوال وفيه فصول وتمهيدات. الفصل العاشر: في اختلاط الأنساب كيف يقع. ص. 130.

3 - نظرية الدين عند ابن خلدون:

"...كَانَ فَقَدْ بِالْمَغْرِبِ مِنَ الْقَبَائِلِ كَثِيرٌ مِمَّنْ يُقَاوِمُهُمْ فِي الْعَدْرِ وَالْعَصَبِيَّةِ أَوْ يَشْفُ عَلَيْهِمْ إِلَّا أَنَّ الْجَمَاعَةَ الدِّينِيَّةَ ضَاعَفَتْ قُوَّةَ عَصَبِيَّتِهِمْ بِالْإِسْتِصَارِ وَالْإِسْتِمَاتَةِ كَمَا قُلْنَا فَلَمْ يَقِفْ لَهُمْ شَيْءٌ وَاعْتَبِرَ ذَلِكَ إِذَا خَالَتْ صِبْغَةُ الدِّينِ وَفَسَدَتْ كَيْفَ يَنْتَقِضُ الْأَمْرُ وَيَصِيرُ الْغَلْبُ عَلَى نِسْبَةِ الْعَصَبِيَّةِ وَخُذَهَا دُونَ زِيَادَةِ الدِّينِ فَيَتَغَلَّبُ الدَّوْلَةُ مَنْ كَانَ تَحْتَ يَدِهَا مِنَ الْعَصَائِبِ الْمُكَافِئَةِ لَهَا أَوْ الزَّائِدَةِ الْقُوَّةِ عَلَيْهَا الَّذِينَ غَلَبَتْهُمْ بِمُضَاعَفَةِ الدِّلِقُوتِ وَلَوْ كَانُوا أَكْثَرَ عَصَبِيَّةٍ مِنْهَا وَأَشَدَّ بَدَاوَةً وَاعْتَبِرْ هَذَا فِي الْمُؤَحِّدِينَ مَعَ زِنَاتِهِ لَمَّا كَانَتْ زِنَاتُهُ أُبْدَى مِنَ الْمَصَادِمَةِ وَأَشَدَّ تَوْحِشًا فَكَانَ لِلْمَصَادِمَةِ الدَّعْوَةُ الدِّينِيَّةُ بِاتِّبَاعِ الْمُهْدِيِّ فَلْيَسُوا صِبْغَتَهَا وَتَضَاعَفَتْ قُوَّةُ عَصَبِيَّتِهِمْ بِهَا فَغَلَبُوا عَلَى زِنَاتِهِ أَوَّلًا وَاسْتَتَبَعُوهُمْ وَإِنْ كَانُوا مِنْ حَيْثُ الْعَصَبِيَّةِ وَالْبَدَاوَةُ أَشَدَّ مِنْهُمْ فَلَمَّا خَلَوْا مِنْ تِلْكَ الصِّبْغَةِ الدِّينِيَّةِ انْتَقَضَتْ عَلَيْهِمْ زِنَاتُهُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَغَلَبُوهُمْ عَلَى الْأَمْرِ وَانْتَرَعُوهُ مِنْهُمْ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ..."

- ابن خلدون؛ المقدمة المصدر نفسه : ص. 158

- الفصل الثالث من الكتاب الأول: في الدولة العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية وما يعرض في ذلك كله من الأحوال وفيه قواعد ومتممات.

يُعرف تاريخياً أنَّ قبيلة زناتة كانت قبل الفتح الإسلامي متمركزة بالقسم الغربي لمقاطعة الوسط. وتُجمَعُ معظم الآراء على أنَّ بني مناصر الذين كانوا متواجدين بذات الأوطان، والقوات الغازية تتوغل نحو الداخل بعد عناء، هم حسب بوديكور فرع من الفروع المتأخرة لقبيلة زناتة ⁽¹⁾ المنتشرة عبر الأوطان الممتدة من جبل الشنوة إلى غاية سهل الشلف مروراً بجبال زكار ⁽²⁾ . كما يؤكد باسيي (BASSE T) عن الصلة العرقية القائمة بين بني مناصر وقبيلة زناتة مستنداً على تطابق المخارج الصوتية لدى كل من الزناتيين وبني مناصر في نطق بعض الكلمات، ومستنداً أيضاً ببصمات زناتية مشتركة بين القبائل المعاصرة لبني مناصر والتي تُعَدُّ شاهداً على استقرار تلك القبيلة العريقة بالمنطقة ⁽³⁾

ويضيف فانتور دي باردِي (VENTURE DE PARADIS) إلى ما سبق عرضه انتساب بني مناصر لأصول عربية دون أن يُنكر عليهم انتمائهم للأصول أمازيغية، حيث يرى أنهم تمكنوا من الجمع بين الأصلين إذ أوجدت اللغة العربية لنفسها موقعا لها إلى جانب اللسان الأمازيغي، وهذا راجع إلى استقرار حاملي الرسالة

الفصل الخامس: في أنَّ الدعوة الدينية تزيد الدولة في أصلها قوة على قوة العصبية التي كانت لها من عددها.

1 - أنظر: BAUDICOUR; *De la guerre et du gouvernement de l'Algérie* . Ed. Paris, 1853. (L) _ P. 194

2 - أنظر: SERVIER. *Les Berbères*. Ed. DAHLAB. Série Que - sais - Je? Alger, (s.d.) Pp. 20 - (J) _ 21

2 - أنظر: BASSET; *Etude sur la Zenatia de l'Ouarsenis et le Maghreb Central*. (R) _ Paris 1895

كان مواطن قبيلة زناتة الأمازيغية بالنسبة لمقاطعة الوسط قبل وصول الهلاليين تمتد من الطريق الرابط بين أشير بالجنوب الشرقي إلى غاية مدينة تنس بالشمال الغربي ومن هذه الأخيرة إلى غاية شرشال مروراً ببرشك.

2 - أنظر: بوديكور، المرجع نفسه.
3 - عبد الرحمان بن محمد الجيلالي: *تاريخ الجزائر العام*. الجزء الأول. المرجع نفسه.

فصل: الدولة الزيرية الصنهاجية. ص 320 - 356.

فصل: الدولة لحمادية. ص 363 - 396.

3 - أنظر: BASSET; *Etude sur la Zenatia...* Op. Cit (R).

المحمدية بين أهل المنطقة في وقت مبكر. ولعلّ انتشار مصطلح "بني..." بين السكان يشهد على ذوبان أصولهم المختلفة وانصهارها في عصبية وحدة⁽¹⁾.

ويعود استنتاج فانتور دي باردّي الذي لخصه في الجملة التالية: "...على الرغم من انتشار اللغة الأمازيغية في المواطن الجبلية الممتدة غرب سهل متيجة فإنّ اللغة العربية حاضرة بقوة..." إلى تحليل تركيبة الأسماء المعرّف بها أهل المنطقة. نذكر على سبيل المثال: بني مناصر بني فراح بني حواء وبني مناد إلى جانب الشنوة والأرهاط.

والملفت للانتباه هنا هو أنّه عند تطرقه لجيوب الأمازيغية المنتشرة بأوطان قبيلة زناته المذكورة أعلاه لم يتعرض فانتور دي باردّي لا لعشيرة ولا لقبيلة باسم زاتيمة⁽²⁾. مما يثير التساؤل حول حقيقة هذه الوحدة الاجتماعية التي كثر عليها الحديث من قبل الإداريين وضباط الجيش الاستعماريين. ورغم الإجماع الحاصل حول نسب بني مناصر إلّا أنّ صعوبة الدّقة لهي بمكان. ويعود ذلك إلى جملة من الأسباب نذكر منها:

- 1 - سرعة تعاقب الأحداث وتدفق الموجات البشرية على المغرب الأوسط كما سبقت إليه الإشارة.
- 2 - ارتباط مصير القبائل بمصير قياداتها ومن ثم تأثرها بما ستسفر عنه صراعات هؤلاء القادة مع

¹ - إنّ اللّغة المنطوقة قديماً بذات المناطق ... ما هي إلّا لهجة تشبه إلى حدّ ما البربرية (Le Berbère) الممزوج بالعربية ... " (1) وبنه جونا (JOMARD) في تقديمه لكتاب فانتور دي باردّي "... إنّ الحضارة تتقدّم دوماً من الشرق نحو الغرب ... " (2). و "... إنّ أرضية اللغة البربرية، في الواقع ما هي إلّا طُمُطُمانيّة (Jargon) لشعب بدائي، ليس لها مصطلحات قادرة على نقل الأفكار المجردة فكان عليها أن تلجأ إلى اللغة العربية ... " (3)

¹ ؟ - أنظر: VENTURE De PARADIS; Grammaire... op. Cit.

² ؟ - أنظر: Ibid; Avertissement p. V.

³ ؟ - أنظر: Ibid.; p.XVIII.

² - أنظر: DOR; Cherchell et la commune de Gouraya. Ed. Blida 1895. (158 (F).

- p.). P. 138

الحكام المتعاقبين على المنطقة مستهدفين مدينة مليانة لموقعها المتميز إذ بالإضافة إلى ربطها بين مدينتي شرشال الساحلية والمدينة عاصمة التل الأوسط، فإنها تعدّ من أهم منافذ مقاطعة الوسط على الصحراء، ناهيك عن كونها توسطها الطريق السلطاني حارسة عليه بحكم ارتفاعها.

3_ تعدّد مراكز الاستقطاب الفكري والسياسي بالمنطقة، كما هو الحال بالنسبة لمدينة المدية، لكونها عاصمة بايليك التيطري والتي لطالما حطت حولها القبائل الرحال. كما كانت المدية في معظم الأحيان مقرا لقيادات بني مناصر. فمن الطبيعي إذن أن ينجرّ عن هذا النوع من الضغط الذي كانت تعيشه المدينة وضواحيها حركية اجتماعية ذات تفاعل قوي. كما يسجل إلى جانب التمازج الطبيعي الذي يحدث في عين المكان، رحلة البحث عن مجالات حيوية تكون أوسع⁽¹⁾.

4_ مسألة خضوع تارة وإخضاع تارة أخرى قبيلة ما لإمارتين أو قيايتين أو حتى ثلاث في وقت واحد خاصة في حالة حرب أو نزاع مما يساهم في تعقيد النسيج الاجتماعي ويزيد من صعوبة الوقوف على أثر الرابطة الدموية ومن ورائها صعوبة ضبط الأنساب، وبالتالي من الأرجح أن يكون نمو وتطور بني مناصر قد تأثر وسار وفق تطور الأحداث التي مرت بها المقاطعة عبر حقب تاريخية.

إنّ الاكتفاء بإشارة الانتساب " بني... " أو غيرها من الإشارات سيؤدي في هذه الحالة إلى المغالطة إذ سيحدث بترًا في القبيلة. ويعد إجحافًا في حق بقية الفرق التي انبثقت عنها. لذا فإنّه من الضروري إخضاع بعض الأسماء البارزة التي لأصحابها علاقة وطيّدة ببني مناصر إلى فحص ابيستيمولوجي لتحديد

¹ _ مبارك الميلي؛ تاريخ الجزائر في القديم والحديث. الجزء الثاني، ص. 133.
- يشير الميلي في كتابه أنّه غالبًا ما كان حكام مدينة أشير وهو رمز استقطاب حكام المغرب الأوسط يتدخلون في تغير الموطن للسكان.
ص. 133

طبيعة الفروع المنبثقة عن الوحدة الاجتماعية الرئيسية أو تلك المنظمة إليها، والوقوف عند مسببات التفرع حتى وإن لم يصل ذلك إلى حد القطيعة أو الانفصال التام حتى يتسنى لنا ضبط حدود القبيلة الأم وفق التغيرات التي طرأت عليها في أوقات عزّها وعظمتها أو انتكاسها. في الواقع لم نكدّ نصل إلى الجزم بأنّ بني مناصر هم من قبائل النسب حتى ظهرت ضرورة طرح الإشكالية من زاوية مغايرة تماماً كالبحث مثلاً في انتمائهم إلى عصبية الروحية، حيث احتمال رجوع نشأة وحدة بني مناصر إلى الشعور بالانتماء إلى طُرُقٍ من الطرائق الدينية المنتشرة عبر أوطان دار السلطان وبايليك التيطري على وجه الخصوص؟ أم أنّهم يمثلون نموذجاً صادقاً على ازدواجية العصبية (العصبية الدينية، والعصبية العرقية)؟

لقد فرض هذا الطرح نفسه علينا لصعوبة بل لاستحالة تصور الفصل بين أسمي بني مناصر والبراكنية فهما سنويان لتشكيلة اجتماعية واحدة، طُرُقِيَّةٌ وإدارية. ومن ثم فإنّ وحدة بني مناصر، كما سيظهر لاحقاً، تعكس ذلك التوجه الطبيعي الذي نظر له بن خلدون والمتمثل في التحول من التعصب النسبي إلى التعصب الروحي دون أن يظلل الثاني الأول

ج- لسان حال القوم

لم يمنع تعدد مفاهيم مصطلح "اللغة" من اتفاق المفكرين على أنّها وسيلة التخاطب والتقارب بين أفراد المجتمع، وبالإضافة إلى كونها تتداول بين أفراد العائلة الواحدة وبين سكان القرية وسكان المدينة فهي لغة عاطفة مأخوذة عن الأمّ والجدة. إنّها وسيلة تعبيرٍ على الأفراح، وبها تُحيى الحفلات الدّينية

(¹). فهي بلا منازع مفتاح الثقافات بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، إذ بواسطة اللغة يتسنى للمرء الإطلاع على موروث المجتمعات، وفهم الأجيال ما يُنقل لها من عادات وتقاليد وأنماط معيشية، وبها تستنير العقل وتتجدد الأفكار (²). إذن وانطلاقاً من الدور الحيوي الذي تلعبه اللغة في تقوية أو اصر القرباة والجماعة، سنحاول رسم البعد الجغرافي للغة المتداولة بين أفراد عصبية من العصبية لتحديد المجال الترابي لهاته أو تلك الوحدة الاجتماعية. لقيت مسألة اللغة منذ بداية الغزو اهتماماً منقطع النظير، ليس لإثرائها والنهوض بها وإنما لتجعل منها أداة طيعة يحكم بها الأهالي، لقد عمدت الإدارة الاستعمارية سياسة إبراز اللهجات المتداولة بين المحليين متخذة أيها كحجة تبرهن من خلالها على ضعف انسجام تركيبة المجتمع الجزائري استعداداً لاتخاذها ذريعة لتغطية سياسة التجزئة التي ستنتهجها.

ظهر من خلال تقارير الضباط العسكريين وقادة المكاتب العربية بمقاطعة الوسط (³) شيوع وانتشار

1 - ؟ _ انظر : BREMOND, (V) MERLE, (M) SALORT; *Sciences Economique et (J)* - Sociales. Classe de Première . Ed. Hâtier , 1988 . P.P 54 / 73. "Dossier n° 3 " EUX et NOUS , Identité , Sociale et Culture

2 - المرجع نفسه. ص 64.

DECOST; " *La* (Kantalou, Bertchu, Toberak) - *Renaissance Basque*. " Autrement N° 16 . Novembre 1978

2 - الكتاب المدرسي؛ المرجع نفسه ص. 66.

"...تظهر الثقافة في أعين المتمعن على أنها مجموعة من ظواهر جُ متنوعة من حيث: الاستغلالات، التقاليد، طرق العيش، أنماط العلاقات، القيم، العادات الاجتماعية، الطقوس الدينية، التصرفات، طرق التفكير في المعارف، التبادلات..."

"Une culture se présente aux yeux de l'observateur comme un ensemble de phénomènes extrêmement variés: usages, coutumes, modes de vies, types de relations, habitudes sociales, rites, comportements...différences, modes de pensées, connaissances, échanges"

BREMOND...; *Sciences économiques*. Op. cit. p. (J)

66

3 - تعود نشأة المكاتب العربية إلى عام 1832 على يد الجنرال أفيزار Avizart ومن أهم إداراتها النقيب لاموريسيير (Le capitaine Lamoricière). حُلّت من قبل الكونت دروي دارلان (Comte DROUET D'ERLON) في عام 1834 أعاد الجنرال بيجو تأسيس إدارة الشؤون العربية بموجب مرسوم 17 أوت 1841 ومرسوم خاص في 12

لغتين الأمازيغية والعربية، وعليه انطلق هؤلاء في التميز بين خلايا المجتمع من لسان حال كل مجموعة. فهل سيوفقون في توظيف اللغة أمازيغية كانت أو عربية من الفصل بين الوحدات الاجتماعية وإبطال مفعول الدين في التلاحم القائم بين أفراد المجتمع الواحد.

لقد كتب في هذا المجال أحد الاستعماريين قائلاً: "... يستمدّ العرب تطرفهم بكل ما أوتوا من قوة من الدين الإسلامي، وهي عادة سيئة... " (1). مستشهداً طبعاً بجهد الأهالي المتواصل ضدّ الاحتلال. في حين يرجع إخفاق الإدارة الاستعمارية في السيطرة عليهم إلى طبيعة التفكير لديهم حيث واصل قائلاً: "... فإخفاقنا في جرّهم بعد ثلاثين سنة من الغزو إلى الحضارة الغربية يرسخ لدينا القناعة بأنهم لن يغيروا من طريقة تفكيرهم ما بقيت قوة تمسكهم بالدين الإسلامي... " (2) والدين هو مصدر اللغة. أليس الدين مصدر اللغة؟

وعليه توصّل المحتلّ إلى قناعة أنّه لن يتحقق له إخضاع الأهالي والتحكم فيهم إلّا بضربهم في الصميم. وهذا ما يقتضي بالضرورة تبديد ذلك الإسمنت الذي يشدّ أواصر لحمة المجتمع. فصار هذا الأخير مستهدفاً إذن في عقيدته، فكره وروحه، وبعبارة أخرى في لغته لأنّه لن يتأتّى لإدارة الاحتلال السيطرة على الأمّة إلّا عن طريق التحكم في مفتاح ثقافتها (3) أي من خلال لغة القوم.

فيفري 1844 يقضي بإعادة فتح المكاتب العربية و تنظيم هيكلتها.

1 - أنظر: - Anonyme, *Etude sur les Mœurs Arabes et sur les Moyens d'amener ceux de l'Algérie à la civilisation*. Ed. Marseille, (s. d.). (48 p.). Pp. 18 - 22

2 - مؤلف مجهول؛ المرجع نفسه.

3 - (جانين) بريموند؛ الكتاب المدرسي، المرجع نفسه ص. 66

الفكرة لروشير (ROCHER) مقتبسة من كتابه: " مدخل إلى علم السوسولوجيا " الجزء الأول "...تستعمل عبارة: "ثقافة ثانوية للدلالة على كيان جزئي داخل مجتمع شامل (مثل الثقافة الشبابية) أو، عند ما يراد فحص وضعية الروابط التي تجمع بين ثقافة وأخرى أكثر انتشاراً والتي تندرج ضمنها..."

On emploie l'expression " sous culture " pour désigner une entité partielle au sein d'une société globale (la sous culture des jeunes) ou lorsqu'on veut faire des liens entre une culture et une autre plus étendue

أثبتت الدراسات السوسولوجية الحضارية الحديثة أن هناك تنوع ثقافي لدى المجتمع الواحد ترتب عن تفاعل ميكانزمات أطر نماء الجماعة. إذ ساهم الاختلاف البيئي إلى حد كبير في التمايز بين خلايا المجتمع الواحد دون إبعادها عن بعضها البعض أو إقصاء إحداها أو البعض منها من اللون الثقافي العام الذي يطبع المجتمع.

لم يعد الاهتمام باللغة واللهجات الشرقية مقتصرًا على المستشرقين فحسب (1) وإنما تعد ذلك ليشمل كل من كان يطمح إلى الترقية في وظيفته ومن ثم بلوغ مراتب قيادية ومناصب سامية في القطاعين العسكري والمدني، حيث صارت اللغة العربية (وبقية اللهجات المحلية) بموجب مرسوم 4 أفريل 1851 شرطًا أساسيًا في الترقية (2) لأن التحكم في اللغة المحلية يعني المساهمة في إنجاح الحركة الاستعمارية الاستيطانية بالجزائر (3) خاصة وأن حكومة الاحتلال قررت توظيف اللهجات المحلية في تفكيرك.

سنحاول في هذا المقام الاعتماد على أبعاد الإشعاع اللغوي في ضبط حدود المجال الجغرافي للقبيلة. هذا ليس لأننا نرى فيه ذلك طريقة سليمة أو

p.66 «... dans laquelle elle s'inscrit ...»

1 - 1 ؟ يعود الاهتمام باللغات واللهجات الشرقية في حدود الخلافة العثمانية من طرف الأوروبيين إلى بداية عهد الامتيازات الأوروبية التي كانت وراء حركة الاستشراق. وتواصل ذلك الاهتمام إلى أن تم تجسيده في تأسيس " شركة الجغرافية عام 1824 م من طرف فرنسا، وفتح معهد اللسانيات بمصر بمساعدة فرنسية. فالأبحاث الانثروغرافية لم تكن إذن مجرد نقل للمعلومات أو وصف إخباري للمجموعات البشرية، وإنما هي دراسات تحليلية دقيقة أملت بها الرغبة الجامحة في السيطرة على هذه الشعوب.

2 - 2 ؟ من أهم المستشرقين الذين زاروا الجزائر قبل الغزو نذكر منهم: فولني VOLNEY ، و شوو SHOW، وفانتور دي بارد (VENTURE de PARADIS)

2 ؟ أنظر: (Charles, Louis, Pinson) - Dictionnaire de la législation algérienne. Code, annoté et manuel raisonné. Des lois, ordonnance, décrets décisions et arrêtes publiés au BOAG 1830-1860. Ed. Alger, Paris 1860. P. 755

" - les fonctionnaires 1° article 2 Février 1850 4 Décembre 1849. Dépêche du

3 - أنظر: (G) - 65 p (s. d.) 6° année, Rev. Simoun, Oran La vie intellectuelle en Algérie. ESQUER; P. 15 et suivantes

ناجعة، وإنّما لأننا نسعى إلى تتبع النتائج المتحصل عليها من خلال تطبيق منطق الإدارة الاستعمارية الغريب، وهي التي أدخلت بانتهاج هذا الأسلوب العديد من التشوهات على القبائل الطبيعية (الأصلية) أثناء إخضاعها إلى تنظيم إداري دخیل عليها.

تشكل الجبال معقل الأقوام المضطهدة التي تتعرض إلى الاعتداءات الخارجية، وقدّ يطول بها المقام هناك رغم صعوبة العيش، تلکم هي القناعة التي انطلق منها الإداريون في محاولة منهم توظيف اللسانين الأمازيغي والعربي، مؤكدين على انفراد الأمازيغ بالانعزال بالمرتفعات والاستقرار بها، مما ساعد على الحفاظ على نقاوة لغتهم⁽¹⁾. هذا في حين كانت السهول مفتوحة على مصراعيها أمام العرب لتصبح موطن لسانهم. فكان العرب في نظر أصحاب تلك المؤلفات غزاة.

ورغم زعمهم بأنّ معطياتهم تلك مستوحاة من واقع المجتمع الجزائري⁽²⁾ إلا أنهم عجزوا على مواصلة السير بمنطقهم ذاك وراء التحقيق في حدود مواطن القبائل أو الجزم بصحّة ما توصلوا إليه، إذ غالباً ما اصطدموا بتعقيد جوهر مصطلحات هي وليدة البيئة المحلية التي وقع اختيارهم على عينة منها وإصرارهم على تداولها لضرب تركيبة النسيج الاجتماعي، كالبربر، الأمازيغ، الجبالية وغيرها من المصطلحات التي لن يتحكم في أبعادها اللغوية أو الاقتصادية أو الاجتماعية إلا أهلها. فبعد أفراغها من لبّها صارت تارة مرادفة لبعضها البعض ومتناقضة تارة الأخرى.

إنّ الطرح المغرض للغة كأداة تصنيف يفرض علينا الاهتمام بالموضوع أكثر، ليس من باب التحقيق في صحة أو بطلان قاعدة بناء حدود القبائل وفق انتشار

¹ انظر: BASSET; *Etude sur la Zenatia*. Op. cit (R) -

² انظر: BOYER; *L'évolution de l'Algérie Médiane (Ancien Département (Paul) - d'Alger) de 1830 à 1956. Librairie d'Amérique et d'Orient Adrien Maisonneuve, Paris 1960 (426 p.), p.281*

لسان حال كل وحدة اجتماعية، وإنما للوقوف على مخلفات ذلك الطرح، وبإدئ ذي بدأ إذا سلمنا بمصادقية تلك النظرية دون الرجوع إلى واقع المجتمع سيكون لا محالة أهل يسّر عربا لاستقرارهم بالسهل وبني مناصر أمازيغا بحكم أنّ إدارة الاحتلال مصرة على حصر مواطنهم في جبال زكار⁽¹⁾.

1- لسان حال أهل يسّر

تجاهل ضباط الإدارة الاستعمارية لدور الدين في تكسير الحواجز بين القبائل، لن يغير من الواقع في شيء حيث يبقى انتشار اللغة العربية بيسر مرتبطا بوصول المسلمين الأوائل إلى المنطقة، لتزداد ترسيخا ابتداء من القرن الحادي عشر ميلادي مع استقرار بعض الفروع الهلالية⁽²⁾ كما يشهد على ذلك فرعي بني ثور، وبني سليم. وما اعتماد الإدارة المركزية في تعاملها مع أهل يسّر باللغة العربية من خلال المخازنية إلا دليلا آخر على مكانة اللغة العربية بين سكان السهل. وما تصنيفهم جملة وتفصيلا من قبل كاريت ووارني ضمن قبائل المخزن، وضمّهم إلى قبائل الرعية من طرف رين إلا تأكيدا على عروبة لسان أهل يسّر.

أمّا عن ترتيبهم ضمن القبائل الأمازيغية (تحت الاسم الإداري الاستعماري "الكبايل" "kabyle"⁽³⁾). كما يظهر من خلال تقارير الجان الإدارية المكلفة بتنفيذ قانون السيناتوس كنسلت الصادر في 22 أفريل

1 - أنظر: - (F) DOR; CHERCHELL...op. cit

2 - " كل ما في هذا الوطن (الجزائر) من عرب هذه الحملة (هجرة بني هلال) يرجع نسبهم إلى أصول أربعة، بني هلال، بني سليم، زغبة، رياح... انتقلوا... عام 1051 م ... من بلاد النيل إلى المغرب فسكنوه وتفرعت منهم فروع كثيرة وبطون عديدة انتشرت بأنحاء الشمال الأفريقي وامتزجت بأهله امتزاج الماء بالماء حتى كدت لا تفرق اليوم بين العربي والهجين." - عبد الرحمان الجيلالي؛ تاريخ الجزائر العام، الجزء الأول. منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت الطبعة الثانية عام 1965. ص. 345

3 - أنظر: - VENTURE de PARADIS; Grammaire et Dictionnaire ... Op. cit

1863 (1)، فإنه يعكس طبيعة الفكر الاستعماري
المبني على سياسة فرق تسد.
يعدّ إذن، امتداد شعاع اللغة العربية إلى السفح
الشمالية لجبال جرجرة، حيث تتموقع قبيلة عبيد
المخازنية دون أن يحدث ذلك إقصاء للغة الأمازيغية،
يُعد برهاناً على ضعف إمكانية تحديد الأوطان على
أساس اللغة في تحديد الوطن ويُعدّ في نفس الوقت
شهادة على ازدواجية اللغة بين أهل يسر (2).
فإذا كانت أداة الاتصال والتخاطب في الناحية
الشرقية من دار السلطان على هذا الحال، فماذا عن
حالتها في الناحية الغربية منها؟

2 - لسان جال بني مناصر

لقد أُطلقَ على أهل جبال الظهرة الشرقية
الجبايلية (les Montagnards) (3) على غرار مصطلح
الكبايل الذي أطلق على سكان جرجرة وضواحيها.
وتجمع المصادر التي تمّ الاطلاع عليها على أنّ كلتا
المجموعتان تستمّدان لهجتيهما من اللغة البربرية
القديمة. فإذا كانت أمازيغية أهل يسر نابعة من لهجة
قبيلة تلكاتة، فإنّ أمازيغية سكان غرب وجنوب غربي
مقاطعة الوسط مستمّدة من لهجة قبيلة زناتية.
ويبقى الفصل بين مواطن انتشار اللهجتين صعب

1 - أنظر الفصل الخاص بالسيناتوس كنسلت والملكية العقارية. ص.

2 - ورد في التقرير الذي بعث به راندون وزير الحربية للإمبراطور بأنّ أهل يسر
الجديان هم من أصول عربية (1)، أمّا فرع بوبراك وهو أحد فروع أهل يسر فأنه
من أصول أمازيغية (2)

3 - 1 - أنظر: - Rapport concernant l'exécution du Sénatus (M. S. E.D.G.) à l'Empereur; Le 27 octobre 1866. B.O.G.G.A. année 1867. P. 773
- Consultation du 22 avril 1863. Délimitation et répartition du territoire de la tribu des Issers-El-Djedian

2 - المصدر نفسه. ص. 773

3 - 1 - أنظر: سجلات عقود العامة.

Les registres-

2 - -- الجبايلية (Les Montagnards) مصطلح استُعمل حتى في الوثائق الرسمية.
لقد جاء في سجل عقود العامة (actes publics) في عقد بيع بتاريخ 5 ماي 1867
"...جلول بن محمد موسى الجبلي والمناصري الأصل."

التحقيق لأنه سبق للهجة التلكاتة أن تجاوز انتشارها
سفوح الأطلس المتيجي.
فإذا كان الاعتصام بالمناطق الوعرة قد مكن
اللهجات الجبالية من الحفاظ على نقاوتها فإن
الدراسات التي قام بها كل من بوايي (BOYER)
وباسي (BASSET) تسجل تراجع الأمازيغية لدى سكان
جبال الظهر الشرقية. يقول بوايي في شأن هذا
التراجع بأنه لم يبق بجبال الظهرة الشرقية الأمازيغية
إلا بعض الجيوب⁽¹⁾، ويدعم باسي هذا الاستنتاج
بقوله أن اللهجة الزناتية في طريق الانطفاء⁽²⁾. وما
طغيان الكلمات العربية فيما تبقى من لهجات
أمازيغية إلا دليلا على تبني أهل المنطقة اللغة
العربية⁽³⁾. ويفسر فانتور دي باردى ذلك التراجع
المشار إليه بافتقار اللغة الأمازيغية لمصطلحات
قادرة على نقل الأفكار المجردة حيث لجأ أهلها على
حدّ تعبيره إلى استلاف بعض التعابير العربية⁽⁴⁾
أما عن تعريب لسان أهل أوطان الزناتة فإنه
حصل مع تواصل الاحتكاك عبر الأجيال بين سكان
جبال الظهرة وسكان السهول أين تنتشر حواضر
الإشعاع الفكري كمدن شرشال، تنس والمدينة التي
تضاعف نشاطها مع تدفق المهاجرين الأندلسيين
عليها. هذا إضافة إلى احتكاك أهل التل بأهل الجنوب
حيث الفروع الهلالية⁽⁵⁾
وتبيّن دراسات اللسانيات بالمغرب الأوسط بأن
اللغة العربية إلى جانب كونها لغة الدين الحنيف فإنها
صارت الأكثر تخاطبا بين الأهالي مؤثرة على اللهجات

BOYER; (.P) -

1 - أنظر:

L'évolution ... Op. Cit. p.281

2 - أنظر: BASSET; Etude ... Op. cit (.R) -

3 - أنظر: BASSET; Un double glossaire des dialectes: - Français / Berbère , - Berbère / (.R) - Français

4 - أنظر فانتور دي باردى

5 - أنظر: P. 28 : - (G) VOISIN; L'Algérie pour les Algériens. Ed. Michel Lery, frère, Paris 1861

القديمة. وإنَّ الوضع اللّغوي بمرتفعات الظهرية عشية الاحتلال يشهد على أنَّ تحركات بني مناصر (عبر أوطانهم) قد تجاوزت تحركاتهم الضفة الجنوبية من الطريق السلطاني. ولم يَفُتْ باسيي أن يسلط الضوء على أواصر القرابة التي تجمع بين قبيلة الزناتية وفروع عشاشة وبلحليمة وأيت فراح الخربة مع التأكيد على أنَّ بني مناصر هم ركيزة تلك القرابة (1). لقد تمكن فانتور دي بارددي وهو الذي عاش مدة سنتين بين سكان الأطلس التلي الأوسط قبل الغزوة من تقديم شهادته على انسجام المجتمع الجزائري فكراً وروحاً، ومن ثمَّ وعلى بطلان التنافس المزعوم بين اللغتين وأنهما لم تكنا بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر لغتين غريمتين. نقل لنا إذن فانتور دي بارددي قوة الانسجام الذي وجد عليه سكان الجزائر وعلى وجه الخصوص بني مناصر الذين خصّهم باهتمام كبير. وما زاد اللغة العربية ترسيخاً بين بني مناصر وجود على رأسهم البراكنية كمشايع الطرقية وقيادة عسكرية. ويشير عربان في الصدد إلى كون نفوذ بني مناصر من نفوذ البراكنية (2). وما هو جدير بالطرح هنا هو أليست قوة اللغة (بل وفي بعض الأحيان حتى اللهجة) من قوة أهلها سواء كان ذلك سياسياً أو اقتصادياً؟

وهكذا مع تأكيد ازدواجية اللسان لدي بني مناصر ستتبدد محاولة ضبط الحدود على أساس امتداد اللغة على غرار ما حدث مع أهل يسّر. إنَّ الملفت للانتباه هو أنَّ رغم إصرار السلطات الاستعمارية وأعوانها على أنَّ بني مناصر أمازيغٌ إلاَّ أنَّهم لم يدرجوا ضمن القبائل التي أُصطلح عليها رسمياً اسم "الكابيل" حيث قامت الإدارة العامة بتقسيم جغرافي بين

1 - أنظر: BASSET; *Etude sur la Zenatia...* Op. Cit (R) -

12 - ؟ - أنظر: BASSET; *Un double glossaire des dialectes...* op. cit (R) -

2 - ؟ - أنظر: VOISIN; *L'Algérie...* op. cit. P. 28 (G) -

مصطلحي الكبايل والجبايلية فحصرت المجموعة الأولى بجبال جرجرة وضواحيها في حين خصّت مرتفعات الظهر للجبايلية. مصطلحان زحزحا المصطلح العتيق الروماني الأصل "البربر" (1). فبات من الواضح إذن أنّ ضبط حدود قبيلة ما على أسس لغوية مسألة معقدة. هذا إن لم نقل بأنها في الجزائر مستحيلات.

د- أخبار تاريخية من خلال تحليل اسمي بني مناصر وأهل يسر لقيت الإدارة الاستعمارية خلال العقود الأولى من الغزو جملة من الصعوبات حالت دون تمكينها من الحدّ من ديناميكية المجتمع، أبرزها تركيبة الأسماء العائلية المعقدة (2). أجمع معظم المؤلفين الاستعماريين مدنيين كانوا أو عسكريين شهاداتهم على أنّ أعوص معضلة اعترضت مسعاهم هي تشابه الأسماء الشخصية لدى المحليين وشتيوع عدد محدود منها بين أبناء العمومة، مما صعب على الإدارة الاستعمارية التمييز بين الأفراد ذوات الأسماء الثلاثية المتشابهة والمتقاربة (3).

1 - لم يستعمل ابن خلدون في كتابه " العبر ..." مصطلح القبائل (كبايل) للدلالة على أهل جرجرة والمناطق المجاورة لها أو حتى للدلالة على سكان الجبال وإنما اعتمد مصطلح البربر أي تلك الكلمة الرومانية الأصل (les berbère)
2 - 1 أنظر: TABET; *Ethnologie Arabe...* Op. (E) -

cit. p. 11 et suivante

2 - أنظر VOISIN; *L'Algérie...* Op. cit. P.32 et (G) -

63 P. " من الصعب كتابة الأسماء العربية كتابة سليمة بالحروف الفرنسية إذ غالبا ما تكتب حسب نطق كل واحد لنفس التسمية مما أدّى إلى تعدد الكتابات لاسم واحد ... "

المصدر نفسه. ص. 63 .

3 - الأسماء الثلاثية أمثلة مأخوذة من عرض حال قرارات اللجنة الإدارية المكلفة بتهيئة الأرضية لتطبيق قانون السيناتوس- كنسلت 22أفريل 1864 بإعليك زاتيمة وضبط حدود دوار زاتيمة مع الدواوير الحدودية له كما ينص عليه قانون 28 أفريل عام 1887.

- محمد بن عبد القادر بن منور من دوار الداموس. امحمد بن محمد بن أوعمار، علي بن أحمد بن يوسف، بلقاسم بن براهيم بن العيد من بلدية براز هؤلاء من جماعة زاتيمة ...

فماذا عن محاولة استغلال الأسماء الشائعة، فهل على قلة تنوعها يمكن أن يضيفي تحليلها شيئاً من الضوء على أصول وأنساب بني مناصر وأهل يسّر؟ فما يمكن أن تحمله لنا تلك الأسماء من أخبار تاريخية حول حدود الأوطان؟

في الواقع لم يهمل أولئك المؤلفين تحليل هذا الجانب بل سعوا إلى تحديد أسباب الظاهرة ومن ثم الوصول إلى ما جعل المحليين متمسكين بطائفة من الأسماء دون غيرها خاصة وأنّ مصادر الإلهام البيئية والتاريخية لم تكن يوماً عقيمة، أمام استنباط المجتمع الجزائري إذ تبين أنّ هذا الحصر يعود إلى رغبة جامحة تتميز بها العائلات الجزائرية ألا وهي الإصرار على التبرُّك بأسماء خاتم الأنبياء والرسل محمد عليه الصلاة والسلام، وإحياء لذكراه في كل لحظة. فصارت إذن الأسماء التي عُرفَ بها المصطفى رمز العائلة الجزائرية ورمز عنوانها ودليل انتمائها الحضاري (1).

وعلى الرغم من إغفال إدارة الاحتلال، ما حوّل ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية من إثراء لقائمة الأسماء، إلا أنّها لم تتمكن من إخفاء حقيقة انتشار الأسماء مستوحاة من الوظائف الإدارية والعسكرية وحتى الحرفية منها والتي صار البعض لطول امتهانهم بها ينسبون إليها فتوارثها الأبناء كالألقاب إلى أنّ تحوّلت مع الوقت إلى كنية عائلية (2). أما عن سُبُل التحكم في الغموض الذي أخلط حسابات الإدارة الاستعمارية خاصة في المجال العقاري، فإنها قد لجأت إلى إجراء أول عملية

1 _ أنظر: (إ) ثابت - (E) .P.5 TABET;

2 _ نأخذ على سبيل المثال لقب "خوجة"؛ الأب: عثمان خوجة (1). الابن: حمدان خوجة (2). الحفيد حسن خوجة (3).

- (1) _ أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية. الجزء الثاني 1930 / 1900 الطبعة الثالثة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1983. ص. 29.

- (2) _ المرجع نفسه. ص. 29.

- (3) _ المرجع نفسه. ص. 33.

إحصائية لها عام 1856⁽¹⁾، لعلها تتمكن من القضاء على العقود التجارية العقارية الوهمية التي أبرمت بين المحليين والأوروبيين خارج الإطار الرسمي⁽²⁾، فكانت هذه أول عملية جادة في مجال السيطرة على العنصر البشري المحلي لتليها محاولات عديدة أبرزها قانون السيناتوس كنسلت 22 أبريل 1882⁽³⁾ وقانون الأحوال الشخصية الصادر في تاريخ 23 مارس 1882⁽⁴⁾.

إذن فالأهداف المتوخاة من وراء تلك العمليات تتمثل في التحكم أكثر في أحد المقومات الأساسية للحركة الطبيعية للمجتمع. كما سيتمكن ذلك أيضا الإدارة من فهم هوية القبائل وشخصية شيوخها ورؤسائها كعناصر فعالة وطبائع كل واحد منهم، مع العلم أنه قد سبق كل محاولة وبدون استثناء دراسات ميدانية ركز من خلالها أصحابها على مكونات القبيلة الواحدة، من قوة بشرية، وعائلات ذات التأثير الروحي والاقتصادي مع تحديد أوطانها، وإمكاناتها الاقتصادية.

لقد انطلقت إدارة الاحتلال في عملياتها تلك من فكرة وجود تباين بين القبائل الجزائرية فمنها من تتمتع باحترام وتقدير الجميع لنسبها أو لقوتها

T.S.E.F.A. ; Ed. Paris -

1 - أنظر: إحصائيات

1856. 1856

2 - أنظر: VOISIN; L'ALGERIE... Op cit. p. 63 (.G) -

2 - أنظر: MENERVILLE; Dictionnaire... Op. cit. p. 578.

Chapitre:- Propriété: " L'Ordonnance du 21 Octobre 1844 - Constitution de la propriété. Dans le rapport adressé au Roi par le ministre de la guerre, le maréchal duc de DALMATIE il fut mentionné ceci: «...l'habitude qu'ont les indigènes de vivre dans l'indivision, le nombre infini de copropriétaires d'un même immeuble qui résulte de cette situation, le manque d'état civil chez les Arabe, le mystère qui...entoure la famille musulmane

"...إن طبيعة حياة الأهالي بشكل جماعي، والعدد الهائل من الشركاء لنفس العقار ... و غياب وثائق الحالة المدنية عند العرب، والإبهام الذي يحوم حول العائلة المسلمة يعقد من مسالة ضبط الملكية العقارية ..."

3 - أنظر: POUYANNE; La propriété foncière en Algérie. Alger, Jourdan, 1895 (Préface (.H) - xxiv) (415p.)

4 - أنظر:

.B.O.G.G. ;année 1882 - 83

المستمدة من كثرة أبناء العمومة (1) أو لقوة تأثيرها الروحي.

إنّ مثل هذا التصنيف يوحى بوجود خلفية سياسية مسبقة تسعى الإدارة إلى اعتمادها في التعامل مع القبائل متفادية انتهاج أسلوب نموذجي موحد يطبق على الجميع لما فيه من مسببات فرص الاستحواذ على العقار وبالتالي تعطيل لمشاريعها الاستيطانية (2)؟

1 - اسم بني مناصر

وما دامت أصول الأسماء عند العرب (3) متنوعة عكس ما تدعيه بعض الأقسام الاستعمارية، فإنّه من الضروري البحث في جذور وأصول اسمي بني مناصر وأهل يسّر لعلّها تفينا ببعض الحقائق التاريخية حول منشأ الوجدتين.

ففي تناول فرعون PHARAON (4) لاسم بني مناصر قدّم العديد من التصورات والقراءات معللاً

1 - أنظر: (E) - P.11 . Op cit . TABET;

2 - أنظر: 1 - MORLAND; *La vie arabe*. (Sans maison d'édition), (S.d.) (319 p)

-(Felix)

2 - أنظر: (E) - DAUMAS et (A.) (De) CHANCEL; *Le Grand Désert, itinéraire d'une caravane du Sahara au Pays des Nègres (Royaume de HAOUSSA)*. Ed. Chaix, 1848. (XV 445 p.)

3 - أنظر: (E) - DAUMAS; *Les Chevaux du Sahara*. Ed. Schiler 1853. (483 p)

- اعتمد فليكس موريند في كتابه " الحياة العربية "، على التجربة الميدانية مؤكداً على أنّ الرحلات هي أحسن وسيلة لنقل صور واقعية عن مجتمع ما. وعلى الرغم من ذلك فإنّه استشهد في عدة مواقف لترجيح بعض الصور من عادات و تقاليد المجتمع الجزائري دون غيرها على من سبقوه في هذا الميدان أمثال دوماس وشانيسيل (CHANCEL). إنّها كتابات موجهة خصيصاً للقارئ الأوروبي لعلّ ذلك يولد لديه ألفة بينه وبين المحليين قبل الاستقرار في الجزائر

3 - أنظر: (E) - TABET, ... Op. Cit. P.15 et suivantes

4 - فرعون فلوريان، PHARAON (Florian) تدور كتاباته بالدرجة الأولى حول الجيش، إذ صدر له كتابان:

- الأول: " السبايسية الأتراك والقوم " الطبع بباريس عام 1864 م (SPAHIS (TURCOS et GOUIMIERS

- والثاني: " عساكرنا بإفريقية " . الطبع بباريس عام 1866 (NOS SOLDATS (D'AFRIQUE

ونشرت له عدّة مقالات في المجلة الإفريقي (LA Rev. Af). تعود مساهمته الأولى عام 1856 حيث ظهرت في العدد الأول للمجلة بعنوان: " ملاحظات حول قبائل المقاطعة الثانوية للمدية " (Notes sur les Tribus de la subdivision (de Médéa) تعرض فيها لقبيلة بني مناصر والبراكنية كما سنوضح ذلك لاحقاً.

أطروحاته بعدم التحكم لا في النطق السليم للاسم ولا في كيفية كتابته. فقدّم في هذا الصدد العديد من الاحتمالات. أمّا احتمال أن يكون اسم بني مناصر حاملا في طياته أو في معناه بعض الشيء تلك التطورات التي مرت بها القبيلة فانعكس ذلك على تسمية هذه الأخيرة كتابةً ومعناً. فمن وصفه لإحدى الجماعات المستقرة بضواحي زكار محاولاً على حدّ زعمه إدخال الشك في أصل لفظ "بني مناصر" إذ يقول فرعون بأنّ اللفظ الأصح والذي يكس بحق طيش الجماعة يعود إلي لفظ "بني مخاسر" (1).

1 - أنظر: PHARAON; Voyage en Algérie de sa Majesté NAPOLEON (.F) -

III. Illustré par (H.) DANJOIS .Paris, Plon, 1865 (96p)

هذه بعض الكلمات المتقطعة التي حاول فرعون إرجاع تسمية بني مناصر إليها :

- بني - منا - صر BENI-MENAS -SEUR -

- بني - مسخا - صر BENI-MESKHAS-SSEUR -

- ال - جيش - عا - سر - EL-DJICHI-AS-SEUR -

- أر - راي - خاس - سر، أو الراي - أنا - لف - رك - او - بلا - راي - ER-RAI- KHAS-SEUR

ou LE RAI- ETA -FE - REK ou BE -LA-RAI

2- أنظر: ROUSSET; La Conquête de l'Algérie 1841-1857. T1, 3° éd. Ed. Plon, Paris 1904. (C) - P.110 (383 p)

كتب روسيت على هذا المنوال ما يلي: "Parti de Blida, le 1° avril 1842, avec deux brigades commandées par les généraux de Bar et Changarnier, le gouverneur alla détruire à Bordj-El-Beylik, sur l'Oued-El-Hachem, des moulins et des fours d'où le Khalifa tirait le pain pour ses réguliers, puis la zaouia des Brakani, il embarqua pour Alger, en laissant au Général Changarnier le soin de ramener les troupes. Ce fut pour ce fut pour celui-ci l'occasion de faire aux Hadjoutes une seconde visite qui leur fut encore plus préjudiciable que la première. En fouillant le bois des Kareza, il y découvrit un certain nombre de familles émigrées plus ou moins volontairement de la Métidja, et les ramena aux environs de Guerouaou, où elles plantèrent provisoirement leurs tentes; les soldats leur donnèrent le sobriquet joviol de BENI-RAMASSES".

3 - أنظر: SAINT-ARNAUD: Lettres du Maréchal de SAINT-ARNAUD. Tome 1°, -

Publié par Leroy de SAINT-ARNAUD .Paris 1855. (573 p.)

- ورد في الرسالة المؤرخة في 8 فيفري 1843 من مليانة اسمي بني مناصر (1) وبني نعاصر (2)

1- 3 - بني مناصر: رسالة من مليانة في 29 جانفي 1843. المصدر نفسه ص.468.

2 - 3 - بني نعاصر (BENI-NAASSEUR) تكرر هذا الاسم عدّة مرات في رسالة من مليانة في 8 فيفري 1843

4- المصدر نفسه. ص.471-476

ملاحظة : بالإضافة إلى اسم "بني مناصر" في رسائل سانت أرنو تكرر إلى "بني نعاصر" (BENI-NAASSEUR) لفض قريب من الفاظ بني مناصر للدلالة على سكان المنطقة الممتدة من وادي الداموس إلى شرشال.

فما وراء انساب تلك الجماعة إلى "الري الخاسر" والإصرار على إضافة إشارة النسب " بني " إلى كلمة تحمل معنى الخراب أحياناً والخسارة أحياناً أخرى ووصفها تخميناً بالرأي الخاسر وهو تعبير أقرب ما يكون من حيث التقطيع إلى "بني مخاسر"؟ ولماذا أصر فرعون على رفع صفة سداد الرءاء على بني مناصر وإصراره على تحميلهم صفات مشينة؟ إن غياب الأدلة الدامغة على تحليل فرعون لاسم بني مناصر واكتفائه بحجة اللفظ، أضفى نوعاً من الهشاشة لإقناع القارئ بما يقدمه خاصة وأن التحليل هنا، لا يهم القارئ الأوروبي على وجه الخصوص في شيء. وعليه فإن من الأرجح أن فرعون لم يكلف نفسه عناء التحليل الموضوعي لتلك الكلمات [التي لها مدلولها في لغتها الأصلية - العربية -] مع التركيز على تقطيعها وتفسيرها تفسيراً سطحياً، إلا إذا كان يريد تمرير رسالة معينة.

فتحميل قبيلة بني مناصر مثل تلك الأوصاف لن يكون دون خلفية سياسية إذ كان صاحبها يريد في ذات الوقت تبرير الأساليب الجهنمية التي سلطتها قوات الاحتلال على بني مناصر لأزيد من عقدين من الزمن. وفي نفس الوقت كان فرعون يريد لفت انتباه الإمبراطور الثاني، وهو في زيارة ثانية للمنطقة عام 1865⁽¹⁾، إلى الصعوبات التي واجهت الجيش الاستعماري بأوطان بني مناصر على وجه الخصوص. وكأته يريد أيضاً وبنفس المناسبة تبرير تفكيك بني مناصر وتحويلهم من قبيلة مترامية الأطراف إلى قبيلة مركبة تركيباً إدارياً من الشتات، كما ينقله لنا اسم "بني رماسي" الدخيل على بني

1- أنظر: فرعون "سفر نابليون الثالث إلى الجزائر" المصدر نفسه .
زيارة جاءت في وقت حاسم في ما يخص مستقبل المستعمرة. تميزت بتضاعف عدد مراكز الاستيطان وضم السكان المحليين الذين هم يفقدون يومياً العشرات من الهكتارات كما جاءت تلك الزيارة على إثر ثورة عام 1864 م والتي كان لبني مناصر دور كبير فيها.

2- أنظر: REY-GOLDZEIGUER; LE ROYAUME ARABE. La Politique Algérienne de (A) -
Napoléon III 1861 / 1870. S N E D., Alger 1977. Chapitre : Le testament de Napoléon III

مناصر والذي تداولته تقارير ومذكرات القادة العسكريين المساهمين في ترسيمه⁽¹⁾. فالمتدبر في بقية المعاني التي حملَ أيها فرعون لقب بني مناصر سيلاحظ أنَّ النظرة السوداوية التي أراد إلصاقها بالقبيلة لم تحجب تلك القوة والعظمة اللتان عُرف بهما أهل المنطقة ولا التآزر القائم بين فروعها.

فإذا ما أخذنا بعين الاعتبار ما يمكن استنباطه عن طريق المقاربة بين الكلمات التي اعتمد عليها فرعون للتعريف ببني مناصر كالحشرة، الرأي، الجيش، وبين ما يمكن أنَّ تنطوي عليه كل واحدة منها من جوهر المعنى وإبقائها على حالها فإنَّ ذلك سيكشف لنا صورةً مخالفة لما أراد إخفاءه، إذ لم يكن بمقدوره استيعاب لديناميكية بني مناصر. في حين ستساعد معاني تلك الكلمات ما في ذلك شك، على الاقتراب من أبعاد المجال الحيوي للقبيلة والذي يكون قد بلغه بني مناصر وفق حركية طبيعية تسيرها مصالح القبيلة الاقتصادية.

أما إذا أخضع لقب بني مناصر إلى التحليل اللغوي انطلاقاً من اللفظ، فإنَّنا سنتحصل على ما يلي:

"مُنَاصِر" (Supporteur) أي "نَصَرَ" بمعنى ساند وساعد فلان أو جماعة على الخصم أي المؤازرة. فالكلمة بهذا الشكل تحمل أيضاً معنى الغيث الذي يحتاج المنطقة التي يصلها. فالمناصرة هي إذن ذلك التعاون المتبادل من أجل تحقيق الغلبة⁽²⁾.

ونضيف إلى تلك الألفاظ لفظ "نواصر" وإن ابتعد هذا الأخير قليلاً عن لفظ "مناصر"، إلا أنَّ وحدوية المصدر "نصر" التي تجمع بين اللفظيين تفرض علينا الوقوف عند ما يفترض أنَّ تحمله كلمة نواصر من خبر عن بني مناصر. فإذا قيل مُدَّت الأودية

1 - أنظر:

TRUMELET; Général Yusuf

2 - المنجد في اللغة والأعلام . دار المشرق بيروت عام 1986

نواصرها فلن نحيد عن طبيعة جغرافية أوطان بني
 مناصر. فاعتماد بيجو سياسة الأرض المحروقة في
 المنطقة مع بداية الأربعينيات يعود إلى تعقيد
 مُرفولوجية تلك الأوطان كما نقلته تقارير من صدّتهم
 السيول الجارفة المتدفقة من زكار وبني مناد
 وقومطاس بين عامي 1840-1843 أمثال دي بار⁽¹⁾
 (de BAR)، وشنغارنيي (CHANGARNIER)⁽²⁾ وسانت ارنو
 (SAINT-ARNAUD)⁽³⁾ والقائمة طويلة،
 وهكذا فإذا أخذنا بمسببات التسمية فإنّ معقولة
 هذه الأخيرة مستمدة من طبع بني مناصر. كما تعود
 أيضاً إلى مقومات الاستقرار. تلك المقومات التي
 يلتقي عندها "أهل النواصر" غرباً و"أهل يسّر شرقاً"
 "من حيث تكوين الخليتين لتتوسع دائرتيهما.
 بانضمام وإلحاق بعض العائلات وإعلانها عن انتمائها
 إلى قبيلة ما كحليف أو في إطار كونفدرالية وفي
 بعض الأحيان كأتباع مما يكسب العائلة اسم القبيلة
 المنتمي إليها على النحو التالي: فلان بن فلان أو
 فلان مولى فلان⁽⁴⁾، مما يزيد من اتساع دائرة القبيلة

يطلق لقب بني مناصر إذا على مجموع العائلات
 الكبرى القاطنة على طول امتداد جبال الظهرة
 الشرقية ومن الساحل إلى إقليم التل الأوسط. وما
 دامت حيوية القبيلة متوقفة على مدى تحكمها في
 الموارد الاقتصادية الضرورية مثلما هو الشأن بالنسبة
 للأسواق الأسبوعية الكبرى التي تتردد عليها أسبوعياً
 فإنّه من الضروري البحث في مدى تحكم بني مناصر
 وأهل يسّر في هذين العنصرين، لأنّهما يعكسان

1 - دي بار De BAR أحد الضباط السمين الاستعماريين الذين قادوا الجيش
 الغازي في معاركهم ضدّ بني مناصر

2 - أنظر : - (H) op. cit ... Mémoires du Général CHANGARNIER ..D'ESTRE.

3 - أنظر : - (Leroy) Tome 1° publié LETTRES du Maréchal de Saint Arnaud. SAINT- ARNAUD;
 par Leroy . Paris 1855

4 - أنظر : (TABET) Op. cit.

(E) -

طبيعة حركية كليهما ومدى قوتها ومن ثمّ مسارهما التاريخي، ماهية نقاط التشابه والاختلاف بينهما؟

2 - اسم يسّر

إنّ تشابه مُرفُولُوجية منطقتين أو أكثر غالباً ما يؤدي إلى التطابق في أسماء المواقع المستمدّة من طبيعة السطح، ومن ثمّ فانتساب السكان إلى الموطن لن يزد التسمية الشخصية أمام مصالح الإدارة الاستعمارية إلاّ تعقيداً على غرار أسماء الأنساب. سنسلط الضوء، في هذا المقام، على ما يحمله اسم يسّر من تعقيدات، انطلاقاً من وادي يسّر⁽¹⁾ الشرق الواقع مصبه على بعد 13 كلم غرب مدينة دليس.

أمّا عن الأصل اللغوي لكلمة "يسر" فمرّدّه اللغة العربية، ومصدره الثلاثي "سار" يحمل معني التوجه إلى الأمام (السير) وفيه إشارة واضحة إلى جريان المياه على مدار السنة⁽²⁾ مع تسجيل زيادة معتبرة في منسوب مياه الوادي خلال الفصل المطير. وما هو ملفت للانتباه حقاً، هو تلك المقاربة اللفظية بين يسّر وتسمية "إيزار" (USAR) التي عُرف بها وادي يسّر الشرق في العهد الروماني. كادت تسمية "إيزار" هذه والتي وردت في إحدى مقالات توكسيي (TAUXIER)⁽³⁾ أنّ يزحزح عروبة أسم الوادي لو لا ما جاء في مقال آخر له والذي عنوانه: "دور الهجرة العربية في إفريقيا قرناً بعد ميلاد المسيح"، مقال يكشف على عراقية صلة العرب بشمال إفريقيا ومن

¹ - انظر: (H). TAUXIER; Le Mulucha ou Molochath Oued- Makta. Rev. Af. N° 29 année 1885. Ed. Alger- (S. D.). Pp 41-80

تنبيه: يوجد بالجزائر واديين باسم يسّر واحد بمقاطعة وهران وهذا الأخير يبدو حسب توكسيي (TAUXIER) أنّه كان يقصد به في العهد الروماني وادي التافنة (Le Fleuve ISSARIS). والثاني بمقاطعة الوسط وهذا الأخير هو الذي سنخصه بالدراسة.

² - المنجد في اللغة المصدر نفسه

³ - أنظر: توكسيي (TAUXIER) (H). ضابط في الجيش الاستعماري له عدة مقالات نشرت له على وجه الخصوص بالمجلة الإفريقية

ثمّ يمكن اعتماد ذلك الوجود لترجيح الكفّة لصالح عربية أصل التسمية (1) .

فإذا أخذنا بما قدّمه رين (RINN) في تصنيفه للقبائل (2) فإنّ ذلك سيقودنا إلى احتمال أنّ اسم الوطن الذي يتخلله الوادي مستمّد من اسم قبيلة يسّر، لكن عدم ذكره للمصادر التي اعتمد عليها يجعل كلامه غير مؤسس وغير منطقي وذلك لأكثر من سبب.

أمّا عن أسماء فروع القبيلة في حدّ ذاتها عدا يسّر أولاد سمير كلها أسماء مستوحاة من الطبيعة. فيسّر الظهور: تسمية تحمل معنى ما بعد منتصف النهار أي الزوال وهو ما يوافق وقت الصلاة الوسطى. ويسّر الجديان: جمع الجدي وهي توحى بطبيعة النشاط الاقتصادي السائد في المنطقة والمتمثل في تربية الجديان. يسّر الوديان: وما تحمله من صورة عن قسم من حوض يسّر المتعدد السيول. فالخلط الذي وقع فيه يعود إذن رين لعله راجع إلي عدم سيطرته على روح اللغة العربية الكامنة في معاني مصطلحاتها (3).

1 - أنظر - (H) - TAUXIER; Une Emigration Arabe en Afrique, un siècle après Jésus Christ (s.d.)

Réponses aux questions de M. L'interprète MERCIER. Rev. Af. N°24 ,année 1880, Alger (s.d.)
PP. (373 - 397) p274.

2 - أنظر : - RINN; La Régence d'Alger sous ... op. cit

3 - أنظر: REY-GOLDZEIGUER; LE ROYAUME ARABE. La politique (Annie) -
- Algérienne de Napoléon III 1861- 1870. Ed. SNED Alger 1977. (814 p.)

الفصل الثاني

حدود بني مناصر وأهل يسّر

- أ - الأبعاد على أساس نفوذ المشايخ
- ب- على أساس انتشار الأسماء الشخصية
- ج- حدود بني مناصر وأهل يسّر في ظل الحكومة المركزية عند الغزو
- د - طبيعة أوطان بني مناصر وأهل يسّر

أ- الأبعاد على أساس نفوذ المشايخ

إنّ الفوضى التي عرفها المغرب الأوسط خلال القرن السادس عشر ميلادي لم تقتصر على المجال السياسي⁽¹⁾ وإنما شملت كل مناحي حياة المجتمع، حيث إذا شدّ الالتفاف حول أعيان مدينة الجزائر كقيادة لمواجهة التحرش الإسباني عام 1518 وإعادة الأمن والاستقرار إلى المنطقة، فإنّ التفاف في الأرياف والقرى زاد حول مشايخ الطريقة المختلفة. وفي نفس الفترة تداعمت الجزائر بالمشيخات أخرى متوافدة من الساقية الحمراء⁽²⁾ فاجتمع حولهم مريديها من أهل الجزائر لما رأوا فيهم من وقار وتضلع في علوم الدين والفقه. ومن بين أولئك المشايخ أبو عبد الله الذي استقر بسهل الشلف متخذاً إياه مركزاً لنشر طريقته. اتخذ الشيخ الغبريني القادم من الدار البيضاء بالمغرب الأقصى مدينة شرشال مستقراً له⁽³⁾، في حين توجه الشيخ محمد شريف نحو جرجرة مما جعل من أهل يسّر أكثر ارتباطاً بشخصه وإتباعاً لطريقته دون التخلي أو الابتعاد عن مشايخهم الأوائل (المحليين). أمّا بالنسبة لمشايخ البراكنية الذين ذاع صيتهم بالقسم الأكبر من الجزائر الوسطى فإنّهم على الأرجح توافدوا من السودان الغربي، خاصة إذا علمنا أنّه يوجد بالسنگال قبيلة ذات وزن سياسي كبير باسم "البراكنية"⁽⁴⁾. فكانت مدينة شرشال أين يتواجد الغبارنية، أحد مراكزهم الرئيسية. إنّ لخطاب المشايخ ومريدي الطريقة عادة نفوذ ثلاثي الأبعاد:

1 - طبيعة الصراع والتصدي إلى التحرش الإسباني

2 ؟ أنظر: - (L). 17è année n° GUIN; Notice sur la famille de GHOBRIINI de Cherchell. Rev. Af., 102, Novembre 1873. Ed. O P U. Alger (S. d.) (P 469) p. 444

3 ؟ المصدر نفسه. ص. 445.

4 ؟ أنظر: - (E). Larose Paris 1921. (399 P) MARTY; Etudes sur l'Islam et les tribus Maures. Ed. (E). Pp. 1- 2.p.)

جغرافيا، اجتماعيا وفكريا أو روحيا⁽⁵⁾. امتداد أبعاد هذه الثلاثية من امتداد قوة نفوذ المشايخ. لكن لابد من الإشارة هنا إلى أنه غالباً ما يشترك العديد من الطُرُق في نفس المجال جغرافي مع بعض التفاوت مثل ما هو الشأن بالنسبة للغبارنية والبراكنية غرب دار السلطان وبالنسبة لمشايخ وقادة أهل سيباو وأهل يسّر شرقاً. فمن النادر العثور على مجال جغرافي تنفرد به مشيخة بعينها. فإنّه لمن العسير الفصل بين مجال جغرافي يغطيه نفوذ البركاني عن ذلك الذي يعرف حركية حثيثة لكل من سيدي أحمد بن يوسف أو سيدي عبد الرحمان المجوب أو سيدي شريف بن الحاج بن عودة وحتى سيدي إبراهيم الغبريني. ولا تقتصر هذه الصورة على غرب المقاطعة فحسب، بل هناك تكامل بين أتباع سيدي محمد الشريف في الشرق و أتباع بن عودة⁽¹⁾ في شرشال والشلف ...⁽²⁾.

1 - النفوذ الروحي لدى بني مناصر

لم يكد أن يتناول مصدر أو مرجع من المراجع مسألة القبائل بالجزائر إلا وانصب محتواها، في اتجاه واحد وهو أن القبائل وإن كانت تُعرف بتبعيتها لمشيخة معينة ويُعرف لها موطن، إلا أنّ ذلك لم يمنع من اشتراكها في استغلال نفس المجال الجغرافي. ولعلّ التعايش القائم بين أتباع كلّ من الغبريني والبركاني في مطلع القرن التاسع عشر ميلادي غرب دار السلطان لا أفصح ولا اصدق صورة عن ثلاثية النفوذ بالمنطقة، وذلك في حضرة ممثلي السلطة المركزية.

وعليه فإنّ التطرق إلى عائلة الغبريني في هذا المقام إلى جانب عائلة البركاني أمرٌ ضروري حفاظاً

⁵ ؟ أنظر: - (L) GUIN; Notice ... Op. Cit., p. 444 .

¹ - ؟ أنظر: - (Ch) ACHOUR et (D) MORSLEY; Voyage en langues et en littératures. Ed. O.P.U. Alger Mars 1983. P.15

² ؟ أنظر: - (L) GUIN; Notice ..., op. cit. p.452

على شمولية الصورة ولما لأنشطتهما الفكرية والاقتصادية من تداخل وتكامل، صورة مفادها نقل تطور الأحداث وإزالة بعض الغموض والشوائب التي حاول الكتاب الاستعماريون في إطار سياسة فرق تسد إلصاقها طبيعة العلاقات المميزة والممتازة بينهما، ومن ثمّ ضرب وحدة الأهالي عن طريق قاداتهم.

إنّ استقرار محمد سيدي سعيد الغبريني بين بني زيوي⁽¹⁾ غرب مدينة شرشال رفقة عائلته هروباً من ملاحقة الجيش النظامي له آنذاك لم يمح أثر النفوذ الروحي للغبارنية من المدينة وضواحيها، فالعودة التدريجية لعائلة الغبريني قبل الغزو إلى شرشال يدلّ على عدم إمكانية تسيج الميدان لصالح فريق من ذوات النفوذ الروحي على حساب فريق آخر. امتدّت طرقية الغبارنية من ضواحي الشلف غرباً إلى الشنوة وحجوط شرقاً ومن الساحل إلى جنوب المدية⁽²⁾. وتميزت علاقتهم بالسكان حضرا كانوا أو جبالية عشية الغزو الاستعماري بالجودة خاصة بعد أنّ فتح شيخهم وقائدهم الحاج بن عودة الغبريني أمامهم المخازن على إثر المجاعة التي ضربت المنطقة عام 1812. ولعلّ قوة الانسجام بين شيوخ عائلة الغبريني والأهالي تبرز بشكل أقوى من خلال ردود فعل الحكومة على تصرف الغبريني ذاك. أثارت تلك المساعدات مخاوف السلطة المركزية من احتمال تفكير عائلة الغبريني في الانفراد بالمنطقة وأهلها بعد أنّ صارت على هذا القدر من الاحترام. فأرسلت من يكسر شوكة المشايخ الغبارنية، إلا أنّ الملفت للانتباه هو تدفق الجبالية على مدينة شرشال لمواجهة مؤامرة القائد سليمان

¹ - أنظر - Op. cit., p. 455

² - أنظر: عين المصدر نفسه.

(1). وما هؤلاء الجبائية إلا بني مناصر بقيادة زعيمهم الشيخ البركاني.

لقد وضعت محاولة التخلص من بن عودة الغبريني سكان غرب دار السلطان في موقف صعب. إذ رغم تمكن البراكنية من احتواء الأزمة والحيولة دون الانزلاق في الفوضى التي عادة ما تنجر على إثر سقوط القيادات مهما كان نوعها، إلا أن تدخلهم هذا لم يحول دون تنفيذ المؤامرة، ما دام قد تمكن القائد سليمان ومن معه من الغدر بالحاج بن عودة وخادمه وهما في حرم مسجد المائة عرصة (2).

وركز غين (GUIN) (3) في إخباريته (La Notice) (4)

على صعوبة مراقبة الإدارة المركزية لسكان الكتل الجبلية الموازية للبحر لتعقيد مرفولوجيتها مما دفع في نظره بقائد القوات النظامية "بؤهراوي" الكبير إلى استرضاء مشايخ عائلة الغبريني من جديد. فعاد بن محمد الشريف الصغير إلى مدينة شرشال ليكون إلى جانب ممثل الإدارة المركزية. ويشير غين إلا أن هذا الأخير تميز عن أسلافه بمساهمته الفعلية في تسير شؤون السكان واهتمام أكثر من غيره بقضاياهم.

وبهذا يكون غين قد تجاهل النفوذ الروحي و الدور السياسي بل وحتى العسكري لبني مناصر على مدينة شرشال بقيادة زعمائهم ومشايخهم البراكنية كما يؤكد من تقصى الحقائق قبله. لقد نقل فانتو

¹ - أنظر: غين المصدر نفسه.

² - القائد سليمان : ممثل حكومة الديوان كان مكلف بمهمة تأليب سكان المنطقة ضد الحاج بن عودة الغبريني.

³ - أنظر: غين المصدر نفسه، ص. 454

⁴ - غين (ل): ضابط مترجم

⁴ - ملاحظة حول ما قدمه غين:

"... نفوذ الغبارنية على قبائل المنطقة عدا بني مناصر رغم ذلك إلا أن هؤلاء سعوا إلى المشاركة في إنقاذ الحاج بن عودة الغبريني ... ألا يعتبر تدفق الجبائية على مدينة شرشال أن بني مناصر مُلتفون حول الغبريني. ونلاحظ أن غين رغم تخصيص مقاله لعائلة الغبريني إلا أنه ركز في عرضه على نشاط البراكنية مما جعل نخبة المدينة تنتخب وبالإجماع محمد بن عيسى البركاني عام 1812 ليكون على رأسهم ...".

دي باردي وشوو (SHOW) (1) قبله على أثر رحلتيهما إلى الجزائر عامة وغرب دار السلطان خاصة الوجود القوي للبراكنية في القرن الثامن عشر ميلادي (2).
أمّا فيما يخص النقائص التي يمكن مؤاخذة غين عليها فإنّه لم يكن متعمدا الوقوع فيها أو تجاهلا إياها، على قدر ما هي ناجم عن تضارب وفوضى معلوماتية إذ يصعب على القارئ تتبع تطور الأحداث وأن يميز بين ماضي وحاضر المنطقة خاصة وأنّه أخلط بين ما يستوجب ملاحظته وما يمكن التنبؤ به حيث لم يكن يخفي تصوره للمستقبل الذي كانت الإدارة لاستعمارية ترقبه (3).

إنّ العودة القوية لمشيغة الغبريني لم ترحز في شيء مكانة البراكنية بمدينة شرشال. فالإجماع الذي تحضّل عليه شخص سيدي محمد بن عيسى البركاني عام 1812 للإشراف على مصالح أهل مدينة شرشال وهي بمثابة عاصمة جهوية لقبائل المنطقة، إجماعٌ له أكثر من دلالة إذ يعتبر التفاف القبائل حول شخص محمد بن عيسى التفافا حول بني مناصر

- 2 النفوذ الروحي لدى أهل سيباو

عرفت منطقة يسّر هي الأخرى توافد مريدين من الساقية الحمراء (4) رغم قلة المعلومات التي وصلنا فإنّ البعض يُنسبُ إلى الأشراف (5).
أمّا فيما يخص انتساب أحمد بن سالم إلى إحدى العائلات الدينية أو المشيخات فإنّه ليس بالأمر السهل إذ اكتفت المصادر المطلع عليها بالإشارة إلى أنّه من أتباع الطريقة الرحمانية الأكثر انتشاراً شرق

1 - ملحق للتاج البريطاني بالجزائر بين عامي 1720-1752 تناقل عبر تراب الإيالة.

2 - أنظر: VENTURE de PARADIS; Dictionnaire ...op. cit -

3 - أنظر: GUIN; Notice ... op. cit. p.454 (.L) -

4 - أنظر: - GUIN; Notice ... Op. Cit (.L) -

5 - أنظر: ...Ibid -

دار السلطان (1). وهذا لا ينقص من شأن أحمد بن سالم، ولا من دور الزوايا في أوساط الجماهير شرق المقاطعة في شيء. لقد تجسدت وظيفتها الأساسية، وذلك بعد المسجد طبعاً، في تمكين الناس من دينهم. لكن ما تعرض له مشايخ ومُرِيدِي زوايا الطريقة القادرية من مضيقَات حكومة الديوان، اضعف دورهم بين قبائل سهل يسّر وضواحيه (2) لصالح العائلات الأرسطوقراطية.

ويبقى أحمد بن سالم سواء أكان من عائلة دينية أو أرسطوقراطية قائداً فماداً حيث قاد الأهالي في مواجهة الغزاة، وعنصراً فعالاً في المقاومة الوطنية (3) إلى جانب كل من الحاج عمر والبركاني، ومحمد بن عبد الله (بومعزة) وغيرهم ممن نسّقوا جهودهم مع جهود الأمير عبد القادر (4).

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ للطريقة الرحمانية أتباعها بين بني مناصر شأنها شأن الطريقة التجانية في الشرق. إنّ التكامل الحاصل بين الطرق الصوفية صعب من ضبط حدود أوطان القبائل على أساس نفوذ مشايخ الطريقة

ب - الحدود على أساس انتشار الأسماء الشخصية

عادة ما يعكس الاسم الشخصي الانتماء الحضاري للفرد. فلكل مجتمع طريقته الخاصة في تسمية أبنائه. وعليه لم يكن من السهل على الإدارة

1 - أنظر: DERMENGHEM; *Le culte des Saints dans l'Islam maghrébin*. (Emile) - Ed. Gallimard 1954 Reproduit en 1982. (352 p.). P

2 - أبو القاسم سعد الله؛ *الحياة الثقافية... المرجع نفسه ج 1 ص. 478*.

2 - أنظر: AUCAPITAINE; Article *Rev. Af.* 1858 - 1859. p.13

3 - الوطنية: مصطلح أكثر المصطلحات التاريخية والسياسية تعقداً. حملته بريطانيا وفرنسا خلال القرن التاسع عشر العديد من المعاني المتنوعة والمتتالية، منبثقة الواحدة عن الأخرى. أمّا بالنسبة للغة العربية فإنه من الصعب الجزم أنّ "الوطنية" هي ترجمة لمصطلح (nationalisme) لأنّ الوطنية المشتقة من مصطلح "وطن" المقابل لمصطلح "patrie" الذي يُعرف المدافعين عن الأرض في اللغة الفرنسية (اللاتينية) بـ "les patriotes"

4 - أنظر: D'ESTRE; *Mémoires* - ...Op. cit. P. 152

الاستعمارية الدّخيلة التحكم في أسماء المحليين، خاصة وأنّ المجتمع الجزائري حريصٌ على إظهار انتمائه وتمسكه بالحضارة العربية الإسلامية. وزاد مع مرور الزمن التركيز في هذا الصدد على تداول أسماء الأنبياء والرسل وآل البيت وأسماء الأولياء الصالحين بين العائلات تبرّكاً بهم. فصار يحمل اسم محمد أكثر من واحدٍ في الأسرة الواحدة (1).

1- بعض الأسماء الفرعية لاسم البركاني (2)

لقد اعتاد المؤرخون عامة والفرنسيون خاصة، الاعتماد على الأصول العرقية (3) واللغوية في تصنيفهم القبائل. وفي بعض الأحيان على الظروف التي تشكلت فيها هذه أو تلك القبيلة. أمّا بالنسبة لبني مناصر فلم نكد نعثر على وثيقة أو تقرير يتعلق بهم إلا وكان اسم البراكنية حاضرا. لقد استقطب هذا الأخير اهتمام السلطات الاستعمارية مبكرا لما كان يتمتع به أصحابه من نفوذ عشية الاحتلال بالقسم الغربي من دار السلطان وبقسم واسع من بايليك التيطري إلى مشارف الصحراء. وعليه فإنّ أبعاد جغرافية المجال الحيوي لبني مناصر كانت رهينة تحركات البراكنية.

إنّ الملفت للانتباه فيما يخص البراكنية هو أنّ صيغة الجمع هنا لا تقتصر على الجمع النحوي العادي وإنما هو جمع لأسماءٍ فرعية من العائلة الكبرى. فأصل البركاني لغويا يعود إلى كلمة "أبركان" التي تعني بالأمازيغية الزنجي (الأسود) (4). وما شيوخ اسم البراكنية بأوطان بني مناصر إلا ترجيحاً لاستنتاج مفاده أنّ أوطان بايليك التيطري ودار

1 ؟ أنظر:

(.E) Op. cit. TABET.

2 ؟ - أنظر: Ibid.; Cinquième partie:- Confréries et rites extatiques. P (253-327) , p. 295 et p. 303 et suivantes

3 - الأصول العرقية: Généalogie

4 ؟ - أنظر: (P) Op. cit. MARTY.

السلطان استقطبت موجات بشرية من السنغال حيث توجد بالفعل قبيلة عريقة بذات الاسم. أما عن انفتاح لون البشرة الذي نجد عليه الأجيال المتأخرة من البراكنية بالجزائر والذي يمكن أن يطرح لتفنيد هذا الاستنتاج، فهو أكبر شاهد على تزاوج واختلاط الأعراق في المغرب الأوسط. كما يوحى انتشار الزوايا الفرعية للبراكنية بكل من المدينة وثنية الحدّ وعبر الطريق الجنوبي لبابليك التيطري بأن البراكنية الأوائل سلكوا عند اتجاههم نحو الشمال الطريق الجنوبي الغربي

أما عن قوّة الحجّة فيما يتعلّق بكون البراكنية قد مروا في سيرهم نحو الشمال عبر هذا الطريق، يمكن أن نذكر أهم ما شدّ انتباهنا إلى استوقفنا:

- شيوع بمدينة شرشال وعمليات الوسط إلى حدّ الآن كنيّتي عبد المالك ⁽¹⁾ وصحراوي ⁽²⁾

1 - عبد المالك: اسم يوجد ضمن قائمة الذين سبق لهم أن حكموا أو شاركوا في قيادة سكان شرشال قبل الغزو كما هو الحال بالنسبة لسي مالك أو العربي البركاني الذي تزوج بابنت قائد شرشال الذي عُين شيخا على بني مناصر من طرف يحي أغا متيجة ونجد أيضا ضمن قائمة أسماء قيادة المخازنية جنوب المدينة خاصة عند فرع عبيد.

انظر: -

(L) GUIN; Notice ... , op. cit. p.45

انظر: - Sénatus-Consulte 22 avril 1863 B.O.G.G.A. année 1864

Alger 1891

2 - انظر. (L) RINN; Histoire de l'Insurrection de 1871 en

Algérie

- p. 30 (21 août- 30 avril) Chapitre Malek El BERKANI.

2 - من باب الأمانة العلمية علينا أن نذكر في هذا المقام بالذات أنّه في إطار جلسة عائلية ونحن نتجاذب أطراف الحديث حول بعض المسائل التاريخية في حضرة السيدة موسوني خدوجة وهي أصلا من مدينة شرشال، وارد خلال تلك المناقشة من باب الصدفة مسألة " ثورة بني مناصر، هذه الثورة التي نجهل عنها الكثير. أخبرتنا السيدة موسوني أنّها تعرف البعض من عائلة بني مناصر لكن بأسماء عائلية مختلفة منها عائلة صحراوي الطيب ... فكانت بالنسبة لي فرصة للتأكيد من طبيعة العلاقة بين بني مناصر والبراكنية وعائلة صحراوي، أخذت لي السيدة موسوني موعدا مع السيد محمد الطاهر صحراوي فكان اللقاء بهذا الأخير يوم 31 مارس 2000 في فعلى قدر ما كانت فرحته كبيرة لاهتمامي بالموضوع على قدر ما كان يتحسر على استحالة وضع تلك الوثائق الأرشيفية تحت تصرفنا. وثائق مكدّسة على الرفوف للحالة بالية التي ألت إليها من جراء الرطوبة المتسربة من التشققات التي أحدثها زلزال أكتوبر 1989، والتآكل بفعل الزمن. وقدّم لنا بمناسبة زيارته نص محاضرة سبق له وأن ألقاها بإحدى المناسبات الوطنية بمدينة مناصر (Marceau) سابقا. ونسجل أنّه رغم تقدّمه في السن، إلا أنّه كان عند استقباله لنا يباشر نشاطه العادي في مكتبه

اللتان تحتلان صدارة قائمة الأسماء الرئيسية لعائلة البراكنية.

- كما تشهد الألقاب التي تلتقي معنا مع لقب البركاني في نفس الجوهر على أنه مصدرها الأصلي وعلى قوة تماسك الأهالي بقيادتهم المركزية عن طريق مشايخ الفروع.

ونظرا لتجاوز تلك الألقاب صفتها العائلية (الشخصية) يمكن من خلالها الوقوف على البعد الجغرافي الذي بلغه النفوذ الروحي للبراكنية ومن خلالها النفوذ السياسي الاجتماعي الاقتصادي لبني مناصر. وللتأكيد من مدى مساهمة الأسماء في ضبط حدود أوطان بني مناصر سنكتفي بتتبع أثر بن مالك وصحراوي.

- أولاد سيدي علي بن مالك (1):

ورد في الحوليات التي نشرها عربان (URBAIN)

على صفحات أحد مجلدات "وضعية المؤسسات الفرنسية في الجزائر" (T.S.E.F.A.) الصادرة عام 1845 أنه عند هذا التاريخ لم يزل الفرع مستقرا كما كان عليه عشية الغزو بسهل وادي أكواني، حيث ألحقته حكومة الديوان بدائرة المدينة مقاطعة التيطري على غرار الدواوير (2). وتعدّ عائلات هذا الفرع من أثرى عائلات المنطقة خاصة إذا سلمنا بأنها كانت تملك غابة مجبر (3) التي تعدّ موردا اقتصاديا هاما بالنسبة لها، بالإضافة إلى جمعها بين حرفتي الرعي والزراعة.

كما تؤكد سجلات الحجر على الوجود القوي للبراكنية بالمدينة وضواحيها باتجاه الجنوب من خلال تكرار اسم بن مالك على متن صفحاتها تدوينا

الذي يعود تاريخه إلى أربعينيات القرن التاسع عشر

1 ؟ أنظر: - VOISIN; L'Algérie pour les Algériens. Ed. Michel Lery frères Paris 1861 (George)

2 ؟ أنظر: - URBAIN; Notice sur l'Ancienne Province de TITTERI. (J)

Organisation de la province sous la domination Turque. Appendice in T.S.E.F.A année 1843. Paris 1844-1845. P. 405

3 ؟ غابة أولاد مجبر: المصدر نفسه.

للعقوبات الجماعية المسلطة على عائلة البراكنية بن
كانيس (1) من بني مناصر الشراقة على إثر انتفاضة
عام 1871 (2)، باستثناء أحمد أومالك، وإبراهيم بن
محمد بن محمد بن مالك اللذان تمت تبرئتهما (3).
ويبدو أنّ نظام الملكية الخاصة رغم اكتفاء إدارة
الاحتلال بالتصريح بـ 150 هكتار فقط كانت أكثر
انتشاراً. وما يزيد من وزن أولاد سيدي علي بن مالك
اجتماعياً واقتصادياً ترددهم على الأسواق الأسبوعية
المجاورة خاصة على سوق حسن بن عليّ بالبرواقية.
- أولاد سيدي صحراوي (4):

فرع غير بعيد عن أولاد سيدي علي بن مالك
ومنبثق عن قبيلة حسن بن علي التي لا تبعد عن
مدينة المدية إلا بحوالي 8 كيلومتر، يلتقي مع فرع
أولاد سيدي علي بن مالك بسوق البرواقية. أليست
الأسواق مرتبط الفرس بالنسبة للمجتمع، حيث يلتقي
تنسج وتتقوى أواصر الروابط الاجتماعية؟ بلا فهي
تعد من أهم المواقع التي تبرم فيها الصفقات
الاقتصادية وفيها تحلّ بعض المشاكل الاجتماعية
وتتمّ فيها المصاهرات.
وما يشدّ الانتباه هو تعامل الإدارة الاستعمارية مع
قبيلة عبيد علي أساس أنّها أكبر من قبيلة البراكنية.
هذا مع العلم أنّه لم نعر ولا مرة على ما يثبت أنّه
سبق لبراكنية أنّهم شكلوا قبيلة منفردة وفي معزل
عن بني مناصر.

1 - عائلة البراكنسي بنكانيس (Braknaser BenKanis)

2 - أنظر: القسم الثالث، الفصل الثالث من الرسالة .

3 - أنظر: - Registre du séquestre; n° du dossier 1046. Tribu des Beni Menasser Cheragha.

Cherchell. - La famille des Braknaser BenKanis à l'exception de: Ahmed-Ou-Malek et Brahim Ben Mohamed Ben Mohamed Ben Malek, tous deux exonérés du séquestre collectif décision du 11 novembre 1871. P. 111

4 - أولاد سي صحراوي: عائلة البراكنية، سيدي أحمد أبركان، سيدي أحمد بن
عيسى البركاني، سي ملود عزيز، سي مالك الصحراوي البركاني، وسي إبراهيم
أخ سي مالك الصحراوي.

2- حدود على أساس انتشار الأسماء

ومن المتفق عليه أنّ مصطلح "سيدي" يحمل معني التبجيل والتبرك بالشيخ الصالح. وتشهد عبارة "أولاد سيدي فلان" إنّ تبجيل المجتمع لبعض شيوخهم قد يتجاوز مستوى هذا أو ذاك الوالي الصالح ليشمل أبنائه. أمّا عن العلاقة بين أولاد سيدي علي بن مالك وأولاد سيدي صحراوي والبراكنية، عكس ما توحى به المصادر الاستعمارية من تجزئة، يمكن استخلاصها من نقطتين أو ثلاث وعليه إذا كان أولاد سيدي علي بن مالك وأولاد سيدي صحراوي يلتقيان عند قبيلة عبيد المخازنية فإنّ السؤال المطروح ما هي حقيقة مشايخهما المبجلين إنّ لم يكن هؤلاء من البراكنية الذين احتفظوا عند استقرارهم بمواطنهم الجديدة بأسمائهم الأولى والتي يعود أصلها إلى البراكنية؟ ولعلّ ارتباط أولاد سيدي علي بن مالك وأولاد سيدي صحراوي إداريا بالمدية مفاده الجزم بأنّهما فرعان لجذع مشترك والمتمثل في عائلة البراكنية، وإلا كيف يُمكن تفسير تلك العلاقة القائمة بين السيد صحراوي الطاهر محمد [وهو ابن من نُفي طفلا ذات يوم من عام 1843 وعمره لم يتجاوز الثامنة رفقة 94 شخصا من نفس العائلة، عائلة البراكنية، إلى جزيرة سانت مارغوريت ⁽¹⁾] والسيد أحمد بن عيسى البركاني وسي إبراهيم من جهة والسيد سي مالك صحراوي من جهة أخرى ⁽²⁾.

¹ - سانت مارغوريت هي احد الجزيرتين على شاطئ "كان" (Canne) ، مساحتها تقدرتها 1,66 كلم² . أنجز الحصن بداخله سجن من قبل الوزير ريشوليو (RICHELIEU)

² ؟ أنظر - GERMAIN; La Politique Indigène de BUGEAUD. Ed. Larose (Roger) - Paris 1959

- أنظر: المرجع نفسه، الفصل الرابع. - Chap. VI; les aspects Politiques de la soumission des Indigènes sous BUGEAUD La domination des Tribus Telliennes

وهكذا يتضح إذن أنَّ نشاط وحركة البراكنة كانا
يُتَّمان انطلاقاً من الصحراء (3)
ضمن مجال دوائر المراكز الرئيسية الثلاث وهي
المدينة، مليانة، وشرشال.
هذه بعض العينات عن الأسماء:
وردت العبارات التالية في السجلات بمصلحة التوثيق
بشرشال:
- تقرير 26 أفريل 1867 محمد بلعيد المناصري من
فرقة مازر (نسباً ومسكناً)... تزوج أحمد بن حمون
المناصري من فرقة مازر (نسباً ومسكناً)...
- تقرير 26 أفريل 1867 كلف سي محمد بن اسعيد
البركاني المناصري من فرقة بن صالح زوجه بنت
العربي... اعمر بن بلقاسم من النسب المذكور
طلقة... بشهادة الكلام سي إبراهيم صحراوي
البركاني وسي محمد بن جلول بن رقية وسي محمد
بن كلثوم (2) .
- سيدي محمد أومالك من قبيلة بني مناصر شراكة
فرع بني بوصالح وهو ابن القايد سي مالك الذي قاد
انتفاضة عام 1871 وسي ابراهيم بن صحراوي الذي
قاد المقاومة بعد استشهاد سي مالك (3). المجال
الجغرافي لبني مناصر إذن متسع حسب انتشار هذه
الأسماء.

3 - حركة بني مناصر من حركة البراكنية

حركة لا يمكن التمييز فيها بين ما يعرف ديناميكية
بني مناصر وتحركات البراكنية لأننا في الواقع أمام

3 ؟ رغم عمليات الحصر والتجميع والتفكيك التي تعرضت إليها مشيخة البراكنية
إلاَّ أنَّ ذلك لم يثن فروعها من مواصلة مواجهة الغزو الاستعماري إذ واصل الحاج
قدور بن الصحراوي من أولاد سيدي خالد المقاومة عام 1864 م استجابة منه
لنداء محمد بن حمزة.

انظر: REY – GOLDZEIGUER; Le Royaume Arabe... Op. cit. P. 285 (A)

2 - هذا بمناسبة للتلفظ بالطلاق طلقة واحدة إذ كان على المطلق دفع
تعويضات لمطلقة أمام القاضي والشهود المذكورة أسماءهم أعلاه.

3 - انظر: Chef du pouvoir de l'exécutif. - Séquestre apposition du séquestre sur les bien meubles -
de 27 indigènes du cercle de Cherchell, département d'Alger. Arrêté du 12 janvier 1872. B.O.G.G.A.
année 1873. p. 118

اسمين لنفس المجموعة، وما كتبه رين عن دور بني
 مناصر خلال انتفاضة عام 1871 يؤكد على كونهما
 يشكلان عنصرا واحدا. إذ كتب قائلا "...إن الإدارة
 الاستعمارية ليست راضية على خدمات مالك
 البركاني المنصب عام 1865 على رأس بني مناصر
 الشراقة، لأنه في نظرها لا زال يتمتع بشعبية واسعة
 على غرار أسلافه رغم طول المدة التي قضّاها في
 المنفى⁽¹⁾ بعيدا عن الأهالي ما بين 1842 و1856
 وهو الآن حريص على الحفاظ على ما يتمتع به من
 تقدير وحب الجبايلية له..."⁽²⁾. ولعلّ ما تحتفظ به
 سجلات قاض بني مناصر نفسها من أسماء فرعية
 للبراكنية أصدق وأقوى دليل على صحة المرادفة
 والمطابقة بين اسمي البراكنية والمناصرية.
 لقد جاء في توكيل موقع من طرف السيدة بنت
 بن العربي بتاريخ 26 أبريل 1867 تفوّض من خلاله
 السيد البركاني المناصري من فرقة بن صالح ليحفظ
 لها حقّها أمام قاضي بني مناصر في سوق الأحد من
 مُطْلِقها اعمر بن بلقاسم وهو من نفس النسب. ولا
 تقل أسماء الشهود الذين حضروا فك القرآن عن
 الموكل والمُطْلِق أهمية، وهم سي ابراهيم صحراوي
 البركاني، وسي محمد بن جلول بن رقية وسي محمد
 بن كلثوم⁽³⁾.

وفي موضوع ميراث مُدوّن على نفس السجل
 بتاريخ 30 جوان 1867، يتكرر الدمج والربط بين
 الاسمين، إذ جاء التّدوين على الشكل التالي: "... بعد

1 - أنظر الصفحة السابقة

2 - أنظر: - (30 L) : Malek El Berkani, *Histoire de l'Insurrection de 1871 en Algérie*.- Chap. : RINN; (avril - 21 août). P. 511

3 - مُدوّن على سجل صنف (ب) الخاص بالعقود العامة المبرمة أمام قاضي بني
 مناصر ما يلي: " إنّ السجل الحالي، مخصص لتسجيل العقود العامة التي مرت
 أمام قاضي بني مناصر للدائرة العامة (دائرة شرشال) ...بعلامة وتوقيع لبييرت
 جنرال فرقة المقاطعة الفرعية لمليانة بمليانة في تاريخ 14 فيفري 1867".

- Le présent Registre, destiné à l'inscription des actes publics passés par devant le cadi Des Beni
 Menasser de la circonscription générale (cercle de Cherchell) Coté et paraphé, LIEBERT général de
 brigade subdivision de Miliana - à Miliana le 14 Février 1867

أن ترتبت لما سكن السيد محمد بن قدور البركاني
المناصر من فرقة بني عبد الله... بدمّة الله المرحوم
العربي بن المولود... من النسب المذكور...⁽¹⁾ مع
الإشارة هنا إلى أنّ العمليتين وقعتا في فرعين
مختلفين من بني مناصر، الأولى وهي فرقة بن صالح
والثانية فرقة بني عبد الله.

ج - حدود بني مناصر وأهل يسر عشية الغزو

إذا كانت الدولة الجزائرية الحديثة قد تمكنت من
ضبط حدودها مع الأقطار المجاورة⁽²⁾ فالأمر يختلف
على المستوى الداخلي. إذ يعود عدم سير الحكومة
المركزية في تعاملها مع مختلف قيادات القبائل على
نهج موحد⁽³⁾ إلى جملة من العوامل التي لها دورا
في توجيه السياسة الداخلية منها:
_ معيار قوة القيادة، وموقع أوطان القبيلة من مقرّ
الإدارة المركزية. مما جعلها تنتهج تارة أسلوب
اللامركزية والتفويض نيابة عن مجلس الديوان، وتارة
أخرى الحكم المباشر حيث يعين ممثل عن ذات
المجلس ومن مهامه تنفيذ قرارات المركزية مباشرة.

¹ _ سجل صنف (C) في تاريخ 30 جوان 1867.

² _ الأقطار المجاورة: الإيالة التونسية شرقا والمملكة السعدية غربا.

³ _ أنظر: - (L) - N°s 225-226 Rev. Af., n° 41 année. RINN; Le Royaume d'Alger sous le dernier Dey. Ed. Alger (s. d.). 1 partie pp.121 - 350. Pp.130 - 131 (et 3° 2°) trimestre 1897.

_ تراجع قوة الأسطول الجزائري (1) وتصاعد على
 المستوى الداخلي وتيرة التنافس على السلطة (2)
 _ تأثر إدارة الجزائر بضعف الباب العالي.
 _ خضوع السياسة الداخلية للتركيبة البشرية للوحدات
 الاجتماعية وهيبة مشايخها، لما لديها من قوة ضغط
 على حكومة المركزية. ولعلّ عدم امتثال القبائل
 لبيان 5 جويلية 1830 الموقع من قبل الداوي حسين
 والمعروف أيضا ببيان دي بورمانت (De BOURMONT) (3)
 أصدق دليل على طبيعة علاقة بعض القبائل بالإدارة
 المركزية. إذ ردّت معظم القبائل على بيان 15
 جويلية (4) بتوحيد صفوفها لمواجهة الغزو
 الاستعماري. مما صعب الأمور أمام القوات الغازية
 الأولى. فتاه الضباط الأوائل بين الاستقلالية الإدارية
 التي كانت تتمتع بها الوحدات الاجتماعية المنتشرة
 عبر مقاطعة دار السلطان ووحودية نضالها السياسي
 وتلاحم قواتها الدفاعية.

1 - 1 دخلت الإبلالة في مرحلة من ضعف يصعب تجاوزها بسلامة وذلك على إثر
 ضربات التحالف الأوروبي الذي قاده لأميرال الإنجليزي أكس ماوث عام 1815،
 والذي تحطمت على إثره العديد من وحدات البحرية الجزائرية
 2 - 3 سقوط الأسطول العثماني المصري بمرسى نافرين أمام أسطول
 الحلفاء (فرنسا، روسيا، وإنجلترا). "...أما الأسطول الجزائري وهو مؤلف من
 ثمانية سفن تحمل أربعة آلاف مقاتل فلم تستطع الوصول إلى المكان، وفجأ
 يوم 27 أكتوبر 1827 حملت السفن الأوروبية حملة واحدة على الأسطول
 العثماني دون إعلان حرب، مُدعين أنّ رصاصة تركية قتلت ضابطاً إنجليزياً
 فتحطم معظم الأسطول العثماني. وبقي الأسطول الجزائري محجوراً في
 المرسى الشرقية بعيداً عن معركة اليونان وعن معركة الجزائر معاً
 _ أحمد الشريف الزهار: مذكرات. تحقيق أحمد توفيق
 المدني، دار النشر الشركة الوطنية.
 والتوزيع. الطبعة الثانية 1168-

1246هـ / 1754 - 1830 م.

2 - عبد الرحمان الجيلالي؛ تاريخ الجزائر...المصدر نفسه

3 _ دي بورمونت (DE BOURMONT) : شارك في جيش نابليون ... قائد الحملة
 العسكرية على الجزائر باسم الملك شارل العاشر. كان يرى بأنّ انقلاب جويلية
 1830 م الذي تعرض إليه هذا الأخير أنّه غير شرعي. كان عضواً في الوزارة
 المشككة أساساً من مناصري الملكية المطلقة (Les ULTRAS) تحت إشراف الأمير
 بولينياك (Poligniac) والتي تمّ تأسيسها في تاريخ 8 أوت 1829

4 بيان 15 جويلية 1830: "...أنّ فرنسا استولت ليس على مدينة الجزائر فقط
 ولكن على البلد كلّّه..." هذا ما نشره دي بورمانت.

_ راجع : تشرتشل؛ حياة الأمير عبد القادر. ص. 49

وأمام عجز القوات الغازية على التحكم في مثل هذه الوضعية وصف الضباط الأوائل الوضع بالجزائر بالفوضوي. وللتحكم في مثل هذه الحالة شرع هؤلاء في البحث عن ميكانيزمات ودواليب الإدارة الجزائرية التي أطلقوا عليها في كتاباتهم اسم "الإدارة التركية" لعلهم يتمكنون من ضمان مستقبلهم الاستعماري.

أما عن بني مناصر لقد أجمعت مصادر القرن التاسع عشر على أنهم تميزوا عن غيرهم باستقلالية أوسع⁽¹⁾. حيث اتسم ارتباطهم بالإدارة المركزية بالولاء والتعاون المتبادل. كما يظهر من خلال استجابة الحكومة المركزية لشكوى بني مناصر ضد الجيش⁽²⁾ المرابط ببرج الكرميس بسحبها قواتها النظامية عام 1825 من البرج وإغلاق المعسكر الواقع بأوطان بن صالح⁽³⁾. وهم من فروع بني مناصر المقيمين على وادي الهاشم⁽⁴⁾ ولم يقلق

GUIN; (L) -

1 - أنظر:

Notice sur la famille ...op. cit

2 - أنظر: CARETTE; Notice... op. cit

2 - الجيش الإنكشاري، من بين أسباب ضعف الدولة العثمانية يذكر الفساد الذي منّ الجيش الإنكشاري أحسن دليل على ذلك مرحلة حكم الأغوات التي امتدت بين عامي 1659 و 1671 هذا بالنسبة للجزائر. أما بالنسبة للمشرق اضطر السلطان محمود الثاني إلى استفتاء علماء الدين حول مصير هؤلاء الإنكشاريين. فكان له ذلك ومن ثمّ تخلص منهم 1826، حيث كان وراء الواقعة الخيرية لاستبدال الجيش الإنكشاري بالجيش المحمدي.

3 - أنظر - Ibid. p. 449

2 - بن صالح فرع من الفروع الأساسية لبني مناصر.

de 1871.op. cit...

- أنظر: (L) RINN; l'Insurrectio

3 - أنظر: ACCARDO

ورد في ذات المرجع بن صالح كقبيلة حُوت بموجب قرار 7 ديسمبر 1866 إلى دوار بلدية، تابع للبلدية الكاملة الصلاحيات البلدية. المرجع نفس. ص. 41

4 - أنظر:

- CARETTE; Notice...Op. Cit. p. 504

5 - أوترى OUTREY حدد أوطان بن صالح ب 20 كلم من البلدية

1 - أنظر: OUTREY; Dictionnaire... p.74

4 - وادي الهاشم يمثل الحدّ الفاصل بين أوطان الشنوة شرقا وأوطان بني مناصر غربا.

اختلاف الحاج بن عودة بن محمد شريف الصغير ⁽¹⁾ وتميزه عن أسلافه بجمعه بين العلم والعمل العسكري، القائد بوهراوي كبير ممثل حكومة الديوان بمدينة شرشال. ورغم ما كانت تعرفه تلك العلاقات من هزات من حين لآخر، كاتهام الحاج بن عودة سنة 1811، كما سبقت إليه الإشارة، بمتواطئ في التمرد الذي قاده عبد القادر شريف ضد الحكومة عام 1815 وكلف سليمان قائد القوات النظامية بالتخلص منه ⁽²⁾.

سجل فانتور دي باردي لبني مناصر أثناء إقامته ما بين 1788 و 1790 بين أهالي جبال الأطلس المتيجي، شيوع اسم البركاني بينهم. أمّا عن علاقة شيوخهم بالسلطة المركزية، فإنه يؤكد على أنّ غياب وحدات الجيش النظامي بمرتفعات الظهرة الشرقية لم يثن البراكنية عن التزاماتهم تجاه الدولة وبالتالي لم يكن بني مناصر في معزل عن الحكومة المركزية كما ادعاه البعض. وما يشهد على ارتباطهم بهذه الأخيرة عدم تخلفهم عن دفع مستحقات الدولة، وعدم التردد أو التخلف عن دفع الضرائب الإضافية حين يحدث طارئ أو يصاب البلد بوباء أو مجاعة ⁽³⁾. فحدودهم أبعد من أن تنحصر عن الانحصار عند منحدرات الواجهة البحرية جبال زكار. لقد ورد في تقرير يتعلق بإنشاء مستوطنة لافرانند (Lavarande) ⁽⁴⁾ (سيدي لخضر) عام 1843 على الطريق السلطاني بأنه تمّ اقتطاع 350 هـ من أراضي بني مناصر وبأنّ

عملية التعويض تمت قبل صدور قانون س. ك. 22
أفريل 1863.

أمّا عن يسّر كوحدة اجتماعية اقتصادية وإدارية
يبدو أنّ هذا الاسم أخذ يتبلور ويتشكّل تدريجياً مع
توغل الاحتلال حيث بدءاً توظيفه مع اقتحام القوات
الغازية للسهل لتظهر ملامح القبيلة التي أطلقت
عليها الإدارة اسم "يسّر" لتثبت مع تثبيت الاحتلال.
كما ورد مصطلح "يسّر" في العديد من التقارير
الخاصة بالناحية الشرقية للسهل في صيغة الجمع (LES ISSERS)⁽¹⁾. والمعروف عن اسم يسّر ارتباطه
بمجرّين مائيين أحدهما يخترق مقاطعة الغرب ليصب
في وادي التافنة، أمّا الثاني فهو يقطع متيجة
الشرقة وهو موضع اهتمامنا.

فلماذا تخصيص إذن هذه الصيغة المتداولة من
قبل محرري تلك التقارير عند تعرضهم لناحية
الشرقية فقط؟ أليس في هذا إشارة إلى الأهالي
المُعمرّة أو القاطنة بالسهل، والتي قرّب بينها
الاستغلال المشترك للوادي وسهله الخصب أين
انصهرت مع مرور الزمن الجماعات المستقرة به في
بعضها البعض مشكلة لحمية اجتماعية متجانسة في
شكل قبيلة قاطنة بأوطان يسّر والتي صنّفه رين
ضمن قبائل الرعية⁽²⁾

ثمّ جاء تصنيف بوديكور متطابقاً لما توصّل إليه
رين حيث كتب قائلاً: "...يتشكل الوطن عادة من
العديد من القبائل، فهو بمثابة تقطيع إداري شبيه
بالدوائر عندنا. والدوائر هنا تحمل إما اسم القبيلة

1 - ؟ يسّر في صيغة الجمع (Les Issers) بمعنى السيول.

2 - ؟ بليسي (دي ريمونت)، المصدر نفسه.

2 - 1 - أنظر: رين؛ آخر داي إيالة الجزائر ... المصدر نفسه.

2 - ؟ لقد اعتمدنا لتفسير هذه النقطة على المنهج الذي اتبعه بوايي في تحليله
اسم السبت الذي أطلق على المنطقة المحصورة بين القليعة وتيبازة والشيعة
جنوباً وشیوعه بين فروع القبائل التي استقرت به.

- أنظر: (P) BOYER; *L'Evolution de l'Algérie Médiane* (Ancien Département d'Alger) de 1830 à 1956. Adrien-Maisonneuve, 1960. (xx, p. 426 p.)

الأكثر وزنا بالوطن، أو تحمل اسم جبل أو نهر يكون معروفا بالمقاطعة إلى أن يتحول الوطن إلى مركز رئيسي... " (1). ينطبق هذا إلى حد كبير على يَسَّر كموطن. ومن ثمّ يمكن القول بأنّ كل من يقطن سهل يَسَّر فهو ينسب إليه سواء كان من الرعية أو من المخازنة (2).

وفي انتظار العثور على مصادر عربية-عثمانية أو غيرها للمزيد من الكشف عن خلفيات موضوع الانتساب وحقيقة الإشكالية لتسليط الضوء على تبعية أهل يَسَّر إداريا إلى قيادة سيباو، يبقى كتاب فانتور دي باردّي يكتسي أهمية تاريخية بالغة، وهكذا لا مجال، على الأقل الآن، للحديث عن علاقة بين حكومة الديوان وقبيلة باسم "يَسَّر"، خاصة وأنّ تعامل الديوان مع المجموعات المقيمة بالحوض كان يتمّ بأسماء الأنساب والألقاب المستوحاة من الوظائف. هذا بالإضافة إلى تبعية مجموعة أهل يَسَّر تارة إلى المركزية مباشرة وتارة أخرى إلى قيادة سيباو (3).
ثبّتت تلك الوضعية السياسية من خلال كتابات الضباط العسكريين أنفسهم. إذ ورد في مذكرات شانغاريني (4) ما يلي: "... جمع بيحو 4000 رجل

1 - أنظر: (L) - BAUDICOUR; *La guerre et le gouvernement de L'ALGERIE*. Ed. Sagnier et (L) - Bray Paris 1853. (600 p.) pp. 271-285.

2 - 1 - المرجع نفسه: ص. 285 وما يليها.

2 - 2 - تظهر صعوبة الفصل في طبيعة أهل يَسَّر من خلال محاولة تصنيف القبائل من طرف كاريت إذ ضمهم إلى مجموعة القبائل الإدارية (1) ثمّ ضمن المستوطنات العسكرية العربية (2).

3 - 2 - 1 - أنظر:

CARETTE; *Notice ...* P. 383

2 - 2 - أنظر: Ibid; p. 390

3 - قيادة سيباو كوحدة إدارية تمثل آخر تنظيم وجدت عليه القوات العسكري المنطقة.

- أنظر: فانتور دي باردّي، المصدر نفسه،

المقدمة ص. XX

4 - شارك ثيودور شنغاريني في الحملة ضد الجزائر عام 1830، وضد معسكر عام 1835 ثمّ ضد قسنطينة إلى أن ارتبط اسمه بجبال الطهرة فلقبه بيحو

والفيلق 48 الذي كان تحت إشراف دي بار، وطلب مني...عددا يتراوح ما بين 1500 و 1600 رجل، وهو يسعى إلى التوجه نحو أعالي يسّر... " (1) أي باتجاه منبع الوادي جنوبا.

أولت الحكومة الاستعمارية منذ بداية الغزو موضوع حدود القبائل عناية خاصة مدركة أنّ أهمية التاريخ لا تنحصر في التسجيل الكرونولوجي وجمع أخبار الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى فحسب وإنما في تقديمه أدوات بناء سياسة مستقبلية تسهل التحكم في واقع المجتمع الجزائري المعقّد بالنسبة للغزاة، لكن هل يمكن للحكومة الاستعمارية وأعوانها من وضع سياسة مستقبلية وهي تفتقر إلى معظم أدوات التاريخ المحلي كما يؤكد عليها ابن خلدون الذي يقول في التاريخ: "...إِنَّ فَنَ التَّارِيخِ مِنَ الْفُنُونِ الَّتِي تَتَدَاوَلُهُ الْأُمَمُ وَالْأَجْيَالُ..."

ولكن لابدّ من التحكم في أدوات هذا الفن ومناهجه. فكيف يمكن لمن يدعي بالانتساب إلى هذا الفن وأنه ينقل أخبار الأمم بأمانة وهو يجهل لغاتهم، وطباع أهلهم إلى غير ذلك من مفاتيح الوصول إلى تحقيق غاية التاريخ على أكمل وجه.

انطلاقاً من هذا المنطق، استوجب علينا العودة إلى بعض العناوين من المؤلفات الاستعمارية والتي تطرقت إلى سياسة الديوان الداخلية، لكن سرعان ما تبين أنّ محتويات هذه المؤلفات لا تغدو عن كونها تحمل مجرّد إشارات سطحية حيث اكتفى أصحابها بتداول نفس المعلومات. فمن الخطأ إذن الاعتماد على تلك المؤلفات أو الاكتفاء بها قصد الوصول إلى تصور سليم لطبيعة إدارة الديوان لشؤون القبائل بالجزائر. كما نسجل هنا إهمالاً لجوانب عدّة من

بالجبايلي (Le Montagnard) .

¹ أنظر: - (Henry) - D'ESTRE; Mémoires du Général Changarnier Campagnes d'Afrique 1830- 1848. Ed. Berger-Levrault , Paris 1930 .(328 p.) P. 255

الإدارة الجزائرية قبل الغزو سواء تعلّق الأمر بالتعليق أو بالتدقيق فيها.

لقد كان بالإمكان تفاهم مثل هذا النقص لكن عدم تدارك الأمر من قبل الأجيال المتوافدة على الجزائر والنازلة بها، أبقى اللبس حول إدارة الديوان قائما، وحلت الكتابة المغرضة محلّ الكتابة الموضوعية. وفي هذا المجال، تعد الصفحة التاريخية الخاصة بكل قبيلة والتي أمرت بتحريرها الحكومة العامة (1) في إطار التحضير لتنفيذ قانون س.ك. 22 افريل 1863، تعد أصدق دليل على الانحراف الذي وقعت فيه اللجان رغم التوجيهات التي أصدرتها الإدارة الاستعمارية في هذا الشأن، حيث كلّفت اللجان واللجان الفرعية بما يلي:

- 1 _ جمع المعطيات الإحصائية الخاصة بكل قبيلة.
 - 2 _ الوقوف على أنواع ملكية الأراضي مع إبراز ما هو من حق الدولة أي ضبط بدقة ما كان ملكا للبايليك.
 - 3 _ جمع المعلومات التي مفادها تسهيل العمل _ تنفيذ قانون س.ك. كما سيتضح لاحقا.
 - 4 _ أن يرفق بالملف مُلخص تاريخي، وبعض التفاصيل عن عادات وتقاليد القبيلة.
- لكن في ما يخص بعلاقات القيادتين بالحكومة المركزية، لم تأت تقارير لجان السيناتوس كنسلت المكلفة ببني مناصر (2) وأهل سيباو (3) بجديد حيث

1 _ أنظر القسم الثالث، الفصل الخاص السيناتوس كنسلت 22 أفريل 1863 ومسألة العقار.

2 - أنظر:

LE BŒUF Maréchal de France, Ministre Secrétaire d'Etat de la -

Guerre; n°187- Rapport à l'Empereur. Exécution du S.C. du 22 avril 1863.- Délimitation et constitution en un douar du territoire des Beni-Menasseur Province d'Alger. Paris, le 17 octobre 1869. BOGGA année 1970 Pp 364-370. Cercle de Miliana

LE BŒUF Maréchal de France, Ministre Secrétaire d'Etat de la Guerre; n°129- Rapport à -- l'Empereur. Exécution du S.C. du 22 avril 1863.- Délimitation et constitution en un douar du territoire des Beni-Menasseur Province d'Alger. Paris, le 20 juin 1870. BOGGA année 1971 Pp 398 – 306. Cercle de Cherchell

Randon; Exécution du S.C. du 22 avril -

3 - أنظر:

1863.- Délimitation et réparation du Territoire de la tribu des ISSERS-Gherbi, Cercle de Dellys. Province d'Alger. N° 187- Rapport à l'Empereur. Paris le 11 août 1866. BOGGA année 1967 Pp 579-582

اكتفى ضباط اللجان بما كتبه كلٌّ من كاريت، وارنيي،
عربان، ورين وغيرهم .

1 - صعوبة ضبط الحدود من صعوبة استقراء الوثائق الاستعمارية
لقد غلب على ملفات السيناتوس كنسلت التي
اطلعنا عليها الطابع التركيبي الموجه، حيث جاء
التركيز على العناصر الحيوية للقبيلة بغية ضبط
وتقدير القيمة الحقيقية لمصادر قوة كل واحدة منها.
ثم دراسة وتقييم إمكانية تحويل تلك المعلومات إلى
قاعدة يُنطلق منها ويُستعان بها في تقسيم القبيلة
إلى فروع ومواصلة مشروع التفكير الوحدات
الطبيعية الذي شرعت في تنفيذه عن طريق مطاردة
القوات الغازية للأهالي ومحاصرة الإدارة
الاستعمارية لهم.

كما غلب أيضا على تلك التقارير طابع المحاكمة ⁽¹⁾
، حيث عمدت من خلالها اللجان إظهار دور كل قبيلة
وكل فرد في المقاومة الوطنية مع تحديد
المسؤوليات. وهكذا تكون الإدارة قد أوجدت لنفسها
في الصفحة التاريخية المدرجة في ملف س. ك. ما
تبرر به استيلائها الأراضي مستقبلا.
ولا يخفى على أحد أن تلك التقارير التي كانت
ترفع عادة إلى الإمبراطور ⁽²⁾ اكتفت فيها محرروها
بنقل الوقائع المترامنة للغزو والاحتلال، والتي على
إثرها كانت تتخذ القرارات وتصدر الأوامر ⁽³⁾. نذكر
على سبيل المثال لا الحصر التقريرين المؤرخين

¹ _ إن القبائل التي ستتناولها لجان العاملة في سياق السيناتوس كنسلت هي
في معظمها ترضت إلى التفكير خاصة مع تطبيق سياسة الأرض المحروقة عام
1841 إذ القبائل التي شملها قانون السيناتوس كنسلت هي في الأصل وحدات
ناقصة من مكوناتها الطبيعية

² _ الإمبراطور: هو لويس نابليون الذي وصل إلى السلطة كأمر-رئيس على
إثر ثورة فيفري 1848. حكم بهذه الصفة إلى غاية عام 1852 حيث استغل
شعبيته لإبعاد خصومه عن السلطة والانفراد بها حيث النظام الجمهوري بالنظام
الإمبراطوري الذي استمر إلى غاية عام 1870.

³ - أنظر: - B.O.D.G.G.A.; op. cit. année 1870. Pp. 349-360

الأول في 27 جويلية 1870 والخاص بقبيلة عبيد⁽¹⁾،
والثاني في 11 جوان 1870 الخاص بقبيلة بني سومر⁽²⁾.

كما اكتفت اللجنة المكلفة بني مناصر بتقديم ما
يشبه عرض حال ما آلت إليه أوضاعهم من جراء حرب
الاستنزاف التي تعرضوا لها عام 1843 في حين
أهملت الجانب التاريخي لما قبل عام 1830، وعنوان
تقريرها⁽³⁾ "فرع بني مناصر مليانة"⁽⁴⁾ المحرر في
17 أكتوبر 1869⁽⁵⁾ يعبر على ذلك.

لم يحض فرع بني مناصر شرشال⁽⁶⁾ بنفس
الاهتمام الذي حظي به فرع مليانة من قبل لجنة س.
ك. ولعل ذلك راجع إلى عدم تحكم قوات الاحتلال بعد
في القسم الداخلي كما كان الحال بالنسبة لقسم
الساحلي.

ونظرا لمرور الطريق الرئيسي الرابط بين
الجزائر ووهران عبر أوطان بني مناصر مليانة
اعتمدت تلك اللجنة على حشو تقريرها بشتى التهم
تمهيدا وتبريرا للاستحواذ على الأراضي المحاذية
للطريق السلطاني، كتحميل الأهالي نتائج ضلوعهم
في المقاومة.

لكن ورغم إجحاف أصحاب تلك التقارير إلا أنه
سيتم التعامل مع محتواها على أساس أنها على
الأقل تدوينا لعمليات التفكيك الكبرى التي تعرض
إليها بني مناصر بعد تطويقهم في جبال زكار. مع

1 ؟ قبيلة عبيد قبيلة مخزن تقع غرب مقاطعة الجزائر وهي فرع من فروع
اتحادية بني مناصر.

2 ؟ قبيلة بني سومر تابعة لاتحادية بلال دائرة ثنية الأحد.

3 ؟ أنظر: B.O.D.G.G.A.; Op. cit. année -

1870. P.p. 263-268

4 ؟ بني مناصر مليانة: هو أحد فروع بني مناصر الناتج عن التقسيم النظري
الذي وضعته الحكومة العامة عام 1843.

5 ؟ أنظر: B.O.D.G.G.A.; op. cit. année -

1870 Pp. 298 - 305

6 - بني مناصر شرشال: أحد فروع بني مناصر الناتج عن التقسيم النظري
الذي وضعته الحكومة العامة عام 1843.

العلم أنّ بعض التقرير كانت تصدر من باريس وليس من الجزائر مثلما حدث مع فرع يسّر الجديان المؤرخ ب 27 أكتوبر 1866 (1).

فمن الخطأ إذن الاكتفاء بالمصادر الاستعمارية لمعرفة طبيعة الروابط بين الإدارة المركزية والقبائل والاعتماد عليها للوقوف على حدود كل واحدة منها رغم التزام كل واحدة منها بحدود مقيدة باحترام حق الأسبقية في استغلال أرض كانت في الأصل شاغرة، ولم تكن تلك الجماعات في حاجة إلى سياج أو ما يشبه ذلك من معالم مادية تُحوّط به أوطانها لتجسيد الحدود (2). وعليه فتحت هذه الوضعية مع عدم التطرق أو حتى الإشارة إليها في مختلف التقارير المجال أمام الحكومة الاستعمارية لانتهاج سياسة الارتجال في إصدار التعليمات التي ستمكنها من الأراضي الصالحة للاستيطان في الوقت الذي تراه مناسباً لتنفيذ عملية تحويل العقار لصالح إدارة الاستيطان.

يعدّ تقرير السيناتوس كنسلت امتداداً للسياسة التي انتهجتها الحكومة الاستعمارية منذ بداية الاحتلال، إذ كانت تعوّل كثيراً على نشاط تلك اللجان في فهم المجتمع الجزائري تركيبة وطباعاً، وتحضير أدوات جديدة للتفكيك. وعلى ذكر الطباع بعث بلوندا (Blondel) بمكتوب إلى أخيه يطلعه فيه على انطباعاته عن المجتمع الجزائري قائلاً: "...كنت متأكداً أنّه من غير الممكن أن يفهم شعبٌ إلا بالإقامة في أوساطه حتى يتسنى للمرء تسجيل بعناية وقائعه اليومية، بما فيها لحظات طيشه..." (3).

فبلونداً إذن يحذر من مغبة إغفال أتفه الأشياء لما

1 - أنظر: B.O.D.G.G.A.; op. cit., année 1866 . Pp. 579-582

2 - يسّر الجديان: أول فرع يخضع على مستوى القطر لعملية السيناتوس كنسلت

2 - أنظر: AKHBAR (journal); 14 Janvier 1840

3 - أنظر: BLONDEL; *Aperçu sur l'état actuel de l'Algérie*. Alger 1844. P. 9

يُحتمل فيها إمكانية استغلالها كأداة تحكم أكثر في مستقبل المحليين.

قلق يكشف الضوء على نوايا الحكومة الاستعمارية، التي كانت تنتظر من اللجان المنصبة أن تمكنها من الأهالي بإحكام. وهذا لا يقلل من شأن بقية اللجان بمختلف تخصصاتها إدارية كانت أو علمية، إذ لا يقل دور العلماء خطورة عن دور الجيش العسكري في تشديد الخناق على الأهالي، بل كانت أعمالهم يعدّ في معظم الأحيان تمهيدا للعمليات العسكرية وتارة أخرى تكملة لها.

وتبقى الحوليات والتقارير اليومية المحررة من قبل الضباط ومذكرات كل من مرّ بالجزائر، أدوات مساعدة ضرورية لفهم ولو نسبيا تركيبة المجتمع الجزائري. لكن تتوقف مصداقيتها وقيمتها الإخبارية على الخلفية التي انطلق منها كل محرر، وعليه فإنّه على المؤرخ أن يحتاط كلما رجع إلى مثل هذه الوثائق وتحقق من صحة محتواها قبل الاستناد عليها.

أمّا ما ورد في تلك التقارير حول أصول أهل يسّر، مفاده أن هؤلاء جمعوا بين كونهم قبيلة رعوية ومخازنية وذلك على أساس إقامتهم بموطن خصب.⁽¹⁾ وبحكم طبيعة نشأة قبيلتهم هم مرتبطون بالإدارية المركزية التي وضعتهم تحت قيادة سيباو، وكلفت هذه الأخيرة من طرف الديوان بتعين القيادة الفرعية لإدارية شؤون سكان يسّر.⁽²⁾ لعل هذه التبعية هي التي أحجبت عن فانتور دي بارد، وجود قبيلة موطن باسم يسّر. أمّا سكوت الشريف الزهار على مثل هذه القبيلة يمكن إرجاعه إلى قوة نفوذ قيادة إدارة الإقليم من جهة، وخضوعها في نفس الوقت إلى المراقبة المستمرة مباشرة من قبل الديوان من جهة أخرى.

¹ _ العودة إلى فصل أصل أهل يسّر

² _ البحث عن المصدر انظر الأمير عبد القادر

وفيما يتعلق ببني مناصر فالأمر يبدو أكثر وضوحا إذ هم أكثر استقلالية عن الإدارة المركزية التي سمحت للمشايخ المرابطين بقيادة قبائل غرب وجنوب دار السلطان لما حققه هؤلاء من أمن واستقرار بتلك النواحي. فنصبت عائلة الغبريني،⁽¹⁾ على بني حواء⁽²⁾ غرب وادي الداموس، والبركاني⁽³⁾ على أوطان صوماتة⁽⁴⁾ بني مناد⁽⁵⁾، موزاية⁽⁶⁾، وبوخلوان⁽⁷⁾. هذا بالإضافة إلى العديد من قبائل التل والصحراء التي كان يقودها البراكنية منذ زمن بعيد.

لقد مكنت العلاقة الطيبة والتمتيزة التي تمتع بها بني مناصر إداريا قبل الغزو من توسيع ممتلكاتهم عبر الأوطان، لتمتد من الساحل إلى جنوب إقليم التل وبالتالي شمال الصحراء الوسطى. ولم يكن ثمة ما يمنع بني مناصر من الامتلاك خارج تلك الدائرة. يرى بعض الكتاب الاستعماريين في هذا الأسلوب تخاذلا من طرف السلطة المركزية فهو يعكس صعوبة

¹ - أنظر: GUIN; Notice sur...; Rev. Af. op. cit.

² - بني حواء: (Béni Haoua) قرية تقع على بعد 45 كيلومتر غرب وادي الداموس الذي اعتبره بعض الضباط العسكريين أبعد حد لبني مناصر

³ - ¹ - أنظر: بيليسي؛ حوليات جزائرية الجزء الأول، المصدر نفس - الفصل الثالث، ص.ص. 70-94.

⁴ - ² - أنظر: فانتور دي بارادي المصدر نفسه، المقدمة ص. XX - كتب فانتور دي بارادي ما يلي:

" في المقاطعة الغربية، نجد جبيلية لارهاط قرب سيدي فرج، الشنوة، بني حواء، بني فراح، بني منات، بني مناصر، بونيفاكس، البركامي (البركاني) هو الاسم الذي يعرف به المرابطون المتوارثون الحكم بالمقاطعة. وفي مقاطعة الجنوب يقطن الجبيلية بني صالح بني مسعود، وموزاية .. "

⁴ - ¹ - أنظر: بيليسي؛ المصدر نفسه، ص. 87

⁵ - ² - صوماتة: قبيلة موطن، تبعد عن البلدة بـ 35 كلم قبيلة تتكون من 17 فرع

- صوماتة (Soumata) قرية عربية تبعد عن مدينة البلدة بـ 24 كلم.

⁵ - بني مناد (Béni Menad) قبيلة تبعد عن شرشال بـ 54 كلم (تميزا عن القرية الأوروبية خاصة وأنه أنجز على أوطان بني مناد مستوطنة مدنية كان عام 184 مآلها الفشل). عدد فروعها 5.

⁶ - ² - موزاية (Mouzaia)؛ قبيلة تبعد بنحو 30 كلم شمال المدية 7 فروع.

⁷ - أنظر: السجل (C) serie بمركز الأرشفة الولائي لولاية تيارازة - بوخلوان (Bou-Halouan)

تحكم حكومة الديوان في هؤلاء وضعف نفوذها عليهم واصفين إياهم بالمتمردين.

2 - الحدود عند غزو الأوطان

إنَّ إدارة بني مناصر لأوطان صومانية، وبني منادر، وريغة، وموزاية بوحلوان تؤكد على المكانة التي كان يتمتع بها قادة هؤلاء لدى السلطة. إنَّ مثل هذه الوضعية هي بمثابة شهادة على قوة ديناميكية وفاعلية بني مناصر وإنَّ على المستوى الأمني أو على المستوى الاقتصادي بالجبهتين الغربية والجنوبية من دار السلطان.

أمَّا عن انتشار قبائل المخزن: عريب⁽¹⁾ وعبيد⁽²⁾ والصبايحية⁽³⁾ على طول الطريق السلطاني والذي فسّرتَه الإدارة الاستعمارية بأنَّه كان أمرا محتوما لردع بني مناصر⁽⁴⁾. لكن يبدو أنَّ الموقع الجغرافي لتلك القبائل يفتد هذا الاستنتاج. فمن غير المعقول أن تُنصَّب قبائل ردع بهذا الشكل خاصة وأنَّه يُفترض أنَّ الحماية تكون لصالح العاصمة إذ لو كان القصد حماية مدينة الجزائر من هجومات أو تمردات من قبل بني مناصر لكان من الأجدر تنصيب تلك القبائل شرق أوطان بني مناصر وليس غربه. إنَّ تنصيب قبائل المخزن بهذا الشكل يُبين مدى سهر الحكومة المركزية على أمن الطريق السلطاني الغربي الرابط بين مقاطعتي الجزائر ووهران بالإضافة إلى الدور الاقتصادي المنوط بقبائل المخازن عامة. وأنَّ شيوع فكرة وجود قبائل المخزن لردع بني مناصر يبدو أنَّه طرح ضعيف ومستبعد. أمَّا عن أسباب الاستبعاد فهناك ما يبرره:

1 - عريب (Arib) تقع على بعد 28 كلم غرب مدينة مليانة.

2 - 1 - عبيد (Abid) فرع على بعد 40 كلم من المدينة.

? - 2 - عبيد (Abid) فرع على بعد 35 كلم من مليانة.

3 - الصبايحية : (Sebaihia) تقع على بعد 27 كلم من مليانة نحو الجنوب الغربي.

4 - أنظر - (Xavier) De Lavignerie confluent de la (YACONO; La Colonisation des plaines du Chelif (Mina.). T.1, T.2 Alger. P. 296

1_ تموقع القبائل الثلاثة: عريب وعبيد والصباحية على الحدود الجنوبية الغربية من دار السلطان لا يؤمن الحكم المركزية في شيء
2- التناقضات الصريحة الواردة في مختلف المصادر الاستعمارية. فكيف يمكن لمجلس الديوان أن يضع مسؤولية إدارة قبائل محيطة بالعاصمة بين أيادي مشايخ بني مناصر وقيادتهم وفي نفس الوقت يسعى ذات المجلس إلى قمعهم، وأن يكون ذلك على بعد العشرات من الكيلومترات غرب العاصمة.
وتجدر الإشارة هنا إلى أنه يغلب على اتحادية بني مناصر طابع الارتباط بالوطن حيث لا تتضمن إلا على فرعي نسب فقط وهما: بني مناد، وبني مناصر، في حين بقية أسماء الفروع هي للأوطان، نذكر منها: صوماتة، وريغة، وموزاية. أسماء هي إذن لمواقع جغرافية كُتبت بها كل من طاب له بها المقام فالاستقرار.

إنَّ عدم مُمانعة الديوان من امتلاك العقار بسهولة متيجة وغيره من الأراضي الخصبة التابعة للبايليك أو الخواص، ينفي أنَّ تكون الهضبة المحصورة بين جبال الظهرة الشرقية الموطن الوحيد لبني مناصر. كما يمكن الاستعانة ببعض الوثائق الإدارية للدلالة على كون أوطان بني مناصر مترامية الأبعد. فالمعلومات المدوّنة مثلاً على عقد زواج من طرف قاضي شرشال في 9 ماي 1867 يفنّد اقتصار حركية بني مناصر على مستوى الهضبة فقط، إذ ورد في الوثيقة ما يلي: تزوج محمد بن عبد القادر الريغي المناصري من فرقة بني صالح، خيرة بنت العربي بن الطاهر من النسب المذكور. وعليه لم يغدو ذلك العقد مجرد وثيقة شخصية لحالة مدنية وإثماً صار مع مرور الزمن شهادة اجتماعية ذات قيمة تاريخية، يمكن الاستعانة بها لتسليط الضوء على الأبعاد الجغرافية لأوطان بني مناصر، إذ نستخلص انطلاقاً من اسمي الزوجين بعض فروع وأوطان بني مناصر كريغة، وبني صالح

كانت إذن حدود أوطان بني مناصر أبعد بكثير من تلك التي حصرهم فيها الجنرال بيجو بانتهاجه سياسة الأرض المحروقة وأسلوب الردع (Le Refoulement) مع مطلع عام 1841.

أمّا بالنسبة لأهل يسّر سيتم تناولهم على أساس أبعاد حوض يسّر المتوصل إليها سابقا ⁽¹⁾ مع احترام ارتباطهم الإداري بقيادة سيباو. وللمزيد من الدقة في ضبط فروع اتحاديتي سيباو وبني مناصر سنحاول استنباط بعض الحقائق من كتابي الشريف الزهار، وبيليسي عن طريق المقارنة والموازنة بين محتوياتهم.

3- حدود الوجدتين من خلال مصدرين متباينين

3-1- حدود بني مناصر

عند تطرقه لبني مناصر، اعتمد بيليسي كما كان معمولاً به قبل الغزو مصطلح "الوطن" كوحدة إدارية بدل مصطلح القبيلة، دون إقصاء منها أراضي موزاية، بني مناد، بوحلوان، وأبقى الحدود الجنوبية لبني مناصر مفتوحة لامتداد نفوذ بني مناصر نحو التل. وعليه فالتحكم في حدود بني مناصر الجنوبية يتطلب ترجيح المنطق في استغلال المعطيات الطبيعية التي يمكن الاستعانة بها في ضبط حدود وطن بني مناصر. وكتب بيليسي عند تعرضه لأراضي بني مناصر العبارة التالية: "...جبال هذا الوطن تضم أراض... ⁽²⁾". مما يوحي أنّ السفوح الجنوبية لجبال الظهرة

¹ - العودة إلى القسم الأول الفصل الأول عنصر: النفوذ الروحي لدى أهل سيباو ص 82 .

² ؟ _ يعرف بيليسي في كتابه الحوليات "الوطن" على النحو التالي: "...التقسيم إلى أوطان، في مقاطعة الجزائر لم يكن قط على أساس عرقي؛ فإنّ الأوطان هي مجرد تقطيع إداري. ويبدو أنّ هدف الأتراك من خلال الجمع بين العرب والكبايل (زواوة) في دائرة واحدة هو تحقيق فكرة سياسية مماثلة لتلك المعتمدة في تقسيم التراب الفرنسي إلى مقاطعات...".

" Dans la province d'Alger, la division par OUTHANS n'était point basée sur la diversité des races... " purement administrative. Il semble que les Turcs avaient pris à tâche de réunir les Arabes et les Kabaïles dans la même circonscription... "

_ أنظر: بيليسي؛ الحوليات ... الجزء الأول. المصدر نفسه. ص. 90.

الشرقية تندرج ضمن وطن بني مناصر، وبالتالي لا يتوقف نفوذ هؤلاء عند القمم الجبلية ولا ينحصر بالهضبة مثلما ورد في العديد من التقارير التي تعكس في حقيقة الأمر سياسة الحكومة الاستعمارية أكثر مما هي ناقلة لواقع الأهالي من المعروف أنه مهما كانت طبيعة الحدود فإنها تخضع لقانون القوة أو لقانون المد والجزر بين قوتين متنافستين. والإجماع الحاصل بين محرري التقارير والكتابات العامة حول وادي الهاشم كحد فاصل بين أوطان الشنوة شرقاً وأوطان بني مناصر غرباً، لم يحجب تلك المنازعات التي كانت تحدث من حين لآخر حول مدينة شرشال الواقعة بأوطان بني مناصر.

أمّا عن المعطيات التي جاء بها بيليسي فإنه يطغى عليها في الظاهر ضعف الدقة. ولعل ذلك راجع لانشغال الجنرال بمصالح المستعمرة عامة، وما يمكن أن يُفيد به الإدارة أكثر من اهتمامه بحقيقة المحليين وانشغاله بهم. فرغم اعترافه باستقلالية بني مناصر إلا أنه لم يميز في عرضه بين قبيلة الشنوة وبني مناصر، بل جمع بينهما كذا مرة دون سابق إنذار أو مقدمات وكأنه عاجز أمام ديناميكية سكان المنطقة على التمييز بين هؤلاء وأولئك. ومن ثم فإن جمعه هذا فهو يشهد ويقر على أن وادي الهاشم لم يكن حجر عثرة أمام تحركات أهالي المنطقة مهما كان انتماءهم القبلي. فالسمة الغالبة على الحدود الشرقية هي الاستقرار، ولم تكن تلك الحالة مقتصرة على قبيلة أو فرع بعينه بل هي طبيعة كل المجتمعات وعليه فالحق وطن السبت⁽¹⁾ المعروف بخصوبته وانبساط سطحه، انسابه أو

¹ وطن السبت:- "...أوطان السبت تسقى بمياه الشيفة وبورومي ووادي جر والتي شكل اجتماعها وادي مازفران ..."

" L'Outhan d'El-Sebt est arrosé par la Chiffa, le Bou-Roumi et l'Oued-Djer, dont la réunion forme le "

"... Mazafran

- أنظر: بيليسي؛ المصدر نفسه ص. 88

إلحاقه بقبيلة معينة يُعد مغالطة مكشوفة. فرغم القوة العددية للحجوطيين على هذا الجزء من السهل المتيجي الغربي، إلا أنَّ لبني مناصر نصيبٌ فيه، وهم الذين يُقر الجميع بقوتهم الاقتصادية ونفوذهم الروحي والسياسية.

أمَّا بالنسبة للحدود الغربية لبني مناصر التي ضبطها البعض بوادي الداموس لم يتطرق إليها بيليسي إليها، بل اكتفى بالإشارة إلى المحليين القاطنين على الضفة الشرقية للوادي على أساس أنَّهم يشكلون قبيلة تحمل اسم زاتيمة (Zatima) ⁽¹⁾. إذ ورد فيما كتب: أنَّ "...القبائل المحصورة بين مدينة تنس وبني مناصر..." وكأنَّ قبيلة زاتيمة [التي جاءت في تقديره منفصلة عن بني مناصر] تنفرد بالأراضي الممتدة من وادي الداموس إلى الناحية الغربية من مدينة شرشال.

أمَّا عن الحدود الشمالية لبني مناصر فإنَّها حسب ما ذكره دائما بيليسي تتمثل في الشريط الساحلي الممتد من وادي الهاشم شرقا إلى غاية الحدود الشرقية لقبيلة زاتيمة أي إلى وادي الداموس، مع إقراره بأنَّ المدينة العتيقة الساحلية - شرشال - هي بمثابة مركز إستراتيجي لبني مناصر غير قابل للانفصال على بقية أوطانهم، ويعتبر البراكنية من أبرز أعيانها ومشايخها. هذا في حين لم يتعرض في "حوليات الجزائر" التي يفترض أنَّها تدوين كرونولوجي للأحداث إلى غاية عام 1848 ولا في الطبعة المنقحة والمدعمة بالأحداث إلى غاية عام

1 - زاتيمة : حسب سجلات مؤسسة العقار الكائن بمدينة الجزائر. السجل

يحمل المعلومات التالية :- Commune Mixte de - Registre : - Algérie Département d'Alger . Gouraya . Tribu des Aghbal. Exécution de loi du 28 avril 1887 Application des paragraphes 1et 2 de l'article 2 du sénatus - consulte du 22 avril 1863

2 - أنظر: - CHERCHEL et la commune mixte de GOURAYA. Ed. Mauguin (Fernand) DOR; Blida 1895. (152 p.) P.138

- كتب (فرديناند) دور في هذا الصدد ما يلي: " أنَّ بركات المرابط سيدي أحمد بن يوسف خلال رحلته إلى المنطقة كانت وراء توفر الزيت والماء. ولكثرتهما صار أهل المنطقة يُعرفون بقبيلة " زيت - ماء "

1854 تاريخ صدورها إلى الحدود الجنوبية مما يدل على عدم تمكن القوات العسكرية بعد من السيطرة على كل ممتلكات بني مناصر الممتدة نحو جنوب مقاطعة الوسط.

- اتحادية بني مناصر وفروعها قبل غزو أوطانها
رقم 1 الوثيقة

الفروع	الفروع
من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي	من الشمال الشرقي نحو الشمال الغربي
- وزارة - Ouzara - أولاد شعيب - Ouled Chaib - موزاية - Mouzaia - صوماطرة - Soumata - بوجلوان - Bou-Haroun - ريغة - Righa - بني مناد - Béni Menad - بني مناصر - Beni Menasseur - زاتيمة - Zatima	- سيدي أحمد بن يوسف - Sidi Ahmed - Ben Youcef - دواوير - Douair - بن عبيد - Ben Abid - حسن بن علي - Hassen - Ben Ali - بني حسن - Béni Hassen - أولاد حمز - Ouled hamza - أولاد عنتر - Ouled Antar - أولاد هلال - Ouled - Hellal - مطماطة - Matmata - بني بلال - Béni Blael

التعليق :

اعتمدنا في إنجاز هذا الجدول على المعلومات التي استقيناها من المصادر والمراجع الاستعمارية التي اطلعنا عليها أثناء محاولة ضبط حدود القبيلة. غلبنا في بعض الأحيان المنطق لترجيح صحة المعلومة المتعلقة بارتباط هذا أو ذاك الفرع بقبيلة بني مناصر ودرجة القرابة بين الفروع والأصل. لقد كان للتناقضات التي وردت في تلك المؤلفات دورا في توجيه استقراءنا لمحتوياتها حول مصطلحي القبيلة والأهل. لكن هناك بعض الملاحظات الخاصة ببني مناصر نسجل منها ما يلي:

(أ) - إن الامتداد الشاسع لأوطان بني مناصر والغير مبرر إنكاره يعود لعاملين أساسيين هما:

- النفوذ الروحي للبراكنية على معظم أهل بايليك التيطري وأهل غرب دار السلطان الذي تواصل رسميا إلى غاية عام 1847، في حين صمد هؤلاء أمام كل المحاولات الاستعمارية لوضع حد لتلك الصلة القوية القائمة بين الراعي ورعيته.
- القوة العددية لبني مناصر كما أشار إليه فرعون عند تحليله لاسم بني مناصر واضعا احتمال أنه هذا الأخير هو أقرب ما يكون

من "بني العساكر..." . والقوة الفعلية كما جاءت به شهادة رين الذي كتب قائلا: "...وإن تمكنا من إخماد ثورة بني مناصر عام 1871 إلا أننا لم نتمكن منهم بعد..." (1)

(ب-) هناك العديد من أسماء فروع تتوسط جغرافيا الفرعين الكبيرين لبني مناصر لم تُدرج ضمن نفوذ هؤلاء رغم اعتقادنا أن ثمة ما يُربطها ببني مناصر إذ من الصعب تصور وجود قبائل تقسم بني مناصر إلي شطرين. لكن الأمانة العلمية تقتضي أن نلتزم بالأدلة القطعية.

ج - يعود التحديد الأولي لأوطان بني مناصر الذي أجراه ضباط الجيش الاستعماري إلى حملة خريف 1842 محدّدة مواقع تواجد القبائل التي يقال عنها محاطة ببني مناصر وهي: من الشرق إلى الغرب بني زوق زوق، جندل، وسط العطاف بني بودوان، بني بوكانوس، سنجاس، بني سليمان... ثم حصر أهل جبال الظهرة من الشمال الشرقي للشلف في بني مناصر شرقا، زاتيمة، براز (Braz)، بني هيجة، صبايح، وبني عشاشة الشرفة، أولاد رياح، بني زروالة. (2)

3- 2- حدود أوطان أهل يسّر

"أهل يسّر" (Les gens d'Isser) (3) أو "قبيلة وطن يسّر" عبارتان قصيرتان لكن واضحتا المعنى. صحيح أن المعلومات التي قدّمها بيليسي حول بني مناصر رغم ما يكتنفها في بعض الأحيان من ضبابية وغموض إلا أنها أكثر غزارة من تلك التي جاء بها في حق أهل يسّر. ويمكن تفسير أو إرجاع هذا النقص إلى كثافة نشاطه بوسط وغرب المقاطعة مقارنة بنشاطه بالقسم الشرقي منها. وعليه واعتبارا من مضمون "وطن يسّر" (4) لا يمكن أن تكون قبيلة يسّر إلا وهي مشكلة من الوحدات الاجتماعية القاطنة فعلا

1 - أنظر: RINN (Louis); *L'Insurrection de 1871 en Algérie*. Alger 1891

2 - راجع التعليمة الصادرة بتاريخ 18 سبتمبر 1847 حول الطوبوغرافية. التعليمات التي تلقاها الكولونال كوراييف من طرف الجنرال بيلي تتمثل في "... استغلال أوقات الراحة في تحضير تصميم (un canevas) لهيئة الأرض تكون مبنية على الساحل الممتد من الحدود التونسية إلى الحدود المغربية، أو على الأقل من عناية إلى وهران - أن يتم العمل على أساس أن أوضاع البلاد هادئة - أن تتم الاستفادة من الأعمال المنجزة في مقاطعات قسنطينة، الجزائر، ووهران..."

MEMORIAL; Du Service Géographique de l'Armée; T.V. Paris 1930. أنظر:

p.75

3 - بيليسي المصدر نفس .

4 - بيليسي وطن يسّر أراضي خصبة. المصدر نفسه ص. 89

بحوض يسّر دون أن تكون ازدواجية اللغة عائقا أمام وحدتها.

وهكذا قدّم بيليسي نموذجا مصغرا لعينتين من المجتمع الجزائري. فقبيلة الموطن تكون حدودها من حدود الموطن أي السهل، كما هو الشأن بالنسبة لأهل يسّر. في حين تبقى حدود قبيلة النسب مفتوحة تتسع أو تتقلص حسب حركية أهاليها ومشايخها كما هو الشأن بالنسبة لبني مناصر. إذن فإنّ أوطان أهل يسّر وبني مناصر حسبما يستخلص من حوليات بيليسي هي أوسع بكثير من الأوطان التي ذكرها كاريت ووارني من جهة والتي أيدها دumas ورين من جهة أخرى. أمّا فيما يخص ما كتب بالقلم العربي نذكر الحاج أحمد شريف الزهار الذي عايش أحداث المرحلة الأخيرة من حكم مجلس الديوان وهو شاهد على تطورات أحداث الحصار المفروض على الجزائر ما بين 1827- 1830 وانعكاساته. فمذكراته تعدّ من بين الشاهدات النادرة، إذ هي تمكن بحكم احتكاكه بالعناصر الفاعلة في الدولة، ومكانته الاجتماعية والسياسية كنقيب لأشراف الجزائر، من الإطلاع على خلفيات السياسة المنتهجة آنذاك. ومن ثمّ فالرجوع إلى مذكرات شريف الزهار أمر ضروري لمعرفة أخبار المجتمع عشية الغزو عامة وأحوال بني مناصر وأهل يسّر خاصة. لكن لم نعثر على اسم بني مناصر على صفحات مذكراته، في الوقت الذي ورد فيه اسم يسّر تارة للدلالة على المنطقة ككل، وتارة أخرى مجرد إشارة منه إلى السهل ثمّ إلى القيادة الفرعية المنضوية تحت قيادة سيباو⁽¹⁾.

يكون شريف الزهار بتحديدده لدار السلطان ما بين مدينتي دلس شرقا وتنس غربا⁽²⁾، قد وضع الاتحاديتين ضمن أغاوية (الإدارة الإقليمية الثانوية)

¹ _ الشريف الزهار: قيادة سيباو

واحدة تحت أشرف نفس الأغا. مما يعني، رغم اكتفاء الزهار بالإشارة إلى "جبال الظهر" دون ذكر بني مناصر فإنه يؤكد على أنهم ليسوا خارج الدائرة المركزية كما ورد في معظم تقارير ضباط الجيش الاستعماري.

في الواقع مقارنة بسيطة بين ما كتبه كلٌّ من فانتور دي باردِي وشريف الزهار حول أهل يسّر وبني مناصر تُظهر التكامل القوي بين الشهادتين إذ ركز الأول على بني مناصر والثاني على أهل يسّر. ولعلّ التفاف أهالي مقاطعة الوسط، كما سيتضح لاحقاً، وراء بن زعمون الرجل الأكثر تأثيراً من فليسة أمّ الليل⁽¹⁾، لمواجهة الغزو في أيامه الأولى يدعم هذا الاستنتاج.

- يسّر كقبيلة "موطن" في اتحادية سيباو

تاريخ قرار س.ك. (*)	فروع القبيلة
- 23 أوت 1863 - 23 أوت 1863 - لم تخضع للقانون - 23 ماي 1863 - لم تخضع للقانون - لم تخضع للقانون - لم تخضع للقانون - فرض قانون 22-4 على بعض الفروع فقط	- بني ثور - Béni Thour - تاورغة - Taourgha - فليسة أمّ الليل - Flissa Oum Ellil - يسّر - Isser - عبّيد - Abid - نرليوة - Nezloua - بني جعاد - Béni-Djaad - بني سليمان الوطة - Ben Sliman El Outa

الوثيقة رقم 2
التعليق:

² - أنظر: الوثيقة رقم 3 - الخريطة الإدارية لدار السلطان حسب أحمد الشريف الزهار، ضمن الملاحق.

¹ - أنظر: - PELLISSIER; *Les Annales ... op. cit. p. 100 (R)*.

* س.ك. = السيناتوس كنسلت 22 أفريل 1863.

- ملاحظة: هناك فروع عديدة باسم بني سليمان: فالفرع التابع لقبيلة يسّر في هذا المقام يتشكل من فرعي بني خليفة وبني سليمان الوطة.

- يمثل الجدول أعلاه تلخيصا للمعلومات المستقاة من مصادر ومراجع في معظمها استعمارية، تناولت موضوع القبائل بالجزائر قبل الاحتلال. ونظرا لتضارب معطياتها ووقوع الغزو على مراحل، وحرصا منا، في التقديم على الدقة، اعتمدنا على المنطق الخلدوني لتأكيد أو تفنيد ارتباط هذا أو ذاك الفرع بقبيلة يسّر الوطن مستفيدين من التناقضات التي وردت في تلك المؤلفات، مع توظيف المعنى الواسع لمصطلح "القبيلة" على غرار استعماله من قبل الأهالي قبل عام 1830.

4 - التأكد من الطرح الاتحادي

إنّ اعتماد نفس المنهجية للسيطرة على فروع كلتا الاتحاديتين لا يسفر بالضرورة على نفس النتائج وهذا راجع إلى ما يلي:

- تجاهل المصادر الاستعمارية لشساعة أوطان بني مناصر الذي يتماشى وتغطية النفوذ الروحي للبراكنية، قبل الغزو، معظم أوطان بايليك التيطري وجزءا هاما من غرب دار السلطان. نفوذ ساهم في صمد بني مناصر في وجه الغزاة إلى غاية عام 1847. أمّا عن مصدر قوة الاتحادية فإنّه مستمدّ من الروابط القوية بين عامة الناس ومشايخهم وقياداتهم، إذ بفضلها أحبطت محاولات تفكيك وحدة الصف عن طريق السياسة العائلية التي جاء بها بيجو عام 1841 عند عودته إلى الجزائر في 22 فيفري. كما كان لذلك التلاحم دورا في تأخير المشاريع الإدارية التجزئة لأوطان بني مناصر وأهل يسّر

- عدم سيطرة الإدارة الاستعمارية في أغلب الأحيان على الأرقام التي تصلها من قبل الضباط، لا من حيث عدد قوات الأهالي ولا من حيث تحديد العناصر المؤثرة بدقة، مما يؤكّد على أنّ ما صرّح به فرعون أثناء تحليله تسمية بني مناصر ما هو إلا مجرد افتراض غير مؤسس لأنّ لفظ - العساكر (1) - في

¹ - أنظر: فرعون ؛ سفر نابليون الثالث... المصدر نفسه. ص 24

مثل وضعية الأهالي لن يمكن التميز أو الفصل بين العسكري والإنسان العادي ما دام الجميع معني بالجهاد. ولعل شهادة رين التي تندرج في هذا السياق تؤكد قوة التداخل بين عناصر المجتمع حيث كتب قائلاً "...إذا أقمنا ثورة بني مناصر عام 1871 لا يعني ذلك على الإطلاق أننا تمكنا منهم..."⁽¹⁾. وفي الوقت الذي شرعت فيه إدارة الاحتلال إلى تقسيم بني مناصر فروع ثم إلى قبائل نلاحظ أن أسماء العديد من الوحدات الاجتماعية التي وردت في الجدول⁽²⁾ والتي تتوسط على خريطة القبائل أوطان القبيلتين المستحدثتين بني مناصر (بعد الحصر) وزاتيمة (بعد إنشائها)، لم تعترف لها الإدارة الاستعمارية بصلتها لبني مناصر. إن لمن الصعب تصور وجود قبائل بأوطان بني مناصر وهي لا تمت لها بصلة.

لإنجاز جدولي اتحاديتي بني مناصر وسيباو تم الاعتماد على المعطيات المستقاة من المصادر والمراجع الاستعمارية ذاتها، مع ترجيح المنطق أثناء دراسة حدود كل من أهل يسر وبني مناصر قبل إلحاق هذا أو ذاك الفرع بإحدى الاتحاديتين. تم استغلال وتوظيف مصطلح القبيلة في معناه الواسع أي كما كان عليه الحال عشية الغزو.

د- طبيعة أوطان بني مناصر وسيباو

1 - دراسة مرفولوجية

يتشكل القسم الشمالي من القطر من ثلاثة نطاقات تضاريسية متباينة ومتوازية في أغلب الأحيان. حزامان جبليان؛ إقليم التل شمالاً وإقليم الأطلس الصحراوي جنوباً تتوسطهما الهضاب العليا. يطلق المصطلح التل على الكتلة الجبلية الشمالية،

¹ _ أنظر: رين؛ الانتفاضة ... أو العودة إلى ص. 88.

² - اتحادية بني مناصر وفروعها قبل الغزو وأوطانها ص 105

مع العلم أنه يحمل عادة معنى أوسع. فهو يطلق على الأراضي الخصبة وتلك القابلة للحرث. تحتل أوطان أهل يَسَّر وبنى مناصر مجتمعة جزءا قسما هاما منه. تبعد عن مدينة الجزائر، أوطان يَسَّر شرقا وأوطان بنى مناصر غربا بمساحة تكاد تكون متساوية. أمّا من حيث الطابع المرفولوجي ⁽¹⁾ الغالب على سطح مجموع أوطان شرقي مقاطعة الوسط فإنّه يغلب عليه الطابع السهلي، في حين يطغي على القسم الشمالي من مجموعة الأوطان الغربية الطابع الجبلي في حين يتدرّج انبساطه كلما توجهنا نحو الجنوب. لهذا التباين انعكاسات كبرى على مناخ الأوطان وغطائها النباتي.

تعكس طبيعة سطح منطقة ما مدى قوة الحركة التكتونية ⁽²⁾ التي تعرضت لها عبر العصور. هذا إن لم تتعرض إلى هزة أرضية عنيفة كالزلازل مثلا. يظهر من خلال الخرائط التضاريسية والطوبوغرافية المنجزة في العهد الاستعماري أنّ تضاريس أوطان يَسَّر أقل تعقيدا من أوطان بنى مناصر. قدّم فيلياس سهل يَسَّر على أنّه عبارة عن مساحة تفصل بين وادي سيباو شرقا ويسَّر غربا بتوازي ⁽³⁾. مع العلم أنّ الأراضي الواقعة غرب وادي يَسَّر تعدّ جزءا لا يتجزأ من سهل يَسَّر الذي يتواصل امتداده غربا باتجاه سهل بودواو. ينبع وادي يَسَّر من جبال التيطري بالقرب من البرواقية على ارتفاع 1200 متر ⁽⁴⁾. ويذكر فيلياس أنّ هذا الوادي تشكل عند نقطة التقاء وادي ملاح بوادي زاروة الذي تتدفق مياهه من كاف لخضر وجبل ديرا. ليؤخذ المجرى الجديد ابتداء من الجنوب الشرقي لطابلات اسم

1 _ المرفولوجيا: طبيعة تضاريس السطح.

2 _ أنظر: (Achille) FILLIAS; *Géographie de l'Algérie*. Ed. librairie Hachette Paris 1886. 5° éd. P. 2

3 _ أنظر: فيلياس المصدر نفسه. ص. 5.

4 ? _ حليمي عبد القادر علّی؛ *جغرافية الجزائر (طبيعية، بشرية، اقتصادية)*. الطبعة الثانية. مطبعة الإنشاء، دمشق 1968. 324 ص. ص. 58.

يسّر، ليأخذ ذات الوادي على بعد 50 كلم من هناك فالانحدار نحو الشمال الغربي إلى غاية بالسترو، ثم يمتد بمحاذاة أراضي بني عمران وسوق الأحد حيث يميل غربا جنوب برج منايل حيث يحافظ على استقامته إلى غاية وصوله إلى البحر لتصب مياهه على بُعد 13 كلم غرب مدينة دليس عند رأس جنات. وهكذا فإنّ طول هذا الوادي الانطباعي يقدر في أكثر أجزائه بـ 230 كلم.

شقّ مياه وادي يسّر طريقها عبر تكوينات جيولوجية قديمة في شكل زاوية قائمة باتجاه جبال التل. يبرز هذا الانطباع عند منطقة الأخضرية، حيث تجري مياهه وسط صخور مكونة من مادتي الناييس والجرانيت المعروفتين بشدّة صلابتهما. يعود اختراق المجرى لتلك الصخور إلى غزارة الأمطار التي تتلقاها منطقة حوض الصرف والتي يفوق معدل تساقطها سنويا 800 ملم. فنحت بها جدراننا يزيد متوسط ارتفاعها عن 100 متر في الأخضرية. ويلاحظ أنّ السطح قد زاد انخفاضا على ما كان عليه منذ البلايوسين⁽¹⁾ بحوالي 200 متر، لتراكم عبر العصور الجيولوجية الرواسب التي لا زال وادي يسّر يلقي بها عند مرفقه، متسببا في إحداث ثقل على طبقة السيماء، ومن ثمّ خسف الجزء السفلي من قاعدة المصب، فارتفعت بعض المناطق المجاورة له لإعادة توازن القشرة⁽²⁾

أما بالنسبة لتضاريس أوطان بني مناصر فإنّها أكثر تعقيدا في قسمها الشمالي وتعدّ نموذج صادقا

¹ _ البلايوسين (Pliocène): يمثل آخر طبقة من الزمن الجيولوجي الثالث، تتكون طبقة البلايوسين من صخور طينية أو رملية حمراء بسبب دخول أكسيد الحديد في تركيبها، أو من صخور جيرية بيضاء متداخلة، وصخور⁽¹⁾. في هذه الحقبة اكتملت كتلة الألبين (Alpine)، وظهرت معالم البحر الأبيض المتوسط الحالي⁽²⁾.

¹ 1 - حليمي؛ المرجع نفسه، ص. 17

¹ 2 - أنظر: CD ROM ENCYCLOPAEDIA- UNIVERSALIS 1998 France

² ? 2 - حليمي؛ المرجع نفسه، ص. 58 .

على الكتل البحرية التي تحصر بعض السهول الضيقة في شكل مساطب متدرجة (1). ولعلَّ صعوبة الانتقال عبر الطريقين الرابطين بين مدينة شرشال الواقعة عند السفح الشمالي لجبال زكار، وقرية خميس مليانة على السفح الجنوبي له، عبر مليانة خاصة في فصل الشتاء تعكس شدة انكسارات القسم الشمالي لأوطان بني مناصر. مما يحدث عند سقوط الأمطار وذوبان الثلوج سيولا جارفة من جبال بني صالح 1629 متر (2)، ومن أعالي قمم مرتفعات زكار الغربية شمال مليانة التي يقدر ارتفاعها بـ 1580 مترا عن مستوى سطح البحر، وبـ 1530 مترا بالنسبة لجبال زكار الشرقية. وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّ هذه الأخيرة تغطي واد (la vallée) حمام ريغة.

غالبا ما تشترك عدة قبائل في استغلال نفس الأودية. فوادي الشلف مثلا الذي ينحرف غربا عند اصطدامه بجبال زكار تسقي مياهه الأوطان الجنوبية الغربية لبني مناصر الممتدة نحو السفح الشمالية لجبال الونشريس، في حين تستفيد أوطانهم الشرقية الواقعة على نفس الخط من مياه وادي دجر (جر) المنحدر من الكتلة الشرقية لجبال زكار. يتخذ وادي جر عند قرية وادي العلايق اسم مازفران مواصلا سيره عبر الحافة الجبلية الساحلية التي تفصل بين البحر وسهل متيجة الغربي. حافة ذات التواء محدب، مصوبا اتجاهه من شاطئ شرشال إلى غاية مدينة الجزائر (3). ويبقى وادي الهاشم من أهم الأودية بالنسبة لبني مناصر لما يربط بينهما من علافة تاريخية. هذا على غرار وادي الداموس الذي

(E) -

1 _ أنظر:

VILLIOT; Mœurs..., op. cit. P.322.

2 _ أنظر: P.2 (A) - FILLIAS; 0p. cit.

3 _ حليمي: المرجع نفسه ص. 58.

يتلقى مياه السيول نابعة من جبال تاشته وجبال زكار الغربية.

2 - التساقط

تقع أوطان يسّر وأوطان بني مناصر في نطاق مناخ البحر الأبيض المتوسط على العموم حيث تتلقى المنطقة سنويا كمية من الأمطار يتراوح معدّل تساقطها ما بين 800 ميليمتر و400 ملم مع بعض التفاوت بسبب التباين في تموقع التضاريس محليا. مما أحدث تمايزا محليا بين خصوصيات مناخي أوطان يسّر وأوطان بني مناصر.

وهناك بعض الفجوات حتى في الإقليم الواحد. فبالنسبة لأوطان بني مناصر يقلّ معدّل التساقط بها عن 400 ملم كما هو الحال عند الواجهة الجنوبية من جبال الظهره إلى غاية الواجهة الشمالية من جبال الونشريس أين ترتفع مجددا متوسط الأمطار على الرغم من بعدها عن البحر.

أمّا بالنسبة للكمية التي تتلقاها أوطان يسّر فهي أكثر غزارة من نظيرتها، وذلك لوقوع الحواجز الطبيعية كجبال جرجرة المحيطة جنوب سهل يسّر. فمعدّل التساقط بهذا الأخير لا يقل عن 800 ملم. وهكذا فإنّ المنحدرات المجابهة للرياح هي أكثر مطرا من الأراضي المعرضة للرياح القارية. لذا تتميز السفح الجبلية الشمالية من جبال الظهره بغطاء غابي كثيف مقارنة مع السفح الجنوبية من ذات الكتلة.

3 - نوعية التربة والغطاء النباتي

انعكس التفاعل الطبيعي بين تضاريس ومناخ مقاطعة الوسط على التربة. ففي أوطان بني مناصر يمكن التمييز بين نوعين أو ثلاثة أنواع من الأتربة:

- التربة الجبلية التي تغطي السفح العليا الشديدة الانحدارات أي على أزيد من 1000 متر فهي تربة خفيفة، فقيرة غير ناضجة.

- التربة الحصوية الرملية المعروفة أيضا بالتربة الخشنة، وهي تنتشر خاصة في الجبهة الجنوبية لجبال الظهرة حيث تقل نسبة الرطوبة. لكن هذا لا يعني أن أوطان بني مناصر خالية من التربة الخصبة، بل بلغ انتشارها على منحدرات لمستوى الألف متر (1000م) والمعروف عنها قليلة الانحدار. ذلكم هو النوع الذي استقطب اهتمام الإدارة الاستعمارية.

أما بالنسبة لتربة سهل يسّر فإنها تربة فيضية ثقيلة غنية بالمواد العضوية والمعدنية. تربة ناضجة لأنها تمتد على أعماق بعيدة. أمر طبيعي نجد تفسيره في استقبال وادي يسّر مياه السيول التي تتدفق على السهل من الجبال المحيطة به، فجرجرة من الجنوب، و الأطلس المنتجي من الجنوب الغربي لبدأ انحدار الوادي في التباطؤ شمال الأخضرية مما يمكنه من الاحتفاظ بالتربة دقيقة المسامات (1).

أما عن الغطاء النباتي فإنه جدّ كثيف بإقليم يسّر إذ هو متكون من أشجار البلوط بمختلف أنواعه: الفلين والسنديان (chêne vert)، الصنوبر الألبى والصنوبر البحري والأرز والسّرو (thuya). (2) يمكن تلخيص حالة الغطاء النباتي بأوطان بني

مناصر في كونه جدّ متنوع. فمن شجيرات الضرو (les lentisques)، وأدغال العليق (les buissons de ronces) والعرعار (genièvre) والعلايق والحمائرة وبوحداد وسيسنو والريحان والدوم (palmiers nains)، مختلط بالخزامة (lavande)، الإكليل (Romarin) وانتشار غابات الدفلة على طول الأودية. أما في ما يخص الغابات العالية التي تغطي المنطقة نذكر غابات الصنوبر،

1 - أنظر: - p. 56 (A) - FILLIAS; op. cit.

2 - أنظر: - p. 5 (A) - Fillias; ibid.

والبلوط، وأشجار الأرز الذي يُستغل عادة كوقود ⁽¹⁾ .
وتبقى أهم الغابات على الإطلاق خاصة من حيث
المساحة تلك التي تنتشر انطلاقاً من جنوب البليدة
إلى المدية وإلى الجنوب الشرقي للشلف ومن غرب
ثنية الحدّ إلى شمال مليانة. فإنّ هذه الغابات كما هو
واضح تكسو تراب أوطان بني مناصر.

¹ - أنظر : - (L) p. 86 Op. Cit. HERBERT;

الفصل الثالث

- المواجهة والصمود

- "الوطنية" كما تصورها بعض الأقلام

أ - تصدي أهل دار السلطان

ب - الوضعية السياسية لبني مناصر وأهل يسّر

ما بين 1834-1837

ج - خدمات أمنية لصالح الدولة الوطنية

د - بني مناصر وأهل يسّر من خلال معاهدة 1837

هـ - صمود بني مناصر وأهل يسّر

بعد تعيينه في 6 أوت 1830، تلقى كلوزيل (CLAUZEL) ⁽¹⁾ من قبل الحكومة الفرنسية الجديدة ⁽²⁾ أوامر تقضي بضرورة الإبقاء على القيادات المحلية على حالها. إذ جاء في التوصية التي تلقاها ما يلي: "...وجوب الاحتفاظ بالوضع بالجزائر كما تركه دي بورمانت ⁽³⁾ ...". ⁽⁴⁾ مما أبقى أهالي معظم أحواز مدينة الجزائر والمناطق المجاورة لها من دار السلطان ملتفين حول قياداتهم. لكن هل كان بإمكان كلوزيل أن يتخذ في مثل هذه الظروف إجراءات أخرى؟

اجتمع أهالي أوطان شرق دار السلطان حول بن زعمون ⁽⁵⁾ وكل من سكان الوسط والغرب منها

¹ كلوزيل "CLAUZEL": تمّ تعيين كلوزيل كقائد أعلى للجيش الفرنسي بالجزائر وذلك بتاريخ 6 أوت 1830 ليتّم توقيع قرار تعيينه وتنحية دي بورمانت رسمياً بتاريخ 12 أوت ... وصل كلوزيل إلى الجزائر وفي حوزته جملة من التعليمات الشفوية والمكتوبة، حملته إياها حكومة جويلية الملتفة حول شخص الملك لويس فيليب، تغاديا لأية حركة تمردية من قبل الجيش الفرنسي المتواجد بالجزائر الذي كان تحت قيادة دي بورمانت الموالي للملك المخلوع. ولإنجاح سياسة الاحتلال انتهج كلوزيل حرب العصابات لكنه أخفق في غزو عاصمة بايليك الشرق في نوفمبر 1836 .

SCHEFER; *La politique coloniale de la Monarchie de Juillet*, (Christian) أنظر:

l'Algérie

et l'évolution de la colonisation Française . Paris MCMXXVIII . P. 49

² حكومة جويلية: عاد الحكم المستنير، بعد ثورة 29-27 جويلية 1830 التي أدت إلى سقوط الملك شارل العاشر المستبد، برفع الراية الثلاثية من جديد، "راية الثورة الفرنسية 1789" وتوسعت قليلا دائرة المُنتخبين. لقد أثرت ثورة باريس على السياسة الفرنسية تجاه الجزائر لكن ليس إلى حدّ التخلي عنها. فكانت مهمة كلوزيل إذن الحفاظ والاحتفاظ بالجزائر.

³ دي بورمانت (De): كان عضوا في الوزارة المشكلة أساسا من مناصري الملكية المطلقة (Les ULTRAS) تحت إشراف الأمير بولينياك (Poligniac) والتي تمّ تأسيسها في تاريخ 8 أوت 1829

⁴ - أنظر: SCHEFER; Op. Cit (.C) -

⁵ - أنظر: (Ernest) - *La Question Indigène en Algérie au commencement du 20^e siècle*. Paris 1901. P. 24

¹ - بن زعمون: الحاج محمد بن زعمون شخصية مؤثرة من قبيلة فليسة أمّ الليل، عقد اجتماعا بين 13 و 14 جويلية 1830 للنظر في كيفية التعامل مع الغزاة، وإذا به يسرع دي بورمنت إلى إصدار قرار 15 جويلية 1830. ومن ثمّ فبدل التباحث في كيفية التفاوض مع قائد الحملة اتخذ المجتمعون قرارا جماعيا لمقاومة الغزو. أنظر: في هذه الدراسة ص. 99 .

² - أنظر: PELLISSIER; *Les Annales Algériennes...* T. 1 op. cit. P. -

وسكان التيطري حول محمد بن عيسى البركاني (1).
إذ تجنّد الجميع وراء بن زعمون والبركاني لمواجهة
القوات الغازية والتصدي لها. التفاف طبيعي حول
قيادتين متكاملتين جاء استجابة لنداء القومية أي
لنداء الوطن والدين.

- "الوطنية" كما تصوّرتها بعض الأعلام

لقد أحسن الأمير عبد القادر ، في نظر بوديكور،
استغلال الهدنة المبرمة بينه وبين دي ميشال في 26
فيفري 1834 (2) حيث يرى أنّها كانت فرصة بالنسبة
للأمير لإنشاء جيشا نظاميا، رمز الدولة، والذي أضف
عليه التحاق القيادة المشتركة لإقليم الوسط الصبغة
الوطنية وبالتالي ف"الوطنية الجزائرية" المستوحاة
دائما حسب بوديكور من الفكر الغربي السائد بأوروبا
نهاية القرنين الثامن عشر ومطلع القرن التاسع
عشر الميلاديين لم تبلور إلى مع نضال الأمير عبد
القادر الذي عرف كيف يستفيد من الفرصة الذهبية
التي أتاحتها له فرنسا عام 1834. الغريب في الأمر
أنّه لم ينتبه إلى أن قوات الدولة الوطنية الفتية (التي
سُمح لها بالظهور؟؟؟) (3) واجهت أعت قوة
الاستعمارية آنذاك.

لم يكن إسماعيل عريان من دعاة هذا الرأي إذ
كان في نظره أن نضال الأمير عبد القادر جهاد

1 - ؟ - البركاني: شخصية ستتضح ملامحها السياسية تدريجيا مع التقدم في
العرض.

2 - ؟ - أنظر:- PELLISSIER; *Les Annales...* T. 1 Op. cit P. 134.

2 - 1 - هي تلك المعاهدة التي تعرف باسم الجنرال دي ميشال.

2 - ؟ - (شارل هنري) تشرشل: *حياة الأمير عبد القادر*. ترجمة وتقديم وتعليق
عليه الدكتور أبو القاسم سعد الله . الدار التونسية للنشر. عام 1974. ص. 81-
78.

3 - ؟ - 1 - تشرشل؛ المرجع نفسه. ص. 62.

2 - ؟ - محمد بن عبد القادر الجزائري؛ *تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير
عبد القادر*. شرح وتحقيق الدكتور ممدوح حقي. الطبعة الثانية. دار البقطة
العربية للتأليف والترجمة والنشر 1384 هـ / 1964 م. (960 ص.). ص. 164.
"....هذا؛ ولما انقضت الحكومة الجزائرية، من سائر المغرب الأوسط. واستولى
العدو على مدينتي الجزائر ووهران أعادهما الله دار إيمان وإسلام..."

مستمد من الإسلام وليس نضال وطنيا. فهو يرى
 بضرورة التمييز بين النضال تحت راية الدين والنضال
 تحت راية الوطن، متجاهلا الارتباط القوي بين الدين
 والوطن (الأرض) لدى المجتمع الجزائري (1)
 ارتباط ما فتئ هذا المجتمع يبرهن عنه من خلال
 دفاعه المستميت على مقومات وطنيته وأصالته
 ورفضه المطلق الانقياد وراء إدارة ينعتها
 بالكافرة. كما جاءت شروط الأمير عبد القادر على
 الجنرال بيجو في 12 ماي 1836 تأكيدا على قوة
 الارتباط بالوطن. هذا إن لم نقل بعضوية الدين
 والوطن عند المجتمع الجزائري الملتف حول قيادة
 تجمع بين الإمامة والجهاد والسياسة.
 ولعل اشتراط الأمير أن يتمتع من كان من الأهالي
 مقيما يوم التوقيع على المعاهدة بالأراضي المحتلة
 بهويته كاملة غير منقوصة. إذ جاء في معاهدة 12
 ماي 1836 ما يلي: " ... أن يكون كل مقيم (من
 الأهالي) في المناطق المعترف بها لفرنسة تابعا
 لسلطته الشرعية (حكومة الأمير) فقط ... "، هذا كاف
 للدلالة على حرص الأمير عبد القادر على تحقيق أحد
 أسس مبادئه ألا وهو الحفاظ على وحدة المسلمين
 مبرهنا أن الدفاع على الأمة يبقى فوق كل اعتبار
 دنيوي (2).

إن أولئك الذين اعترفوا بعمق تجذر الدين والوطن
 في روح المجتمع (3) هم أول من أغفل تلك الحقيقة.
 لكن لم يغير هذه من واقع وطنية الأهالي في شيء.
 ليست كلمة "وطن" وما تحمله من معنى
 الانتماء، مرتبطة على غرار كلمة باتري (Patrie) (4)

1 ؟ أنظر: - VOISIN; L'Algérie pour ... op. cit (George)

2 ؟ تشرشل؛ المرجع نفسه، الفصل: عام 1836 ص. 112

3 ؟ أنظر: BAUDICOU; op. cit. P. 314 (L) -

4 ؟ 1 - (La Patrie) : يقصد بمصطلح " الباتري " في العصور القديمة أرض الأجداد
 أو مسقط رأس الشخص ويعني في اللغة اللاتينية البلد (Le pays) (PAGUS) الذي
 يترجم في اللغة العربية بالوطن

- أنظر: ENCYCLOPAEDIA UNIVERSALIS . France CD ROM 2000

بالأرض. فإذا كان الأمر كذلك فلا يمكن لمصطلح الأوطان الشائع قبل الغزو إلا أن يعكس قوة ارتباط الأهالي بالأرض وأن ذلك هو بمثابة مصدر أساسي للوطنية الحقّة. وما تحالف كل من بومزراق⁽¹⁾، محمد بن عيسى البركاني، بن زعمون، ومحمد بن علال مبارك القليعي لإحباط مسعى كلوزيل حين توجّه نحو المدينة عام 1830 والمتمثل في تنصيب مصطفى بن عمار بايا على التيطري بدل بومزراق المتهم حسب بيرار (BERARD) بغدره للسلطة الاستعمارية⁽²⁾، إلا دليل على وجود وعي وطني قوي وذلك حتى قبل مبايعة بن محي الدين، ليزداد التمسك بالدفاع الموحد عن الوطن حين تمّت له المبايعة عام 1832 فزادت الوطنية ترسيخاً فور إعلانه الجهاد.

هذا في حين هناك من كان يرى بأن الأمير عبد القادر كان وراء إحياء القومية العربية التي اختفت (في نظرهم) منذ أمد بعيد⁽³⁾. لكن لا يمكن لتصرفات بعض أصحاب النفوس الضعيفة والتي كانت غايتها تحقيق مأرب ضيقة، أن تحجب وجود وعي وطني عام وإلا فكيف يمكن تفسير مبايعة محمد بن عيسى البركاني للأمير عبد القادر عام 1832 وهذا الأخير لم يكن قد وصل بعدُ حدود سهل الشلف أين واجهته قبيلة فليته⁽⁴⁾.

2 - أبو القاسم سعد الله؛ الحركة الوطنية الجزائرية 1930 - 1900. الجزء الثاني، الطبعة الثالثة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر. 1983. الفصل الأول: ص. 83 - 15

1 - (مصطفى) بومزراق: حكم بايليك التطري والذي أصدر ضده القائد العام للقوات الغازية لعدم قبوله التعامل مع القوات الغازية قرار عزله في 15 نوفمبر 1830 عن منصبه.

-أنظر: عربان؛ الإخبارية... المصدر نفسه. ص. 404
-أنظر: بيليسي؛ حوليات... الجزء الأول. المصدر نفسه - الفصل VI. ص. 134- 167.

2 - أنظر: BERARD; Indicateur général de l'Algérie. Recueil d'arrêtés et d'actes (V) -administratifs et d'un annuaire pour l'année 1848. (620 p.). p. 105

3 - تشرشل؛ المرجع نفسه ص. 112

ويكون بيرار بتطرقه إلى موقف محمد بن عيسى
المساند لبومرزاق قد وضع بين أيدي المؤرخين
شهادة على عظمة القاسم المشترك بين بني مناصر
وأهل يسّر وغيرهم من سكان بقية الأوطان. قاسم
مشترك متجسد في الدفاع على الوطن والتصدي
جنباً إلى جنب للغزاة ، مما عطّل توغل القوات
الاستعمارية وصعب عليها تنفيذ احتلال أوطانهم بما
يزيد عن قرابة عقد من الزمن من تاريخ سقوط
حكومة الديوان.

وما العبارات التي استعملها الأمير عبد القادر في
ردّه على نقض معاهدة التافنة المبرمة 20 ماي عام
1837 ⁽¹⁾ للمرشال فالي (Valée) المكلف بالتفاوض
من جديد ⁽²⁾، بعد تقدم قوات الاحتلال وعلى رأسها
الدوق أورليان نحو باب الحديد ⁽³⁾ (les portes de fer)
في أكتوبر 1839 قادما من الشرق إلاّ تثبيت للطابع
الوطني للمقاومة ما بين عامي 1830 و1848 حيث
جاء في ردّه ذاك: "... إنّ سائر أهل الوطن اتفقت
كلمتهم ... على استرجاع شرفهم بالحرب لأنّهم رأوا
تجاوزكم الحدود المعينة في معاهدة التافنة مَبْطُلاً
لها، ناقضاً لأساسها ..." ⁽⁴⁾. عبارات واضحة على أنّ
أوطان يسّر وأوطان بني مناصر لا تنفصل عن الدولة
الوطنية

4 - ؟ " ...فقد تكلم سيدي العربي وهو قائد... له تأثير مطلق على قبيلة فليته
في سهل الشلف، بامتعاض مكشوف عن السلطة الجديدة (سلطة الأمير)."
- تشرشل؛ المرجع نفسه: ص.61.

1 - المصدر نفسه 117

2 - المصدر نفسه ص.161

3 - 1 أبواب الحديد (les portes) ، أبواب النار (les portes de feu) (les Bibans) البيان
كلها أسماء تحمل معني صعوبة وخطورة الطريق الرابط بين مقاطعتي
قسنطينة والجزائر.

؟ 2 - تشرشل؛ المرجع نفسه ص. 181.

؟ 3 - أنظر: - (C). P. (543 p.) Ed. Ollendorff, Paris 1890 TRUMELET: Le Général Yusuf. T. 1.

336 .

- D'ESTRE;

؟ 4 - أنظر:

Campagnes... op. cit. p. 55

4 - تشرشل؛ المرجع نفسه. الفصل عام 1838

أمّا فيما يخص حصر بيليسي مفهوم "الوطن" (Nation) على بجاية والمناطق الجبلية المجاورة لها⁽¹⁾، لا يغدو عن كونه مساهمة أدبية في تعبيد الطريق أمام أصحاب قرار الاستيطان الذين عوّلوا منذ بداية الغزو، على إضعاف المجتمع الجزائري انطلاقاً من استغلال تنوعه الحيوي وتحويل هذا الأخير من نعمة إلى نقمة للضمان إضعافه في أسرع وقت ممكن.

أ - تصدي أهل دار السلطان للغزو

لم تنتظر قبائل دار السلطان إذن ذلك الاعتراف المزعوم من قبل القوات الغازية والذي أطلقت عليه "الجنسية الجزائرية" (La Nationalité Algérienne) لتشريع في الدفاع عن مقوماتها الوطنية، ومن ثمّ على انتمائها الحضاري، خاصة وأنّ قبائل المخزن والرعية الواقعة شرق دار السلطان التفت، في بداية الأمر، حول الزعيم الروحي بن السعيد⁽²⁾ والقائد العسكري محمد بن زعمون إلى أن صار الجميع تحت إمارة الأمير

أمّا عن البعد الوطني لنضال ومقاومة القبائل فإنّه تجسد في تجاوز كلّ واحدة منها حدود أوطانها المعهودة، كما يكون عليه عادة الحال في ظروف عادية ليشمل مناطق أوسع كما هو الشأن بالنسبة لقبائل شرق دار السلطان التي بلغت تحركاتها انطلاقاً من أوطان يسّر وفليسة أم الليل وغيرها من القبائل التابعة لقيادة سيباو لتصل إلى مشارف بوفريك أين تمّ اللقاء مع قبائل الوسط، ومن ثمّ حضور قادتها الاجتماع التنسيق المنعقد بسوق عليّ في أواخر سبتمبر عام 1832، بغية توحيد الصف

¹ _ بيليسي؛ الحوليات... المصدر نفسه ص.5

² _ بن السعيد هو سيدي السعيد أحد مرابطي الجزائر العاصمة أمر عند عودته من البقاع المقدسة عام 1831 اتباعه من شرق دار السلطان بالجهاد
_ أنظر: PELLISSIER; Les Annales. T.1. P. 199

لقطع الطريق أمام زحف القوات الغازية التي وضعت مدينة المدية في طليعة أهدافها التوسعية ⁽¹⁾. هذا في الوقت الذي كان فيه المرابطون بوسط وغرب دار السلطان يسجّلون مواجهة مماثلة مما يُرسخ الطابع الوطني للمقاومة منذ السنوات الأولى للغزو.

لقد أرجع ديجوبير (DESJOBERT) ظهور الشعور الوطني عند العرب إلى واعز الهيمنة إذ كتب قائلاً: "... إنَّ الأحداث هي التي تقود إلى تنامي الشعور الوطني فاحتلال الأرض (Le territoire) من قبل قوة أجنبية، وجذور الشعب المقيم عليها (le sol) ضاربة في أعماقها، فإنَّ شعوره سيكبر في صمت لأنَّه يعيش تحت ضغط هيمنة المحتل وسيتحرك حتما هذا الشعور تحت ضربات المحتل. ومن ثمَّ سينجر عن تلك الأزمة الثورية (la crise révolutionnaire) حكومة وطنية ..." ⁽²⁾. فإذا اغْتَبِرَ التفاف جمهور قبائل الوسط حول شخص محمد بن عيسى البركاني عام 1832، لبنة في الحركة الوطنية، فماذا عن اعتراف القائد البركاني بإمارة عبد القادر ودعم مبايعته بالانضمام إلى صفوفه سنة 1832 رغماً تلك الأزمة الناجمة عن المناورات الاستفزازية التي حاول قادة القوات الغازية إحداث بها فجوة بين مشايخ المنطقة ما بين أوطان حِجوط وشرشال للتمكن من الزحف برا باتجاه المدينة ⁽³⁾.

أمّا عن أسباب تلك الأزمة فإنَّ البعض يرجعها إلى تنافس المشيختين المحليتين على قيادة شرشال، أي بين البراكنية المتواجدين بعين المكان والغبارنية العائدين من الداموس حيث قبيلة بني زيوي ⁽⁴⁾ بعد

1 - أنظر: TRUMELET; le Général YUSUF. -

T.I. op. cit. P. 34

2 - أنظر: DESJOBERT - L'ALGERIE en 1838. Ed. Dufart, 1838. (184 p.)

3 - ديجوبي: المرجع نفسه

4 - أنظر: GUIN; Notice sur La Famille EL-GHOBRINI de Cherchell. In. Rev. Af., (L) -

17° année n°102, novembre 1873. Ed. OPU. Alger. (sans date)

تبدد وعيد الحكومة المركزية لهم والذي زال مع زوالها. في حين يرجعها البعض الآخر إلى تعمد القيادة الاستعمارية تعيين بن عمار حاكمها على رأس مدينة شرشال وهو الأمر الذي رفضه كل من الحضر والجبالية⁽¹⁾ جملة وتفصيلا.

ساهمت إذن الأزمة في التلاحم الجماهير فبرزت مؤشرات المسعى الوطني خلال اجتماع "سوق علي" الذي حضرته قبائل من شرق ووسط مقاطعة الجزائر. وقبله اجتماع خربة جندل⁽²⁾ المُنْعقد في شهر أوت 1831⁽³⁾ والذي حضره شيوخ التيطري بما فيهم محمد بن عيسى البركاني للتشاور حول إمكانيات التصدي للهجمات المتتالية على متيجة والمدينة⁽⁴⁾.

ب- الوضعية السياسية لبني مناصر وأهل يسّر 1834-1837
لقد عبّر قادة قبائل الوسط، بعد غياب السلطة المركزية، عن الخطورة التي صارت تهدد القطر ككل من خلال استنجادهم بأقرب سلطة إسلامية آنذاك وهي سلطنة المغرب الأقصى. فاعترفوا في اجتماعهم بخربة جندل في أوت 1831 بحكم السلطان المغربي. هذا قبل ظهور قيادة محلية قادرة على استقطاب ثقة الجميع مثل ما حدث مع الأمير عبد القادر عام 1832. إنّ هذه المواقف تعكس بحق مدى تجذّر الروح الوطنية في الدين والعكس صحيح.

¹ - الجبالية: مصطلح يعني في الأدبيات الاستعمارية الكبايل (les Kabyles) لكن في هذا المقام حملوه معنى التخلف.

² - خربة جندل: تقع في الجنوب الشرقي لمدينة مليانة وبالقرب من الطريق السلطاني.

³ - أنظر : JULIEN; Histoire de l'Algérie Contemporaine T1 " La (Charles André) - Conquête et les débuts de la Colonisation 1827 - 1871 ", Paris 1964, P. 82

⁴ - أنظر URBAIN; Notice sur l'ancienne Province de TITTERI (Appendice). T.S.E.F.A (I) - 1843 -1845. P404

ب - - 1 ارتباط بني مناصر بحكومة الأمير عبد القادر

إنّ المعاهدات التي تبرم لإيقاف الحروب عادة ما تتضمن بنوداً تتعلق بضبط الحدود السياسية التي تتفق عليها الأطراف المتحاربة. فمعاهدة 26 فيفري (1) 1834 المبرمة بين الأمير عبد القادر ودي مشال والتي اعترفت بموجبها القيادة الاستعمارية بانفراد الأمير بالسلطة على جميع أنحاء القسم الغربي من القطر الجزائري باستثناء مدن وهران أرزيو ومستغانم وبالتالي تكون ذات القيادة قد اعترفت نيابة عن الدولة الفرنسية بكون أوطان اتحاديتي بني مناصر وسيباو ضمن حدود الدولة الوطنية (2) وعلى هذا الأساس ضبط الأمير عبد القادر هياكل دولته. وفي إطار عملية تفقد أحوال أهالي الناحية الغربية من دار السلطان توجه الأمير نحو مدينة شرشال التي كانت وجهته الرئيسية مرورا بمليانة أين خرج لاستقباله مشايخ المنطقة منهم الحاج الصغير عليّ المبارك ومحمد بن عيسى البركاني الذي كان متواجدا بمليانة منذ بضعة شهور على إثر أزمة صائفة عام 1834. فزاد قدومه هذا من تنامي الشعور الوطني وتراصه لدى المحليين (3) أمّا عن الارتباط الرسمي لاتحادية بني مناصر بالدولة الوطنية فإنّه يعود للاجتماع الذي عقده الأمير عبد القادر بحضور كبار المشايخ، بمسجد المائة ركيزة (المائة عرصة) بوسط مدينة شرشال ، والذي توصل من خلاله هؤلاء المؤتمرين إلى قرارات تتعلق بتنظيم القيادات والتنسيق فيما بينها فتمّ تعيين الحاج مصطفى بن محي الدين أخ الأمير على مدينة والحاج الصغير بن عيسى عليّ المبارك على مدينة

11 - ? - تشرشل؛ حياة الأمير. الفصل الخامس: (عام 1834م) . ص.ص 93-82..

2 - ? - دي بوديكور؛ الحرب والحكم...المصدر نفسه . ص. 132 .

2 - ? - (محمد بن عبد القادر) الجزائري ؛ تحفة الزائر... المصدر نفسه . ص. 360.

3 - ? - أنظر: - GUIN ; La famille op. cit. -

مليانة في حين نُصِّبَ محمد بن عيسى البركاني على التيطري، فكانت مدينة المدية مقرا لقيادته (1).

ب - 2- حدود أوطان بني مناصر عند عام 1834

لم تكن اتحادية بني مناصر مجرّد تحالف طبيعي اقتضته ظروف الغزو وتهديده لأوطانهم أو مجرّد تحالف من أجل التصدي الاستعماري، وإنما كان نتيجة لقرارات سياسية اتخذته سلطة البلاد قبل الغزو تجاه بني مناصر بحكم مكانتهم السياسية والاقتصادية ودورهم الأمني بدار السلطان وإقليم التل الأوسط (2). فاعترفت لهم تلك الحكومة بالإشراف على أوطان موزاية، صوماتة، بني مناد، ريغة، وهوارة (3).

اعتراف جاء لتعزيز النفوذ الروحي لعائلة البركاني المرابطية والاحترام الذي تحض به في العديد من أوطان بايليك التيطري. والذي كان يتجاوز في انتشاره جنوب منطقة التل ليمتد إلى أبواب الصحراء الوسطى. عن طريق فروع العائلة كابن مالك، صحراوي وعبيد وغيرها من الفروع (4). وعلى الرغم من الضبابية التي عادة ما تكتنف مثل هذه المواضيع إلا أنه يمكن استنباط بعض الحقائق التي مفادها تفنيد أو تأكيد وجود اتحادية بني مناصر ضمن دولة الأمير عبد القادر عام 1834 نذكر منها ما يلي:

1 _ التفاف أهل شرشال وضواحيها حول البركاني عام 1832.

2 _ استحسان سكان المدية وجميع القبائل المجاورة لها تعيين البركاني على المدية.

1 _ أنظر: (1) p. 405 URBAIN; Notice ...

2 - باليك التيطري

3 _ بيليسي؛ حوليات...المصدر نفسه.

4 - أنظر الفصل: الأسماء الفرعية اسم أبركان. العودة إلى الصفحة 64

- 3_ امتناع سكان شرشال وضواحيها عن دفع الضرائب المستحقة للدولة إلى الحاج مصطفى بن محي الدين إصرار منهم على الاحتفاظ بقائدهم محمد بن عيسى البركاني.
- 4_ اعتماد البركاني في ردّعه لتحركات الدرقاوة على قوة بشرية قوامها الأساسي العنصر المناصري (1).
- 5_ التحركات العسكرية تحت قيادة محمد بن عيسى البركاني من أجل إعادة المدينة إلى حضيرة الدولة الوطنية بعد محاولة الحكومة الاستعمارية تعيين عليها قائدا مواليا لها على المدينة.
- 6_ إعلان قبائل المخزن (2) عن ولائها للأمير عبد القادر بعد انسحاب شريف مواطي ممثل السلطان مولاي عبد الرحمان (3) ألحقها بإدارة بن عيسى البركاني (4).

URBAIN; Notice... Op. -

1 ? أنظر:

cit. p. 404

2_ قبائل المخزن: رغم تعدد أنواع قبائل المخزن، من حيث علاقتها بالسلطة المركزية وأدوارها الاقتصادية والأمنية إلا أنه غالبا ما تغيب الدقة عن أدبيات العهد الاستعماري، مما انجر عنه الخلط وعدم التمييز بين هذه أو تلك القبيلة المخزنية. فتشرشل على سبيل المثال أخلط أكثر من مرة بين الكراغلة الذين هم من الحضر والمخازنية الذين هم في أغلب الأحيان من الأرياف. كما أنه لم يميز بين المتحالفين مع القوات الاستعمارية وأولئك الذين قاوموها منذ الوهلة الأولى مثلما هو الشأن بالنسبة لمخازنية سهل يسر.

3 ? 1 - مولاي عبد الرحمان: عبد الرحمان بن هشام (1778-1859) سلطان المغرب الأقصى. تعرضت المملكة في عهده إلى ضربات تمهيدية للغزو من قبل القوات الاستعمارية انطلاقا من قواعدها بالجزائر. هجوم الجنرال بيجو عام 1844 على الغرب (معركة إيسلي) شاهد على ذلك

2 ? أنظر:

URBAIN; Notice... Op. cit. p. 404

PELLISSIER; Op. Cit. T. 1, P. 262 -

4 ? 1 - أنظر:

2 ? - القبيلتان اللتان أضيفتا لقيادة محمد بن عيسى البركاني بعد تعيينه خليفة للأمير عبد القادر هما: قبيلة بن حسن بفروعها التالية: أولاد سعيد، أولاد مينا، أولاد ميزع، أولاد أومران، أولاد الكرايب (1) وأولاد سي بن عيسى (1)، وقبيلة حسن بن علي بفروعها التالية: أولاد الضريف، إبراهيم، فرغان، ميلان، الغراب أو (الشكاوطا)، سيدي محمد الفرقاني، سيدي يحي الهيلالي، سي الصخراوي (2).

2 ? 1 - يشير إسماعيل عربان في إخباريته إلى أن الأمير عبد القادر كان

يعتمد عليهما بشريا في تدعيم إدارته بمختلف الولايات.

2 ? 2 - فرع ذا نفوذ روحي.

ب - 3 - أهل يسّر ضمن قيادة سيباو (1)

لم تكن لتمرّ الإبادة الجماعية التي تعرضت لها قبيلة العوفية عام 1832 (2) دون أن تهتّزّ لها البشرية وعلى وجه الخصوص قبائل الأوطان المجاورة لها. فكان ردّ فعل أهل عمراوة وأهل يسّر على تلك الجريمة سريعا بالقضاء على ثلاثين عسكريا من اللّيف الأجنبي. فكان ذلك إذانا باستئناف الجهاد.

فبهذه السابقة الخطيرة يكون روفيقو (ROVIGO) (3) قد ساهم من حيث لا يدري في إحداث تعبئة شاملة للقبائل وتقوية قيادة سيباو. إذ ضرب القائدان سدي السعيد وبن زعمون حصارا على مواقع القوات العسكرية من الحدود الممتدة من يسّر وخشنة إلى غاية بوفاريك طيلة الأسبوع الأول من شهر أكتوبر 1832.

أما عن طبيعة المقاومة التي كانت بقيادة شيخ مقاطعة سيباو القائد بن زعمون فإنّها هي الأخرى لم تخرج عن إطار المقاومة الوطنية، بل تندرج ضمنه ويظهر ذلك من خلال التنسيق الجاري بين قيادات وسط وغرب مقاطعة الوسط. هذا من جهة ومن جهة أخرى مشاركة قيادة سيباو في اجتماع جنّدل عام 1832. فكانت تلك القيادة ملزمة بما يقرره المجلس الشوري تحت إشراف الأمير عبد القادر والسهر على تنفيذ المعاهدات المبرمة بينه وبين ممثلي الحكومة الاستعمارية. هذا فيما يتعلق بقيادة سيباو. لكن ماذا عن أهل يسّر وقيادتهم من التنظيم الاتحادي أولا ومن المقاومة الوطنية ثانية؟

- أنظر: (I) URBAIN : Notice... T.S.E.F.A. année 1843-1845. op. cit. p. 406.

1 - أنظر الوثيقة رقم 2: يسّر كقبيلة "موطن" في اتحادية سيباو.

2 ? - أنظر: بيليسي؛ حولات ... المصدر نفسه. الفصل العاشر: سياسة روفيقو (ROVIGO) تجاه العرب. ص. 245-289

3 ? - أنظر: BAUDICOUR; La Guerre et le Gouvernement de l'Algérie. Ed. Saguier (L) - Paris 1853

إنَّ المعطيات التاريخية الخاصة بأهل يسّر بين عامي 1837-1834 هي في الواقع جد قليلة (1) ولعل ذلك راجع إلى عاملين أساسيين هما:

1 - التوظيف الفوضوي لاسم يسّر: إذ ضاع السكان يسّر في الأدبيات الاستعمارية ما بين الوادي والسهل حيث وظف الضباط العسكريون والإداريون الاستعماريون اسم "يسّر" حسب أهوائهم. فعدم رصوهم على دلالة واحدة له كأن يكون كل من يقطن السهل يعتبر من أهل يسّر ومن ثم يدخل ضمن القبيلة التي سيكون الموطن جامعاً بين أفرادها، أو على أساس الاستفادة من المجرى المائي الذي تستقر عنده الحياة، هذا إذا أخذ الوادي كرمز للتوحيد بين كل من يرتوي بمياهه في شكل قبيلة. فعلى الرغم من استعمال بيليسي اسم يسّر في موضع القبيلة على غرار قبيلة عمراوة إلا أن الالتباس لم يزل قائماً حول الحقيقة المراد بها من خلال التلفظ باسم "يسّر" وحول أبعاد حدود القبيلة إذا كان المراد بيسّر هذه الأخيرة (2).

2 - ويبقى السبب الثاني: وهو أقوى من الأول لتفسير ذلك الالتباس هو عدم سيطرة الضباط الأوائل على ميكانيزمات المجتمع الجزائري، واستمرار هذا الغموض لدى معظم أولئك الذين أرخوا للفترة الاستعمارية في القرن العشرين أمثال بوديكور الذي تعرض في كتابه: "الحرب والحكم في الجزائر" (3) إلى محتوى معاهدة 24 فيفري 1834 لكن دون أن يشير إلى ما نصت عليه في حق أهل يسّر وأوطانهم بنفس الإسهاب الذي خصّ به القسم

¹ - أنظر - Ibid

² - أنظر: 89

- PELLISSIER; *Les Annales...* Op. cit. p

- إنَّ ما ذكره بيليسي ليس عرضاً لمعطيات عن حقيقة الارتباط الإداري بحكومة الديوان وإنما هي الصورة التي أرادت لها الحكومة العامة الاستعمارية.

³ - أنظر:

BAUDICOUR; *La guerre...* Op. cit Chap.; *La guerre intérieure*. P. (L) -

الغربي من المقاطعة إذ أكتف عند تعرض إلى القسم الشرقي من مقاطعة الجزائر بعارة "بلاد الكبايل" (1).

أمّا عن الوضعية الإدارية لأهل يسرّ كما جاءت في التنظيم الإداري الذي صممه وضبطه الأمير عبد القادر فإنّها أكثر وضوحاً حيث احتفظ الأمير في تقسيمه الإداري للأراضي المعترف بها لأهل يسرّ قبل الغزو، كما أبقى أوطانهم ضمن قيادة اتحادية سيباو بقيادة خليفته القائد بن سالم (2). وعلى هذا الأساس سيتم التعامل مع أهل يسرّ تاريخياً إلى غاية عام 1840 حيث تمكنت القوات الاستعمارية من غزو بعض أوطانهم ومن ثمّ شروعها في تطويق السكان تدريجياً عن طريق تنظيم إداري يتمشى ومصالح الاستيطان.

ج - خدمات أمنية لصالح الدولة الوطنية

من بين الانشغالات الإستراتيجية للقوات الاستعمارية، هو رصد أكبر قدر ممكن من المعلومات المتعلقة مباشرة بالسكان. وعليه فإنّ ندرة الأخبار عن اتحادية سيباو ما بين عامي 1837-1834 تُعدّ في حدّ ذاتها خبراً تاريخياً مهمّاً مفاده التأكيد على عدم سيطرة قوات الاحتلال على المنطقة خلال تلك الفترة. ويعود هذا التأخر لعدّة عوامل منها: انشغال القوات الاستعمارية بغزو بمقاطعة قسنطينة وملاحقتها لأحمد باي وقواته، ناهيك عن ما كانت تتكبّده من خسائر في الناحية الغربية من سهل متيجة

1 - أنظر: Ibib... p. 305

2 - أنظر: المرجع نفسه، الفصل السابع (1836)، ص. 104 والفصل الثامن (1837) ص. 114

3 - أنظر: محمد ابن عبد القادر الجزائري: المصدر نفسه.

4 - أنظر: YVER; *Correspondances du Maréchal VALEE*. T.1 (Octobre 1837- Mai (Georges) 1838).

5 - أنظر: المصدر نفسه: - رسالة شيوخ يسرّ إلى المارشال فالي المؤرخة في 8 فيفري 1838، ص. 453

من جراء ضربات الحجوطيين وبن صالح بجنوب
البليدة (1).

أمّا عن المحاولات التي قامت بها القوات
الاستعمارية لاجتياح أوطان سيباو نذكر منها: الهجوم
البحري على ميناء دلس عام 1835 . فحال تضافر
الجهود الدفاعية لأهل المنطقة دون تمكين تلك
القوات الغازية من دلس (2) ولا حتى من إحداث ثغرة
تمكنها من اختراق أوطان يسّر (3). وإزاء هذا
الإخفاق اضطر بدوفيفي (DUVIVIER) إلى مراجعة
إستراتيجيته فصارت بحاية وجهته لعله يتمكن من
الوصول إلى سهل يسّر بعد غزو بعض المواقع بين
بحاية ودلس. إذن الوضعية الأمنية ليسّر زالت في
يد القيادة المحلية.

وما الهدنة التي سعى إليها الجنرال بيجو 20 ماي
عام 1837 إلا دليل آخر على أنّ الوضع الأمني في
الغرب لا زال في يد القوات الوطنية وأنّ القوات
الاستعمارية لم تتمكن بعد بالنسبة لمقاطعة الوسط
من الوصول حتى إلى وادي جرّ، وهو أضيق وأخطر
منعرج من الطريق السلطاني الغربي الرابط بين
البليدة ووادي بوتان. فكانت إذن الهدنة التي نصت
عليها معاهدة التافنة مجرّد محطة لتأمين الجبهة
الغربية وريح الوقت في انتظار معاودة الكرة بعد
إتمام احتلال المقاطعة الشرقية.

إنّ إستراتيجية التجزئة وريح الوقت المنتهجتان
من قبل الجنرال بيجو وغيره من القادة العسكريين
للتمكن من أوطان مقاطعة الوسط لم تكن دائما
مثمرة، إذ على سبيل المثال وليس الحصر فعندما
حاولت القوات الغازية العودة إلى مدينة الجزائر برا
عبر أوطان اتحادية سيباو بما فيها يسّر مرورا

1 ؟ أنظر: - RAOUSSET-BOULBON (Gaston de); de la colonisation et des Institution civiles en

Algérie. Ed. Paris 1847. (77 p.)

2 - العودة إلى الصفحة 51

3 ؟ محمد ابن عبد القادر الجزائري: المصدر نفسه. ص. 300 وما يليها

بالفندق (Le Fondouk) ⁽¹⁾ عام 1837 لم يحرك ذلك
الاختراق قوات محمد بن سالم فحسب وإثما جميع
الوحدات التي كانت تحت قيادة خلفاء الأمير بما في
ذلك محمد بن علال مبارك ومحمد بن عيسى البركاني
(2).

فكانت إذن زمام الأمور الأمنية، سواء في اتحادية
سيباو أو في اتحادية بني مناصر المترامية الأطراف،
في قبضة الخلفاء.

د - أهل يسر وبني مناصر من خلال معاهدة عام 1837
لم يكن ليرضى الأمير عبد القادر، أمام رغبة
متجددة في الهدنة من طرف قائد القوات
الاستعمارية في مجال حدود الدولة الوطنية بأقل مما
هو تحت سلطته، إذ لم يوقع الأمير عام 1837 إلا وهو
ضامنا لأوطان اتحاديتي سيباو وبني مناصر كاملتين
غير منقوصتين، في حين لم يعترف لمُفوضيه إلا بما
هو محصورا بين وادي قدارة شرقا وكوع مزفران
غربا، ووادي الشلف جنوبا، لتبقى دائرة النفوذ
الاستعماري موصدة من الجنوب ومفتوحة من
الشمال على البحر ⁽³⁾.

¹ - فندق (Fondouk) مركز عسكري نصبت الخيم به أمسية الفاتح نوفمبر عام
1839 م على بعد ثلاثين كيلومتر شرق مدينة الجزائر عند وادي الخميس (1)
تحول إلى قرية بموجب قرار 14 أكتوبر 1844 ثم إلى بلدية بتاريخ 31 ديسمبر
1856 (2).

¹ - أنظر: D'ESTRE; Campagnes d'Afrique 1830-1848 - (H) -
P. 54. Mémoires du Général CHANGARNIER, Ed. Berger-Levrault Paris 1930. (328 p.).
² - أنظر: OUTREY; Dictionnaire de toutes les localités de l'Algérie. Alger. (430 p.) (M) -
P. 160.

¹ - أنظر: JULIEN; op. cit (Ch. A).
² - أنظر: GERMAIN; Politique de Bugeaud... Op. cit (R).
³ - ما نصت عليه معاهدة التافنة في شأن أوطان يسر وبني مناصر:
المادة 2: "...أما في إقليم الجزائر فمدينة الجزائر، والساحل، وسهل
منيجة محدودا من الشرق بوادي قدارة فصاعدا، ومن الجنوب بقية السلسلة
الأولى لجبال الأطلسي الصغير ممتدة إلى نهر الشلف بما في ذلك البلدة
ونواحيها، ومن الغرب بالشفة، إلى جبل مازغان، ومنه في خط مستقيم إلى
البحر، بما في ذلك القليعة ونواحيها سيكون منطقة فرنسية. (إذن الاتحاديتان
هما خارج الأراضي المعترف باحتلالها.)

لقد أضفت معاهدة التافنة على الرقعة الجغرافية التي يشرف عليها الأمير عبد القادر وخلفائه الصبغة الوطنية محاولاً بعث الدولة الوطنية من جديد في حدودها الدولية عند الغزو عام 1830. كان بعض القادة الاستعماريين يرون في "الدولة الوطنية الجزائرية بإمارة الأمير" نتاج الهدنتين السالفة الذكر إذ يعترفون له بحسن استغلال الفرص في تنظيم الإدارة وتسيير شؤون الأهالي. وكانّ الدولة الوطنية الجزائرية ولدت من العدم بمباركة الغزاه (1).

فإذا كان الأمير عبد القادر قد استغلّ هدنة فيفري 1834 لوضع تنظيم إداري الأولي للدولة مقسماً، ما ضمّه من مقاطعة الأوسط - وهو القسم الأكبر من دار السلطان وبايليك التيطري - كاملاً غير منقوص شكّل ثلاث خليفات هي: سيباو، مليانة، والتل. فإنّه جعل من معاهدة التافنة فرصة لإدخال بعض التعديلات على إدارتي كل من اتحادي سيباو وبني مناصر، خاصة وأنّ الأمير عبد القادر اعتمد في سياسته الداخلية على منوال منطق ذلك العصر. فركز على ما كانت تنسجه الحركية الاجتماعية من علاقة متينة بين الرعية والقيادة. حركية طبيعية تبرز من خلال تفاعلات اجتماعية واقتصادية وسياسية لأفراد مجتمع ما.

وبالتالي رعى الأمير عبد القادر أثناء ضبطه التقطيع الإداري تأمين السير الحسن لشؤون المجتمع في حالة السلم وضمان سرعة ونجاعة تحرك القوات النظامية والمتطوعة في حالة حرب. وعليه قسّم المقاطعة الواحدة - الخليفة - إلى أغاليك والإغليك إلى قيادات.

- المادة 3: " يدير الأمير إقليم وهران وإقليم التيطري والجزء الذي لم يقع النص عليه من الشرق، في الحدود المذكورة في المادة 2، في إقليم مدينة الجزائر. وليس له حق الدخول في أي جزء آخر من الولاية. " - تشرشل؛ المصدر نفسه. ص.

هـ - صمود بني مناصر وأهل يسر

ليست قيمة المصطلح محصورة دوما فيما تحمله الكلمة من فكرة وتطور عبر الزمن، وإنما يتعدى ذلك إلى نقل ما يُفرض عليه من تصورات جديدة أفرزتها أوضاعا جديدة . فهل مصطلح الثورة (révolution) ⁽¹⁾ المتكرر في معظم الأدبيات الاستعمارية التي تناولت مواجهة سكان الجزائر ما بين عامي 1830 و1847 له نفس المدلول مع ذلك المتداول لوصف الأحداث التي عرفت فرنسا في جويلية 1789 وجويلية 1830 ⁽²⁾ وفيغري 1848 ⁽³⁾.

فإذا سلّمنا هنا بتطابق المفاهيم فهذا يجعلنا ننظر إلى الأحداث التي عاشتها الجزائر ما بين 1848 - 1830 بأنها مجرد مطلب لا يخرج عن نطاق المطالبة بتحسين الأوضاع المعيشية التي آلت إليها حالة ساكن الجزائر بعد سقوط حكومة الديوان عام 1830 ، وكأن هؤلاء سلّموا منذ ذلك التاريخ بالأمر الواقع الذي صار أمرا مقضيا وهم راضون بوضعيتهم السياسية الجديدة. ففي هذه الحالة تكون ردود

1 - 1 أنظر: - Le Moniteur; 30 Janvier 1843 (Journal)
2 - 2 أنظر:

;ROUSSET (C) -

1- La Conquête de l'Algérie 1841-1857, T1°, (383 p.)

2- La Conquête de l'Algérie 1841 - 1857; T.2, 3°éd., Librairie Plon, Paris 1904 (409 p.)

plus trois cartes . « Comme la révolte, flagrante dans le Dahra, pouvait gagner, le Sud par l'Ouarsenis, tout le Tell et même ... » T.1, P. 165

3- 3 أنظر: - BUGEAUD; De la colonisation de l'Algérie. Ed. imprimerie du Gouvernement

.Alger 1847

إنّ الثورات التي تندلع لا تحطم الاحتلال؛ بل هي في الواقع تأكيد عليه لأنّ الثورة لا تندلع إلا عندما يكون الاستسلام قد تم.

المصدر نفسه

ص. 9

Les révoltes qui surviennent ne détruisent pas ce fait (la conquête); elles en sont au contraire la " confirmation car on ne se révolte que lorsqu'on a été soumis." P.9

2 - 2 انتفاضة 27-28-29 جويلية 1830 ضدّ السياسة الرجعية المنتهجة من قبل الملك شارل العاشر

3 - 3 انتفاضة 22 فيغري 1848 ضدّ لويس فيليب الذي ابتعد عن مبادئ الثورة الفرنسية وتعاهداته لثوار جويلية 1830

فعلهم مجرّدة مطلب بتحسين حالتهم المعيشية مما يصبغها بطابع ثوري.

أمّا عن اقتران مفهومي "الثورة" و"المقاومة" (la résistance) فهو غير وارد لدى المختصين. عكس ما هو شائع لدى عامة الناس، فجوهر الاختلاف يُستنبط من الأهداف المسطرة من قبل الثوار من جهة ومن قبل المقاومين من جهة أخرى إذ لكل أهدافه وإن تشابهت في معظم الأحيان الأساليب.

يبرز الفرق بين مصطلحي الثورة والمقاومة من خلال القرارات والأمريات وغيرها من النصوص الرسمية التي أصدرتها الحكومة الاستعمارية لقمع ردود فعل الأهالي. فردّها على كل اشتباك مع الأهالي بالتظاهر بمحاولة إصلاحية مزعومة بعد أن استنفذت أساليبها الردعية تكون قد أعطت للمقاومة معنى الثورة في حين عندما يدفع بها صمود المحليين إلى التفاوض فإنّها تطلق مصطلح المقاومة. أمّا في حالة انهزام هؤلاء أو أولئك، فلا تفاوض ولا إصلاحات بل يتعرّض الأهالي إلى افتقار أبسط حقوقهم و ممتلكاتهم ...

إنّ ردود فعل الأهالي منذ بداية الاحتلال لم تكن انفجاراً جماهيرياً أو شعبياً ناجماً عن ضغوطات تعرضت إليها هذه أو تلك القبيلة بمواطنها، وإنّما هي مواجهة ردعية للحيلولة دون تمكين قوات الاحتلال فرصة الاستيلاء على المزيد من الأراضي. إذن فاصطلاح المقاومة هو الأصلح لوصف نضال المحليين من ما بين 1830 - 1872

وللمزيد من الدّقة في التعبير على تلك الأحداث التي عاشتها منطقة الوسط ما بين عامي 1841 و 1845 يتعين علينا العودة إلى ما كتب من قبل مهندسي عمليتي الغزو والاحتلال وكل العناصر الفاعلة في سير الأحداث، ويُمكن في ذلك الاستعانة، بالإضافة إلى التقارير والمراسيم والتعليمات

الصادرة آنذاك عن الحاكم العام المارشال بيجو⁽¹⁾، وبمذكرات الضباط التي تتميز بالدقة في نقل العمليات والتي لم يكن أصحابها مضطرين في تدوين تفاصيل الأحداث إلى الاعتماد على الذاكرة لاسترجاعها بل كانت العملية تتم في حينها. أمّا المذكرات المعتمد عليها نذكر: رسائل سانت أرنو⁽²⁾، و"مذكرات" شانغارنيي⁽³⁾. لم يكن سانت أرنو في تلك الفترة مجرد ملازم لشانغارنيي فحسب وإنما كان قائدا رئيسيا مكلف بمهمة وضع حدٍّ لصمود أهل سيباو بمن فيهم من أهل يستر. وتأتي بعدها مذكرات لجنرال يوسف (Général YUSUF) (4) التي حررها الكولونيل تروميلي⁽⁵⁾ (Colonel)

¹ _ مراسلات وتقارير الحكم العام المارشال بيجو: سجلات لنسخ مصورة موجودة على رفوف قاعة القراءة بمركز الأرشيف الوطني بستر خادم تحت الرمز الاستدلالي 2EE

² _ أنظر: De SAINT ARNAUD; Les Lettres du Maréchal de SAINT ARNAUD. T.1. Edition Michel Lévy frères, Libraires Editeurs . Paris , 1855

³ - ¹ _ مذكرات شانغارنيي التي تم تحريرها في حدود 1855 م تتكون من عشر دفاتر ضاع منها اثنان. أمّا الدفتران السابع والثامن فضمّنهما الأحداث التي عاشها بين 24 ديسمبر 1842 م إلى 24 أبريل 1848 م.

أنظر: (Henry) D'ESTRE; Mémoire du général CHANGARNIER. Publiés sous les auspices de M. Théodule de Fontenay CHANGARNIER. Ed. Berger -Levrault Paris 1930

² - [?] _ هذه المذكرات تمّ تحقيقها وجمعها بموافقة السيد دي فونتناي شانغارنيي (Fontenay CHANGARNIER (de) وهو أحد أبناء عمومة الجنرال الذي ارتبط اسمه بجبال زكار معاقل بني مناصر(1) (le Montagnard) عن طريق إحدى بنات عمومته(2)

¹ - ² - [?] _ أنظر: GERMAIN; ... Bugeaud... Op. cit (R)

² - ² - [?] _ أنظر: D'ESTRE; Mémoires ... Op. cit (H)

⁴ _ أنظر: TRUMELET; Le Général YUSUF. T.1; Editeur, Paul Ollendorff, Paris 1890 (le Cel) - (545 p)

⁵ - ¹ _ أنظر: REY-GOLDZEIGUER; Le Royaume Arabe; politique Algérienne de (A) - (Napoléon 111, 1861-1870. Ed. SNED. Alger; 1977. (814 pages)

² - [?] _ تروميلي: ضابط كولونال من موليد 1820 متطوع في الجيش عام 1839 ، جاء الجزائر في عام 1851 وبقي بها الخمسة عشر سنة. شارك في معظم العمليات الهامة. كابيتان 1856 ، ينتمي إلى فرقة الجنرال يوسف. حاكم عام لدائرة ثنية الأحد عام 1868 ثم للمقاطعة الثانوية أومال في عام 1871. كولونيل في عام 1874. تفرغ بعد التقاعد في عام 1877 م للكتابة تاريخ احتلال الجزائر. أهم ما كتبه ما يلي: _ الفرنسيون في الصحراء، _ أظهار الإسلام _ تاريخ انتفاضة أولاد سيدي الشيخ من 1864 إلى 1880. _ بوفريك. _ البليدة ... _ الجنرال يوسف.

- أنظر: ري غولدرقيقر؛ المملكة العربية ... المرجع نفسه .ص.781.

(TRUMELET) لتدعم محتوى المذكرتين من الزاوية التي كان يتحرك منها للجنرال يوسف⁽¹⁾. كما تمّ الاعتماد على كتابي المارشال بيليسي "حوليات جزائرية من 1830" في أجزاءه الثلاث، وروسيت (ROUSSET) بعنوان "احتلال الجزائر ما بين 1841 و 1857" (La conquête de l'Algérie) في جزأين⁽²⁾. أما عن المصادر باللغة العربية فإنّها تكاد تكون منعدمة. ويبقى كتاب محمد بن عبد القادر الجزائري⁽³⁾ تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر⁽⁴⁾ ذا قيمة تاريخية يستلزم العناية بها وحُسن استغلال مضمونه. أمّا كتاب تشرشل: "حياة الأمير عبد القادر" فهو ترجمة للنسخة أصلية صادرة في اللغة الإنجليزية.

1 - تأزم الوضع في خريف عام 1839

لم يكن للغازي المحتل أن يرضى بتحدّد أطماعه التوسعية، ولا للمحلي صاحب هذه الأرض أن يقبل

¹ _ الجنرال يوسف: من مواليد عام 1808 بإيطاليا، مملوك باي تونس شارك في حملة 1830 كمتّرجم لدى الجيش الفرنسي بسيدي فرج. كُلف بمهام عديدة، ترقى في جيش الصبايحية ثمّ تحصل على رتبة كولونيل على رأس خيالة الأهلي (Colonel de la cavalerie) إلى أنّ تحصل على موافقة الدولة الفرنسية على قبوله كأطّار سامي في الجيش الفرنسي عام 1852 نظير ما قدّمه من خدمات للجيش الاستعماري، لتتواصل مهامه في المشرق عام 1856 وعلى وجه الخصوص في حرب القرم. كما عُيّن حاكماً على مقاطعة الجزائر عام 1864 - أنظر: ري غولدزيفير؛ المملكة العربية... المرجع نفسه . ص. 784.

² _ أنظر: ROUSSET; *La conquête de l'Algérie 1841-1845*. T.1. 3° Ed. Plon, Paris (C) - أنظر: 1904.(383 p.)

La conquête de l'Algérie 1845-1857. T.2. 3° Ed. Plon, Paris 1904 (409 p. + 3 cartes) -

³ - محمد بن عبد القادر الجزائري: من مواليد 1840 بالقنطرة. عاش طفولة مضطربة، لم يعرف الاستقرار إلا بعد أن سُمح للعائلة بالاستقرار بسوريا. درس على يد والده الأمير عبد القادر وهو في لامبواز ثمّ على يد مصطفى التهامي، كما كان يتردد على المدارس بالشام تأثر بالنهضة الأدبية. كان ضابط في الجيش العثماني. أهتم بالتأليف.

⁴ _ كتاب تحفة الزائر: أعتمد محمد بن عبد القادر الجزائري في تأليفه هذا الكتاب على استحضار الذاكرة وهو الذي كان يرافق أباه الأمير في معظم لقاءاته السياسية، اعتمد على كشاكيل وأوراق هذا الأخير. مدخل طويل تناول فيه جغرافية الجزائر وتاريخها القديم . معلومات غزيرة عن حياة الأمير وكفاحه إلى غاية 1847 أمّا ما بعد ذلك فيما قدّمه هو عبارة عن وثائق خاصة لفترة ما بين 1847-1883 .

بأن يفتك منه المزيد من الأراضي وأن يرغم على المزيد من التنازلات. مما جعل الطرفين يتأهبان كلٌ حسب إمكانياته وإستراتيجيته لمواجهة أي طارئ قد يحدث من حين لآخر خاصة وأن بنود معاهدة التافنة عام 1837 يكتنفها بعض الغموض الناجم عن الترجمة.

1- 1 - قوات الاحتلال تحصن معاقلها

استغلت القوات الاستعمارية الهدنة المعلن عنها عام 1837 في تدعيم وجودها بسهل متيجة بتحسين وتقوية مراكزها العسكرية وفتح مراكز جديدة لتكون سياجا منيعا أمام التهديدات التي باتت تحدّق بمدينة الجزائر نفسها، من جراء تحركات القوات النظامية بقيادة بن سالم شرقا وبقيادة بن علال غربا. فكان مركز الفندق الواقع شرق العاصمة أولى خطوة للسيطرة على الطريق السلطاني فتأمين الاتصال بين الجزائر وقسنطينة، ليُدعم بمعسكر ثاني تمّ اختياره بعناية ببودواو على مصب وادي قدارة المتنازع عليه ومَوْضِع التملص من معاهدة التافنة فيما بعد. كما أنشأت القوات العسكرية مركزين عند الجبهة الغربية، الأول بوادي سيدي الكبير قرب البليدة والثاني بوادي العليق الذي أطلق عليه اسم المركز الأعلى (Le camp supérieur) خلال شهر نوفمبر عام 1839 ثمّ دُعِمَا مع نهاية السنة بمركز ثالث عند سفح جبال الأطلس المتيجي .⁽¹⁾ فالسيطرة على مثل هذا الموقع ستُشجّع لا محالة القوات الاستعمارية على المزيد من التوغل جنوب العاصمة. ورغم كل هذه التحصينات إلا أنّ القوات الاستعمارية، لم تكن لتطمئن على الجبهة الغربية ومدينة القليعة على مرمى من الحجوطيين وبني مناصر وخلفاء الأمير عبد القادر يصلون ويجولون

¹ - أنظر: - P. 63 (H) - D'ESTRE; *Campagnes...* op. cit.

بكل حرية (1). لذا عمدت لضمان سيطرتها على المدينة على ربط المتاريس (les redoutes) المنصبة مع بداية الغزو بتركيبها في ظرف قياسي ثلاث حصون (Les blockhaus). إنَّ مثل هذه المراكز هي بمثابة قواعد متقدمة لعمليات الهجوم. لعلها تمكن الجيش الاستعماري من الوصول إلى أهدافه برا وبحرا في نفس الوقت. (2) فهو إذن تآهب لاستئناف الغزو.

1 - 2 - اعتماد الأمير عبد القادر على ولاء المشايخ

يُعد استغلال الأمير عبد القادر لتلك الهدنة في المزيد من تنظيم الدولة وتدعيم ركائزها على أسس عصرية (3) يُعدّ في حد ذاته دليلا على الاستعداد للحرب، خاصة وأنّه فتح العديد من الورشات لصناعة الأسلحة (4) ومضاعفة جيشه النظامي (5). كما عمد في تعيين خلفائه في ولاياتهم على مراعاة طبيعة علاقاتهم كمشايخ بسكان (6).

1 - 2 - محمد بن عبد القادر الجزائري؛ تحفة الزائر ...

"...سبق للأمير عبد القادر وأن هدد الوجود الاستعماري في مدينة الجزائر نفسها. يقول في هذا الشأن محمد بن عبد القادر ما يلي: " ثم سرّح إلى الجزائر؛ خليفته محمد بن علال. فعث في نواحيها. واستباح القرى في ضواحيها ... ووصلت خيوله إلى أبواب الجزائر ... ثم جعل العيون على العدو. ورُتب الحاميات والمسلحات؛ وانقلب راجعا إلى حاضرة ولايته " مليانة ...".

SCHEFER; *La politique de la Monarchie de Juillet*. (Christian) -

L'ALGERIE et l'évolution de la colonisation Française. Ed. Librairie ancienne Honoré Champion.

"MCMXXVIII. (542 p)

... الاحتلال سيتم بشكل طبيعي على طول الساحل، لأنَّ الهدف الأساسي الذي يجب على فرنسا أن تسعى إلى تحقيقه هو إنشاء مؤسسة بحرية تضمن أمن و اتساع التجارة. لكن هذا لا يعني أنَّ الاحتلال سيتوقف عند المدن ..."

Elle (l'occupation) s'étendra naturellement le long de la côte , car le principal objectif que la ..."

France doit poursuivre est un établissement maritime assurant la sécurité et l'extension du commerce ...

L'occupation ne sera toutefois pas strictement restreinte aux villes ..." P.p. 167 / 168

GERMAIN; ... (R) -

? - 2 - أنظر:

BUGEAUD. Op. cit. P.11

3 - عصرية: يقصد بهذا المصطلح مسائر ركب الأمم المتطورة في ذلك الوقت.

4 - صناعة الأسلحة: "... صناعة الأسلحة عند عبد القادر: ... في حضائر معسكر، ومليانة والمدية معامل لصناعة الأسلحة ..."

- محمد بن عبد القادر الجزائري؛ المصدر

نفسه. ص. 314

5 - تشرشل؛ حياة الأمير. المرجع نفسه. ص. 126

6 - سيتضح ذلك أكثر في فصل الإدارة. ص.

لكن خطورة ما تنبئ به الرسالة التي جاء بها دي صال (DE SALLE) ⁽¹⁾ مبعوث الماريشال فالي ⁽²⁾ إلى الأمير عبد القادر بمقر إقامته بمليانة فرضت على تحصينات هذا الأخر صبغة تتماشى وخطورة الوضع. إذ طرحت تلك الرسالة " ضرورة إعادة النظر في مسألة الحدود المعترف بها في معاهدة التافنة عام 1837". فعمل الأمير عبد القادر على تدعيم مناطق جنوب التيطري وأمر بنشر قواته النظامية حول المناطق المتنازع عليها والتي تقع في دائرة قيادة الخليفة بن سالم. كما أعلن الحرب على كل من استماله الماريشال فالي لصالح سياسته ⁽³⁾. ويبقى التفاف أهل جرجرة حول الخليفة محمد بن سالم من أهم ما حققه الأمير أثناء استعداداته ⁽⁴⁾ لمواجهة تقلبات السياسة الاستعمارية ⁽⁵⁾، حيث أضفى توسع قيادته بولاء أهالي برج حمزة ⁽⁶⁾ وأهالي

1 - دوسال (الدوق) (DE SALLE) شارك في حملة المورة عام 1832 م وكان من بين قادة القوات الغازية للجزائر عام 1830 م.

أنظر: P. 72 Op. cit. D'ESTREY, Campagnes...

2 - محمد بن عبد القادر الجزائري: المصدر نفسه، ص. 348 وما يليها. كلف الحاكم العام الجنرال فالي القائد دوصال بنقل التعديل الذي أدخله على مضمون اتفاقية التافنة التي أرغم موفود الأمير عبد القادر الحاج المولود ابن عرّاش على توقيعه. لكن لم يكتفي الأمير بالردّ بمفرده على دوران وإثما جعله يتلقى الردّ من المجلس الشوري الوطني مباشرة، مقدّمًا آبه كممثل مباشر لحكومة باريس ...

2 - (سيلفيان شارل) فالي: من خريجي مدرسة المدفعية سنة 1792. مفتش عام للعتاد الحربي بين 1830 - 1822، رتبة ماريشل-فرنسا في نوفمبر 1837، ووزيرا للحربية في تاريخ 20 ديسمبر 1837.

D'ESTREY; Campagnes (H) -

أنظر:

Op. cit. P. 63....

3 - أنظر رسائل سانت أرنو. رسالة من جيغل مؤرخة في 20 نوفمبر 1839 ص. 238

4 - محمد بن عبد القادر الجزائري: تحفة الزائر... المصدر نفسه. الفصل: - ذكر ما شئده الأمير من الحصون. وما انتهى إليه عدد العسكر النظامي؛ مشاة وركبانا... ص. 313 وما يليها.

2 - تشرشل؛ المرجع نفسه. ص. 151

5 - تشرشل؛ حياة الأمير... المرجع نفسه. ص. 151

6 - برج حمزة: برج عسكري شيد من قبل الجيش الإنكشاري، حيث توجد قبيلة عربي المخازنية بمدينة صور الغزلان التي صارت بموجب الأمرية الملكية المؤرخة في 12 أوت 1846 تعرف بمدينة أومال (AUMALE).

**إقليم جرجرة وإلحاق أوطانهم في شهر سبتمبر
1839 بقيادة سيباو طابعا رسميا.**

1 - 3 - المعركة السياسية والتملص من معاهدة التافنة عام 1837

لقد كان يراد من خلال الرسالة التي بعث بها فالي إلى الأمير عبد القادر تحقيق هدفين في وقت واحد فالأول يتمثل في إخباره بعدم صلاحية معاهدة التافنة بسبب اللبس الذي يدور حول عبارة: "ما وراء وادي قدارة" ⁽¹⁾، ومن ثمّ بضرورة إعادة النظر في التأويلات التي تُعطى لهذه العبارة. وأهم من هذا السعي إلى حمل الأمير عبد القادر على توقيع النص المعدّل للمعاهدة علما أنّه لم يشارك بل ولم يستشار هذه المرة في تحرير النص المعدّل.

هذا مقطع من النص: "...أن يكون الحدّ في جهة الشرق من الجزائر ممتدا من مجرى نهر القدارة إلى متيجة، جبل طيبايرين ومنه إلى يسّر فوق جسر بني هني وعليه فيكون خط التحديد الحالي فيما بين وطن فليسة ووطن بني جعاد وما بعد يسّر إلى البيان وطريق الجزائر إلى قسنطينة بحيث أن يكون برج حمزة وجميع الأراضي الكائنة في شمال وشرق الحدود المذكورة إلى البحر تابعة لدولة فرنسا وأنّ باقى أرض بني جعاد وونوغة جنوبا وغربا من هذه الحدود يبقى تابعا للأمير ... ⁽²⁾

إنّ المَعْلَمَ الحدّودي الشرقي المطروح للمراجعة من قِبَلِ المارشال فالي، يقطع من الجنوب باتجاه الشمال أوطان بني عمران وأراضي بودواو من أوطان خشنة. تكون قاعدة المثلث التي تربط بين المركز العسكري البحري ببودواو وبرج حمزة المستهدف من قبل القوات الاستعمارية يرسمها من الجنوب وادي القدارة، في حين ينتهي رأس المثلث

¹ - تشرشل؛ المرجع نفسه. ص. 161

² - تشرشل؛ المرجع نفسه. ص. 165

عند مركز الفندق وهو المركز الرئيسي بالمنطقة ككل⁽¹⁾.

فمحاولة فتح قاعدة المثلث الأمني على سهل يسّر يبرهن أنّ هذا الأخير كان مستهدفا بل كل القسم الشمالي من مقاطعة سيباو، خاصة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار ما وعد به المارشال فالي الأمير عبد القادر، إذ يتوقف اعتراف الحكومة العامة بنفوذ الأمير على أوطان: بني خلفون نزليوة، وبني جعاد وبني سليمان وهي جزء من مقاطعة سيباو، على موافقته على التعديل المسطر مسبقا. المسألة إذن هي إعادة تقسيم لمقاطعة سيباو بشكل يضمن أجود الأراضي لصالح حكومة الاستعمار.

تعود بداية المعركة السياسية إلى منتصف عام 1838 عندما نجح الجنرال بيجو في طمأنة البرلمان الفرنسي بأنّ الغرض الذي يكتنف عبارة: "...ما وراء وادي قدارة" لن يضرّ المصالح الفرنسية بالجزائر في شيء. إذ يمكن توظيف اللبس الذي تكتنّفه تلك العبارة برفعه في أية لحظة، وفق ما تقتضيه مصلحة الاستيطان وتوسيع أراضي المستعمرة⁽²⁾. ويتبين من صدور الأمر بتعديل نص المعاهدة على أنّ ذلك الغموض لم يكن مجرّد خلل ناتج عن ضعف في الترجمة أو سهو وقع فيه المترجم، وإنّما كان خطة مفادها ربح الوقت. وهكذا لم يكد الحاكم العام المارشال فالي أن ينتهي من تحصين المراكز الاستعمارية بمتيجة حتى أشعل فتيل حرب "المفاهيم". وردا على المبررات غير المقنعة التي

D'ESTRE; Op. cit. P. 54.

OUTREY; (M) -

Dictionnaire...op. cit. P. 160

1 - 1 _ أنظر: (H)

2 - 2 _ أنظر:

2 - تشرشل؛ المرجع نفسه، ص. 166.

عند ما بلغه أن بن لحراش وقّع على النص المعدل من طرف واحد رفض الاعتراف بما أرغم عليه ممثله قائلا: "أبدا لن أصادق على معاهدة تمنح الفرنسيين جسرا أرضيا بين قسنطينة ومدينة الجزائر ...". وقع هذا عند عودته إلى تاقدامت 10 جانفي 1839

قدّمها الماريشال لمراجعة الخريطة المتفق عليها⁽¹⁾، وسعيا منه تفويت الفرصة على فالي أوفد الأمير عبد القادر ميلود بن لحراش ودوران (DURAND) إلى باريس في جانفي 1839 لتقاسي الأمر من المسؤول الأول إي من الملك لويس فيليب. لكن التنسيق المحكم بين الحكومة العامة بالجزائر وحكومة باريس أرجع بن لحراش دون تمكينه من أية إجابة شافية. والأخطر من الإخفاق في الوصول إلى ما يدور في خلد سياسة باريس هو إرغامه على توقيع الملحق نيابة عن الأمير مباشرة عند عودته إلى الجزائر، كما هو مطالب عند وصوله الجزائر بمرافقة الضابط دو صال المكلف بنقل النص معدلا وموقعا عليه، قصد وضع الأمير عبد القادر أمام الأمر الواقع. وللمزيد من توتير الجو والضغط علي الأمير وصلت أخبار⁽²⁾ من سيباو مفادها أنّ القوات الاستعمارية تحت قيادة الدوق أورليان رفقة الماريشال فالي⁽³⁾ قد اجتاحت أوطان بني منصور وبني هني، التي كانت ضمن خلافة بن سالم وأنها عبّرت أبواب الحديد⁽⁴⁾ أمام هذا الاختراق الصارخ لتراب مقاطعة سيباو استشار محمد بن سالم الأمير عبد القادر للردّ على حملة أورليان. فهاجم يوم 31 أكتوبر 1839 مؤخّرة القوات الغازية العائدة برا من قسنطينة إلى الجزائر. وتحرك القائد بشير قائد الحجوطيين⁽⁵⁾ من الغرب، بعد تلقيه أوامر من الخليفة بن علال بالهجوم على

1 - تشرشل؛ المرجع نفسه، ص. 166.

2 - محمد بن عبد القادر الجزائري؛ تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح وتعليق ممدوح حقي، الطبعة الثانية، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر دمشق 1964، ص. 353.

3 - أنظر: رسائل سانت أرنو، ص. 236 - 235.

4 - العودة إلى الصفحة 97.

5 - السيد بشير قائد قوات الحجوطيين، تغيب عن الاجتماع الاستشاري المنعقد بوادي مينا في نوفمبر 1839 برئاسة الأمير عبد القادر تحسبا لأي خطري يهدد حدود الدولة الوطنية.

مصالح المستعمرين⁽¹⁾ . في حين كان الأمير عبد القادر منشغلا بالاجتماع الذي ضمّ بقية قادة الأمة بالهبرة⁽²⁾ لتدارس ما تحمله تلك الرسالة من مستجدات حول الحدود⁽³⁾ بين الأراضي المحتلة والدولة الوطنية.

لقد تواصلت محاولات المارشال فالي لإقناع الأمير عبد القادر بمنطقة مطلب فرنسا وبالتالي لا مفرّ من القبول بمحتوى الملحق. وكان المفاوض دوران مكلفا بهذه المهمة وفي نفس الوقت تحذير الأمير من الانعكاسات الوخيمة التي يُعرض إليها دولته الناشئة في حالة رفضه التعديل المفروض. ولكن وبعد أربعة أيام من عمر المؤتمر (المفاوضات) المنعقد بالمدينة أخفق المفاوض في حمل الأمير على التراجع عن موقفه. فعاد إلى مدينة الجزائر يوم 18 نوفمبر 1839 ومعه قرار المؤتمرين باستئناف المقاومة الوطنية واستعدادهم التام للحرب⁽⁴⁾ . لقد قضت قوات الأمير ليلتها عند المزرعة الاستعمارية النموذجية مع تمتعها بسهولة التحرك بين بئر خادم وتقصرابن⁽⁵⁾ .

وهكذا لم يحض ملحق 4 جويلية 1839 الذي تعترف بموجبه الحكومة الاستعمارية بنفوذ الأمير على بني جعاد وبرج حمزة مقابل شرق قاعدة المثلث المتمثلة في وادي قدارة، بالموافقة. وفي ظل التلاعب بالمصطلحات يتضح أنّ تاريخ نهاية معاهدة التافنة وُقّع عليه يوم تحرير النص العربي لذات المعاهدة، لأنّه من غير المعقول أنّ لا يحرس مَنْ يُدرك الفوارق

¹ - أضرمّت النيران بالمركز العسكري الصغير بالبليدة، ومراكز عرطش c. de Aratch ومركز الأربعاء، ومركز وادي العلايق ومتاريس أخرى. أنظر: رسائل سانت أرنو

² - الهبرة: وادي يقع بين جبل حميان، يصب في وادي المقطع وسهل أريزو - أنظر: تشرشل؛ المرجع نفسه، ص. 97

³ - تشرشل؛ المرجع نفسه، ص. 171

⁴ - المرجع نفسه، ص. 184

⁵ - أنظر: رسائل سانت أرنو. - رسالة من جيغل في تاريخ 20 ديسمبر 1839. ص. 242

في ترجمة المصطلحات والعبارات من لغة إلى أخرى على استعمال العبارات التي تكون أقرب من الفكرة أو التصور الذي يريده الطرفان، فما بالك والحكومة الاستعمارية في الجزائر تشترط على ضباطها من مختلف الأصناف إتقان اللغة العربية وضرورة تقديم شهادة تثبت المستوى.

إنّ وضوح ردّ الملك لويس فيليب على استشارة المارشال فالي له في مسألة عدم الالتزام بالحدود المنصوص عليه في معاهدة التافنة قائلاً: "... لا نستطيع أن نبقي بدون طريق أرضي يصلنا بإقليم الجزائر ... ولكن يجب أن لا يكون له أيّ ادّعاء إلى أي جزء من أجراء هذا التقسيم الواقع شرق ذلك الوادي ..."⁽¹⁾ كان يُغنيه عن تلك المراوغات السياسية التي كلف بها دورلان. تندرج هذه الاستراتيجية التي انتهجتها فرنسا بالجزائر إلى غاية عام 1839 في إطار سياسة الغزو المرحلي.

أما عن الوضعية السياسية للاتحاديتين مطلع عام 1840، إنّهما لا زالتا حدودهما على حالها كاملة المعالم⁽²⁾ خارج الدائرة الاستعمارية. وإذا كان اجتياح الدوق أورليان أراضى سيباو قد مكّنه من تحقيق حلمه في الحصول على أوسمة الضباط الكبار مقابل انتصار في وقت سليم دون أن يُنقصَ من أوطان سيباو شبراً.

- 14 - عشية استئناف الحرب

أدخل الأمير عبد القادر عام 1838 على اتحادية بني مناصر⁽³⁾ بعض التعديلات تماشياً مع الواقع

¹ - تشرشل؛ المرجع نفسه. ص. 184.

² - العودة إلى فصل دولة الأمير

³ - ولما مر بوسط قبائل "بني مناصر" أحد قوادهم (أكتوبر 1839 أحد ضباط الجيش الاستعماري)، وصل إطلاق البارود بينهم، انتبه الخليفة السيد أحمد بن سالم من نومه وطير الخبر إلى الأمير، فوجم لها ثم نهض من مليانة إلى المدية... وكتب للمارشال فالي يستفسر عن سبب اجتياح أوطان تابعة لدولته.

محمد بن عبد القادر الجزائري؛ المصدر نفسه. ص. 354.

الداخلي للدولة، إذ عمد على تعيين محمد بن عودة من أولاد مختار ⁽¹⁾ خليفة له على بعض القبائل من جنوب إقليم التيطري كأولاد مختار، أولاد نايل، بني موسي، بني عبيد، بني عنتر والزناخرية، وأخرج كلا من: بني عبيد ⁽²⁾ وأولاد عنتر من دائرة الاتحادية ⁽³⁾. في حين احتفظ القسم الأكبر من فروعها بقيادة المشتركة بين بن علال من مليانة ومحمد بن عيسى البركاني من المدية. قيادة تكاد تكون متكاملة بل هي مؤكدة ما دام العثور على ما يشير إلى وجود حدود فاصلة بين نفوذ مشايخ قيادات أوطان بني مناصر منعدم. أمّا عن ذلك التكامل نذكر خروج بن علال مبارك عام 1839 ⁽⁴⁾ من مليانة على رأس 12000 فارس و1000 راجل نحو بلاد الزناخرية عبر أوطان مقاطعة محمد بن عيسى البركاني وقوفًا إلى جانب الأمير عبد القادر لإخماده تمرد القبائل التي كان يقودها محمد بن عودة ⁽⁵⁾ من أولاد مختار في حين كان محمد بن عيسى البركاني في مهمة مماثلة ببسكرة.

1 - محمد بن عودة من أولاد مختار: من أبرز أسباب الخروج عن طاعة الأمير عبد القادر والدعوة إلى نفسه مفاده الاختلاف المذهبي فالأول يدعو إلى الالتفاف حول محمد بن عبد الله البغدادي (المهدي المنتظر) والثاني يتبع المدرسة القادرية. يقال أن محمد بن عودة حُرص أولاد مختار على تأييده لأنه أحق بقيادة المسلمين من الأمير. محمد بن عبد القادر الجزائري؛ تحفة الزائر... المصدر نفسه، ص. 288 - 289

2 - بن عبيد: قبائل المخزن. فروعها ثمانية وهي: الأخوم، التعليت، قصنتيه، الغرابي، البورسية، شرفه، أولاد بن عفو، محاجبية.

3 - أولاد عنتر: سيّعادون إلى إغليك التل مع التقسيم الإداري الاستعماري بفروعهم التالية: أولاد سيل، أولاد وابة بني مقاطعة، المعارين، أولاد شيبوح، أولاد عبايد، أولاد مبارك، أولاد زكري، دبّيش.

4 - "...كان بن علال المبارك دوماً أول من يتلقى أوامر الأمير بالتحرك والبدء بالهجوم نظراً لموقع خلافته ...".

انظر: - D'ESTRE; Mémoire(de)...op. cit. . P.64

5 - "...فلما قوي الإنكار على الأمير؛ في مصالحة العدو، وترك الجهاد...وجاهر بالخروج عن الطاعة..."

محمد بن عبد القادر الجزائري؛ المصدر

نفسه، ص. 288 .

كما قسمت هذه الاتحادية إلى أربعة أغاليك وهي
إغليك بني مناصر إغليك جندل، إغليك بني زوق زوق
وإغليك التل مع احتفاظها بالولاء الروحي والمعنوي
لمحمد بن عيسى البركاني بلا منازع⁽¹⁾. إذا كانت
الوحدة الاجتماعية لأهل يسّر أكثر استقرارا لارتباط
هؤلاء بحوض يسّر، فإنّ أوضاعها السياسية على
نقيض ذلك.

ذكر الشريف الزهار أنّ أهل يسّر يمثلون قيادة
فرعية من قيادة سيباو، التي تمتدّ حدودها من الحدود
الشرقية الشمالية لقيادة بني جعادة إلى غاية وادي
سيباو إذ كتب قائلا: " وقائد رابع في يسّر يحده
سيباو..." في حين نظرت الإدارة الاستعمارية لأهل
يسّر منذ بداية الاحتلال نظرة خاصة إذ اعتبرت
وحدتهم اتحادية (كنفيدرالية) مكوّنة من أربع قبائل
فرعية هي: عسة الوديان، عسة الجديان، عسة أولاد
سمير، عسة الظهور⁽²⁾

ويبدو أنّ الأمير عبد القادر الذي التزم في تنظيمه
المقاطعات والأغاليك وحتى القيادات ببعض الضوابط
⁽³⁾. احترم في مقاطعة الشرق ضوابط منها الحالة
التي تعود عليها أهل كل قبيلة فهو إذن لم يخرج عن
نطاق الوصف الذي قدّمه الشريف الزهار إذ ورّع
فروع قبيلة الموطن بين إغليكين هما: إغليك عمراوة
حيث جمع فيه بين فروع من قيادة سيباو الشرقية
وقيادة يسّر العثمانيتين، وإغليك فلبسة أمّ الليل
المشكل أساسا من فروع قيادة يسّر العثمانية كما
نقله أحمد الشريف الزهار.

¹ - تشرشل؛ حياة الأمير... المرجع نفسه. ص. 149.

² - أنظر: CARETTE et WARNIER; Notice sur la division territoriale de l'Algérie. T.S.E.F.A. -
1844-1845. P. 489.

³ - محمد بن عبد القادر الجزائري؛ تحفة الزائر المصدر نفسه. العنوان الجانبي؛
ذكر المقاطعات والعمال وغيرهم من ذوي المناصب العالية وترتيب الأحكام
وشؤونها. ص. 306 - 311.

ب - حرب الإبادة

وفي نفس الرسالة التي أخبر سانت أرنو فيها أخيه عن وجود قوات الأمير ببعض أحواز العاصمة⁽¹⁾ أطلعه فيها عن الهدف المسطر من قبل الحكومة الاستعمارية مباشرة بعد استئناف العمليات العسكرية، حيث كتب قائلاً: "... سنذهب إلى المدينة، مليانة وإلى معسكر...⁽²⁾ وها هو الجنرال بيجو يعلن الحرب من خلال قوله: "...إنّ وضعيتنا السياسية في مقاطعة الجزائر لم تسجل أي تقدّم تجاه الأمير عبد القادر الذي ما فتئ يرفع من معنويات مواطنيه المسلمين ويشجعهم مستشهدا بتخاذلنا ومستغلا مشهد عجزنا، مناديا عاليا بأن الانسحابات الاضطرارية لفرقنا قصد التموين هي علامات انتصار الإسلام... كان خلفاؤه الثلاث على مليانة، المدينة، وسيباو... يشجعون بوجود قواتهم النظامية المؤمنين، ويُرهبون ويتوعدون كل من يُبدي رغبة الارتقاء في أحضاننا..."⁽³⁾

1 - سانت أرنو، ص. 242.

2 - المصدر نفسه ص. 242.

GERMAIN; ... BUGEAUD. Op.

3 - 1 - أنظر:

- cit. p. 11

Registre Photocopié, Administration du gouvernement Général. 2E 18 , -

2 - 2 - أنظر:

p.11 et suivantes

"...إنّ السياسة الخاصة بمقاطعة الجزائر لم تحقق أي تطور. إذ ما فتئ يكشف (الأمير عبد القادر) عن شجاعة إخوانه في الدين بفضح ضعفنا والإشهار عاليا عن الانسحاب المفروض على فرقنا التموينية لإعطاء الانتصارات طابعا اسلامويا. فالخلفاء مليانة المدينة وسيباو يدعمون بقواتهم النظامية شجاعة المؤمنين، وبرهبون بتهديداتهم كل من يُظهر نية الارتقاء في حضننا..."

" La politique de la province d'Alger n'avait fait aucun progrès qui ne cessait de relever le courage de... ses coreligionnaires en leur montrant le spectacle de notre impuissance et en proclamant bien haut comme des triomphes pour islamisme les retraits obligés de nos colonnes de ravitaillements ...les trois Khalifa de Miliana , de Médéa et de Sébaou ...soutenaient par la présence de leurs forces régulières le courage des fidèles et effrayaient par des menaces terribles quiconque manifestait l'intention de se jeter "... terriblement dans nos bras

- لتبرر توسيع عملية الغزو في منطقة ما غالبا ما يعتمد القادة العسكريون على الساق التهمة بكل من يشكل خطرا عليهم. هذا ما فعله بيجو أثناء محاولته اختراق أوطان اتحادية بني مناصر من الجهة الغربية حيث اتهم أبناء البركاني بأنهم وراء تحريض سكان زريمة الذين لم يكنوا في نظر إدارته جزءا من الاتحادية وهذا ما ورد في إحدى رسائله:

فقرة لخص فيها بيجو الوضعيتين السياسية والعسكرية لمقاطعة الجزائر عند عودته 22 فيفري 1841. إذ بات من الواضح أنه غير مستعد لإبقائهما على هذا الحال وأنه جاء هذه المرة وكله أسرار على توسيع دائرة الاحتلال. لقد كانت مقاطعة الوسط من أولويات اهتماماته مما ينذر بمواجهة عنيفة مع خلفاء الأمير عبد القادر قبل أن تصير مباشرة مع هذا الأخير. وفي هذا الصدد كان قد أشار إلى ضرورة الاستيلاء على وادي بوتان⁽¹⁾ الذي يعتبر نقطة عبور إستراتيجية على الطريق السلطاني الغربي. أرجع الجنرال بيجو انهزامه في معركة بوتان التي وقعت بين أفريل وماي من عام 1841 رغم اختياره ميدان المعركة وتحديده الوقت إلى جملة من الأسباب منها:

- التفوق العددي الذي يتمتع به الأمير عبد القادر⁽²⁾.
- المعرفة الجيدة لطبيعة الميدان من طرف خلفاء الأمير وجيوشهم⁽³⁾.
- التحكم الجيد في تلك العناصر وبالتالي الاستغلال الموفق لها.

ففي الوقت الذي حُصرت فيه القوات المحلية المتواجدة بالوادي عند قدم السفح الجنوبي لزكار، وصلت إلى عين المكان القوات النظامية من سهل الشلف في 3 ماي 1841 بقيادة الأمير عبد القادر رفقة ملود بن لحرش. في حين شكلت من الجنوب الشرقي قوات محمد بن عيسى البركاني حاجزا أمام قوات الاحتلال تحسبا لاحتمال تغير الجنرال بيجو

Quelques tribus, les Zatima entre autres demandèrent l'aman et présentèrent les; chevaux de gâda

"... d'autres excitées par les fils de Barkani firent une résistance acharnée

¹ - وادي بوتان: يقع كعبه الرئيسي عند مدخل قرية خميس مليانة أي القرية الاستيطانية أفروفيل (AFFREVILLE) التي أنشئت بتاريخ 9 أكتوبر 1848

² - أنظر: ROUSSET; *La conquête de l'Algérie* ...T.1 . P.18 (C) -

³ - المصدر نفسه، ص. 25 .

وجهته نحو الجنوب باتجاه المدينة المعول عليها منذ الأيام الأولى للغزو⁽¹⁾.

لكن تقيم هذه المعركة لا يكمن في إحصاء الخسائر البشرية والمادية أنيا وإئما تقيمها من حيث التبعات الناجمة عليها، إذ والقوات الغازية منسحبة من الميدان أضربت بأمر من بيجو النيران خبط عشواء لتلتهم الأخضر واليابس بكل بقعة هي منسحبة منها⁽²⁾. فتعرضت أوطان بني زوق لسياسة الأرض المحروقة يوم 4 ماي 1841⁽³⁾، وكذا أوطان صوماتة⁽⁴⁾، أثناء عودة بيجو وجيوشه إلى مدينة البليدة إلى نفس السياسة.

إنّ الأهمية⁽⁵⁾ التي يكتسيها ميدان وادي بوتان تكمن في كونه نقطة عبور على الطريق السلطاني باتجاه الغرب لا بديل له وبوابة باتجاه التل، ولكونه يقع بأراضي قبائل بني مناصر فهو لا محالة إذن عرضة لمعاودة الكرة من قبل قوات الاحتلال.

أمّا الاستيلاء على الأرض عن طريق الغزو لا يعني بالضرورة خضوع القبائل وهذا ما خلص إليه ضباط الجيش الاستعماري إذ قال شانغاريني في هذا الصدد: "... من المؤكد أنّ القبائل التي نجتاح أوطانها ونظرا لفعل المباغته لم تتمكن في بداية الأمر تجميع قواتها لمواجهةنا لكن بمجرد أن تصلها أخبار عن اقتراب قوات الأمير أو أحد خلفائه فإنّها ستلتحم حوله وسيدعم ما تبقى فيها من القادرين على حمل السلاح قواته النظامية ..." ⁽⁶⁾.

1 - المصدر نفسه، ص. 87.
أول محاولة لاحتلال المدينة عاصمة بايليك التيطري تعود إلى 17 جويلية 1830 على رفض ابن مصطفى بومرزاق التوقيع على بيان 15 جويلية 1830 الذي يكرس سقوط الإيالة بسقوط عاصمتها.

_ أنظر: (L.) URBAIN - Notice... ; Op. cit. P. 404

2 - المصدر نفسه، ص. 25.

3 - المصدر نفسه، ص. 119.

4 - المصدر نفسه، ص. 26.

5 - المصدر نفسه، ص. 18.

6 - أنظر: D'ESTRE; Mémoires... Op. Cit. P. 137

أمام هذه اللحمة المتجانسة والقوة المعنوية التي يتمتع بها المقاومون لجاء بيجو إلى حرب الاستنزاف منذ جوان 1841⁽¹⁾ حيث صارت ضربات الجيش الاستعماري توجه خصيصا نحو مصادر قوة القبائل، فجعل من ضرب الموارد الاقتصادية هدفا لسياسته. أتلفت قواته المحاصيل الزراعية وسَطَّت على المواشي كل هذا لعله يتمكن من جرّ على الأقل بعض القبائل إلى الاستسلام⁽²⁾.

ب- 1 - خطط عسكرية على ضوء تحركات بني مناصر

لقد تولّدت لدى بيجو وضباطه نتيجة الإخفاقات المتكررة، قناعة مؤكّدة، بأنّه لا نجاح لأي مشروع في مقاطعة الجزائر دون التحكم في تحركات بني مناصر، وعليه أرجع بيجو حملته على أوطان أهل يسّر إلى وقت لاحق، معللا قرار التأجيل هذا قائلا لقادة جيش الاحتلال: "أته... لن يتحقق غزو الربع الأخير من الدائرة المشكلة من جبال الأطلسي من بني صالح إلى مصب يسّر إلا بعد إخضاع القبائل الغربية وعلى رأسها بني مناصر لأنّ هذا القسم من أوطانهم تعدّ ملجأ لقوات الأمير عبد القادر ومخزنا هاما - للعديد الهائل من المطامير -"⁽³⁾.

فبعد أن تمكن شانغاريني من تسجيل أول وأخطر محاولة باقترابه، بعد اجتياح أحد الأسّرة (الواد) الصخرية غرب هضبة بني مناصر يوم 2 جوان 1842⁽⁴⁾، باقترابه من آخر معاقل بني مناصر وحلفائهم منذ سقوط مدينتي شرشال ومليانة عام 1840، إذ وبعد

1 - أنظر: - JULIEN; HISTOIRE de L'ALGERIE ... op. cit. T.1 . P.190 (C A)

2 - أنظر: - D'ESTRE; op. cit. p.p. 216 - 224

3 - 1_ مطامير أو مطمورات، جمع لمطمورة.

2_ أنظر: -

ROUSSET; T.1 . Op. cit. , p. 118

4 - يذكر شانغاريني ما قام به يوم 3 جوان 1842 بقمة جبل مهلى من جبال زكار:

"...نسحق، نحرق، ننهب، نتلف الزرع، ونقطع الأشجار..."

"...On ravage, on brûle, on pille, on détruit les moissons et les arbres"

2_ أنظر: - ROUSSET; cit. P. 118

إلقاء القبض على 150 شخصا تبين أنَّهم في معظمهم من أثرياء المدينتين، ترك شانغارني وراءه لهيباً شهيداً من مدينة تنس (1).

وفي سياق مواصلة سياسة التجويع التي حُصِّر لها بيجو العديد من القرارات (2) نكتفي في هذا المقام بالإشارة إلى قرار إلزام بني زوق-زوق وبني مناد، وبوخلوان، وصوماطة بنقل محصولهم من الزرع بعد جمعه إلى المراكز العسكرية التي تضاعف عددها بأوطان بني مناصر (حول الهضبة) ليتمَّ تخزينه؟! لكن في الوقت الذي كان شانغارني يستعد فيه لمعاودة الكرّة على سكان الهضبة انطلاقاً من وادي الهاشم، وصله خبران مفاد الأول منهما:

- هجوم محمد بن عيسى البركاني على مدينة مليانة أين تمكن من القضاء على 43 عسكري و5 ضباط يوم 17 جوان 1842 (3).

- والثاني تقدم قوات الخليفة بن علال مبارك على جندل للقضاء على قائدها الذي أعلن عن ولاءه للقوات الاستعمارية.

لكن وإن صرف الهجومان شانغارني عن المهمة الأساسية التي سطرها له بيجو في إطار إستراتيجيته، إلا أنَّ حملته من وادي دردار (Deurdeur) إلى تازة (Taza) وثنية الأحد، لم تحدَّ عن تلك الإستراتيجية خاصة وأنَّه تمكن في ظرف 10 أيام من إلحاق أضرار جسيمة بأوطان مطماطة والمخازن العسكرية التابعة لبني علال (4).

ب - 2 - تأمين متيجة الشرقية قبل التفرغ لبني مناصر
توجه بيجو في 2 أكتوبر 1842 نحو الشرق ليقف على حقيقة الوضع بأطراف سهل يسّر والمنافذ

1 - المصدر نفسه . ص. 119

2 - المصدر نفسه . ص. 120

3 - المصدر نفسه . ص. 123 - 125

4 - المصدر نفسه . ص. 150 - 152

المؤدية له ⁽¹⁾، وبالمرة تقصي مدى الخطورة التي يشكلها بن سالم وجيشه النظامي على متيجة الشرقية، انطلاقاً مما سيتوفر لديه من معطيات من عين المكان لضبط خطة تمكن المستعمر من الهيمنة على أوطان يسّر. قاد بيجو الحملة التفقدية بنفسه لانشغال معظم ضباطه بمقارعة قبائل بني مناصر. فكانت عشرة أيام كافية لتزداد قناعة بيجو بضرورة التفرغ للتخلص من بني مناصر، إذا غدر المنطقة مكتفياً بتعيين أحد القادة من قادة أهل يسّر وهو الشيخ محي الدين ⁽²⁾ خليفة موالياً للإدارة الاستعمارية على سيباو، حيث عرف سهل يسّر خلال سنة 1842 هدوءاً نسبياً، قبل أن تعاود القوات الاستعمارية من جديد هجوماتها على المنطقة، من أجل تنفيذ هذه المرة الاحتلال الفعلي. لم يكن إذن الجيش الاستعماري عند عودة الجنرال بيجو إلى الجزائر ثانية على رأس الحكومة العامة عام 1841 قد تحكم بعد في حدود القبائل، ولم يتمكن بعد من التمييز بين مركزها ومحيطها ولا بين فروعها الأصلية وتوابعها. واستمرّ الحال ما هو عليه إلى ما بعد عام 1845 كما يظهر ذلك من خلال مقال نشر في 28 جويلية 1846 على أعمدة جريدة الأخبار (AKHBAR) ⁽³⁾ مفاده أن مجرّد التهديدات كانت كافية لتُدخل بعض فروع بني مناصر بإرادتها في النظام (الاعتراف بالاحتلال). أمّا أولئك الذين صمدوا فبعد تحملهم الضرائب المرتفعة جداً طلبوا مُعترفين بخطئهم،

1 - أنظر: ROUSSET; T.1 op. (C) -

2 - محي الدين: في إطار محاولة استغلال العنصر المحلي لإضعاف الصفوف

cit. pp.123 -125

3 - جريدة "أخبار" الناطقة بالفرنسية (AKHBAR) من بين الأهداف المتوخاة باستمالة بعض الشيوخ عين الجنرال بيجو في أكتوبر 1842 الشيخ محي الدين خليفة على بعض فروع اتحادية سيباو مؤلّياً بذلك على الخليفة بن سالم علماً أنّه كان ضمن قيادة هذا الأخير

3 - جريدة "أخبار" الناطقة بالفرنسية (AKHBAR) من بين الأهداف المتوخاة منها هو إطلاع القراء على كل ما ينجز عبر الشريط المحتل وتعنى بشؤون المستوطنين والمستوطنة صدر أول عدد لها في 12 جويلية عام 1839 في أربع صفحات من الحجم الصغير. تمّ جمع الأعداد من 1 إلى 121 أي من جويلية 1839 إلى ديسمبر 1840 في مجلد واحد.

نسيان الماضي... والوضع كذلك ... تمّ إلقاء القبض على محرك الاضطرابات في قلب القبيلة الأم (le milieu-mère) بني مناصر وهو أحد الطلبة القدماء من عائلة البركاني ...⁽¹⁾. ولمعاودة الكرة ها هي قيادة القوات العسكرية تعلن عن اختفاء عبد المالك البركاني المحرض على التمرد الذي عرفته جبال الظهرة الشرقية عام 1846⁽²⁾.

إنّ إلقاء القبض على العنصر المحرك وسط القبيلة الأم لا يعني أنّ حدود القبائل وفروعها قد تمّ ضبطها أو حتى الوقوف على أبعادها كما كانت عليه عشية الغزو. في الواقع لم يُسجل أي اهتمام بمسألة الحدود إلا بعد أنّ تبين للقادة العسكريين ما يمكن جنيه من وراء عمليات الضبط أو رسمها في مجال توسيع دائرة الاحتلال. فرصد تحركات القبائل وملاحقة أفرادها بأوطانها وأوطان غيرها حيث يعتقد أنّهم قد لجئوا إليها على أساس أنّها مجالا حيويا لتلك القبائل⁽³⁾ وملجأها الآمن.

إنّ ما تعرض إليه بني مناصر من جراء سياسة الأرض المحروقة⁽⁴⁾ خاصة بين 1841 و1845 يوضح

¹ - أنظر: - Anonyme; (J) AKHBAR; 28 juillet 1846. (Sans titre) - Un ancien taleb de la famille des Berkani, instigateur de ces troubles a été arrêté dernièrement au milieu-mère de la tribu des Beni-Menacer

² - أنظر: - Anonyme; (J) AKHBAR, 23 Août 1846

ملاحظة: - يغلب على الأخبار التي نقلتها جريدة "الأخبار" طيلة هذه السنة تدور حول "بومعزة" الذي تحول إلى أسطورة إذ بعد أن أعلن عن إلقاء القبض عليه عام 1845 هي الجريدة تنشر أخبار مفادها أنّ بومعزة يحاول بمعية الحاج الصغير من عائلة البركاني يحرض فروع بني مناصر من بمن الظهرة إلى الونشريس (1). كما ورد ذكره في كل من القبائل الصحراوية (أولاد سيدي الشيخ والحامانية)، وقبائل أولاد نائل وأولاد جلال وغيرها من القبائل (2)

³ - أنظر: جريدة الأخبار 14 ماي 1846.

⁴ - أنظر: روسي؛ الاحتلال ... ج 2 ص. 123-126 .

³ - أنظر: (J) Anonyme; AKHBAR; 29 juin 1847

⁴ - سياسة الأرض المحروقة ارتبط ذكرها بذكر اسم ويجو وذلك منذ استئناف الهجمات على بني مناصر وأهل يسر واستمرار المقاومة.

² - أنظر: SAINT-ARNAUD; Les Lettres du Maréchal... P.211 (DE)

وهذه شهادة دي سانت أرنو: "...لقد أضرمنا النيران في جبال بني مناصر لتكون علامة (signal) لبيجو المتواجد المتواجد في شرشال ... " جانفي 1843.

كيف تمّ حصرهم بتلك الهضبة (5) ذات السّياج
الطبيعي حيث تحصرها من كلّ جهة قمم الكتل
الجبليّة الشرقيّة من سلسلة الظهر. إنّها تنفيذ
لسياسة الحصر التي سعى الجنرال بيجو إلى فرضها
على القبائل الأكثر تمرداً (6) .

- أنظر المصدر نفسه _ ص. 211 .
5 - صارت الهضبة تحمل اسم هضبة بني مناصر

6 - أنظر: MENERVILLE; Dictionnaire de la législation Algérienne Code () -
Annoté et Manuel Raisonné des Lois, Ordonnances, Décrets, Décisions et Arrêts Publiés au
B.O.A.G. 1830 -1860. 2° ed. Alger , Paris 1860

Circulaire générale 10 avril 1847. P.186-

القسم الثاني
الاحتلال عن طريق التعديلات
الإدارية

الفصل الأول

احتلال الأوطان وملاحم إدارة الأهالي ما بين 1843 – 1847

- أ - محاصرة بني مناصر وأهل يسّر بالتناوب
- ب - احتلال الأوطان من التحكم في القبائل
- ج - التغيرات الإدارية ومسايرتها للأحداث
- د - التقطيع الإداري المفروض على أهالي 1842

أ- محاصرة بني مناصر وأهل يسّر بالتناوب

تصريح بيجو عند عودته إلى الجزائر في 22 فيفري 1841 بإبقاء بايليك سيباو على حدوده الوطنية الممتدة نحو الجنوب الغربي لجرجرة المحتوية لسهل برج حمزة⁽¹⁾ ، لكنه لم يلتزم بتصريحه هذا إلا قدر ما يكفي فرق ضباطه من إحداث ثغرة تتوغل من خلالها عبر أوطان سيباو. لقد صار هذا الإقليم الإداري وعلى وجه الخصوص أوطان يسّر منه، بعد حصر بني مناصر على إثر حملة عام 1843 ما بين وادي الداموس غربا والهاشم شرقا ومن شرشال شمالا إلى المدية جنوبا، صار أكثر عرضة لضربات قوات الاحتلال، انطلاقا هذه المرة من الجنوب حيث تمكنت فرقة أومال (AUMALE)⁽²⁾ حيث تمكنت فرقته العسكرية من مباغته في 23 ماي 1843 حامية الزمالة - عاصمة الأمير عبد القادر المتقلّة -⁽³⁾. فشرع حينئذ سانت أرنو

الذي أسندت له مهمة الاستيلاء على سهل يسّر - أخصب سهل بشرق العاصمة - في تنفيذ تعليمات الحاكم العام بيجو فراح مع مطلع العام 1844 يواصل تنفيذ سياسة الأرض المحروقة مضرما النيران ابتداء من غرب مدينة دلس شمالا. أسلوب التناوب هذا في توجيه الضربات العسكرية ضدّ كلّ من بني مناصر وأهل يسّر جرى و سياسية المراوغة على هذا الحال:

1 - سياسة التفكيك، لإحداث تصدعات في صفوف المحليين قامت الحكومة الاستعمارية بتعين محي

- (R).

1 - أنظر:

GERMAIN;... BUGEAUD p. 4

_ خريطة جزائر لعام 1840. تبينا فعلا بأنّه بالإضافة إلى النقاط الساحلية المحتلة منذ مدّة كان من المفروض علينا التحكم في معظم قبائل مقاطعة قسنطينة الواقعة بين خطي عنابة قسنطينة شرقا وقسنطينة - سطيف جنوبا وسطيف - بجاية غربا والبحر شمالا. أمّا في الغرب من هذا المقاطعة وشرق مقاطعة الجزائر تكشف الخريطة حقيقة استقلالية منطقة القبائل بجرجرة وضواحيها. لكن رغم صعوبة تجنبها من الجنوب يمكن القول بأنّ الاتصال بين المقاطعتين ممكن وذلك منذ نهاية عام 1839 أي بعد أن تمكن الدوق أورليان بمعية المارشال فالي قيادة حامية من ميلة إلى الجزائر عبر سطيف، البيان، حمزة وسهل يسّر

2 _ أومال (AUMALE): هو هنري دورليان ابن لويس فيليب (1822-1886) اشتهر بقضائه على زمالة الأمير عبد القادر في ماي 1843 حاكم عام على الجزائر 1847 نفى إلى لندن بعد سقط عرش أبيه عام 1848

3 - دي سانت أرنو. المصدر نفسه . ص. 215.

الدين الذي كان يشغل منصب -أغا- بمقاطعة سيباو التي كانت تحت قيادة محمد بن سالم، خليفة بدل هذا الأخير الذي لا زال يمارس مهامه كخليفة للأمير عبد القادر، ليتم ترسيم محي الدين في منصبه الجديد في تاريخ 15 أكتوبر 1842 من قبل بيجو نفسه (1).
 2 - فشل مساعي أومال (AUMALE) (2) في الانفراد بالسلطة بالجزائر من خلال محاولة التفاوض مع الأمير عبد القادر، باسم ملك فرنسا، كأمر للأمة العربية. يبدو أنه في الوقت الذي أظهر فيه الدوق استعداداته للتفاوض، تحرك بيجو من أجل إحباط تلك المحاولة، بحكم أنه الحاكم العام بالجزائر ليبقى صاحب القرار في المستعمرة (3).
 3 - العمل على زعزعة وحدة الصف: إذ أصبحت الوضعية السياسية للقبائل، بمقاطعة الجزائر جد مضطربة، خاصة تلك الواقعة بالأراضي المعترف بها لصالح الأمير.
 فبعد أن كانت في معظمها مرتبطة بأحد الأقطاب الإدارية الوطنية الثلاث - دلس، مليانة، المدية تحولت مع توسيع دائرة الاحتلال إلى وحدات إدارية بقيادات محلية تائهة، فمنها من أعلنت عن ولائها للإدارة الاستعمارية كقبائل العطاف، وأولاد قصير، وبني وراغ، ومنها من تظاهرت، كما وقع في مقاطعة سيباو، بالاستسلام تفويتا على قوات الاحتلال فرصة تنفيذ سياسة الأرض المحروقة. كما حدث مع بني مناد

T.1. Op. cit. p. 151

1 - أنظر: La (C.) ROUSSET; ...

Conquête

2 - أنظر: GERMAIN; La politique ... Op. Cit. p. 111 (R)

2 - أومال (AUMALE): هو هنري دورليان ابن لويس فيليب (1822-1886) اشتهر بقضائه على زمالة الأمير عبد القادر في ماي 1843 حاكم عام على الجزائر 1847 نفي إلى لندن بعد سقط عرش أبيه عام 1848

3 - أنظر: GERMAIN ; op. cit. P. 237 (R).

ملاحظة: منشغلا بصعوبات مواجهة الأمير وإخضاع الجزائر الغربية والوسطى ترك للحكام العاميين بقسنطينة صلاحيات واسعة إلى غاية نهاية فيفري 1843 وكان آخرهم الدوق دومال. ص. 128

وصوماته. ورغم ذلك إلا أن أراضى هؤلاء لم تنجو من عمليات التخریب.

4- سياسة شراء الذمم: عرض بيجو في نهاية فيفري 1842 على الخليفة سيدي محمد بن علال المبارك مبلغ 500 ألف فرنك وإعادة له أملاكه المترامية الأطراف مع إعطائه منحة سنوية تقدر بـ 50 ألف فرنك شريطة الاستسلام والاعتراف بالسلطة الفرنسية والإقامة في مدينة الجزائر⁽¹⁾

5 - شيوع أسلوب إقحام قبائل بأكملها في مواجهة مثلتها من القبائل التي لا زالت تقاوم. ذاك هو شأن أهل الشنوة، بني مناد والحجوطيين الذين سُخِرُوا لضرب بني مناصر في جانفي⁽²⁾ 1842

6 - طرق المواصلات:

فبعد أن صار الربط بين مستغانم والجزائر بحرا مضمونا أمام قوات الاحتلال مع إمكانية الرسوي بميناء شرشال بات من الطبيعي استكمال السيطرة على الطريق البري بالضغط على القبائل المحاذية للطريق السلطاني.

7 - أزمة ديسمبر 1842م بباريس⁽³⁾:

عرف البرلمان الفرنسي مناقشات حادة حول الميزانية المخصصة للاستعمار والمطالبة بتفسير النتائج المحققة والتي رأى بعض البرلمانيين أنها جد هزيلة مقارنة مع قيمة الميزانية. وركز المعارضون على أنه، في مجال التجنيد، تم تجاوز عدد المجندين العدد المصادق عليه من قبل البرلمانيين دون تحقيق الأهداف، وعندما حاول قيزو (GUIZOT)⁽⁴⁾ تهدئة

¹ - أنظر: - (H) - D'ESTRE; Mémoires ... Op. Cit. p.219.

² - ¹ - أنظر: روسي الاحتلال الجزائر ... ج 1 المصدر نفسه 129

² - أنظر: رسائل سانت ارنو من الجزائر إلى مليانة، جانفي - ديسمبر 1842 ص.ص. 370-455

³ - أزمة ديسمبر 1842: أنظر الجرائد كالأخبار الجزائر...الصادرة عام 1842.

⁴ - (فرانسوا) قيزو (François Guizot) : أستاذ في مادة التاريخ بالسربون عام 1812. أمين عام في وزارة الداخلية أولا ثم وزارة العدل. أثر كثيرا بأفكاره الليبرالية على التشريع الفرنسي ما بين 1819-1820. وزير للداخلية في أول

التوتر الذي حدث بين سولت (SOULT) (1) وبيجو على إثر مساءلة البرلمان الأول كوزير للحربية الذي وجه بدوره اللوم على الثاني بصفته المسؤول الأول على ما يجري بالجزائر فردّ الحاكم العام بالجزائر على تهجماته الوزير، قائلا: "...بأنّ الأفعال المجسّدة في الميدان هي الأقوى والمطلوب الآن تثبيتها ..." (2) أي أنّ تلك المصاريف لها ما يبررها.

8 - شروع الحكومة الاستعمارية في تنفيذ البعض من مشاريعها كتوزيع المحليين وفق هيكلية إدارية جديدة (3). ولعلّ ما زاد من إرباك القبائل هو إقحامها في وحدات إدارية غريبة عنها وإخضاعها إليها بالقوة، هذا من جهة ومن جهة ثانية ما سينجرّ من توسعات على أوطانهم خاصة وأنّ أشغال مستوطنة أورليانفيل العسكرية قد انطلقت في مطلع شهر ماي 1843 على حساب مدينة الأصنام (4).

9 - قرار إسكات نهائيا سكان الجبال الممتدة من شرشال إلى وادي الشلف وجبال الونشريس (5)

حكومة في عهد الملك الويس فيليب. وزيرا للحكومات المتتالية من 1832-1837. كان وراء قانون "جوان 1833" الخاص بإجبارية التعليم الابتدائي. وزيرا للخارجية عام 1840. وصار منذ 1847 يعمل بتوفيق تام مع الملك إلى أن أبعد عن الحكم على إثر ثورة فيفري 1848.

1 ? _ (نيكولا جان دي ديو) سولت الدوق دو دالماتي (SOULT Duc (Nicolas Jean de Dieu de Dalmatie : وزير الحربية بعد ثورة جويلية 1830. رئيس للمجلس الاستشاري ثلاث مرات ما بين عامي 1840-1847.

2 ? _ أنظر: ROUSSET; T.1 . P. 161

3 ? _ أنظر: GERMAIN; ...Bugeaud. Op. cit. . P. 115 (R)

التنظيم الإداري الذي حاول بيجو تطبيقه في هذه الفترة يتمثل في تجربة سياسة العائلة.

" ... L'affaire n'aurait présenté qu'un intérêt militaire et se serait résolue par quelques très sévères rassias; si la région de Cherchell et les Beni Menasser en tête n'avait pas formé précisément un des domaines d'expérimentation de la politique " de famille " tentée par Bugeaud ... " p.115

4 ? - الأصنام - تم احتلالها 29 أفريل 1843. تعليم ملكية مؤرخة في 14 أوت 1845 تنص على قرار إنشاء أول مركز سكاني ب 2000 نفس وتخصيص 2000 هكتار من الأراضي الخصبة حول المدينة تُمنح للاستيطان.

5 ? _ أنظر: GERMAIN; Op. Cit. p. 115

1- حملة عام 1843 على أوطان بني مناصر

لقد غطت مقاومة عام 1843 المجال الجغرافي الممتد من وادي الداموس إلى وادي سيباو باستثناء متيجة، ومن الشريط الساحلي إلى سهل الشلف والونشريس جنوبا لتتوسع شرقا نحو المدية ومنها أوطان سيباو. مجال جغرافي تعكس حدوده ملاحقة قوات الجنرال دو بار (De BAR) لقوات الخليفة البركاني من وادي الداموس إلى وادي الهاشم، ومن هذا الخط شمالا إلى جبال زكار جنوبا، وذلك على إثر وصول أخبار مفادها التفاف ما يزيد عن ثلاثة آلاف محارب غير نظامي حول البركاني عند وادي الداموس (1).

وفي نفس الوقت كانت قوات سانت أرنو يترقب أثر بني مناصر وعلى رأسهم بن علال انطلاقا من مليانة إلى أوطان العطاف، فالشلف والونشريس وصولا إلى المدية. أمّا شانغاريني الذي سيكون له سيطر في ضرب بني مناصر كان منهمكا مع جيشه في إنجاز الطريق الرابط بين وادي الشلف وجبال قنطاس شرقا (2) في انتظار أوامر الجنرال بيجو. في حين تأكد أنه قد صدرت له آخر الأوامر في مطلع شهر فيفري 1843 مفادها مباشرة قوات أو مال غزو أوطان كل القبائل التي ستستجيب لابن سالم وتسير إلى جنبه في مواصلة المقاومة.

لقد اجتاحت بالفعل تلك القوات أوطان بني جعاد وأوطان يسر أين نُفذت سياسة الأرض المحروقة في تاريخ 10 فيفري 1843 بدء من أراضي نرليوة. وهكذا في الوقت الذي كانت فيه مداشر وقرى خليفة سيباو

Le Moniteur du 30 - 1843

1-1 أنظر
janvier

- ملاحظة: صدر العدد الأول عام 1834

Article ... -

2- أنظر:

Rev. Af. n° 79 année 1870

2- أنظر: SAINT ARNAUD; op. cit

تحترق 21 مارس 1843 - أفريل 1843 ⁽³⁾، عجزت فيه قوات دي بار، وسانت أرنو وحتى قوات بيجو من تحقيق اقتحام معقل بني مناصر.

- مجريات الأحداث وانعكاساتها

لم يسجل على المقاومة بالجزائر أنها توقفت أو تعطلت وذلك منذ عودة بيجو على رأس الحكومة العامة في الجزائر وإنما شيوع عبارة "مقاومة البركاني" عام 1843 ⁽⁵⁾ يدل على قوة الضغط على أوطان بني مناصر. أمّا عن انسب المقاومة إلى البركاني فالأمر يعود لرفض البراكنية مشروع بيجو الجديد والمتمثل في تطبيق سياسة "العائلة" ⁽⁶⁾

³ - أنظر: SAINT ARNAUD; ibid

⁵ - مقاومة البراكني عام 1843: في الوقت الذي كان يسير في شنغارني

محققا مسيرة ناجحة من مصب وادي الشلف إلى شرشال أن بدت الأمور على أحسن ما يرام. لكن في مطلع جانفي 1843، كان كل شيء على وشك معاودة المعارك عسكريا وسياسيا، لأن استسلام شيوخ المنطقة وخلفاء الأمير عبد القادر لم تكن في الواقع إلا شكلية ربحا للوقت (1).

وهذه المقاومة التي نسبتها القيادة العسكرية المحتلة إلى الخليفة محمد بين عيسى البركاني كانت أوسع من ذلك ما دام التنسيق لازال قائما بين الخلفاء الثلاث ومعظم شيوخ إقليم الوسط تحت قيادة الأمير عبد القادر، لمواجهة سياسة الأرض المحروقة التي انتهجها بيجو مصمما على إخضاع بني مناصر بأي ثمن (2) " Je m'appesanterai...sur les Beni Menacer; ils capituleront, ils paieront l'impôt ou ils seront détruits "

¹ - أنظر: (ر.) جيرمان؛ سياسة بيجو تجاه الأهالي. المرجع نفسه. ص. 113. والتي تليها.

² - أنظر: تقرير بيجو لوزير الحربية. أرشيف الحكومة العامة بالجزائر

2 1843 25 février 3 p.231, EE

- نسخة مصورة بالأرشيف الوطني بئر خادم الجزائر.

³ - أنظر: (ر.) جيرمان؛ المرجع نفسه. ص. 115.

⁶ - أنظر: (ر.) جيرمان المرجع نفسه. ص. 118.

² - نلفت الانتباه هنا إلى الاهتمام الكبير الذي أولاه بيجو "لسياسة العائلة" معولا بالدرجة الأولى على عائلة البركاني إلى درجة أنه عُيِّب

³ - أنظر: 2 EE 9, Lettre datée du 7 Mars 1843. Photocopie...op. cit

جاء في إحدى رسائل بيجو إلى دو بار ما يلي :

ترجمة النص: "يجب أن تُخضع هذه العائلة أو تُمحق ... لأن كل المحاولات التي تمت لجلب البراكنية إلي صفنا باءت بالفشل ..."

Il faut que cette famille soit soumise ou proscrite... Les tentatives faites pour engager les Berkani dans " ... notre sillage avaient échoué "

أنظر: (ر.) جيرمان المرجع نفسه. ص. 118.

بغية استغلال نفوذ عناصرها في التحكم في المحليين والحكومة الاستعمارية منشغلة بضبط هيكلية إدارية تسعى من خلالها امتصاص غضبهم. ومن ثم اضطر بجو إلى إدخال تقسيم إداري جديد على أوطان بني مناصر محدثا إغليك زاتيمة وعلي رأسه سيدي الغبريني (1).

رغم الترسنة التي أعدها بجو والخطة التي ضيبتها لإخضاع القبائل المحاذية للطريق السلطاني إلا أن ذلك لم يحبط من عزيمة الأمير عبد القادر ولم يثن خلفاؤه بمقاطعة الجزائر عن مواصلة النضال من أجل استرجاع الميدان الذي تم الاستيلاء عليه عن طريق الأرض المحروقة. فكان محمد بن عيسى البركاني قد سبق الأمير في إعداد العدة لمواجهة جنرالات الجيش الاستعماري المكلفين بوضع حد لبني مناصر على وجه الدقة. لقد انطلق أولئك الجنرالات بتاريخ 20 جانفي 1843 كل من موقعه نحو تلك القلعة المحصنة طبيعيا والتي لطالما لجأ إليها واحتوى بها بني مناصر كلما سعى الغزاة إلى الظفر بهم (2)، فطوقوا الهضبة على الشكل التالي:

- الجنرال دي بار متخذا من مدينة شرشال مركزا أساسيا لتوجيه العمليات نحو جبال زكار المستهدفة
- الجنرال شانغاريني المتواجد بوادي الروينة شرق سهل الشلف أي غرب المنطقة المستهدفة، أين وصلت الأوامر للزحف نحو جبال زكار.
- في حين كان سانت أرنو مكلفا بمراقبة قبيلتي بني زوق وزوق وجندل تحسبا لأي هجوم مرتقب عليهما من

4- ? - أنظر: سانت أرنو: المصير نفسه. ص. 483 .
" ... بدأت نتائج نضالنا تظهر في الأفق لأن فرقة من بني مناصر جاءت لتستسلم بين يدي . رفضت ذلك قائلا بأنني لن أقبل إلا باستسلام القبيلة بأكملها ..."

1 ? - أنظر: المرجع نفسه. ص. 119

2 - 1 - أنظر: TRUMELET; Le Gnl YUSUF. T.1 . op. cit. Pp. 375- 378

2 ? - أنظر - ROUSSET; La conquête ...op. cit. Pp.159-167

3 - ? - أنظر: SAINT ARNAUD; les lettres ... Pp. 448 et suivantes

4 - ? - أنظر: ROUSSET; Op. cit. T. 1 p. 170

قبل الخليفة بن علال، والأهم من هذا هو الحيلولة دون ترك أية فرصة أمام القبيلتين لاستجابة لنداء المقاومة نظرا لانعدام الثقة في إخلاص قادتهما، إذ كان من المرتقب إن وقوع أحد الاحتمالين سيفكّ الحصار المفروض على البركاني لا محالة.

وما دام القصد من تطويق بني مناصر في تلك الجبال الوعرة المسالك، تكسير صفوف قوات الأمير، بعزل البركاني وابن علال على الأقل شرق وادي الروينة، كلف أوامال بالتحكم في تحركات القبائل المنتشرة ما بين المدية وبوغار⁽¹⁾، في حين كان على لاموريسيار (LAMORICIERE) وجانتي (GENTIL) منع وصول الإمدادات إلى محمد بن عيسى البركاني من قبائل الشلف والونشريس⁽²⁾.

لكن ورغم تلك الترسانة إلا أنه وبعد خمسة أيام كاملة من الحصار والقصف بالمدفعية، والإمدادات التي تلقاها دي بار مع وصول الجنرال بيكولو عن (PICOULEAU) إلى شرشال⁽³⁾. لم تتمكن القوات الغازية من بلوغ الهدف. ولم يجد سانت أرنو ما يبرر به هذا الإخفاق إلا لقسوة طبيعة المنطقة تضاريسا ومناخيا، فتوقفت حملة الشتاء يوم 7 فيفري⁽⁴⁾.

1843

إنّ إخفاق دي بار في إقناع كبار عائلة البركاني على إدارة شؤون المحليين في ظل الحكومة الاستعمارية، وتحسبا لما يمكن أن ينجر عنه من تعطيل لمشروع المستوطنة، أدى بالحكم العام بيجو إلى دعم قوات دي بار بقوات شانغارني المعروف بخبرته لطبيعة الميدان الجبلي. فانطلق الجبايلي على حدّ تعبير بيجو من مركز وادي جر مقسما قواته إلى سبع فرق عسكرية لتحوط جبال زكار من الناحية

¹ _ المصدر نفسه ص. 166.

² _ المصدر نفسه ص. 166.

³ _ المصدر نفسه ص. 167.

⁴ _ المصدر نفسه ص. 169.

الشرقية باتجاه الهضبة غربا. كما وضعت كل
الإمكانات المتوفرة بالمراكز العسكرية القريبة من
ميدان العمليات وعلى وجه الخصوص مركزي مليانة
وشرشال تحت تصرف فرق شانغاريني. فكانت بداية
لتحوّل الهضبة إلى سجن طبيعي لن يكلف الإدارة
الاستعمارية إلا تشديد الرقبة عند المسالك التي
تؤدي إليها.

لا يتوقف تقيّم الحملة على ما تخلفه وراءها من
خراب ودمار وإنما تقيّمها أيضا من حيث نسبة ما
سيحقق على أثرها من الأهداف المسطرة مسبقا
بالقياس مع الأسلوب المنتهج والمدة التي استغرق
عملية الإخضاع. فحملة الفرق السبع⁽¹⁾ لم تدم أكثر
من ليلة واحدة أي ليلة 1 و2 أفريل 1843، هذا ما لم
يكن يتوقعه شانغاريني نفسه. حملة تكبد خلالها بني
مناصر خسارة ثقيلة إذ سقط أزيد من ألف شخص
سجينا، وتحطمت قاعدتهم الاقتصادية عن آخرها.
لكن وإن نجح شانغاريني في تطويق ما تبقى من
بني مناصر عند ملاجئهم الأخيرة بحزام ناري وحدّ
مجالهم الحيوي عند عتبة الهضبة، إلا أنّ الهدف الذي
تحركت من أجله الفرق السبع لم يتحقق ما دام محمد
بن عيسى البركاني، ذلك القائد الشيخ العجوز قد
استطاع الإفلات من قبضة جيوش شانغاريني⁽²⁾. ولا
زال بني مناصر محتفظين بنفوذهم على القسم
الاستراتيجي من الطريق السلطاني الممتد من

¹ - أقحم شانغاريني بعض عناصر اتحادية لضرب بني مناصر منهم الحجوطيين
وبني مناد وأهل الشنوة وذلك لامتحان لولائهم.

انظر: ROUSSET; op. cit. p. 169

SAINT-ARNAUD; *Les lettres...* Op. cit. - Lettre de Miliana, le 18 janvier -

² - أنظر:
1843 p.465

On s'est battu sous Cherchell. Le vieux Berkani a soulevé tous les Beni Menasser. Ce sont eux qui
"... serviront d'exemple aux traîtres ; c'est par eux que nous commencerons
"...وقع الاشتباك بضواح شرشال. لقد حرك البركاني كل بني مناصر (مما
يجعلنا، نفهم أنّ زاتيمة فرع من فروع بني مناصر). سيكونوا هم إذن العبرة
للخونة، لأننا سنبدأ بهم" (حرب الإبادة). ص.464.

العطاف من الجنوب الغربي إلى أوطان حبوط من الشمال الشرقي (1)

إنّ ما تعرض له بني مناصر منذ عودة بيجو إلى الحكم عام 1841 وعلى وجه الخصوص خلال سنة 1843 من جراء حملة أفريل 1843 وسقوط زمالة الأمير عبد القادر في 23 ماي 1843 (2) يعدّ نموذجا حقيقيا لسياسة الرّدّع (Le refoulement) التي انتهجها الحاكم العام.

ضبط بيجو على إثرها ملامح الإدارة الخاصة التي يضمن بها تثبيت الأهالي على حيز من أوطانهم لتكون الإدارة الاستعمارية قادرة على مراقبة تحركاتهم ويتسنى لها التفرغ للمستوطنين والتكفل بانشغالاتهم العقارية .

كشفت مجريات حملة أفريل 1843 ضدّ بني مناصر على شساعة أوطانهم إذ على غرار بقي الحملات حرّر ضباط حملة كلّ واحد من زاوية هجومه تقريره. تقارير ركّز فيها أصحابها على أسماء كلّ من اعترض طريقهم وعرقل زحف جيوشهم وما يمكن الإشارة إليه هنا هو أنّ تلك الأسماء تؤكد على اتساع نفوذ البراكنية ومن ثمة بني مناصر بقوة ترابط بين الاسمين.

ومن نتائج اجتياح معاقل بني مناصر قامت الحكومة العامة بنفي سيدي قدور ومن كان يعيش معه من البراكنية إلى جزيرة سانت مارغوريت (le île de Sainte Marguerite) (3). تذكر بعض المصادر أنّ عدد

1 - أنظر: VERNEUIL et BUGNOT; Esquises Historiques sur la Mauritanie Césarienne - Cherchell Rev. Af. n° 79 année 1870

2 - دي سانت أرنو. المصدر نفسه . ص. 215.

3 - 1 - سانت مارغوريت : العودة إلى الفصل الثاني حدود بني مناصر وأهل يسّر. ص. 54

? - 2 - أنظر:

GERMAIN; (R) -

Politique. de... Op. cit. P. 118

"... Pour éviter les dangers d'un acquittement en Conseil de guerre, le gouvernement avait le pouvoir

de décider leur exil aux îles Sainte-Marguerite ou au fort Brescou..." p.312

"... L'internement,... des indigènes révoltés... était complété le plus souvent par l'envoi de l'inculpé en

France aux îles de Sainte-Margurite ou au fort Brescou..." P. 291

المنفيين بين رجال ونساء وأطفال قُدر بـ 94 شخصا⁽¹⁾. إنَّ اختراق قوات الاحتلال أصعب جزء من أوطان بني مناصر في 3 أفريل 1843 لم يمكن بيجو من انتزاع الاستسلام من لجئ زكار الشامخ، وبالتالي فسقوط بعض الفروع لم يكن يعني البتة الاستسلام.⁽²⁾

- فإنَّ توقيف مقاومة عام 1843 على شخص محمد بن عيسى البركاني وصمود خلافتي مليانة وشرشال كما وردَّ في معظم الكتابات الاستعمارية آنذاك يعدُّ إجحافاً في حق الخلفاء الصامدين إلى جانب البركاني كما كان عليه محمد بن سالم خلافة سيباو⁽³⁾. تضليل لحقيقة تاريخية أرادها الحاكم العام بيجو للضغط على محمد بن عيسى البركاني ومن ثمَّ جرَّه إلى التفاعل مع السياسة العائلية التي عوّل عليها كوسيلة ناجعة لتحقيق إخضاع المحليين بإلزام شيوخهم على الاعتراف بالوضعية الجديدة للجزائر والتعامل معها بالإيجاب. كما كان بيجو يسعى إلى تبديد الصبغة

3 - أنظر: Anonyme; Prisonniers arabes en France Ile Sainte-Marguerite au Fort - Brescou. Illustration (Journal) année 1844. P. 275

"...منذ ثلاث سنوات، استعد الحصن (سانت مارغوريت) وظيفته الأولى كسجن الدولة. وبموجب قرار من وزارة الحربية المؤرخ في 30 أفريل 1841، قررت الدولة الاستعمارية نقل القبائل المتمردة ضدَّ فرنسا بالجزائر إلى جزيرة سانت مارغوريت لسجنهم في القصر تحت حراسة قائد الحراسة..."
المصدر نفسه. ص. 275.

1 - صحراوي الطاهر محمد: رجل قانون. موثق بمدينة شرشال. ألقى محاضرة يوم 3 أوت 1980 ببلدية مناصر، تحت إشراف قسمت جبهة التحرير الوطني بعنوان: "بني مناصر". ملاحظة: من ضمن أولئك الأطفال ذلك الطفل الذي نفي وهو لم يتجاوز بعد الثامن ربيعاً من عمره والذي قُدِّر له أن يكون والد محمد الطاهر صحراوي.

2 - أنظر: op. cit. p. 167. ...- (C)

ROUSSET; la conquête

2 - أنظر: Le Moniteur Algérien (Journal); du 15-20 janv., 5-10-15-20 fév. 1843

3 - في رسالة بعث بها محمد بن سالم إلى قدور بن علال: "أيها الأخ إنَّ الشدائد لا تزول... وأتبي أسأل الله تعالى أن ينصر إمامنا (الأمير عبد القادر) وبؤمنا في أوطاننا. ويردَّ علينا ما أخذ منا وأعطاه لعدوِّنا. أيها الأخ... لا تيأس... فأنتي موقن، باجتماعنا - نحن الثلاث - مع ما نحن عليه الآن..."
أنظر: محمد بن عبد القادر الجزائري: تحفة الزائر المصدر نفسه.

ص. 442.

الوطنية التي كانت عليه المقاومة . ألم يكن عندما باغتت قوات دوماال الزمالة 21 ماي 1843 الخليفة بن علال المبارك القلعي حاضرا ببوغار؟

2- احتلال يسّر عام 1844

لم يكن ليترك الحاكم العام بيجو أراضي بمثل جودة أراضي يسّر في أيدي الأهالي. وهكذا بعد أن أجهدت قوات الاحتلال بني مناصر وصارت حدود خلافة سيباو مكشوفة ، عاود هذه المرة بيجو الكرة على سهل يسّر لكسر شوكة محمد بن سالم وبلقاسم أوقاسي من الجنوب حيث هو بعد سقوط الزمالة في 23 ماي 1843 أكثر عرضة لهجومات القوات الغازية من ذي قبل ⁽¹⁾.

تحركت قوات الصبايحية في 3 ماي 1844 بقيادة الأغا محي الدين ⁽²⁾ زاحفة من جنوب سهل يسّر نحو دلس أين تمركزت منذ أفريل 1844 قوات الاحتلال بقيادة بيجو، مما أسفر على استكمال احتلال دلس وأوطان فليسة البحر مع مطلع شهر أوت 1844 وتحويل قرية برج منايل إلى مركز استراتيجي في قلب سهل يسّر حيث يمكن مراقبة إقليم الزواوة. وعلى الرغم من إرجاع الإدارة الاستعمارية احتلال يسّر إلى السنوات الأولى من الغزو إلا أنّ أوطان سيباو على غرار أوطان بني مناصر لم تنج من سياسة الأرض المحروقة التي أقرّها بيجو. ويشهد الجنرال سانت أرنو على إنجازهِ المروع من خلال وصفه لمخلفات معركة 17 أكتوبر 1844 قائلا : "... صار الجيش بعد أن أحرق الممتلكات والقرى التابعة لبني سالم وبلقاسم أوقاسي يمشي على

¹ _ إنّ الأضرار التي لحقت بخلافة سيباو عامة وأهل يسّر على وجه الخصوص بعد سقوط الزمالة 23 ماي 1843 تدلّ على مدى تلاحم وتكامل خلال المجتمع الجزائري قبل أن يتعض إلى الغزو

² - العودة إلى الفصل الثالث من هذه الدراسة - عنصر تأمين متيجة الشرقية قبل التفرع لبني مناصر. الصفحة 141.

جث الكبايل... ولم تُستثن أراضي يسّر الجديان ولا قرية تاورغة من حرب الاستنزاف تلك...⁽¹⁾.
إنّ الملفت للانتباه هنا هو أنّ مهندسو ومنفذو حرب الإبادة على أهل خلافة سيّباو لم يتعرضوا في نقلهم آخر الأخبار عن إبادة الأهالي ما رأوه من قوة التلاحم بين أهل عمراوة وأهل فليسة وأورزدين وغيرهم من الذين فتح لهم إخوانهم من أهل تاورغة ذراعيهم لتمكينهم من تجاوز المأساة. لم يتعرضوا بالذكر لا لقبيلة باسم يسّر ولا حتى كفرع مما يؤكد على أنّ قبيلة يسّر هي قبيلة موطن مشكلة من العناصر المستقرّة بالسهل.

ب - احتلال الأوطان من التحكم في القبائل

ركزت الدراسات والأبحاث التاريخية بالجزائر في القرن التاسع عشر ميلادي في بداية الأمر على أنماط معيشية المجتمع، لكن غالبا ما حدا عناصر (أصحابها) تلك النخبة⁽²⁾ عن مهامهم الأساسية ألا وهي الوصف الموضوعي، وإنّما سخر هؤلاء أقلامهم لخدمة أصحاب القرار والرأسماليين، مما رفع المصادقية عن ما يقولون بأنهم رصدوه من معلومات عن المجتمع الجزائري، مما يصعب الوقوف على حقيقة تواصله الطبيعي والتغيرات التي عرفها تماشيا مع تطورات الأحداث التي عايشها، هذا إن دلّ على شيء إنّما هو يدل على عدم تحرر أصحاب تلك الكتابات من الفكر الماركائيلي الغالب على الذاكرة الجماعية النخبوية الاستعمارية، هذا من جهة ومن جهة أخرى تجاهلهم طبيعة الانتماء الحضاري لسكان إفريقيا الشمالية⁽³⁾.

¹ - سانت أرنو؛ رسالة 17 أكتوبر 1844 ص. 550.

² - أنظر : DJENDER; Introduction à l'Histoire de (Mahieddine) -

l'Algérie; Système Historique – Conception générale de l'Histoire. Ed. SNED Alger, 1966. P. 72

³ - المؤرخون الذين خصهم الأستاذ جندر (محي الدين) بالذكر عند تعرضه لتصورات الأوروبيين خلال الفترة الاستعمارية وعلى وجه الخصوص ما بين 1850م و1930م والذين يجسدون أو يمثلون المذهب الاستعماري لتاريخ شمال إفريقيا، وهم: جورج مارسسي (G) MARCAIS ومرسيي (E) MERCIER وستيفان قزال GSELL (Stéphane) وكاريت مع العلم أنّ هذا الأخير ليس صاحب تخصص

والواقع أن القوات الغازية اصطدمت في الجزائر بتركيبة اجتماعية-اقتصادية قوية صعبت أمامها التوغل نحو التل وعرققتها إلى ما بعد عام 1847، إذ أرجع البعض تباطؤ زحف الجيش الاستعماري إلى عدم تحكم السياسيين والعسكريين بعد في العناصر الفاعلة والمحركة لديناميكية المجتمع الجزائري كما جاء في اعتراف الجنرال بيجو الذي كتب في أحد تقاريره: "...غالبا ما ننسى أننا نواجه... الأمة العربية كلها... والقبيلة بشكل خاص..."⁽¹⁾، في حين جرى تعامل هؤلاء مع المجتمع الجزائري على أساس أنه مجتمع قبائلي وعشائري مفكك. كما لقي الإداريون وضباط الجيش الاستعماري صعوبات جمة في تحديد ماهية القبيلة وضبط أبعاد مجالها الحيوي هذا في حين كان عدد الوافدين من أوروبا على الجزائر في ارتفاع مستمر وبشكل سريع⁽²⁾. وما زاد الوضع تعقيدا بالنسبة للحكومة الاستعمارية عدم سيطرتها بعد على العقار الذي لازال في معظمه في حوزة المحليين، وعليه لم يكتف الحاكم العام بيجو للاستيلاء على العقار بسياسة الأرض المحروقة، وإنما دَعَم أسلوبه ذاك بالتنوع في القرارات والتعليمات التي سيصدر على ضوء التقارير التي كانت تصله من كل الجهات. فكانت التعليمات بمثابة أداة قانونية غير قابلة للنقاش تستكمل بها الحكومة الاستعمارية ما تمّ التحصيل عليه عن طريق سياسة الأرض المحروقة. إلا أن سرعان ما رأى بيجو، في تباطؤ ظهور النتائج المرجوة من جلاء الأهالي عن الأراضي

GERMAIN; Politique ...; op. cit. ...p. 49

1 - أنظر: (R)

Bugeaud écrit dans son rapport; « ...On oublie que c'est à la nation arabe toute entière que nous avons à faire ...» p.49

2 - أنظر: BUGEAUD; De la colonisation ... op. cit (Th.- R., Duc D'Isly) -

2 - تعود أول تجربة للاستيطان العسكري إلى عام 1840 مع وضع أسس المستوطنة العسكرية ببني مراد من طرف بيجو.

أنظر: OP. Cit.

.T.S.E.F.A

الخصبة، بعدم نجاعة أسلوب الأرض المحروقة ولا سياسته العائلية (1) في جرّ هؤلاء إلى الاستسلام جماعيا (2)، لذا شرع في توسيع دائرة سياسة التطويق (3) مع ضرب النسيج الاجتماعي-الاقتصادي الجزائري في الصميم وذلك عن طريق بتر القبائل من بعض فروعها بفصلها وإبعادها عن مشيختها الرئيسية بترحيلها جبرا إلى المناطق التي صارت تحت رقابة جيوش الاحتلال (4)، والتي يبدو أن هذا الأخير على دراية ولو نسبيا بطبيعة سطح المناطق المحتلة وما بها من مختلف الملكيات لأنّ تحول العقار من أيدي المحليين والاستيلاء عليه لصالح مؤسسة الاستيطان يقتضي ذلك. فعملية تفكيك القبائل ستفرز ما بالأوطان من مختلف الملكيات ومن ثمّ ستسهل التفنن في سنّ القوانين التي لا تغدو عن كونها قرارات وتعليمات ملزمة التنفيذ. وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ من الصعوبات التي واجهت إدارة الاحتلال في هذا المجال، عدم تمكن الجيش الاستعماري من تحقيق احتلال المقاطعات الثلاثة في وقت واحد مع سقوط العاصمة (5)، حيث

(R) -

1 - أنظر:

... GERMAIN; *Politique* ...; op. cit

2 - 1 - أنظر: BUGEAUD; op. cit

3 - أنظر: مينار فيل؛ قاموس ... المصدر نفسه. ص. 190.

- سيتم التفصيل في هذه النقطة لاحقا
- الحصر والتجميع عن طريق أسلوب الأرض المحروقة قبل صدور قانون التجميع بموجب نشرة حكومية مؤرخ في 20 ماي 1858 بعنوان "تجميع الأهالي".

4 - أنظر: مينار فيل؛ المصدر نفسه. فصل: سياسة الاستيطان. - نشرة حكومية مؤرخ في 10 أفريل 1847. "...سياستي تجاه الأهالي ليست... طرد القبائل أو إبعادهم عن الأراضي التي كانوا يستغلون منذ أمد بعيد وإنما حصرهم على جزء منها..."

- أنظر: ص. 186 .

5 - 1 - تظهر هذه الصعوبة من خلال الرسالة التي كتبها بلوندا (Blondel) هو الآخر إلى أخيه حيث قال له: "...عدم السيطرة، الشاملة حتى بعد عشر سنوات من الاحتلال إلى الرغبة في الانتهاء من عملية الاحتلال لكن خلال هذه الفترة تبين استحالة تحقيق لا استيطان جاد ولا زراعة ولا تجارة دون إخضاع العربي..."

2 - أنظر: BLONDEL; *Aperçu sur l'état actuel de l'Algérie*. Alger, 1844 .

تأخر إنجاز الخرائط الطوبوغرافية لما يفترض فيها من دقة المعلومات وتطابقها مع الواقع ⁽¹⁾. كما أنّ الانتقادات التي وجهها البرلمان الفرنسي للحكومة العامة، وتضارب مواقف السياسيين حول الأساليب المعتمدة بالجزائر لم تسهّل من مهمة الحاكم العامين ⁽²⁾.

ج - التغييرات الإدارية ومسايراتها للأحداث

ج - 1 - نظرة عن التنظيم الإداري قبيل الغزو

لم تكن إدارة الجزائر عشية الغزو متجانسة الهيكلية، فالتقسيم السائد آنذاك يعكس جملة من التنظيمات قرّصتها على حكومة الديوان عوامل عدّة منها: الانشغال المستمر بالتصدّي إلى التحرش الأوروبية المبكر والذي كانت سواحل العثمانية ودار الجهاد عرضة له منذ مطلع القرن السادس عشر الميلادي. أضف إلى ذلك تأثير البيئة على تشكيلة الوحدات الاجتماعية داخل القطر حيث فرض تباين التضاريس وتنوع المناخ على الأهالي أنماط معيشية كلّ حسب بيئة مجاله الحيوي ممّا أفرز تنظيمات

? - 3 - أنظر: Le Moniteur Algérien ; n°607 du 20 Avril 1844 . Pp. 15 -18 -

1 - 1 - أنظر: CARETTE et () WORNIER; Province d'Alger, T.S.E.F.A. année 1844 -1845 () -

? - 2 - أنظر: بيلي: (PELET) ضابط عسكري بعد تجربته الأولى في رسم الخرائط بالجزائر أعطى ابتداء من 18 سبتمبر 1847 تعليمات خاصة برسم خريطة عادية للجزائر.

? - 3 - أنظر: خريطة بيلي عام 1838:

نسجل حولها الملاحظة التالية فقط: لقد حصر بيلي قبيلة بني مناصر في حدود الهضبة المطلّة على مدينة شرشال في حين سجل اسم قبيلة

2 - 1 - أنظر: LAMORICIERE: Colonisation projet LAMORICIER; R.O.B.S.O.; année 1847, T. 1, - P. 109.

? - 2 - أنظر: RAOUSSET-BOULBON; De la Colonisation et ses institutions, civiles . Paris 1847 -

? - 3 - أنظر: GIRARDIN; Civilisation de L'ALGERIE. Ed. Michel Levy, Paris (De)(Emile) MDCCCLX. P. 9

- أبرز الجرائد التي نقلت الصراعات الحادة بباريس حول السياسة التي ستطبق بالجزائر نذكر: الأخبار (l'Akhbar) فرنسا الجزائرية (La France Algérienne) الممرن الجزائري (Le Moniteur Algérien) ...

داخلية لكل وحدة اجتماعية قبيلة كانت أو عشيرة وما شبه ذلك

هذا في حين التقسيمات الإدارية الكبرى للقطر التي كان في شكل بايلىكات من مهام الحكومة المركزية ⁽¹⁾، إذ يُسير كل واحد منها من مجلس ديوان مصغر شبيه بالديوان المركزي، يترأسه باي معين من طرف الداي وهو بمثابة الخليفة له، يساعده في مهامه نائبان، وباش خزناجي، وأغا الدائرة، وخوجة الخيل، وباش كاتب ⁽²⁾. وما دام الإقليم متكونا من مجموعة من الأوطان الأهلة بالقبائل فمن الطبيعي أن يتقرب ممثلو مجالس الأوطان من أقرب ديوان لهم.

أمّا بالنسبة للمجالس المحلية الخاصة بتلك الأوطان والتي تصهر على مصالح القبيلة بشرا وأوطانا، غالبا ما يترأسها شيخ الوطن أو شيخ القبيلة وإلى جانبه محتسب المزوار وفق ما تقتضيه الظروف الخاصة بكل واحدة منها... ⁽³⁾.

لقد كانت تركيبة المجالس المحلية هي الأخرى على جانب كبير من التنوع وليست بالضرورة من التعقيد، حيث لم يكن خضوع البايلىكات إلى نفس القاعدة الإدارية يعني بالضرورة توحيد هيكله أوطانها أو خضوعها إلى تنظيم إداري نمطي. فصعوبة العثور على مصطلحات إدارية ذات مفاهيم موحدة في بايلىكات القطر دعمت ذلك التعقيد الناجم عن التباين البيئي الذي تتحرك فيه القبائل ⁽⁴⁾.

¹ - تقطيع القطر إلى أربع وحدات إدارية جهوية وهي: بايلىك الشرق عاصمته قسنطينة، بايلىك الغرب عاصمته وهران، وبايلىك التيطري عاصمته المدية، ومقاطعة دار السلطان وعاصمتها القصبة.

² (ناصر الدين) سعيدوني: النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني 1830 - 1792 (الطبعة الثانية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985. 344 ص.) ص. 28.

³ المرجع نفسه، ص. 28.

⁴ أنظر: - BOYER; L'Evolution de L'ALGERIE MEDIANE. Ancien Département d'Alger (Paul) - أنظر: de 1830 à 1956. Ed. Adrien-Maisonneuve, Paris 1960. Imprimerie Nord-Africaine, Alger 1960. (427 p.). P.34

فالوطن الذي يقصد به عادة الأراضي المحيطة بالمدينة يقصد به أيضا أراضي العشيرة أو القبيلة وأحيانا أخرى تلك الأراضي التي تُنظم عليها أسبوعيا ملتقى تجاري أي السوق الأسبوعي ... (1) هو بمثابة وحدة اجتماعية اقتصادية قروية يرتبط أهلها عادة بأقرب مدينة منهم لأنها بمثابة همزة وصل بين الإدارة المركزية (حيث يقيم ممثل الدولة) والأهالي كما كان الحال بالنسبة لارتباط قيادة سيباو بإدارة مدينة دلس (2).

أمّا بالنسبة لبني مناصر فرغم كون مدينة المدينة عاصمة للبايليك والحضور القوي لممثلي حكومة الديوان بها إلا أن معظم المراجع الاستعمارية أجمعت على أن ارتباطهم بمدينة شرشال كان أقوى نظرا لإقامة في معظم الأوقات بها شيوخهم البراكنية حكام أوطان بني مناصر المترامية الأطراف من دار السلطان إلى جنوب بايليك التيطري (3). تظهر الصعوبات التي تلقتها إدارة الاحتلال في هذا المجال من خلال الخلط الذي وقعت فيه إدارة الاحتلال تارة عن جهل وتارة أخرى عن قصد. لقد

مصطلح القائد في عهد العثماني (التركي) كان يدل على وكيل للبايليك ذا مستوى اجتماعي. فهو أصلا تركي أو كرغلي له وظائف متنوعة أهمها تمثيل الباي لدى قبيلة أو أكثر... ومراقبة شيوخ القبائل وفروعها... أمّا الحاكم فكان له دور القائد في الأوساط الريفية

المرجع نفسه ص. 34 .

1 - 1 ؟ _ أوطن السبت: "... في الغرب (من أوطان بني خليل ...) يوجد أوطن السبت، أين تمكنت قبائل السهل من الاختلاط إلى درجة أن صار يُعرف رسميا باسم يوم السوق الذي يجتمع فيه السكان ..."

_ أنظر: بولي؛ المرجع نفسه ص. 19.

2 - 2 ؟ _ أوطن السبت على غرار البلدة كان له قبل عام 1830 تنظيم إداري خاص. _ أنظر: بيليسي؛ الحوليات ... ج. 1.

ص. 88

2 ؟ _ أنظر: بواي؛ المرجع نفسه. ص. 20
إن صعوبة التحكم في التنظيم الإداري الذي كانت عليه الإيالة قبل الغزو يظهر باستمرار في الضبابية باستعمال مصطلحات غير دقيقة كعبارة و"ضواحيها" (Limitrophe).

3 - 1 ؟ _ أنظر: غين؛ عائلة الغبريني ... المجلة الإفريقية ... المرجع نفسه.

2 - 2 ؟ _ أنظر: بواي؛ المرجع نفسه. ص. 36

كتب بوايي في الموضوع: "... بأنّ قوة تسلط قيادة شرشال تمتد إلى مليانة والمدينة وأنّ شيخ هذه القيادة يشرف أيضا على قبيلة بني مناصر وهي أكبر قبيلة في المنطقة..." (1) متغافلا أواصر ترابط بين المشيخة والقبيلة وأنّه لا مجال للفصل بين هذه الأخيرة وقيادتها، ولا بين القبيلة الأمّ وفروعها (2) يواصل في نفس السياق: "... بأنّ الأوطان الشرقية بالنسبة لمدينة الجزائر والمحصورة بين حدود بايليك قسنطينة وبايليك التيطري عادة ما كانت تتوزع بين قيادتي البايليكين..." (3)، في حين تقرّ معظم المصادر بالارتباط المباشر لقيادة سيباو بالإدارة المركزية.

كتب أحد المؤرخين قائلا: "...بأنّ قبيلة بني مناصر الساحلية، على غرار قبيلة الشنوة وكل الشريط الساحلي إلى غاية الداموس كانت خاضعة إلى القيادة العثمانية (4) بشرشال..."، في حين يتفق السواد الأعظم على أنّ أوطان بني مناصر لم تقع تحت نفوذ الإدارة المركزية (5) بمفهوم الإكراه. أمّا بالنسبة للوضعية الإدارية لأهل يسر كتب بوايي قائلا: "...بأنّ أوطان يسر تقع بين خشنة وسيباو (وادي) وتزداد امتدادا بالقيادة الكبرى لسيباو..."، دون أن يوضح إن كان هناك ارتباط أو فصل بين إدارتي أوطان سيباو وأوطان يسر، أو حتى

1 _ أنظر: بوايي؛ المرجع نفسه، ص. 35 والتي تليها.

2 _ العودة إلى الفصل: علاقة بني مناصر وأهل يسر بحكومة الديوان.

3 _ فبائل بني خلفه من أوطان طابلات وبني جعاد من أوطان باليسترو وعين بسام... هذه الأوطان الشرقية (شرق العاصمة) الحدودية مرتبطة إمّا بإدارة بايليك التيطري أو بإدارة بايليك الشرق.

_ أنظر: بوايي (ب.)؛ تطور... المرجع نفسه، ص. 20.

4 _ إلى الإدارة المركزية قبل الغزو

5 _ العودة إلى الفصل علاقة بني مناصر وأهل يسر بحكومة الديوان.

2 _ أنظر: بوايي؛ المرجع نفسه، ص. 19.

الجهة التي كانت هذه الأخيرة تابعة للأولى كما جاء في بعض المصادر .⁽¹⁾

ج - 2 - التقطيع الإداري في ظل دولة الأمير عبد القادر لم تكن الإدارة الوطنية بالجزائر وليدة الصدفة أو ظاهرة طفرية بل معالم جذورها ضاربة في التاريخ، وما الهيكلة التي ضبطها الأمير عبد القادر أثناء هدنتي 24 فيفري 1834 وماي 1837 إلا امتداد طبيعي لذلك الوجود مع إدخال بعض التعديلات لمواجهة الظرف المشحون بالتأمر على كيان الأمة الجزائرية، وتفكيكها بمختلف الوسائل بما في ذلك جهازها الإداري الطبيعي. وفي الواقع كانتا المعاهدتان بالنسبة للأمير عبد القادر فرصة لربح الوقت حيث استغل الهدنتين في ضبط إدارة الأوطان بأحكام كما خُصَّ إليه الحاضرون في اجتماع الهبرة المنعقد في 25 ماي 1837⁽²⁾. ونظرا لشساعة مساحة الأوطان التي تمكنت القوات الوطنية من صدِّ عنها القوات الغازية، ارتأى الأمير، بضرورة مراجعة في التقطيع الإداري⁽³⁾ وضبط مهام كلِّ خليفة⁽⁴⁾ من خلفائه حسب أهمية القوة بشرية والرقعة الجغرافية التي يشرف عليها كلِّ خليفة. فإلى جانب المهام العسكرية المنوطة بالخليفة، من تنظيم وقيادة للقوات العسكرية وتنسيق الجهود

1 - ؟ _ بوايي؛ المرجع نفسه، ص. 19 .

2 - ؟ _ العودة إلى فصل حدود اتحادية سيباو.

2 - ؟ _ تشرشل؛ المرجع نفسه، ص. 116

_ حضر مؤتمر الهبرة كل شيوخ القبائل الكبار، وزعماء الفرسان العسكريين، والمرابطيون المحترمون، وأعيان المحتربين في إقليم وهران

3 - العود إلى الصفحة 164.

4 - ؟ _ صار الخليفة في ظل الإدارة الاستعمارية يُعين من قبل الملك باقتراح من قادة المقاطعات عن طريق الحاكم العام.

_ أنظر: : (E) - DAUMAS (Gnl): *Exposé de l'état actuel de la société arabe, et de la législation qui la régit*.

Alger 1844. (169 p.) . p.54

مع بقية الخلفاء من أجل الدّفاع المشترك على الأوطان الموكلة لكل واحد منهم، وتحسبا لأي خطرا محتمل ضدّ بقية الأوطان مع الاستعداد الدائم لتدعيم القوات النظامية التي يشرف عليها الأمير بنفسه. وكان على الخليفة القيام بجولتين في السنة عبر أوطان مقاطعته. فالطلعة (الخروج) الأولى عادة ما تكون في الربيع لجمع الزكاة التي تصب مباشرة في خزانة الدولة، والثانية لجمع الأموال العينية في شكل العشور، إذ كانت تترامنها مع موسم الحصاد مناسبا لتوقيتها ⁽¹⁾.

إنّ تواجد الخليفة بين الرعية يعدّ فرصة لتفقد أحوالها والاستماع إلى انشغالاتها وشكاوي عامة الناس، والبتّ في الأحكام التي سبق أن أصدرها القضاة حافظا على حقوق ومصالح الناس. ومن مهام الخليفة أيضا الصهر على السير الحسن للأشغال التي قرّر إنجازها. إن التزام خلفاء الأمير عبد القادر، وعلى وجه الخصوص محمد بن عيسى البركاني، وبن علال المبارك ومحمد بن سالم، بتنفيذ تلك التعليمات سيزيد لا محالة من تقوية الروابط بين وحدات بني مناصر وقبيلة يسر.

كان الخليفة ملزما بالتنسيق بين أترابه من الخلفاء، ومراعاة إمكانيات كل قبيلة من قبائل الأوطان التي يشرف عليها على حد سواء، والأخذ بعين الاعتبار قدرات كل واحدة منها على المساهمة في تغطية حاجيات الدولة تفاديا لإجهادها. لقد مكّن المنطق الذي سار عليه الأمير عبد القادر في تنظيم إدارته من ضمان التوازن بين الأوطان دون إحداث أي خلل في تركيبة القبائل، وجمع محاصيل جدّ متنوعة إلى جانب جمع الخيول والبغال والإبل لأهميتها القسوة كأداة نقل في الحرب خاصة وأنّ الدولة في تاهب مستمر للجهد واستعدادا لمواجهة قوات الاحتلال .

¹ - تشرشل؛ المرجع نفسه، ص. 142.

إِنَّ تعين الأمير عبد القادر خليفته لها على
اتحادية بني مناصر وهما بن علال مبارك وامحمد بن
عيسى البركاني، يؤكد على عدم إحكام القوات
الاستعمارية قبضتها بَعْدُ على أوطان موزاية وصوماته
وبني مناد وغيرها من الوحدات الموالية لقيادة
البراكنية أي الفروع الشرقية من اتحادية بني مناصر
مما أبقاها على حدودها الأولى.

لقد كانت مدينة مليانة مقرا لقيادة بن علال بن
مبارك ليتسَّ له قيادة والإشراف على مصالح الأهالي
المنتشرة أوطانهم على طول الطريق السلطاني
الرابط بين وادي جرّ شرقا وكوع وادي الشلف غرب
قرية سيدي لخضر⁽¹⁾، والمدينة عاصمة البايليك ومقر
إقامة الخليفة البركاني، ويكون بذاك القسم الثاني
من أوطان بني مناصر تحت قيادته والمتمثل في
الإقليم الساحلي الممتد من وادي الهاشم إلى سهل
الشلف غربا وما يضمه من جبال الظهرة الشرقية،
وإقليم التل الأوسط (بايليك التيطري)
فبات من الواضح إذن أَنَّ الأمير عبد القادر لم
يُدخل على التقطيع الإداري لعام 1839⁽²⁾ تعديلات
عميقة على ما كانت عليه منطقة الوسط عشية
الغزو، بل اكتفى باستحداث خلافة (مقاطعة) مليانة

1 - محمد بن عبد القادر الجزائري المصدر نفسه، ص. 436.

2 - التقطيع الإداري الأول الذي وضعه الأمير عبد القادر كان على الشكل
التالي:

- تلمسان = محمد البوحميدي الولهاسي
- معسكر = محمد بن فريجة المهاجي وبعد وفاته الحاج مصطفى بن أحمد
التهامي.
- مليانة = محي الدين بن علال القليعي وبعد وفاته محمد بن علال
تيطري = محمد بن محي الدين و بعد عزله تولاهما محمد بن عيسى البركاني.
- ملاحظة: زيارة الأمير عبد القادر للمدينة 2 أبريل 1837 سُجلت بتعيين أخيه
الحاج مصطفى خليفة له على بايليك التيطري لكنه على إلحاح من أهل المنطقة
أعاد على رأس المقاطعة محمد بن عيسى البركاني
- أنظر: - (1) Op. Cit. p.405 ; Notice... URBAIN
- مجانة = محمد بن عبد السلام المقراني ثم محمد الخروبي القلعي ...
- بسكرة فرحات بن سعيد ...
- برج حمزة = أحمد بن سالم الديبسي.
- مقاطعة تامنة (الصحراء الغربية) - قدور بن عبد الباقي

باقتطاعها من بايليك التيطري لتكون إلى جانب خلافة التل التي تشكلت من القسم الشمالي الغربي لدار السلطان إي الإقليم الساحلي ومدينة شرشال عاصمة له وبايليك التيطري محتفظا هو الآخر بعاصمته المدية ⁽¹⁾. إنَّ استحداث مثل هذه الخلافة في قلب أوطان الاتحادية القديمة والتي لم يخرج أهلها من دائرة نفوذ البركاني .

لم يحدث إذن، ذلك التعديل أي تأثير على حدود بني مناصر والانسجام الذي كانت عليه قيادتهم، إذ رغم ما يفصل بين عاصمتي مقاطعتي شرشال والمدية حيث تتوسطهما المقاطعة الجديدة (مليانة)، إلا أنَّ إبقاء على رأس إدارة شرشال نفس القيادة يؤكد على مدى ارتباط عامة الناس بامحمد بن عيسى البركاني، وقوة التنسيق بين هذا الأخير وبين بن علال مبارك اللذين يجمع بينهما بالإضافة إلى رابطة المصاهرة رابطة الجهاد والنضال المشترك. وهكذا بقي نسيج اتحادية بني مناصر على حاله في ظل دولة الأمير عبد القادر.

كما لم يكتف الأمير عبد القادر بالنسبة لاتحادية سيباو بإبقاء محمد بن سالم في منصبه كخليفة، وإنما وسَّع من مهامه حيث زادت مسؤولياته مع توسيع دائرة الاتحادية. إذ اقترح على إثر انتقاله صعبة خليفته بن سالم إلى جرجرة في سبتمبر 1839 لإقناع شيوخ زواوة بضرورة الالتحاق بصغوفه لمواجهة الغزو الاستعماري، اقترح عليهم قيادة مرافقه بن سالم. لقد لقي ذلك الاقتراح إجماع الحضور من المشايخ وأمناء القبائل وتعاهد الجميع أمام الأمير بالالتزام بدفع الزكاة والعشور كدليل على ولائهم لقيادة بن سالم وارتباطهم بالإدارة الوطنية ⁽²⁾ كما سبقت إليه الإشارة. فاستغلَّ إذن الأمير

¹ - محمد بن عبد القادر الجزائري؛ المصدر نفسه، ص. 87.

² - تشرشل؛ المرجع نفسه. - الفصل الحادي عشر (1838-1839) ص. 148 وما يليها.

وجوده بالمنطقة ليس لتثبيت جهاز إداري بالمنطقة فحسب وإثما سعيًا منه إلى حماية وحدة التراب، مراعيًا في ذلك مرة أخرى النمط المعيشي المعتاد لدى أهل جرجرة وهيكلتهم الإدارية⁽¹⁾.

لقد تمكن الأمير عبد القادر من توزيع القبائل بين الأغاليك دون أن يحدث ذلك شرخًا في تركيبة القبيلة، لأنه أخذ بعين الاعتبار جملة من الضوابط إبقاء أهل يشر تحت قيادة سيباو. واحترام الروابط الأسرية حفاظًا على الوحدة الاجتماعية المبنية على الرابطة الدموية، مع مراعاة العلاقات الاجتماعية النجمة عن النشاط الاقتصادي خاصة تلك التي تولدت عن طريق الأسواق الأسبوعية. كما حرص على الحفاظ على الارتباط الروحي القائم بين القبيلة وقيادتها - احترام السلطة الروحية - ولعل أقوى ما يمكن الاستشهاد به في هذا المجال هو سرعة استجابة الأمير عبد القادر لتلبية مطلب بني مناصر الرافضين لقرار تحويلهم إلى قيادة غير قيادة امحمد بن عيسى البركاني حتى لو كان الخليفة الجديد من أهل الأمير⁽²⁾.

إن نزول الأمير عبد القادر عند رغبة بني مناصر وإلحاقهم بمركزية مقاطعة التل (المدية) حيث مركز قيادة امحمد بن عيسى البركاني شهادة أخرى على امتداد سلطان بني مناصر من الساحل إلى جنوب التل عكس ما روّجته له السلطة الاستعمارية. وتجدر الإشارة هنا أن ذلك المطلب لم يقلل في شيء لا من شخص محمد بن علال مبارك ولا من علاقات بني مناصر الاجتماعية والاقتصادية مع إغليك مليانة وقيادته في قلب أوطان بني مناصر بل تميزت بالطيبة والتآزر.

¹ - أهل جرجرة التسمية الشائعة في القرن التاسع عشر على الأقل هي زواوة. ورد في كتاب؛ "تحفة الزائر..."

لمحمد بن عبد القادر الجزائري: - "...زواوة..."

و"...ما وراء جبال زواوة..."

² - مصطفى بن محي الدين المشار إليه سابقا.

وفي الواقع ارتباط بني مناصر إداريا بالمدينة له ما يدعمه ويبرره في نظر الأمير عبد القادر، إذ كانت تحركات هؤلاء ضد القوات الاحتلال تنطلق من أعالي الجبال. فمن قمم الظهرة الشرقية إلى أعالي الونشريس ومن هذه الأخيرة نحو الصحراء. مكنتهم تعقيدات بعض النواحي من السطح من الصمود أمام ضربات القوات الغازية، حيث كانت معاقلهم الآمنة يحتمون بها كلما شنت ضدهم هجومات إبادة.

ج - 3 - المحاولات الأولى لضبط تقطيع إداري خاص بالأهالي
إنّ الإدارة التي يرى فيها بعض المفكرين فنا من فنون التسيير هي ضرورة حتمية لأي مجتمع من المجتمعات، التي تعيش تطورات طبيعية بتفاعل عناصرها مع بعضها البعض ⁽¹⁾ هذا عندما يكون الوضع عاديا. لكن ماذا عنها بالجزائر التي صارت منذ عام 1830 تعيش حالة غير عادية؟ وماذا على وجه الخصوص عن إدارة أهل يسر وبني مناصر بعدما تعرضوا له من حصر وقمع؟
لقد حالت استمرارية المقاومة دون تمكين الحكومة الاستعمارية من التوصل إلى جهاز إداري ناجع وواضح المعالم لتسيير شؤون المحليين. فتأخرت العملية إلى عقود عدّة ⁽²⁾، وغالبا ما كانت تنطلق من حيث أبقت عليه عمليات الإبادة من جهة وما انتهى إليه الترحيل الإجباري. لكن تلك الوضعية غير العادية لم تسهل على الحكومة الاستعمارية الأمور، لأنّ رغم اعتمادها على النموذجين الإداريين المحليين الأول من عهد حكومة الديوان والثاني لإدارة الأمير عبد القادر ⁽³⁾ إلا أنّها لقيت صعوبات جامة لعدم تحكمها

1 - يصادف ميلاد الإدارة ميلاد هيكل الدولة.

2 - أنظر: مينرفيل (Menerville) قاموس... عنصر: شؤون العرب. "...التنظيم الخاص لأغاليك وقيادات القبائل في المقاطعات الثلاث هي موضع تعديلات مستمرة وأن المكتب السياسي ينشر كل سنة جدول هذه القيادات..." ص. 59.

3 - 1 - أنظر: DAUMAS (Gnl): Exposé de l'état actuel... op. cit (E) -

بَعْدُ في أدوات فنّ الإدارة المحلية في مقدّماتها
المصطلحات.

استمرّ ذلك اللبس إلى العقود المتأخرة من
الاستعمار. فبوايي مثلاً عند تقديمه لإدارة الدولة
الوطنية في عهد الأمير عبد القادر استعمل كلمة "
خليفة " (Khalifak) بلفظ (خالفاك) وكلمة "إغليك"
كتبها (Aghalik) بلفظ (أغاليك) فالأصوب أن يستعمل
كلمة مقاطعة وعلى رأسها خليفة مع ذكر حدودها
وأن يستعمل مقاطعة جزئية أو إغليك في صيغة
المفرد بدل صيغة الجمع. وبغض النظر عن هذا
الالتباس فإنّ صعوبة التحكم في معاني المصطلحات
الإدارية التي أراد بوايي من خلالها تقديم صورة عن
التنظيم الإداري عام 1839 وقع في العديد من
المغالطات نسجل منها إخراج إغليك عمراوة وإغليك
فليسة من دائرة الدولة الوطنية في حين أنّهما
إغليكان من مقاطعة أو خليفة سيباو، مكتفيا عند
تطرقه لهذه الأخيرة بذكر إغليكي بني جعاد وبني
سليمان المحاذيين لمقاطعة التل.

حاولت الحكومة الاستعمارية قبل عام 1871 (1)

بناء صورتها لإدارة شؤون الأهالي انطلاقاً مما
ستنقله تقارير القادة العسكريين وضباط المكاتب
العربية (2) المدعمة باقتراحاتهم. وفي غياب مصادر

21 - 2 - أنظر: CARETTE & WARNIER; T.S.E.F.A année 1844-45

Notice...op. cit

2 - 3 - أنظر: URBAIN; Notice....op. cit. T.S.E.F.A année. 1843 (.J)

2 - 4 - أنظر: VOISIN; L'Algérie pour les Algériens. Ed. Michel LEVY, Paris 1861 (Georges) (163 p)

? - قانون كريميو (La loi Crémieux) الصادر في ظل حكومة الدفاع الوطني في 20
أكتوبر 1870 بمدينة تور والذي يمنح حق المواطنة الفرنسية لليهودي الجزائري،
التي ألحقت مقاطعاتها الثلاث بالمقاطعات الفرنسية

2 - 1 - أنظر: تعود نشأة المكاتب العربية إلى عام 1832 على يد الجنرال إيرزارد (AIRZARD) باقتراح من تريزل (TREZEL) ومن أبرز إداراتها النقيب لاموريسيير (Le capitaine Lamoricière) . حُلّت من قبل الكونت دروي دارلان (Cte DROUET D'ERLON) في عام 1834، أعاد الجنرال بيجو تأسيس إدارة الشؤون العربية بموجب مرسوم 17 أوت 1841 وإعادة فتح المكاتب العربية بمرسوم خاص في 12 فيفري 1844

? - 2 - أنظر: XYZ; Les Bureaux Arabes Grandeur et Décadence. La (V) - Rev. Alg. (III)

بأقلام محلية تكون المقارنة والموازنة بين وثائق الإدارة الاستعمارية⁽³⁾ أحسن وسيلة للاقترب من الصورة الحقيقية للإدارة التي أخضع لها الأهالي لأنّ أرجع مصدر استنباط الهيكلية الإدارية المفروضة على الأهالي إلى سياسة حكومة الديوان وسياسة الأمير عبد القادر في التسيير الإداري مفاده التضليل من أجل تهدئة الوضع وإحكام قبضة الحكومة الاستعمارية على الأهالي ومن ثمّ التصرف في الأوطان.

ج - 3 - 1 - تنظيم إداري في خدمة الاحتلال

تساؤلات تدور حول طبيعة التنظيم الإداري الذي يتلاءم والوضع الجديد للجزائر على اعتبار الازدواجية في التفكير ومن ثمّ في الطرح، إذ على أي أساس ستضبط الهياكل الإدارية و التركيبة البشرية غير منسجمة وغير متجانسة بل ومتحاربة. أيتّم ضبطها على أساس تشجيع الغزاة على الاحتلال وبالتالي الاستقرار ومن ثمّ تكون الحكومة الاستعمارية ملزمة بضمان حماية مصالح الجميع على غرار المواطن الفرنسي دون تمييز؟ أم تُضبط على أساس العنصر المحلي؟

يظهر من خلال إخبارية كاريت ووارنيي أنّ الإشكال يتعلق بكيفية إدارة المحليين، لذا قدّما هيكلية جديدة يقولا عنها مركبة مما رأياه صالحا من التقطيع الإداري لما قبل الغزو ومما ضبطه الأمير عبد القادر،

1° semestre de l'année 1889. Première partie, P.p.63-70.- Deuxième Partie P.p.112-118 MENIPPE; Les Bureaux Arabes. Réponses à M. XYZ p.p.170-172 () -

? - 3 - أنظر:- (Le Pays De) p. (124 p) Bourjolly; Projets sur l'ALGERIE. Ed. Dumaine Paris 1847.

24 من بين ما يقترحه بورجولي: إحياء قوات المخازنية مع إعطائه طابعا جديدا يمكنها من تقديم خدماتها وفق أهداف الإدارة الجديدة. وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ بورجولي لم يغادر الجزائر منذ أن وصلها عام 1830.

كضابط للخيالة إلا عام 1864 برتبة ملازم عام..

3 - 1 - أنظر:- TOCQUEVILLE; Ecrits et Discours politiques. Textes établi et annoté (Alexis de) par (André) Jardin, par (J.J.) CHEVALIER. Ed. Gallimard, 3 Tomes. T.1 (557 p.)

? - 2 - أنظر:- B.O.G.G.A. ; de 1834 à 1857

? - 3 - أنظر:- Annuaire de -

l'Algérie année 1843

مع إبقاء القبيلة عنصرا أساسيا في الإدارة الجديدة.
في حين اكتف عريان بتقديم أدوات التحكم في
الأهالي المقترحة بقوله أنه استمدّها من إدارة
حكومة الديوان على أساس أنّها في نظره نموذجا
لإدارة استعمارية أثبتت نجاعتها، يمكن الاستعانة به.
ومن ثمّ الوضعية الجديدة للجزائر (المحتلة) تقتضي
تطبيق هيكليتين إداريتين الأولى خاصة بالأهالي تكون
وفق النموذج المذكور أعلاه والثانية خاصة بالمحتلين
المستوطنين.

انصب اهتمام عريان صاحب مشروع " الجزائر
للجزائريين " (L'Algérie ⁽¹⁾ pour les Algériens) ⁽²⁾ حول
طبيعة العلاقات بين القبائل والإدارة المركزية لعله
يتمكن من تقدير أملاك البايليك التي ستتحول
مباشرة إلى الحكومة الاستعمارية وأنواع الملكيات
المحتملة والتي ستصع لها هذه الأخيرة قوانين
استثنائية للاستيلاء عليها

أمّا عن وضعية بني مناصر وأهل يسّر في
تقديرات كاريت وواريني جاءت مغايرة لما ورد في
تقارير الجنرال بيجو إلى وزارة الحربية عام 1842.
فإغليك بني مناصر يمتد حسب بيجو من وادي
الداموس إلى وادي الهاشم دون التعرض إلى حدوده
الجنوبية. أمّا بالنسبة لأوطان يسّر، فقد قدّمها على
أساس أنّها تشكل جزءا من إغليك سيباو. هذا في
حين ستعرف أوطان يسّر مع كاريت وواريني تفكيكا
إداريا حقيقيا مع الحاق بعض الفروع التي اصطلح
عليها بـ " قبيلة " يسّر بإغليك خشنة. كما أخرجنا من

Carette et Warnier; -

¹ - أنظر:

Notice... Op. cit. P. 388

Alger lui-même, Le chef-lieu de nos possessions, est une colonie d'origine Kabile; les Beni-Mezghanna, ses fondateurs;... ont laissé leur nom à la montagne qu'ils habitaient dans la partie supérieure du cours de l'Isser. La ville, avec les îlots dont le principal forme la tête de la jetée Khair-El-Din, fut appelée Djair-Beni-Mezghanna (Les îls des Beni-Mezghanna), et par abréviation, El-Djezair. Plus tard, ce nom fut altéré: les indigènes n'en conservent que l'ensemble des deux noms, Alger, Dzair, donné aujourd'hui à la cité mauresque par les deux populations qui l'habitent, reconstitue le nom primitif Eldje-zair

² - أنظر: - (Georges) (1861) (163 p) Ed. Michel LEVY, Paris 1861 (163 p) (Georges) - VOISIN; L'Algérie pour les Algériens.

إغليك بني مناصر المذكور أعلاه، قسم بني مناصر
الغرابية (أهل الداموس) لإنشاء إغليك زاتيمة.
إذن محتوى الإخبارية هو ترجمة للتصورات نصبت
لدى صاحبها عام 1845. تصورات مفادها تمكين
حكومة الاحتلال من تطويق المجتمع الجزائري عن
طريق إحداث تصدعات في نسيجه الطبيعي عن
طريق التنظيم الإداري.
في عرضه للصعوبات التي عطلت نشاط الحكومة
العامّة أثناء إعادة تنظيم الدوائر العسكرية يؤكد وزير
الحربية (1) في التقرير الذي بعث به إلى لويس
نابليون الثالث (2) عام 1851، على أنّ الشبكة
الإدارية التي نسجها كل من كاريت وواريني، لتثبيت
القبائل في مناطق يفترض أنّ الجيش الاستعماري
مسيطر عليها، وهي محاولة ظرفية (3). لكن
التضارب الحاصل في تصريحات المشرفين على
تدعيم ركائز الاحتلال ثبت العكس. إذ ورد في نفس
التقرير أنّ القوات الاستعمارية كانت قد تمكنت ما
بين 1840 و1845 من تحطيم القوات النظامية
التابعة للأمير عبد القادر في حين كانت المقاومة
بمقاطعة الوسط سنة 1842 - 1843 (4) على أشدها
مما يؤكد على أنّ القوات الغازية لم تسيطر بعد على
المنطقة وأنها أصعب سنة على الأقل في العقد
الثاني من الغزو. تعدّ سنة 1842 سنة حاسمة في
سياسة الحكومة العامة تجاه الأهالي، إذ أكد رونو في
تقريره ذاك بأنّ التحكم في الأهالي لم يبدأ إلا في
حدود عام 1842، حيث شرعت الحكومة العامة،
تماشياً مع الأحداث، في محاولتها التنظيمية الأولى

1 - وزير الحربية هو رونو دي سانت جون دانجلي

2 - لويس نابليون الثالث رئيساً لجمهورية الفرنسية من 1848 إلى 1852

3 - أنظر: REGNAUD De; Rapport adressé à M. le Président de la République; (Saint-Jean-D'Angely) - (1851).
par le M. G.; Sur le Gouvernement et l'Administration des Tribus Arabes de l'Algérie. Ed. Paris MDCCCLI.
(91 p.)

4 - أنظر: Ibid. p. 8

(¹). والمقاومة على أشدها صدرت أمرية ملكية في 28 مارس 1843 تنصّ على تعيين سي عبد القادر بن عمار المناصري أغا جديدا بدل سيدي قدور البركاني (²)

لقد تبلور تدريجيا نظام الحكم بالمستعمرة عامة وإدارة المحليين خاصة - الجهاز - خلال التوغل المرحلي واحتلال أوطان القبائل. وفي نفس السياق ألح وزير الحربية آنذاك على ضرورة إبعاد أصحاب النفوذ الديني عن القبائل المرتبطة بهم (³) مع تثبيت هذه الأخيرة في مواقع تكون معلومة ومحددة من طرف الحكومة العامة.

فالصعوبات التي عدّها وزير الحربية في تقريره تلخص مبررات إخفاق الحكومة الاستعمارية في الاحتفاظ بأحد الجهازين الإداريين السابقين للغزو والاحتلال، بل وعجزها في الواقع حتى عن التوصل لضبط ملمح إداري يكون من إنتاجها. إن المتتبع لمضمون قرارات حويلات الجزائر القاضية بتشكيل الأغاليك عام 1842 ستشده حتما تلك الأضرار التي ألحقت بالوحدة الاجتماعية الجزائرية من جراء سياسة التفكيك سواء كان ذلك على المستوى البشري أو على مستوى الأملاك العقارية (⁴). إذ بعد أن أقرّت الحكومة الاستعمارية في 18 فيفري 1831 على إثر عدم اعتراف معظم المشايخ بمعاهدة 5 جويلية 1830 (⁵) على أساس

1 - أنظر: Op. cit. p. 10 - ?

2 - أنظر: B.O.A.A.G.G.; T2 1844 Paris 1844 .P. 345 - ?

3 - أنظر - REGNAUD; Op. Cit. p. 9. Abd-El-Kader ... exerçait sur les tribus par la religion et l'esprit de "nationalité" - ?

4 - أنظر: BRENOT; Le Douar cellule administrative de l'Algérie du Nord. Ed. Alger 1938 (Henry) - ?

5 - معاهدة الاستسلام: الوثيقة الموقع عليها من طرف الداى حسين ودي بورمنت في تاريخ 5 جويلية 1830.

ملاحظة: ينص دستور الجزائر ونظام حكمها الدبلوماسي التركي "...على أنّ جميع المفاوضات أو الاتفاقيات الدولية لا تعتبر نافذة المفعول... إلا بعد مصادقة مجلس الكراسي وأعضاء الديوان عليها بطريقة استبدادية محضة فلقد حررت بين مجرد مُفوض الداى وقائد الحملة الفرنسية بدون استشارة أعضاء الحكومة الجزائرية..."

أنَّها لا تلزم إلاّ الداي حسين، باحتفاظ هؤلاء
بمناصبهم كأغوات العرب⁽¹⁾، لم تكد أنْ تحلَّ سنة
1837 حتى أفرغت منصب أغا العرب من جوهره،
وحوّلت موظفوه إلى مجرّد ناقلي أخبار عن أهاليهم.
كما استغلتهم الإدارة الاستعمارية لإيهام الأهالي
بأنّهم لازالوا يتمتعون باستقلالهم تحت إشراف قيادة
محلية، وإنّ الاحتلال لا يعني بالضرورة عزلهم. وهكذا
وبعد أن استغل أصحاب هذا المنصب بما فيه الكفاية
قرر دامريمونت (DAMREMONT) إلغائه في 15 أفريل
1837.

لم تكن القرارات إياها تعني لا بني مناصر ولا أهل
يسّر في شيء لأنّ الوجدتين لازالتا خارج دائرة
الاحتلال كما هو واضح في معاهدة التافنة عام 1837.
أمّا عن إرجاع أوتري (OUTRY)⁽²⁾ ارتباط شرشال
بالحكم الاستعماري إلى عام 1835⁽³⁾ فهي محاولة
لترسيخ تفوق القوات الغازية متجاهلا فشل حكومته
في تشيئة بن عمار كأغا العرب على المنطقة، حيث لم
يتجرأ هذا الأخير على الالتحاق بالمنصب المزعوم
خوفا من المصير الذي كان ينتظره هناك.
وفي وصفه التقطيع الإداري ذكر وزير الحربية
المشار إليه أعلاه في تقريره التقييمي، أنّ التنظيم
الإداري العام الذي بلغته قبائل القطر الجزائري عام

عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج 3 . . ديوان المطبوعات الجامعية
الجزائر عام 1982 (608 ص.)، ص. 404 .

1 - أغا العرب: مؤسسة خاصة بسياسة الدايات سبق وأن ألغى بتاريخ 7 جانفي 1831
لكن احتراماً وحفاظاً على الشخصية الإسلامية للسكان أغا الحاكم العام منصب أغا
العرب. فتلت هذا القرار قرارات أخرى مفادها تحديد الوظائف الجديدة المنضوية بالأغا
المعين من قبل السلطة الاستعمارية

12 - أوتري ماريوس (OUTREY Marius): مسؤول مكلف بدفع أجور القسم الأول
بالبلدية، وهو من خيالة الفرقة الشرقية، له مدالية منقذ اليونان، ضابط
الميجيبي التركي، وحامل لميدالية إنجليزية للقرم.

2 - قاموس كل نواحي الجزائر (Dictionnaire de toutes les localités de l'Algérie) ؛ يتضمن
بالترتيب الأبجدي أسماء مدن، قرى تجمعات، قبائل، أسواق رئيسية إدارات،
محطات بريد، مراكز المستوطنين، ومراكز الأهالي عبر المقاطعات الثلاث؛
قسنطينة، الجزائر، ووهران. وملحق: جدول للمسافات بين الأماكن. تمّ إنجازه
بالجزائر عام 1860 (460 ص.)

3 - أنظر: المصدر نفسه، ص. 107

1851، توزيعها على ثلاث أقاليم إدارية (PROVINCES) وإلى عددٍ مُماثلٍ من الأقسام العسكرية (Divisions Militaires) ⁽¹⁾ مع التنبيه إلى أنها معنية أكثر بالنوع الثاني من التقسيم.

أما عن التنظيم الداخلي لكل إقليم إداري ⁽²⁾ سنكتفي بالتعرض لهيكله إقليم الجزائر (الوسط). لقد قسم هذا الأخير إلى ستة أقسام ثانوية (Subdivisions) لكل واحد منها مركزا رئيسيا (Le Chef lieu)، وهي مدن الجزائر البلدة، المدينة، أومال (صور الغزلان)، مليانة أورليانفيل (الأصنام) ⁽³⁾. تقسيم أدى إلى تشتت مصالح بني مناصر بين تلك المراكز الإدارية الجديدة، عدا مركز أومال، وبين خمس قيادات بدل القيادة المشتركة التي كانت مجسدة في التكامل بين المشيختين بين محمد بن عيسى البركاني وبن علال المبارك. في حين أبقى أهل سيباو بمن فيهم من أهل يسّر في نطاق المعالم الحدودية التي ضببطتها القوات العسكرية عام 1844 مع ارتباطهم إداريا بمركز الجزائر ⁽⁴⁾.

¹ - أنظر: مينار فيل، المصدر نفسه، ص. 13 .
- تقسيم أقرته الحاكم العام للجزائر - المديرية العامة للشؤون المدنية، بموجب أمرية 31 أوت 1845.

² - المصدر نفسه، ص. 15 .
- تنص المادة 11 من الفصل الثاني من أمرية أوت 1845 على تقسيم الإقليم إلى مقاطعات ثانوية (subdivision) على هيئة دوائر ودوائر ثانوية وإلى بلديات أو إلى خليفات ومن ثم إلى أغاليك، فقيادات، فمشياخات.

³ - ملاحظة: قدّم وزير الحربية في تقريره إلى رئيس الجمهورية تقيم الوضع العام... في مقاطعة الجزائر عام 1851 بهذه المقاطعة 290 قبيلة، عدد أفرادها 900 000 نسمة على مساحة تقدر بـ 113 كلم² منها 175 مسيرة مباشرة إي خاضعة لمركزية قيادات الدوائر التي تنتمي إليها وتعالج قضاياها بالتنسيق مع المكاتب العربية. 35 قبيلة مرتبطة إلى دوائر كبرى أهلية (circonscriptions indigènes) . يتمتع قادتها بصلاحيات أوسع. 52 قبيلة وهي الأبعد مسافة عن مراكزنا أو قواعدا بـ جبال القبائل (لا يقصد بها جبال جرجرة فحسب وإنما كل السلسلة التلية) أو الصحراء والتي تسير من طرف قياداتها التي تعتبر بالنسبة لنا قيادات خليفة. و 28 قبيلة غير خاضعة وهي كلها قبائل كايبيل (tribus Kabyles).
- أنظر: تقرير وزير الحربية لرئيس الجمهورية... عام 1851.

المصدر نفسه، ص. 26 .
⁴ - انتزعت حسب جرمان أوطان يسّر بالقوة من قبضة الخليفة بن سالم لتوضع تحت قيادة محي الدين خليفة سيباو التابعة إداريا للمركزية بالجزائر. جرمان؛ سياسة...؛ المصدر نفسه، ص. 178 .

إصدار أميرية أوت 1845 له ما يبرره بالنسبة للحكومة العامة لكن يبقى السؤال مطروحا، كيف تمّ التوصل إلى هذا التقسيم، وما هي المعطيات التي اعتمد عليها في تجسيده خاصة والمقاومة على أشدها؟

إذا كان التنظيم الإداري مرتبطا بالاستقرار واستتباب الأمن فهو يعكس في ذات الوقت الحالة التي ألت إليها الوجدتان الاجتماعيتان بعد صراع تعرضتا خلالها إلى التقتيل الجماعي، الترحيل والتفكيك⁽¹⁾.

مرحلة انتهت حسب راندون وعربان وغيرهما من مَنْ خططوا ونفذوا أحداث خريف عام 1846⁽²⁾ التي تمكن على إثرها الجنرالات دي بار، شانغاريني وسانت ارنو من التنسيق بين فرقهم⁽³⁾ لتطويق تحركات بومعزة ما بين جبال الظهرة والونشريس⁽⁴⁾ إلا بعد تظافر جهود فرقهم وعزل أهل الظهرة. مما أفقد المقاومة الوطنية بقيادة الأمير عبد القادر أحد ركائزها خاصة وأن بني مناصر يعدّون فيها طرفا أساسيا بشريا وموطنا.

ففي الوقت الذي كان فيه الخليفة محمد بن عيسى البركاني يقود عمليات فكّ الحصار على أهالي

Op. cit. p.14

1 - أنظر: Le (H) BRENOT -

... Douar

2 - 1 - عام 1846 تاريخ يرى فيه إسماعيل عربان تاريخ بداية الالتفاف إلى "مسألة ملكية الأرضية"

- أنظر: L'Algérie (G.) VOISIN - ... Op. cit.

2 - أنظر - (Xavier) Les Bureaux Arabes et l'évolution des genres de vie indigènes YACONO;

Paris 1953. P.19 dans l'Ouest du Tell Algérois (Dahra, Chelif, Ouarsenis, Sersou.)

3 - أنظر: (R) op. cit. pp. 106-128 GERMAIN; La politique de...

4 - أنظر: (Charles) Alger 1846. RICHARD; Etude sur l'insurrection du Dahra (1845-1846);

2 - مع بداية شهر سبتمبر، كانت الجزائر من مصب الشلف إلى دلس ومن الأطلسي إلى الصحراء، كلها انتفاضة. (en insurrection) "... فالنار وهي منذ انتفاضة الربيع وهي تستوي من جديد تحت الرماد..." اندلعت مرة واحدة من 5 مراكز كمداخن بارزة من نفس البركان ولكل واحد من هذه المراكز بومعزة يقوده. فيومعزة بني مناصر، بني فراح بني زوق زوق، بني ديرا، وبومعزة سيباو

- أنظر: روسي؛ المصدر نفسه، ج.2.

ما بين تشته والداموس (1) يسرا باتجاه ما صار يعرف بإغليك زاتيمة، أخفق الخليفة سيباو محمد بن سالم في تنسيق الجهود مع بالأمير عبد القادر لتدعيم قوات البركاني ومن ثمّ بآء المحاولة بالفشل في إبعاد خطر سقوط منطقة الظهره الشرقية في قبضة الجيش الاستعماري. ورغم هذا الإخفاق إلّا أنّ التخوف من احتمال انقلاب الوضع للصالح البركاني لازال قائما خاصة بعد ما أظهره الأغا بن زعمون - وهو معين من قبل الحكومة العامة على رأس فليسة، قيشتولة، ونزليوة وذلك منذ عام 1842 (2) - من استعدادات توحى باللاحق بقوات الأمير عبد القادر وبمحمد بن سالم.

وهكذا لم يكن بالإمكان تطبيق أي تنظيم إداري على الأهالي قبل أنّ تهدأ الأوضاع وعليه يمكن القول أنّ الهيكلة الإدارية الخاصة بهؤلاء تمّ التحضير لها ما بين 1842 - 1845 وفق تعليمات بيجو الحاكم العام ولم يشرع في تنفيذها إلّا عام 1846.

ج - 3 - 2 - بني مناصر حقل للتجارب الإدارية الأولى

حاول بيجو عام 1842 انتهاج سياسة المهادنة بإبقاء المشايخ على رأس عشائهم كلما بلغت قوات ضباطه حدود أوطانهم، سعيا لربح الوقت وسعيا منه إلى تكسير صف المقاومة. لقد سبق له وأن أبرق في 16 سبتمبر 1841 لوزير الحربية يطلعه عن مبررات هذا الحل المؤقت. فورد في برقيته تلك: "...نعتقد أنّه من مصلحتنا تنظيم القيادات كما يقترحه علينا - بن علال المبارك - مع تكليفه بإخضاع ما تبقى من جيوب لم نتمكن بعد منها بشرف المقاطعة. ولن نتمكن من تسير تلك المناطق الجبلية بأنفسنا على الإطلاق..." (3).

1 - أنظر: - La France Algérienne (Journal) 1845

2 - أنظر: جرمان؛ سياسة...المصدر نفسه، ص. 176.

3 - أنظر: جرمان؛ المصدر نفسه، ص. 75.

فإشاعة احتمال إبقاء خلفاء الأمير عبد القادر الثلاثة في مناصبهم لم يدار على الأهداف الحقيقية المتوخاة من وراء تلك السياسة التي عاد بها الجنرال بيجو إلى الجزائر. فمشروع الاستيطان لن يتحقق إلا بالقدر الذي ستتحكم فيه إدارة الاحتلال من عقار. لكن طبيعة العقار في الجزائر جدّ معدّة، وعليه اعتمدت الحكومة الاستعمارية لضبط وضعيته القانونية انطلاقاً على كيفية وصول قواتها العسكرية إلى كلّ وطن من الأوطان مع التمييز بين الأراضي التي استسلم سكانها معترفين بالاحتلال، والأراضي التي اخترقتها تلك الجيوش بالقوة، وبين أراضي الذين اختاروا المهادنة وعدم الانحياز لمن يقاوم الغزو.

ونظراً لضرورة توفير شرطين أساسيين لإنجاز مشروع الاستيطان وهما الأرض والأمن، ربط الحاكم العام بيجو عدوله عن سياسة الأرض المحروقة بشروط تعكس في نفس الوقت محاولته في تمرير مشروعه الإداري المبني على إحداث الشقاق (تمهيدا للتقطيع) بين الأمير عبد القادر وخلفائه عن طريق الإغراء.

- شروط التفاوض

عرض بيجو، بعد أن اشتدّ لهيب سياسة الأرض المحروقة عامي 1841 - 1842 ، على بن علال مبارك، وهو أول المستهدفين بالسياسة العائلية للفوز برضى الحكومة العامة، عرض عليه أن يلتزم بالشروط التالية

- أن ينوب عن البركاني وبن سالم في تفاوضه مع ممثل الجنرال بيجو على أساس الشروط التالية:
- 1 - أن يلتزم الخليفان أمام إدارة الاحتلال بكل ما سيلتزم هو بنفسه أي بكلّ ما سيفرض علي بن علال.
- 2 - أن يبقى التقسيم الإداري للأغاليك الثلاث على حاله.

3- تضمن الحكومة العامة لكل خليفة فرصة إمكانية توسيع مجال نفوذه جغرافيا دون أن يتعدى ذلك الحدود المعمول بها عام 1839. كيف سيتحقق ذلك؟؟؟

4_ أن يكون مقر إقامة عائلات الخلفاء الثلاث بنفس المدينة - شرشال -.

5_ وأن تنتهج الحكومة العامة الأسلوب ذاته في معالجة الوضع بقيادة سيماو.

لكن لم ينتظر قائد حجوط الممثل الشخصي لابن
علال في هذه المفاوضات العودة، للردّ على النقاط
المساومة التي أطلعه عليها دumas في تاريخ 5
جانفي 1842، برفضها جملة وتفصيلا ⁽¹⁾.

ورغم ما كان يحمله هذا الردّ من قوة التلاحم بين قادة المقاومة الوطنية، إلّا أنّ مانوكسي (Muncci) ⁽²⁾ وهو أحد المكلفين بالتفاوض مع بن علال حاول تفسير هذا الرفض المتوقع حسبه إلى عدم رضوخ إدارة الاحتلال لشروط تعجزية سبق له أن عرضها على هذه الأخيرة والتي تدور في معظمها دائماً حسب مانوكسي، حول الأموال والامتيازات التي يمكن أن يفتكها الخليفة لنفسه في حالة اعترافه بالاحتلال ⁽³⁾

لكن اجتياح قوات الاحتلال العديد من الأوطان بمقاطعة الوسط، زاد من تصعيد لهجة الحاكم العام تجاه الحلفاء الثلاث، كما زاد تشدّداً في الشروط التي ستعامل على أساسها مستقبلاً الحكومة العامة مع القبائل المشتت بعدما تعرضت له من ردّع وحصر من

GERMAIN; op. cit. pp. 78 - 80

(R)
2 - الشخص المكلف بالتفاوض نيقولا مانوكسي إسباني الأصل. ينسب الشروط
التسع إلى بن علال في رسالة مؤرخة في 16 سبتمبر 1841.
- انظر: المرجع نفسه، ص... 70

3 - أنظر :

GERMAIN; op. cit. 70 - (R)

Francs "pour moi " et des cadeaux.- 500 000 Francs pour El-Berkani; " ce Khalifa **000 500 " -**
 ".réunirait mon bey-liek au sein. Sans cette augmentation de pouvoir, il n'y a pas moyen de le gagner

جراء سياسة الأرض المحروقة، كخطوة أولى، قبل إقدامه على أي تنظيم إداري يخص الأهالي. ولعلّ شروط التفاوض الجديدة المعلن عنها في 9 مارس 1842 تعكس ذلك التصعيد وفي نفس الوقت ملامح التقطيع الإداري المرتقب فرضه من قبل بيجو على الأهالي.

شروط التفاوض الجديدة تتضمن النقاط التالية:

- 1 - رفض الاستسلام الإداري الفردي، لأنّه صار غير موثوق في نية أصحابه من قبل الحاكم العام.
- 2 - استسلام الخلفاء الثلاث مع التوجه رأساً إلى مدينة الجزائر للإعلان عن موقفهم الجديد من السيادة الفرنسية.

- 3 - إقامة عائلات الخلفاء الثلاثة ستكون بالجزائر (كرهائن).

- 4 - على هؤلاء الخلفاء الممثل شخصياً أمام السلطات الاستعمارية مرتين في السنة بعد جمعهم الضرائب.
- 6 - وجوب السير إلى جانب قوات الاحتلال أثناء الحملات التي ستوجّه ضدّ بقية القبائل.
- 7 - عدم الجواز لهم بتدخل في صلاحيات بعضهم البعض.

شروط أرادها بيجو سياجاً سياسياً وإدارياً يحوّل به القبائل التي سبق للقوات العسكرية أن طوّقتها. إنّها إجراءات تحضيرية وتمهيدية لإخضاع القبائل لأول مرة إلى تقسيم إداري استعماري. كما ترمي إلى إحكام قبضتها على المجال الجغرافي الذي كان يتحرك فيه الخلفاء بسرعة البرق من شرشال إلى التل إلى الصحراء.

د - التقطيع الإداري المفروض على أهالي عام 1842

أمام إخفاقه في جرّ كل من بن علال المبارك وبن عيسى البركاني وبن سالم إلى الاعتراف بالسيادة الفرنسية على الجزائر، خاض الجنرال بيجو تجربة

"السياسة العائلية" ⁽¹⁾ من زاوية جديدة عمادها البحث على أفراد من العائلات الثلاثة أو غيرها تكون بالدرجة الأولى من ذات النفوذ الروحي، لعله يتمكن من تحريك "رغبة الزعامة" في نفوس البعض منهم أو حتى إحياء أحقاد قد تكون دفينه ماضي بعيد.

فكانت عائلة المبارك موضع المحاولة الأولى، على أساس وجود أملاك لها (مدينة القليعة) واقعة في دائرة الاحتلال. أمّا ضعف تركيزه على عائلة البركاني يعدو لقوة نفوذها الروحي على الأهالي الممتد من الساحل إلى أقصى جنوب التل بمقاطعة الوسط.

واعتمد بيجو في تمرير سياسته تلك شرق المقاطعة على عائلة محي الدين وعائلة بن زعمون قبل أن يسعى إلى المحاولة مع عائلة محمد بن سالم.

هذا فيما يخص محاولات بيجو في مجال الاستثمارات البشرية المحلية، أمّا عن التقطيع الإداري للقطر صدر قرار وزاري في 30 جوان 1842 يقضي بتقسيم الممتلكات الفرنسية بشمال إفريقيا (القطر الجزائري) إداريا إلى ثلاث دوائر عسكرية، وهي الجزائر، قسنطينة ووهران ⁽²⁾. وينص ذات التقرير فيما يخص بالتقسيم الداخلي لدائرة الجزائر على منحها جملة من المراكز الإدارية وهي: شرشال، مليانة، والدار البيضاء ولا بوانت بيسكاد La pointe Pescade () (الحمامات الرومانية). لتقوم وظيفة تلك المراكز أساسا على العناية بشؤون المستوطنين، في حين تبقى الأهالي من اختصاص المكاتب العاربية

¹ - لقد ركزت الكتابات الاستعمارية على عادات وتقاليد المجتمع الجزائري وتركيبية الاجتماعية والعناصر الأكثر تأثيرا عليه. فكان التركيز على المشايخ وأصحاب النفوذ الروحي لما لهم من مكانة بين القبائل لذا حاول بيجو إلى توظيف لصالح الاستعمار هذا النفوذ تحت عبارة "سياسة العائلة" فكانت له أهم محاولة مع عائلة البركاني ناهيك عن كونها أول تجربة جادة. كما حضي الموضوع باهتمام العديد من المؤرخين الغربيين المعاصرين.

² - ¹ - أنظر: بوايي؛ تطور... المصدر نفسه، ص. 58-55.

² - أنظر: جرمان؛ سياسة... المصدر نفسه.

² - أنظر:

التابعة للإدارة العسكرية. لذا أصفر قسم دائرة
الجزائر على أساس الشؤون العربية إلى إغليكين
وخلافة غرب المقاطعة ووزعت القبائل التي أعلنت
عن استسلامها على خمسة أغاليك تابعة لقيادة خلافة
واحدة في بداية الأمر.

د - 1 - تفكيك خلافة بني مناصر عام 1842

د - 1 - 1 - إغليك بني مناصر

للتحكم في الشؤون العربية قسمت دائرتي مليانة
وشرشال إلى إغليكين كخطوة أولى حيث أصدر
الملك لويس فيليب مرسوما ملكيا - ترسيما لقرار
بيجو - في 16 جويلية 1842 يقضي بتعين سيدي
قدور بن عبد الله البركاني أغا لقبيلة بني مناصر في
المجال الجغرافي (1) المحصور من الشرق بني مناد،
ووادي الهاشم (2) وأهل الشنوة، من الغرب بني فراح
وبني حواء (3) وأولاد سيدي عبد العزيز من الجنوب
ريغة وبني غُمريان ومن الشمال البحر من حدود
الشنوة إلى وادي الداموس (4).

ورغم ما يبدو من وضوح علي نص الأمرية التي
صارت جارية المفعول في 11 أوت 1842 (5) إلا أنه
عند محاولتنا الوقوف على مدى دقة ضبط حدود
إغليك بني مناصر التي توصل إليها بيجو تبين لنا أن
الغموض لازال قائما. مما يؤكد أن الحاكم العام لم
يتمكن بعد من السيطرة على بني مناصر لا بشريا ولا

1 - كان الجيش الاستعماري يميز بين مركز القبيلة وفروعها. لقد ورد في إحدى
مقالات الأخبار أنه أُلقي القبض على محرّكي المقاومة في القبيلة الأم (le milieu
mère)

- أنظر: جريدة أخبار الصادرة 28 جويلية 1846

2 - وادي الهاشم: تكمن أهميته في موقعه الإستراتيجي، كان للأتراك به حامية
ببرج الخميس. وهو من أهم أودية أوطان بني مناصر.

3 - بني حواء يفصل بين أوطانهم وأوطان بني مناصر وادي الداموس.

4 - أنظر: - *Annuaire de l'Algérie (J.)* 28 Juillet 1845

5 - ملاحظة: تحمل القرارات والتعليمات والمراسيم المدونة بالجرائد الرسمية
وما شبه ذلك تاريخيا، الأول تاريخ صدور القرار والثاني فهو تاريخ التسجيل ومن
ثم يصبح ساري المفعول وتترتب أحكام جزائية في حالة المخالفة.

موطننا (قبيلة). فالمقاومة مستمرة وهي على أشدها. فتشكل إغليك بني مناصر عام 1842 كان مجرد حبر على ورق، إنه في الواقع بعيد المنال ما دام محمد بن عيسى لازال يتحرك بين أوطان الخلافة. أمّا عن حصر إغليك بني مناصر عند السفح العليا لجبال زكار يعود إلى سياسة الأرض المحروقة كما سبق توضيحه، التي نفذها الجنرال بيجو تحقيقاً لرغبته أولاً واستجابة لرسالة وزير الحربية المؤرخة في 25 فيفري 1843 ثانية (1).

د - 1 - 2 - إغليك جندل

ويتعرض بني مناصر إلى ضربة إدارية ثانية بإخراج أهل جندل من دائرة نفوذ البركاني كما نصت عليه أمرية 6 أوت 1842 والقاضية بتعين سيدي البغدادي بن شريف أغا على جندل من مقاطعة مليانة. وضمنت الحكومة العامة إلى إغليك جندل كل من بني أحمد، دوى حاسنى، ومطماطة، بلال، سوييف، والحومل، وعزير. إدارة موالية للحكومة العامة تمكن من خلالها بيجو اختراق قلب خلافة محمد بن عيسى

د - 1 - 3 - خلافة سيدي علي المبارك

وافقت باريس، للمزيد من التفكيك عن طريق المناصب، على طلب بيجو القاضي بإنشاء خلافة جديدة بالمنطقة. فصدرت في هذا الشأن أمرية ملكية في 14 سبتمبر 1842 تنص على تعيين سيدي علي ولد سيدي لكحل ولد مبارك خليفة على ثلاثة أغاليك: وهي حجوط، جندل، وبراز. احتراماً للترتيب الكرونولوجي مفاده عكس الإستراتيجية التي انتهجها

1 - أنظر: Administration du gouvernement Général de l'Algérie - 2 EE 3 .P. 231 -

2 - جاء في الرسالة ما يلي: "... أصرّ على ضرورة إخضاع بني مناصر، إرغامهم على الاستسلام، دفع الضرائب أو سيُهلكون..."

- أنظر: GERMAIN; op. cit (R) -

بيجو في تفكيك بني مناصر وحصر ما تبقى منهم في جبال الظهرة.

محاولة ضرب قيادة بني مناصر بتأليب أفراد من عائلتي بن علال المبارك، ومحمد بن عيسى البركاني. فبات من الواضح أيضاً أنّ بيجو يسعى بتعيينه سيدي على المبارك خليفة على أغاليك حجوط وجندل وبراز إلى تحقيق هدفين في وقت واحد - إضعاف نفوذ البركاني من جهة وإحداث توتر في القيادة المشتركة بينه وبين بن علال المبارك من جهة أخرى - وتأمين الطريق السلطاني الذي يقطع أوطان بني مناصر ما بين البليدة وسهل الشلف.

د - 2 - تصدّع خلافة سيباو وتأسيس قبيلة يسّر

وافق الملك لويس فليب، بعد حملة بيجو على مقاطعة سيباو، بتعيين محي الدين أحد منافسي الخليفة محمد بن سالم على اقتراح الحاكم العام بيجو. وتمّ على إثر تنفيذ أمرية 13 نوفمبر 1842 القاضية بتنصيب الخليفة الجديد على سيباو والموالي للإدارة الاستعمارية، تقسيم إدارة الخليفة بموجب ذات الأمرية والتي تمّ تدوينها في حولية الجزائر في 2 ديسمبر 1842.

وهكذا استقرت إعادة الهيكلة وفق مقتضيات الاحتلال على خمسة أغاليك بدل أربعة ناهيك على ما ينجر من وراء كل تقسيم مفروض على الأهالي. أمّا عن الأغاليك فقد جاءت على الشكل التالي:

- 1 - إغليك خشنة
- 2 - إغليك يسّر
- 3 - إغليك تورغة (أضيفت له ثلاث قبائل من شرق دلس)

- 4 - إغليك عمراوة ومكطاس
 - 5 - إغليك فليسة، قشتولاة ونزليوة
- لكن هناك ما ينبئ بأنّ هذا التقسيم ما هو إلاّ تصنيفا اقتضته المهادنة المؤقتة. إذ على الرغم من

تأكيد جرمان (GERMAIN) على أنّ يجو ترك وراءه بعد الهجوم على مدينة دلس عام 1842 الأمن والاستقرار إلا أنّ الأوضاع العامة توحى بالخطر.

فصبط مثل هذه الشبكة الإدارية يندرج ضمان أمن الحدود الشرقية للمدينة الجزائر حيث كان يجو يراهن على خلق جو تنافسي سيشغل القادة المحليين عن التصدي لقادة الاحتلال. فألح على الملك بضرورة إلحاق إغليك خشنة وإغليك يسر بفروعه الأربعة، بالإدارة المركزية بالجزائر. في حين سيكون تعيين العربي كحايًا كأغا من الدرجة الثانية رأس إغليك قبيلتي خشنة وزواتنة خشنة. ويذكر المرجع ذاته أنّ بن زعمون عُيّن أغا على إغليك فليسة قشتولاه ونزليوة.

إنّ التخوف المخيم على الحكومة العامة من احتمال انقلاب القيادة المحلية المختارة بعينية جعل يجو يتخذ سياسة التغيرات السريعة للعناصر ذات النفوذ كأسلوب للسيطرة عليها. لم تعترف سلطات الاحتلال في بداية الأمر بكون حدود القبائل لا تخضع لنفس القاعدة المعمول بها في ضبط حدود الكونتونات (les cantons) بفرنسا إلاّ بعد ما تبين لها إمكانية تحويل ذلك الانفتاح لصالح سياسة الاستيطان من خلال رصد تحركات القبيلة (1) في كل مكان إلى أنّ تمّ الحصر. فربط بني مناصر بالهضبة، وقبيلة يسر بالجزء الشرقي من السهل فقط هو نتاج لسياسة الملاحقة والمطاردة.

- التغيرات الأولية التي تعرض إليها إغليك عمراوة 1844 - 1845

الوثيقة رقم 3

قبائل	فروع القبائل
- عمراوة	- عين فاسي، كاف العقبة، ذراع بن خدة، ليتامة، أولاد بوخالفة، تزي وزو، سيق المندور،

¹ - جريدة أخبار؛ 23 جوان 1845

شاملال، تالا تمام، ترازيرت، كتوس، قطاوس.	
- تاورغة - تاورغة بني عطار، بوعباشو، الرداير، دار البيضاء، تازروت، أولاد غلال، برلية، عزيز العطاب، أولاد وارث، قطوس (مكرر)	
- بني سليم	
- بني ثور - البريرت، أولاد عمارة، بوكماش، أولاد ماجوب، أوليد كداس، عبد الله موسى، سايب، شرارده، بن ارشاو ، بدشية، شركين، أولاد حميدة، شرابة، بني حمزة، بن عامر، مشرف، عزون، أولاد صابر، مزويج، شقة، تيزروين.	
- يسّر - عسات الويدان، عسات الجديان، عسات أولاد سمير، عسات الظهور.	

التعليق:

عرفت قبيلة يسّر عدّة تقلبات إدارية. فمن امتدادها من الضفة الشرقية لوادي يسّر قبل عام 1830 إلى توزيع فروعها بين إغليك عمراوة شمالا وإغليك فليسة أمّ الليل جنوبا في ظل قيادة سيباو عام 1839 ، ولعلّ هذا راجع إلى كونها قبيلة الموطن أكثر مما هي قبيلة نسب أو مرابطية، كما يمكن إرجاع ذلك أيضا إلى تعدد الزوايا الطرقية وتنوع التركيبة للبشرية لأهل يسّر كما هو موضح في الفصل الأول من القسم الأول. وها هي قبيلة الوطن الطبيعي تحول من طرف إدارة الاحتلال إلى مجرد قبيلة في إغليك عمراوة في انتظار المزيد من التمزيق.

الفصل الثاني

التنظيم الإداري المفروض على المحليين عام 1849

- أ - العوامل التي وجهت سياسة تأطير المحليين إداريا
- ب - القبيلتان ما بين الحكمين العسكري والمدني
- ج - تطورات التقسيم الإداري
- د - التركيبة البشرية للبلدية المختلطة بأراضي الحكم المدني
- هـ - التركيبة البشرية لإدارة المحليين بأراض الحكم العسكري
- و - الأوضاع السياسية والإدارية في مطلع الخمسينيات من ق

أ - العوامل التي وجّهت سياسة تأطير المحليين إدارياً من خصائص الحركية الاجتماعية أنّها عادة ما ينبجّر عنها العديد من التغيرات. فسعى الأشخاص أو الجماعات وراء تحقيق الرفاهية والسير نحو الأفضل سيمس حتماً كلّ مناحي الحياة بما في ذلك الهيكلة الإدارية التي ستؤقلم هياكلها والوضع الجديد لما لها من دور جوهري في الحفاظ على مصالح الأفراد والسلطة معاً، وبالتالي فـجهازٌ محكمٌ سيجنب المجتمع الوقوع في أزمات وشيكة أو على الأقلّ سيقبّل من حدّتها.

فماذا عن إدارتي أهل يسّر وبني مناصر والجزائر تعيش حالة غير عادية عامة وبعد ما تعرض له هؤلاء من حصر وقمع؟ وما هي العوامل التي وجّهت الحكومة العامة الاستعمارية في مجال تسيير شؤون الأهالي؟

أ - 1 - المستجدات الإدارية بين عامي 1843-1845

تعد أحداث عام 1843 بالنسبة للحكومة الاستعمارية فرصة لمواصلة تطويق وحصر بني مناصر ومن ثمّ تفكيك وحدتهم الطبيعية خاصة وأنها مقبلة على استحداث أغاليك جديدة انطلافاً من تقسيم أوطانهم. وما حملة الفرق السبعة (1) التي طوّقت في شهر أفريل 1843 الكتلة الشرقية من جبل زكار إلاّ بداية لتنفيذ هذا مشروع التقسيم. فعلى الرغم من شساعة المجال الجغرافي الذي شملته المقاومة الوطنية إلاّ أنّ الإدارة الاحتلال سلّطت إجراءاتها التفكيكية كأسلوب عقابي أساسياً على بني مناصر، إذ عمد بيجو على تحضير ما سيُمكّنه من إغراء بعض النفوس الضعيفة، وبات من الواضح أنّه كان يرى في تعدد الوحدات الفرعية داخل الإغليك الواحد فرصة لتمرير "سياسته العائلية" إذ على قدر

1 - العودة إلى الفصل الرابع من القسم الأول.

ما تتعدد تلك الوحدات على قدر ما تكون بالنسبة له
فرصة لإنشاء قيادات جديدة لن يصل إليها طبعاً إلا
من كانت إدارة الاحتلال ترى استيفاء فيه شرط
الرضوخ

فإذا كان بيجو قد لأخفق في تمرير سياسته
العائلية مع بن علال ومن ثم زجرته من طريقه فإنه
تمكن منه عن طريق سياسة الأرض المحروقة حيث
استشهد بن علال في ماي 1843 وهو يدافع على
زمالة الأمير عبد القادر

فصار إذن بإمكان الحاكم العام سنة 1843 الشروع
في تقسم إغليك بني مناصر إلى إغليكين هما إغليك
بني مناصر الواقع شرقي بني فراح وإغليك زاتيمة
(¹) ، لقد عُين على رأس هذا الإغليك محمد العيد
الغبريني كأغا العرب (²). تقطيع (³) يعكس النتائج
الأولي لسياسة الأرض المحروقة.

لكن لن يرضخ الأهالي لقيود الإدارة الاستعمارية
لسياسة الأمر الواقع ما دامت إمكانات مواصلة
المقاومة لازالت قائمة، إذ لم يكد أن يتحرك بن عبد
الله - بومعزة - من جديد عام 1845 بجبال الظهرة
حتى أسرعت فروع القبائل الموزعة على الأغاليك
المستحدثة من قبل الإدارة الاستعمارية بالالتفاف
حوله لمواصلة المقاومة. فسار في ركبته كل من بني
زوق زوق وبني عيشة وأولاد شعيب وأولاد عياد وأولا
قريش. كما جدّ الهجومات على مراكز قوات الاحتلال
كل من حفيد بن علال ومحمد بن عيسى البركاني من

¹ - أنظر: VERNEUIL et BUGNOT; Exquises Historiques sur la Mauritanie Césarienne -

.Cherchell

Rev. Af. année 1870. p. 161

- ما يلاحظ على اسم زاتيمة أنه كان في أغلب الأحيان مرفق بالإغليك وليس
بالقبيلة

² - أنظر: MONITEUR -

ALGERIEN (JOURNAL); Mars 1845

³ - كما هو واضح على الخريطة : التقسيم الإداري للمحليين 1842 - 1843

الغرب والتحق بهما من الشرق بن سالم على رأس قبائل فليسة وقشتولة، نرليوة، بن خلفون (1).

أ - 2 - التركيبة البشرية

رغم الأضرار التي لحقت بالمجتمع الجزائري بعد عقد ونيف من الغزو إلا أن تفوقه العددي والتكامل القائم بين وحداته وإن اختلفت أساليب المعيشة من منطقة إلى أخرى لم يكن ليطمئن الحكومة الاستعمارية على مستقبلها بالجزائر. مجتمع متكامل اجتماعيا واقتصاديا لا استغناء فيه للحضري على البدوي ولا المتيجي عن الجبلي، ولا تأثير لاختلاف طبيعة ارتباط تلك الوحدات بالإدارة المركزية على تصورهم للدفاع على القضايا العامة المشتركة، على قضايا الأمة. (2)

لذا فتحت الحكومة الاستعمارية أبواب الهجرة أمام المغامرين والانتهازيين على مصراعيها (3) فتدفق على الجزائر مهاجرون من كل أصقاع أوروبا. لقد كان للمعارضين السياسيين لحكومات باريس آنذاك نصيبا لا يستهان به في تحقيق قلب موازين القوى لتجاوز مسألة النقص العددي بالجزائر. إن تحويل الجزائر إلى منفى لغير المرغوب فيهم ينبئ بمواصلة أحداث هزات وتصدمات عميقة في النسيج الاجتماعي الجزائري لصالح الاستيطان.

op. cit. p.73-50

1 - أنظر: ROUSSET -

T.2

2 - أنظر: - (Jean Claude) Ed. F.N.S.P. Paris 1983. VATIN; L'Algérie politique, Histoire et Société.

P. 94

3 - أنظر: أبواب الهجرة: وصل إلى الجزائر من أجل الاستقرار ما يزيد عن 14 000 مهاجر من بينهم 12 675 فرنسي و 5 000 ألباني والباقي يتشكل من الألمان والعروئلنديين والسويسريين. وفي عام 1845 وصل 46 000 مهاجرا ليستقر من بينهم 20 000 مهجرا. وفي عام 1845 حيث أصبحت الحكومة الجديدة التي أوصلتها ثورة فيفري 1848 إلى السلطة تواجه أزمة اقتصادية حقيقية. فكان عليها أن تجد حلالا لـ 100 000 عامل فتم توجيه 13 500 شخص نحو الجزائر في نفس السنة ليتم توزيعهم عبر مختلف المستوطنات التي أنشئت لهذا الغرض عبر المقاطعات الثلاث. كان هؤلاء موجهون لاستغلال الأرض في حين لا تزيد نسبة المؤهلين لخدمتها عن 10 %.

فكيف ستسير الحكومة الاستعمارية شؤون كتلتين بشريتين متناقضتين متنافرتين متحاربتين وغير متوازيتين؟ وما نوع الإدارة الذي ستنتهجه للتحكم في الوضع الاجتماعي الجديد الذي صارت عليه الجزائر.

أ - 3 - فكرة الإدماج (1)

لم يكن التردد الذي شاعت أخباره خلال السنوات الأولى من الغزو 1830-1834 متعلقا بالاحتفاظ بالجزائر من عدمه، أو بغرض جس النبض أو تراقب ردود فعل الدول الكبرى آنذاك وعلى وجه الخصوص بريطانيا وإثما كان الأمر يتعلق بالأساليب التي يمكن لفرنسا أن تشدد بها قبضتها على الجزائر، ولعل تنصيب اللجنة الإفريقية 22 جوان 1833 (2) كفيل بوضع حد لمثل هذا التظليل.

حيث تبين من خلال توصياتها، بعد سنة من تجوال وتنقل أعضائها عبر الأراضي المحتلة، أنها كانت تبحث عن أدوات إقناع باريس انطلاقا من واقع المستعمرة بكيفية إدماج الجزائر إداريا بالتراب الفرنسي كليا أو جزئيا مع العلم أن فكرة إدماج العنصر البشري المحلي مقصاة تماما من مفهوم الإدماج، في حين أكدت تلك اللجنة على أن إدماج القطر يحمل في طياته الضمان الكامل لحقوق المستوطنين (فرنسيين كانوا أو أوروبيين).

¹ - اقترح والديك روسو (Waldeck ROUSSEAU) في إطار الإدماج البدا بتطوير الأهالي حضارتهم أولا قبل الشروع في إقحامهم في الحضارة الغربية. ويرى بيرنارد بأن الفكرة التي يجب أن تقود سياسة الإدارة الاستعمارية تجاه الأهالي لابد من استخلاصها من عادات الأهالي ووضعيتهم الاجتماعية

- أنظر: BERNARD; L'Organisation communale des Indigènes de l'Algérie (Augustin) - Ed. Emile Larose Paris 1918. (36 p.), extrait de la revue politique et Parlementaire Août- Septembre 1918 p.5-6

² - أنظر: PROGRAMME des Instructions pour la Commission Spéciale à Envoyer en Afrique - Juin 1833. اللجنة الإفريقية؛ شكلت اللجنة الخاصة الموفدة إلى إفريقيا في تاريخ 22 جوان 1833 كان عليها أن تحقق هدفين - البحث في 320 المزايا والتكاليف التي يقدمها احتلال إيالة الجزائر لفرنسا (سكريا، محطة، وتعميرا) - والبحث في كيفية التعامل مع الأهالي

أ - 4 - ضرورة التحكم في حركية المجتمع الجزائري

إنّ الهاجس الذي أراق أعضاء الحكومة الاستعمارية، هو كيفية الوصول إلى السيطرة على دواليب حركية المجتمع الجزائري وتوقيف مساره الطبيعي فارتأى البعض منهم بضرورة تفكيك الوحدة الاجتماعية الطبيعية واستبدالها بأخرى اصطناعية. إنّ الإدارة عادة ما تكون وفق ما ينجم عن تطورات المجتمع، وفي غياب الجو الملائم لذلك بعد عام 1830 تباطأ لدى الحكومة الاستعمارية تبلور تصور واضح لإدارة يفترض أنّها ستسير شؤون الأهالي، مما يفسر الاهتمام القوي بالابستيمولوجيا أي البحث عن مقومات المجتمع والتركيز على إبرز العناصر الفاعلة في القبيلة.

وبعد إعادة تركيب الوحدات على أوطان تحدد مسبقا وفق ما يخدم مصالح الإدارة الاستعمارية شرعت الحكومة الاستعمارية مباشرة بعد التجميع (Cantonnement) ⁽¹⁾ في تقسم الوحدات الاجتماعية الكبرى تارة إلى وحدات مصغرة على أشلاء هذه الأخيرة، وألفت تارة أخرى وحدات جديدة هي في الغالب "مركبة" من فروع أبعدت عن مواطنها الأصلية سواء عن طريق حرب الإبادة أو عن طريق الترحيل الجبري. إنّها خطوة نحو بناء تصور للأرضية التي ستضبط عليها إدارة شؤون العرب، ومن هنا يبدأ التحضير لإخضاع الأهالي للتنظيم البلدي في شكله الغربي ⁽²⁾.

فإذا كان التنظيم الإداري بفرنسا مرتبطا بالتقسيم الإقليمي فإنّه في أغلب الأحيان بالنسبة للجزائر مرتبط بالشيخ أو بالقائد رمزي الرابطة الدّموية والروحية. يبقى الشيخ الركيزة التي تشدّ

PELLISSIER (Maréchal Duc de Malakoff); Projet de décret sur le cantonnement des indigènes. Alger 1861

¹ - أنظر:

² - أنظر: بوايي؛ المرجع نفسه. ص. 189.

إليها الفروع التي تشكلت في رحم القبيلة الأم⁽¹⁾، وما بروز وابتعاد بعض الوحدات الاجتماعية⁽²⁾ عنها إلا استجابة لمقتضيات ديناميكية عادية التي يعرفها المجتمع دون أن تصل بالضرورة تلك الوحدات إلى حد القطيعة⁽³⁾. ولعلّ أصدق شاهد على مثل هذه الحركية ولاء معظم الفروع المنتشرة عبر دار السلطان وبايليك التيطري للبراكنية والتي تعكس في نفس الوقت امتداد نفوذهم من الساحل إلى الصحراء.

أمّا بالنسبة لأهل يسّر يمكن القول بأنّ جغرافية المنطقة السهلية كافية لإعطاء أهل يسّر إدارة ذات طابع إقليمي خاصة وأنّ السهل كان دوما مفتحا أمام الهجرات المتوافدة نحوه دون تميز.

أ- 5 - أولوية أمن المستوطنات

يذكر وزير الحربية عام 1851⁽⁴⁾ أنّ قرار مركزية إدارة الأهالي الصادر عام 1838 أكدت من خلاله الحكومة العامة على ضرورة مراعاة توفير شروط أمن المستوطنات قبل تحديد موقع ترحيل الأهالي. فكانت إذن الإدارة المتخصصة في شؤون العرب تتطور بالتوازي مع تنامي المستوطنات كما خطط له بيجو منذ عام 1841، حيث أريد له أن يكون وسيلة لتطويق وحصر المحليين⁽⁵⁾. لقد تمكن بيجو حسب "جريدة الأخبار" من تحقيق سياسته تلك إلى حد كبير

1 - أنظر: بوديكور؛ المرجع نفسه، ص. 193 والتي تليها.

2 - أنظر: HAIN; A la Nation sur Alger (Eugène)

- قال هان في هذا الصدد: يوجد بين تعاطف تولّد عن المصاهرات وعن طريق التحالفات... " ص. 34

3 - أنظر: - Anonyme; Article: La constitution de la race arabe . R.O.B.S.O. t.1, année 1845

- كتب صاحب المقال عن التركيبة ما يلي: " القرابة العائلية عند المسلمين هي أكثر انتشارا من عندنا ... فهي مبنية على أسس متينة... " ص. 350

4 - أنظر: رونود؛ تقرير الوزير إلى... المصدر نفسه، ص. 7.

5 - 1 - حصار؛ الكلمة المستعملة في المصدر (encerclement)

2 - أنظر: - Akhbar (j.) , 16 Mars 1846

حيث استتبّ الأمن ولو نسبيا بين المدن الساحلية وبين المدن الداخلية عبر الطريق السلطاني (1).

أ - 6 - نشاط المكاتب العربية

لم يتردّد بيجو في إعادة فتح المكاتب العربية في 1 فيفري 1844 (2) وإضافة إلى مهامها المعروفة كلف بيجو ضباطها بإحصاء القبائل مع تحديد موقف كل واحدة منها على حدا من الاحتلال. كما نصت تعليمة 30 سبتمبر 1844 (3) على أنّ ضباط المكاتب العربية مكلفون بالإشراف على تثبيت القبائل بأوطانها أو بتلك التي ستساق إليها.

لقد جعل بيجو من المكاتب العربية، مخبرا حقيقية تُحضر فيها السياسة الاجتماعية التي ستنتهجها الحكومة العامة تجاه المحليين حاضرا ومستقبلا. وهذا بعض ما كان على المكاتب العربية القيام به:

1 _ على المستوى العسكري تقصي الأخبار حول تحركات الأهالي حيث صارت القوات العسكرية تتحرك هي الأخرى وتنفيذ عملياتها وفق ما رصده ضباط المكاتب العربية من أخبار ومعلومات عن الأوضاع المادية والمعنوية لكل قبيلة أو كل فرع تكون أوطانه في الواقع مستهدفة بعينها.

2 _ تقدير الثروة الغابية ومن ثمّ تقييم الثروة الخشبية لكل منطقة التي قد تكون في متناول القبيلة (وقود).

3 _ الوقوف وضبط مواقع تخزين الحبوب للقبيلة _ المطامر أي المخازن.

1 - المصدر نفسه الصادرة 3 جوان 1847

p.21

2 - أنظر: B.O.G.G.A; année 1844

1844

3 - أنظر:

MENERVILLE ; op. cit. .P. 66

4 _ تقدير القوة البشرية لكل قبيلة مع التركيز على تقدير فئة الأعمار والجنس- بمعنى تقدير القوة البشرية القادرة على حمل السلاح.

5 _ ومن أولويات اهتمامات ضباط المكاتب العربية أيضا: مشايخ القبائل وأصحاب الشأن والنفوذ مع العلم أنه تمّ تعيين إلي جانب أولئك الضباط بعض الشيوخ الذين تتوفر فيهم شروط الخضوع ⁽¹⁾

6 _ إحصاء عدد المطاحن اليدوية التي تملكها كل عائلة كما هي مكلفة أيضا بمراقبة عمليات جمع المحاصيل الزراعية تقديرا وتقيما لإمكانات صمود الأهالي ⁽²⁾.

وهكذا كانت المكاتب العربية في ظاهرها جهازا إداريا متخصصا في تسير شؤون المحليين، في حين كان دورها الجوهرى استخباريا أكثر مما كان تأطيريا . إنَّها قناة من قنوات تمرير القرارات الاستعمارية. ونظرا لطبيعة نشاط المكاتب العربية أنشأة مصلحة أرشيفي (تاريخ وإحصاء) يتم فيها جمع وتصنيف وتدوين الوثائق الخاصة بالقبائل من جهة، وحفظ التقرير المحررة من قبل الضباط حول عاداتها وتقاليدها من جهة أخرى. لقد كان على هؤلاء الضباط التحري حول أسباب ودوافع النزيف (عدم التصريح بالحقائق والواقع كما هو) التي يتستر وراءها الأهالي كما حدث عند بعض القبائل، والذي وإن استمر سيفقد الإدارة الاستعمارية اليد العاملة الرخيصة المعوّل عليها في إنجاز المستوطنات. وإذا حدث وأن

1 - أنظر - (Ferd) .Ed. Lévy, Paris 1858. HUGONNET; Souvenir d'un chef de BUREAU ARABE (288 p.)

2 - أنظر: - PIER PAOLO COSSU ; Bureaux Arabes E IL Bugeaud; Ed. Milano. 2° moitié du 20° siècle

Document n°6 .Directives relative à l'établissement des moulins du Gouverneur Général adressées le 5 Février par Henri D'Orléans au commandant de la division d'Alger. p. 88

_ من بين الإجراءات المتخذة لإرغام القبائل على الاستقرار ارتأت الحكومة العامة بناء مطاحن ثابتة (des moulins) بدل الرحى اليدوية المحمولة. الإجراء الثاني يقتضي تسجيل كل المطاحن الصخرية إي الرحى التي في حوزة القبيلة. وإحصاء عدد السكان غير القادرين على الهجرة والمهجرين بالمجاعة مما يسهل التحكم فيهم بواسطة المكاتب العربية.

فقدت تلك الإدارة سيطرتها على القوة البشرية المحلية فإنّها ستضطر إلى اتخاذ إجراءات قصيرة لإيقاف الهجرة والتهجير على المستويين الداخلي والخارجي

كانت الحكومة العامة الاستعمارية تنتظر من المكاتب العربية مساعدة قوية في تحرير نصوص التعليمات الخاصة وإشراك بل وتوظيف العرب في الاستيطان⁽¹⁾. ولم ينح قادة الأهالي المنضوين تحت لواء الإدارة العسكرية من مراقبة عيون تلك المكاتب لهم.

أ - 7 - الحركة الاجتماعية

تبين من خلال تقارير ضبط المكاتب العربية أنّ صمود بني مناصر مستمد من نفوذ قاداتهم الممتد شعاع دائرته عبر إقليم الوسط كله من الساحل إلى الصحراء الوسطى مروراً بالتل، فضموا بذلك أمام القوات الغازية الحصانتين الاقتصادية والأمنية ما يقارب العقدين.

وتبقى ديناميكية بني مناصر وأهل يسر مجسدة في إقبالهم على الأسواق الأسبوعية المتنوعة الوظائف اقتصادياً واجتماعياً⁽²⁾، فهي أشبه ما تكون من

¹ - ؟ - ؟ أنظر: (Georges) YVER; Les Maronites et l'Algérie. Rev. Af. Volume 60: année 1920. (Ed. Alger. (s. d.). (p. 165-211)

"Il semble que ces Maronites peuvent devenir pour nous des intermédiaires très utiles vis-à-vis..."
"des tribus algériennes." P. 168

² - ؟ - ؟ أنظر: GRUSSENMAYER; Documents Biographiques sur Son. (MGRAC) -
LAVIGERIE. 2 volumes. Ed. Alger 1888

بعد الجفاف الذي ضرب الجزائر مدة سنتين، صار عدد كبير من العرب يقناتوا من حشائش الحقول أو أوراق الأشجار... هائمون عراة حول المدن المجاورة... (1)
اهتدى لافيغري وهو صاحبة رسالة تنصير الجزائري، إلى إنشاء مستوطنات عرب مسيحيين الأولى بسهل الشلف تحت اسم سان سيبريان (Saint-Cyprien) على أراضي العطف... "العنصر البشري هنا هم الأيتام ضحاي الحروب والمجاعات من.

المصدر نفسه ج 1

ص 150 .

¹ - ؟ - ؟ أنظر: PELLISSIERS; Les Annales... T1. P. 292 (R)

² - ؟ - ؟ أنظر: URBAIN; Notice... op. cit. T. S.E. F.A. p. 400 et suivantes (Y)

بجمعية عامة تتكفل بقضايا القبائل، إذ بالإضافة إلى دورها التجاري فإنّها كانت تساهم في شدّ أواصر المجتمع وتعمل على الحفاظ على وحدته بتقوية الروابط الأسرية بين العائلات عن طريق المصاهرة والمؤازرة والمساندة كلّما اقتضت الضرورة ذلك. لقد كانت الأسواق الأسبوعية تمنح للقبيلة الواحدة فرصة الالتقاء بممثلياتها بمعدل مرتين أو ثلاث في الأسبوع الواحد بمواقع أخرى من أوطان الاتحادية. وتجدر الإشارة هنا إلى أنّه عادة ما تتوسط رحبة السوق بعض التجمعات السكنية كما هو الحال بالنسبة لسوق الجمعة الذي يلتقي فيه أهل يسرّ مرة في الأسبوع عند مصب الوادي ⁽¹⁾. ويضاف إلى تلك الأسواق أسواقاً أخرى كبرى تطبعها تظاهرات موسمية. فالرحبة المخصصة لها هذه المرة تكون في غالب الأحيان عند نقطة تقاطع الطرق الرئيسية كما هو الحال بالنسبة لأسواق المدينة التي يقصدها الأهالي من الجهات الأربعة ومع انقلاب أحوال الجزائر مع الاحتلال صارت تلك الأسواق التي شبهها بوديكور بخلية نحل، "مصدر أخبار بالنسبة للأهالي" إذ كان هؤلاء يُقصدونها لتقصي الأخبار على تطور الأوضاع الأمنية ⁽²⁾. وما دامت في نظر إدارة الاحتلال مصدر خطر على مستقبل الاستعمار أصدر الجنرال بيجو قراراً حكومياً في 28 جويلية 1842 ينص على إنشاء شرطة السوق بهدف تعطيل نشاطها السياسي ⁽³⁾.

1 - أنظر - BAUDICOUR; op. cit., p.191 (L).

2 - أنظر: CARETTE et WARNIER; Notice... Op.cit. P. 459.

2 - أنظر: BAUDICOUR; Op. cit. p.193 (L).

3 - أنظر - MENERVILLE; Dictionnaire ... Op. cit. p.430 et Suivante (P).

2 - أنظر: REGNAUD; (de Saint-Jean-d'Angely) -

Rapport... op. cit. p.12

ب - تشتت القبيلتين بين الحكمين العسكري والمدني
يعود التقطيع الذي أخضعت له المقاطعة الفرعية (subdivision) لمليانة عام 1845 من طرف إدارة الاحتلال والمتمثل في خلق ثلاث دوائر هي: مليانة، شرشال، ثنية الحد، بالإضافة إلى مجموع الأغاليك والقيادات الموجودة آنذاك، إلى جملة من الأسباب والتي نذكر منها: استمرارية ضعف سيطرة قوات الاحتلال على المنطقة رغم الضربات التي تلقها بني مناصر عام 1843، وتواصل تهديدات قوات الأمير عبد القادر لمراكزها محاولا استرداد المقاطعة الفرعية (مليانة) إلى دائرة نفوذه.
اعتمد بيجو في بعض الأحيان مع بعض القبائل سياسة المراوغة والمهادنة بإبقاء على رأسها بعض القادة المحليين كحكام معرب تطيبا وتهدة للنفوس وربحا للوقت. فاقضى ذلك الاحتفاظ بالتنظيم الإداري المطبق في إدارة الأمير عبد القادر - ولو إلى حين - بناء على اقتراح الجنرال دوماس الخبير بشؤون إدارة الأمير عبد القادر، وهو آنذاك على رأس هرم إدارة الشؤون العربية في الحكومة العامة وأقرب المقربين للحاكم العام المارشال بيجو.
لكن إدارة المحليين بهذا الشكل لم تعرف استقرارا، لا من حيث التقطيع الترابي ولا من حيث القيادة. فكانت سياسة الحكومة العامة أن سيسير الأهالي في بداية الأمر وفق ما يقتضيه أمن وسلامة المحتلين، ثم وفق مقتضيات حاجيات الاستيطان، وبقيت إدارة الشؤون العربية على هذا الحال مضطربة ما يزيد عن العقدين من الزمن. فتنظيم عام 1847 مثلا جاء مخالفا لتنظيم الذي سطره بيجو سنة 1840-1841 م إثر عودته إلى الجزائر (1) ،

(R) -

1 - أنظر:

GERMAIN; *La politique...* op. cit. p.368

وبعيدا عن تنظيم عام 1845 الذي فرضته حكومته عقب مفحمة الفراشيش 17 - 20 جوان (1). فهي إذن قرارات ارتجالية أملت لها ظروف ما بعد سياسة الأرض المحروقة، أكثر ما هي تنظيمات إدارية يكون قد بلغها المجتمع. لقد حاولت الحكومة العامة بواسطتها التحكم في أهالي مقاطعة الجزائر. ورغم عدم تجاوز محاولات ما قبل عام 1845 بعدُ مرحلة التنظير والمجازفة إلا أنها شكلت اللبنة التمهيديّة لإدارة المحليين في ظل الاحتلال.

وتواصلت التعديلات المفروضة على إدارة الشؤون العربية وفق مستجدات الأحداث سياسية كانت أو عسكرية ترسيخا للاحتلال بعض المناطق الساحلية، كما على إثر احتلال شرشال عام 1843 ودلس عام 1845 واستقرار المستوطنين الأوائل بهما، والمناطق الداخلية الموازية للأولى كما هو الشأن بالنسبة للأصنام (الشلف) حيث انطلقت أشغال تنفيذ مشروع مستوطنة أورليانفيل العسكرية عام 1843 (2) من أين سيتسنى قوات الاستعمارية بعد سيطرتها على الجزء الغربي من الطريق السلطاني مواصلة مطاردة الأهالي نحو المناطق الوعرة كجبال الظهرة والونشريس (3).

1. ? - أنظر: BUSQUET; *Affaire des Grottes du Dahra* (19-20 juin 1845) Ed. (Raoult) - Jourdan Alger 1908. (Extrait de la *Rev. Af.* n° 266-267 1907) (168 p). Appendice; Au bivouac de Khar El Frachich, 22 juin 1845. Rapport du Colonel PELLISSIER au Maréchal Bugeaud, Gouverneur général de l'Algérie. P.145 et suivantes

2. ? - مفحمة الفراشيش: نفذها بيليسي بأمر من بيجو لإبادة قبيلة بني رياح التي كانت بتحركاتها في سهل الشلف تعرقل مشروع إنشاء مستوطنة عسكرية به. 2 ? - أنظر:

- D'ESTRE; Ibid. p. 290

"...كان إنشاء مركز عسكري كبير بالأصنام من الأولويات بالنسبة لبيجو نظرا لموقعه الإستراتيجي بين مليانة ومستغانم..."

3 ? - 1 - شهران بعد إبادة بني رياح، ينفذ المرشال سانت أرنو في أوت نفس الأسلوب لإبادة قبيلة بني صبايح جنوب وادي الشلف

2 ? - أنظر: D'ESTRE; *Mémoires* ... Op. cit. P.290

3 ? - أنظر: GERMAIN; *La politique*...op. cit. p. 117 et suivante

(R)

لقد فتحت الحكومة الاستعمارية بمستوطنة أورليانفيل إدارة القسم الثانوي (Subd.) بين عامي 1844 - 1845 وهي أقدم خلية إدارة جهوية استعمارية وأقربها لبني مناصر من الناحية الغربية. لكن يلاحظ أنه إلى غاية عام 1845 لم يُلحق بها أي فرع من فروع بني مناصر بل وُزّع هؤلاء مبدئياً على إغليكي بني مناصر زاتيمة التابعين لدائرة شرشال الملحقة بدورها إدارياً بالمقاطعة الثانوية لمليانة. فأصبح إذن ما حصر من بني مناصر شمال الطريق السلطاني بقيادتين منفصلتين لكن خاضعتين لنفس الدائرة مركزية الاستعمارية (1). وهكذا يكون بني مناصر قد فقدوا بتوغل قوات الاحتلال وسيطرتها على الطريق السلطاني أوطانهم (كمملكة جماعية ومشخصة) بإقليم التل بدأ من الضفة الجنوبية لهذا الطريق.

كما لم تستثن قبيلة يسّر المستحدثة من عمليات الإخضاع الأول للإدارية الاستعمارية لعامي 1843-1845 رغم بلوغ المقاومة ذروتها في تلك الفترة وقوت تمسك أهلها بوحدة موطنهم (سهل يسّر)، مع العلم أنها تعرضت إلى هزة إدارية سابقة تعود إلى في عام 1842 حيث ألحقت نظرياً قبيلة يسّر بالمقاطعة الفرعية للجزائر بعد فصلها عن خلافة سيباو التابعة لإدارة ذات المقاطعة الفرعية (2). فتكون أثناء هذا التنظيم قد فقدت قبيلة يسّر - قبيلة الموطن - وفي وقت مبكر العديد من فروعها حيث تمّ تجسيد مقترحات كاريث ووارنيي.

أمّا فيما يخص ما تبقى من خلافة سيباو بعد عزل قبيلة يسّر عن دائرة الخلافة فإنّ ما تبقى في حوزتها

1 - أنظر: AGGA - 2EE. 7-20 août 1842 - BUGEAUD au Ministre.

2 - أنظر: GERMAIN; Politique ... op. cit. p. 234 (R).

"... plus à l'Est, le cercle de Cherchell, qui comprenait, en 1842, le seul grand Aghalick des Beni

"... Menacer ... fut divisé en un Aghalik amoindri du même nom et un Aghalik de Zatima

2 - أنظر: GERMAIN; Politique ... op. cit. p. 234 (R).

من السهل قسم إلى أربعة أغاليك وهي بني سليمان، بني جعاد، عريب، وكابيل (أهل جرجرة)، ليتواصل التعديل بل التشيت عبر إدارات جديدة بفصل ما بين عامي 1843-1845 المزيد من الفروع تماشيا دائما وفق ما تقتضيه مصلحة الاستيطان، ثم تحويل وربط اغاليك فليسة، عمراوة، وتورغة بالدائرة الجهوية لدلس، ليتواصل التعديل خلال الفترة الممتدة ما بين 1845-1847 حيث أحكمت قوات الاحتلال سيطرتها على المنطقة أكثر بإلحاق فرع بني جعاد جنوب يسّر باشا باغليك - لوادي الساحل (Oued Sahel). (1)

ب - 1 - في ظل ازدواجية الحكم

إن إخضاع منطقة ما إلى الحكم المدني يتطلب على الأقل توفير أحد الشروط الأساسية وهو أهمية عدد المستوطنين المدنيين. ويبقى توسيع نطاقه مرهونا بالمزيد من بانتشارهم عبر القطر الجزائري (2). لقد اقتصر القرار الأول المتعلق بالحكم المدني في بداية الأمر على مدينة الجزائر وأحوزها. ثم شيء من توسع ليشمل البلدة، بوفريك، برج حمزة، وشرشال من مقاطعة الجزائر، مما يجعل أوطان بني مناصر أقرب من دائرة الحكم المدني من أوطان يسّر، خاصة بعد صدور تعليمة 1 سبتمبر 1847 التي قُسم بموجبها نطاق الحكم المدني إلى دائرتين إداريتين (Arrondissements) وهما الجزائر والبلدة. كما ربطت إداريا نفس التعليمة مدينة شرشال مباشرة بالجزائر في حين ألحقت مدينة مليانة بالمركز الإداري بالبلدة (3) وما يمكن استخلاصه، من هذا التقسيم وفي مثل هذا الوقت الذي كثر فيه الحديث حول تنظيم بني مناصر في ظل الأطر الإدارية الاستعمارية مقابل قلّة المعلومات عن اغليك وخلافة سيباو بقيادة الأغا محي

1 - أنظر: Op. cit. p. 369

2 - أنظر: MENERVILLE; op. cit. -- Ordonnance 15 avril- 31 août 1845. Nouvelle organisation

Titre 2 De la division du territoire. (89 articles p.p. 15- 20)

3 - أنظر: مينار فيل ؛ المرجع نفسه. ص. 206

الدين، هو أنّ غرب المقاطعة الوسطى كان أكثر عرضة من غيرها للضغوطات العسكرية والاستيطانية⁽¹⁾ .

لكن وبعد اقتطاع الجزء الشمالي من خلافة سيباو، من الدولة الوطنية عام 1846، تلقى كافانياك (CAVAGNIAC) الحكم العام في 9 نوفمبر 1848 اقترح بلوم (BLUM) الحاكم العام لمقاطعة الجزائر يقضي بإعادة النظر في توزيع القبائل بين الإدارتين العسكرية والمدنية، استجابة لمقتضيات الفكرة العامة التي تحملها القرارات العضوية (الإستراتيجية - الجوهرية)، والتي ما فتئت التقارير تحمل مبررات تجديد الهيكلية⁽²⁾ نذكر منها:

_ إعطاء دفعة قوية لكل من النشاط الزراعي والتجاري في آن واحد.

_ تطوير وتوسيع الاستيطان خاصة وأنّ المهجرين⁽³⁾ في توافدٍ مكثف بعد ثورة فيفري 1848 بفرنسا⁽⁴⁾ .

1 - لتصبح جبال الظهرة ضمن منطقة الاستيطان المدني ونظرا لإنكسارية سطح المنطقة، وسرعة تحرك قبائلها المعروفة بشدّة عدائها، لابتدأ من الشروع في غرز بعض المستوطنات العسكرية⁽¹⁾. ها هو الحكم المدني يتوسع بعد عشر سنوات بنفس المنطقة ليزداد الأهالي حصرا على المناطق الوعرة من الظهرة لتحول عام 1857 إلى الحكم المدني التجمعات السكانية الاستيطانية التي أنشئت على أراضي بني مناصر والتي زادهم محاصرة، نذكر منها مارانغو (حجوط)، عين السلطان، وبورككة، وحمير العين والعفرون والشفة. كما تعرض أهل يسر إلى نفس العملية حيث تحولت في نفس السنة مستوطنة بودواو، القرصو، وبن نشود... إلى الحكم المدني⁽²⁾ .

1 - أنظر: BUGEAUD; Dans la province d'Alger, la colonie militaire. R. O. A.; année 1847. T. 1, - p. 35.

2 - أنظر: Extension de l'administration civile en Algérie. R. O. A, année 1857. N° 5 pp. 151-153.

2 - أنظر: الشريط (Bobine) الوثائقي رقم 20 من ف80 . مركز الأرشيف الوطني بئر خادم

3 - فيما يخص المهجرين لم يتعلق الأمر بالمعارضة فقط وإنما يوجد عدد كبير من بينهم من هم أصحاب جُح متفاوته الأحكام، لقد اقترح ألكسيس دي توكفيل عام 1844 حماية المجتمع الفرنسي بإبعاد هؤلاء عن التراب الفرنسي عند إنهاء مدّة عقوبتهم إلى الجزائر.

- أنظر: L'Illustration (Journal Universel); année 1844 p.145.

4 - أنظر: BOYER; L'EVOLUTION DE L'ALGERIE... op. cit (P) -

- EMERIT; Révolution de 1848... op. cit (.M) -

ضمان التسهيلات غير المشروطة لكل العمليات
التحويلية مهما كان نوعها أو نوعيتها بين المحليين
والمستوطنين.

لكن لن يشمل اقتراح بلوم قبائل كل الدوائر
لالتزامه بالشرط المعتمد في إعادة التوزيع بين
النظاميين ألا وهو ضرورة أخذ بعين الاعتبار الجانب
المرفولوجي للأوطان. وعليه ونظرا لسهولة سطح
أوطان يسر ألحقت هذه الأخيرة عام 1849 بالنظام
المدني بدل النظام العسكري، هذا عكس أوطان لبني
مناصر المعروفة بتعقيدها المرفولوجية ومسالكتها
الوعرة خاصة بعد استيلاء القوات الاحتلال على
منحدرات السفح السفلى منها إلى ما يقارب الـ 1000
متر من مستوى سطح البحر. ويتحجج الحاكم العام
لمقاطعة الجزائر في تبريره عدم إلحاق أوطان بني
مناصر بالحكم المدني بكون الجبيلية هم ذوات طباع
خشنة، وفي الواقع لم تكن صعوبة استغلال
المنحدرات لتشجع على توسيع دائرة الحكم المدني
نحوها.

تعديلات تنظيمية مُستمدة إذن من تقارير المكاتب
العربية التي قُدِّمت وصفا دقيقا على خصوبة وسهولة
استغلال سهل يسر وتعقيدات تضاريس ما تبقى من
أوطان بني مناصر فكان ذلك وراء إصرار الحاكم العام
لمقاطعة الجزائر على إدخال الجزء الشمالي من
أوطان يسر ضمن نطاق الحكم المدني عام 1849 مع
الاحتفاظ بأوطان بني مناصر خارج تلك الدائرة.

ب - 2 - "الكومون" قاعدة الحكم المدني

عرفت أوطان يسر رغم إلحاقه بدائرة الحكم
المدني قبل غيرها من الأوطان (بالنسبة لأوطان
الاتحاديتين السابقتين) تأخراً في تطبيق قانون
البلديات صدر عام 1847 ولم يُعمل بالنظام البلدي
بمدينة دلس وهو أحد سمات الحكم المدني إلا في 9
فيفري 1857 لاستمرار المقاومة بمنطقة جرجرة.

هذا في حين كان التحويل والتنفيذ أسبق في مدن أقل ما يقال عنها أنّها مدن رئيسية بالنسبة لبني مناصر ألا وهي شرشال، مليانة، المدية، التي أصبحت بموجب تعليمة 17 جوان 1854 بلديات مدنية⁽¹⁾. لقد بات من الواضح أنّ القبيلة الكبرى قد فقدت من جراء تلك التنظيمات المتعاقبة والمتسرع في إصدارها العديد من مقوماتها وخصائصها. فعلى المستوى البشري مثلا حُصر عدد من فروع بني مناصر على السفح العليا شديدة الانحدار من الواجهتين الشمالية والجنوبية لجمال زكار حيث قلّة الخصوبة، في حين ألحقت بقية الفروع بمراكز أخرى المتباعدة، مما أدى تشتيت مصالح الفروع إلى تشتيت القبيلة بأكملها عبر مختلف الإدارات. ومن ثمّ تناثر أرشيف بني مناصر خاصة الجديد منه بين المؤسسات الأرشيفية لكل من الجزائر العاصمة، البليدة، شرشال، مليانة، المدية وأورليانفيل، بما في ذلك مراكز ما وراء البحار.

من مهام البلديات المدنية أنّ تكون مركزا لاستقطاب الوافدين من أوروبا ريثما توضع تحت تصرفهم المساحات المقطوعة من أراضي الأهالي. إذ صار معروفا أنّه كلّما أقيمت الإدارة الاحتلال على إعادة النظر في التنظيم الإداري إلّا وسينجر عنه المزيد من السلب والاستيلاء على أخصب الأراضي وأجودها وأصلها للضم إلى الممتلكات مؤسسة استيطان والتي ستستغلها أكيد الحكومة الاستعمارية كأداة إغراء لجلب المزيد من الأوروبيين بغية رفع عدد المستوطنين.

ج - تطورات التقسيم الإداري لمقاطعة الجزائر
احتفظ القطر الجزائري بالتقسيم العام المتمثل في المقاطعات الثلاث: الجزائر، قسنطينة ووهران،

¹ - أنظر:

- MENERVILLE; op. cit

كما نصت عليه تعليمة 15 أفريل 1845 أراضى خاضعة إلى نظامين مدني وعسكري.

ج - 1 - أراض الحكم المدني

يميز الحكم المدني بالجزائر احتفاظه بمصطلحات الإدارة الفرنسية إذ قسمت المقاطعة (départements) إلى دوائر (Arrondissements). فمقاطعة الجزائر قسمت إلى خمس دوائر وهي: الجزائر، مليانة، تيزي وزو، أورليانفيل المدينة.

تشارك تلك الدوائر الإدارية في هيمنتها على المساحات الواسعة التي تمّ اقتطعها من أوطان أهل يسّر وبني مناصر. فأنشئ على تراب كل دائرة نوعين من البلديات منها البلديات ذات الصلاحيات الكاملة (communes de plein exercice) وعددها بالنسبة لمقاطعة الجزائر عند نهاية القرن التاسع عشر، 108 بلدية موزعة على الشكل التالي: بالجزائر 68 بلدية، المدينة 6 بلديات، مليانة ب11 بلدية أورليانفيل ب8 بلديات، وتيزي وزو ب13 بلدية⁽¹⁾ وبلديات ذات حكم مزدوج والتي تعرف بالبلديات المختلطة (communes mixtes)⁽²⁾ يتراوح بها عدد الأهالي ما بين 20.000 و 60 000 شخص مقابل بضع مئات أوروبي⁽³⁾. وبلغ عددها بمقاطعة الجزائر 23 بلدية مختلطة توزعة على الشكل التالي:
_ دائرة الجزائر 7 بلديات مختلطة منها: قوراية، باليسترو، طابلات.
_ دائرة المدينة 4 بلديات مختلطة
_ دائرة مليانة 3 بلديات مختلطة منها بلدية براز المختلطة.
_ دائرة أورليانفيل 3 بلديات مختلطة

¹ - أنظر: GIRAULT; Principes de colonisation et de Législation Coloniale, Algérie et (Arthur) - Tunisie Ed. Larose et Forcel, Paris 1908 (571 p.) T. III . p.104-115

² - عدد البلديات المختلطة في نطاق الحكم المدني يقدر ب 75 بلدية مختلطة عام 1875 .

³ - أنظر: جيرولت المصدر نفسه. ص. 134

دائرة تيزي وزو 6 بلديات مختلطة منها: ذراع الميزان وجرجرة.

إن ذكر بلديات بعينها في هذا المقام دون سواها مرتبط بطبيعة علاقتها بأهل يسّر وبني مناصر، مع تسجيل الملاحظتين التاليتين: اختفاء اسمي بني مناصر و يسّر من بعض البلديات كانت مدنية أو مختلطة، التي أنشئت أصلا على أوطانهم. فذاب على سبيل المثال فرع بني مناصر مليانة بدواريه في بلدية براز المختلطة والمرتبطة بدائرة أورليانفيل. وعرف القسم الجنوبي من أوطان يسّر نفس المصير حيث أخضع إلى دائرة تيزي وزو (1) . وتجدر الإشارة هنا إلى أنه في بعض الأحيان نجد بلديتين مدنية ومختلطة بنفس الاسم مثل ما هو الشأن بالنسبة لقوراية كبلدية مدنية وقوراية كبلدية مختلطة هذا غربا على غرار باليسترو شرقا.

ج - 2 - أراضي الحكم العسكري

لقد أدخل ارتفاع عدد المستوطنين إلى جانب الأهالي بمناطق الحكم العسكري على الإدارية الخاصة بالأهالي تنظيما جديدا، إذ جاء مرسوم الحكومة العامة المؤرخ ب 20 ماي 1868 لتنظيم التركيبة الجديدة وبإدارة في شكل جديد تتماشى والوضع الجديد أطلق عليها "البلديات المختلطة" (2)، في حين لم يراع بعد التفوق العددي لصالح الأهالي في تتأسيس بلدية الأهالي (La commune indigène) التي تأخرت إلى ما بعد سنوات من انتفاضة عام 1871

¹ المصدر نفسه :

تلکم قيمة هذا الكتاب في كون طُبع في مطلع القرن العشرين مما مكن صاحبه جبرولت من اكتساب نظرة شاملة عن الإدارة الاستعمارية منذ بداية الغزو. أمّا عن قيمته التاريخية فإنّه يبرز لنا أسس الشبكة البيروقراطية التي قيّدت بها السلطة الاستعمارية المحليين لتضمن استقرارهم ومن ثم التحكم في حركيتهم عملية سبقت عملية إعطاء الأسماء العائلية على الطريقة الغربية بدل لوحات الترقيم (les plaques d'immatriculation)

² - عرفت إدارة المحليين المتواجدين بنطاق الحكم المدني مع اتساع رقعته الجغرافية بعض التعديلات إذ ألغى قرار 18 أوت 1868 المكاتب العربية ليُجعل من شؤون المحليين تحت إشراف سلطة البلدية مباشرة

حيث صدر قرار الحاكم العام المؤرخ ب 13 نوفمبر 1874 القاضي بالتنفيذ.

ويبقى الدوار الخلية الأساسية لمختلف البلديات الخاصة بالأهالي متميزا بإدارة الجماعة له مع العلم أنه تعرض هو الآخر إلى العديد من التعديلات وفق ما سيمكن السلطة الاستعمارية التحكم أكثر في الأهالي كما ستعرض إليه لاحقا.

د - إدارة البلدية المختلطة بأراضي الحكم المدني

_ الإداري (L'administrateur)

يجمع وكيل الحكومة الإداري _ فرنسي الجنسية - بين مهام مختلفة. فهو ضابط للحالة المدنية، وضابط للشرطة القضائية، ويقوم بمهام القاضي إذ يُشرف على حلّ الخلافات بين المحليين إنه في نظر السلطة الاستعمارية بمثابة رئيس البلدية (le maire) مُكلف بشؤون الأوروبيين والمحليين على حدٍ سواء. إنّ البلدية المختلطة مقسمة إلى نطاقات، منها: المشكلة حول نقاط استقرار المستوطنين، وحول نقاط تجمع المحليين المعروفة بالدواير.

_ مساعد وكيل الحكومة

يشرف على شؤون الدوار الواحد مساعد وكيل الحكومة (Adjoint-indigène) وهو من المحليين، إلى جانب جماعة الدوار المشكلة من كبار البلاد ⁽¹⁾. وفي الواقع ليس للمساعد المحلي أدنى صلاحية لتمثيل الدوار فهو مجرد عميل لدى السلطة المركزية ⁽²⁾.

¹ - جاء في كتاب " التشريع الاستعماري " لصاحبه جيرولت العبارة التالية " على رئيس لكل دوار مساعد من الأهالي وجماعة مشكلة من الأعيان (كبير في البلاد العرب وأمين ببلاد القبائل)..." ص. 136

² - أنظر: GIRAULT; *Principes de* (A) - 137 -

Colonisation...Op. Cit. Pp.134

هـ - إدارة المحليين بأراضي الحكم العسكري

هـ - 1- في البلديات المختلطة

طَقْمُ إداري من الضباط العسكريين يشترط فيهم إتقان اللغة العربية واللهجات المحلية. يترأس الإدارة المختلطة ضابط الدائرة (le cercle) الذي يتمتع بنفس صلاحيات رئيس البلدية، يساعده ضابط الرحبة (commandant de place) وقاضي المحكمة (juge de paix) ومساعدو ضابط الدائرة، بالإضافة إلى ضابط فرق البلدية أمّا عن تمثيل سكان البلدية المختلطة فهم من اختيار الحاكم العام للقسم (la division) وعددهم 5 عناصر⁽¹⁾. ويبقى المسير الحقيقي لهذه البلديات ضابط الرحبة أو المساعد المدني الممثل للحكومة.

هـ - 2 - في بلديات الأهالي

أنشئت هذه المؤسسات الجديدة التي هي صورة جديدة لإدارة المحليين بالمرسوم الحكومي الصادر بتاريخ 13 نوفمبر 1874. يشرف على شؤونها الحاكم العام للدائرة (le cdt spr du cercle) - مهام رئيس البلدية - بمساعدة مجلس بلدي (municipalité) المشكل من نائب المقتصد العسكري، وحاكم الهندسة (le génie)، ورئيس المكتب العربي وأخيرا كبار الأهالي الممثلين لمختلف الدواوير⁽²⁾.

إنّ الجماعة التي تبقى السمة المميزة للدوار النقطة المشتركة بين البلديات الثلاث المختلطة بأراضي الحكم المدني المختلطة بأراضي الحكم العسكري وبلدية الأهالي بأراضي الحكم العسكري يختلف عددها من بلدية إلى أخرى حسب عدد الدواوير. ومن ثمّ آليات تنفيذ قانون السيناتوس

¹ - أنظر:

Op. Cit, p 137 et la suivante -

² - عددهم خمسة. "Cinq Habitants .qui primitivement étaient tous nommés par le Général..."

"...de division"

- أنظر: المصدر نفسه. ص. 137.

كنسلت 22 أفريل 1863 صارت مضمونة على المدى البعيد خاصة وأن الإدارة الاستعمارية احتفظت بجماعة القبيلة التي ستلجأ إليها لتسوية مسألة الحدود بين دواوير من نفس القبيلة أصلاً. أمّا فيما يخص الأهالي الذين ألحقوا إدارياً بالبلديات الكاملة الصلاحيات فليسوا مؤطرين تأطيراً كافياً كما يذكر ميرسيي (MERCIER) ⁽¹⁾ إذ يوجد إلى جانب رئيس البلدية (المير) (le maire) مساعد من الأهالي كعنصر وحيد من الوسط المحلي ولم يذكر الجماعة فالتركيبة البشرية لهذه البلديات أوروبية ⁽²⁾ وباعتراف من الإداريين أنفسهم عام 1850 أن أولئك المقيمين على أراضي الحكم المدني من المحليين هم أول من عرفت وضعيتهم فراغاً قانونياً ⁽³⁾ فعزلوا عن قيادتهم وممثليهم، ولم يُنظر إليهم من قبل مسير البلديات الكاملة الصلاحيات إلا على أساس أنهم من الأهالي في حين اختلف الأمر بالنسبة للوضعية القانونية لأملاكهم العقارية حيث يمكن أن تباع للمستوطنين أو يطبق عليها قانون (expropriation) مما أجّل إفقارهم.

و- الأوضاع السياسية والإدارية في مطلع الخمسينيات من ق

19

تميزت سنة 1852 بشيء من الهدوء الأمر الذي سهل عودة المحليين إلى أنشطتهم العادية من حرق وزرع. فكان للمكاتب العربية الدور البارز في ذلك. ويبدو أن سياسة التجميع ⁽⁴⁾ على وشك إعطاء نتائجها خاصة وأن إدارة الاستعمار وأرفقتها بجملة من الإجراءات كفرض على المحليين الاهتمام بالبناء

1 - ميرسيي (إيرناست) (MERCIER Ernest)

2 - أنظر: MERCIER; La question indigène en Algérie au commencement au 20^e siècle. Paris (E) 190. 106

3 - أنظر: T.S.E.F.A., année 1849. Ed. Paris 1851. p.80

4 - أنظر: PELLISSIER; Projet de décret sur le cantonnement des indigènes Alger 1861

بدءاً من دار الحكم (القايد، القاضي) والاهتمام
بالتشجير والاعتناء أكثر بسدود الأودية لسقي
الأراضي وبناء المطاحن، فترية المواشي لا سيما
الخيول الخيول وفي المجال التجاري أجبر المحليون
على التبادل مع الأوروبيين.

أما عن تعامل الإدارة الاستعمارية مع القيادة
المحلية نسجل تلك السرعة التي كان يتم بها القيادات
وتغيرها فلا يكاد أن يضدر عدد جديد من جريدة المبشر
إلا وهو يحمل أسماء المبعدين وأسماء مستخلفيهم
على رأس القيادة. هذا ما حدث مع قيادة بني مناصر،
حيث ولي سي حامد بن علي منصب القضاء بعرش
بني مناصر الجبيلية وفي نفس السنة أي عام 1852
عبد القادر بن عودة قاضياً لبني مناصر الساحلية على
إثر عزل سي حامد بن الخادم (1). وما دامت القوات
العسكرية لم تتمكن من التخلص من العنصر المحلي
ارتأت بضرورة تقوية الإدارة العسكرية الساهرة على
قمعه في أية لحظة.

وهكذا قسمت مقاطعة الجزائر العسكرية إلى
ست مقاطعات عسكرية ثانوية (Subd) (2) وهي
الجزائر، دلس، المدينة، مليانة، أورليانفيل. وللمزيد
من حصر ومراقبة تحركات الأهالي قسمت كل
مقاطعة عسكرية ثانوية إلى العديد من الدوائر تحت
إشراف ضباط ساميين. ولكل دائرة مجموعة من
الملحقات يكون على رأسها ضباط المكاتب العربية.
أمّا عن نطاق الحكم المدني في حدود عام 1853 -
1854 نذكر المركز الرئيسي (le chef lieu) مركز
شرشال وما ألحق به من مستوطنات: مدينة شرشال،
ومستوطنتي نوفي وزوريخ، ومركز مليانة، مليانة
المدينة ومستوطنتي أورليانفيل وعين السلطان. في
حين أبقت دائرة دلس (بدائرتها الثانويتين دلس وبن
نشود) على غرار دائرة فيسول بنيان (بدائرتها

1 - جريدة المبشر الصادرة في مارس عام 1852

2 - أنظر: - L'administration militaire. T.S.E.F.A. année 1859-1861. p. 8

الثانويتين فيسول بنيان وبومدفع) تابعة للحكم العسكري، ولم تحوّل إلى الحكم المدني إلّا لاحقاً. وتبقى العوامل التي مهّدت لتحويل كل من المدينة، ومليانة وشرشال إلى النظام البلدي (commune) ⁽¹⁾ تتلخص في ارتفاع عدد المهاجرين المستوطنين إذ بلغ بالنسبة لشرشال وحدها عدد الأوروبيين 1600 شخص مقابل 1450 من المحليين ومدينة مليانة بـ 2630 من المحليين و2010 من الأوروبيين ⁽²⁾، وإذا كانت مدينة شرشال تتمتع بوجود ميناء بحري يعدّ المصرف الأساسي منتوجات المنطقة نحو فرنسا خاصة فإنّ مليانة كانت تتميز آنذاك بانعقاد السوق مرتين في الأسبوع حيث تعرض الصوف والحبوب.

¹ - مينارفيل؛ المصدر نفسه، ص. 207.

² - أنظر:

- B.O.G.G.A.; année 1852. P. 1147 -

الفصل الثالث

من الاحتلال إلى الاستيطان

أ - الاستيطان بين النظري والتطبيقي

ب - سياسة الردع والتجميع

ج - انعكاسات الردع والتجميع على بني مناصر وأهل يسر

د - التنويع في الاستيطان والهدف واحد

أ - الاستيطان بين النظري والتطبيقي

أمام استعصاء تحديد مفهومه حتى على الموسوعيين ⁽¹⁾ يصبح التشبث والإصرار على تعريف مصطلح الاستعمار بمثابة السير وراء سراب. لكن هذا لا يمنع من تسجيل الارتباط القوي بين "الاستعمار" و"الاستيطان" والتداخل الحاصل في مفهومهما، لأن كلاهما متعلقان باستغلال الأرض سواء عن طريق الاستثمار بواسطة الشركات... (الاستعمار) أو عن طريق الاستغلال المباشر الذي لن يتحقق إلا بالاستقرار المستثمر (الاستيطان).

¹ - المرجع نفسه: ص. 99 وما يتبعها.

إنَّ المصدر الثلاثي لمصطلح "الاستعمار" "عَمَرَ" يحمل معنى "زرع" والمزارع هو كل من قام بإحياء الأرض. إذن يمكن إطلاق مصطلح "المستعمر" على كل من سدّ فراغا بأرض شاغرة وعمل على تحويل مواردها إلى سلع قصد تنمية اقتصاده وجعلها مصدر ثراء متجددٍ كان زراعيا أو صناعيا، دون أن يدفع ذلك بالضرورة بالمستعمر (المستغل) إلى الاستقرار (الاستيطان) بعين المكان.

أما عن مصطلح "الاستيطان" فإنّه يحمل فكرة وجوب أو إلزامية اتخاذ الأرض التي وُجِدَ فيها المستعمر مبتغاه "موطنا" له، ولن يخرجه ذلك في شيء ما دام قد تمكن من هذه أو تلك الأرض بالقوة. وعليه فإنَّ الاستيطان يُفسرُ بالفعل الاستعماري والتغييرات التي يُدخلها الغزاة على الوضع العام كما وجدوا عليه شعوب المناطق المحتلة.

يرى أونفانتان (ENFANTIN) بضرورة اجتهد الحكومة الاستعمارية بالجزائر والبحث في كيفية تحقيق هدفين لإنجاح عملية الاستعمار هما:

- إقحام الأهالي تدريجيا في المجتمع المكون من أوروبيين على أرض الجزائر.

- إدخال بعض التعديلات على مؤسسات الأحوال المدنية والعسكرية، الإدارية، والدينية الخاصة بالأوروبيين ⁽¹⁾. وما دام الاستيطان سيحدث حركية جديدة باحتكاك مجتمعين (المحتلين والأهالي)، سيحدث حسب أونفانتين ترتيبات جديدة وجملة من الانعكاسات الظاهرية والباطنية خاصة على المحليين.

إنَّ التصور الشائع بفرنسا حول ما يجري بالجزائر لا يخرج عن كون وقوع القطر في قبضة الدولة الفرنسية كان بفضل قوات العسكرية النظامية ، مما

.op. cit.

1 - ؟ - أنظر: C D UNIVERSALISTE

2 - ؟ - أنظر: ENFANTIN; *Colonisation de l'Algérie* Ed. Bertrand, 1843, (Barthélemy Prosper)

p.36 (542 p.)

يضع إحياء الأرض هناك على عاتق الدولة. ولا أحد
يكثر أن أعلنت مستعمرة فرنسية لأسباب سياسية
أو اقتصادية (1)

أمّا عن مصطلح "مستوطن" (كولون) فإنّ
المناقشات البرلمانية الجارية آنذاك حملته معنى
الارتباط بالأرض أي "مالك مزرعة" (2). وفي الواقع
لتحقيق مشروع الاستيطان كان لبدّ من توفير الأرض
التي تأتي في طليعة ركائز الاستيطان وتطوير
الزراعة بالجزائر. ولإنجاح العملية ارتأت الحكومة
الاستعمارية بضرورة تأسيس "ملكية المستوطن".
وعليه شرعت في تنويع سبل الوصول أملاك البايليك
(الدولة) (3) التي تعتبر نفسها وريثة لها. كما كان
التفكير في صيغ قانونية لتمكين إدارة الاحتلال من
السيطرة بقوة على العقار الذي سيصير في حوزة
الدولة لاستغلاله استغلالاً أمثلاً لصالح المستوطنين
الفرنسيين والأوروبيين (4).

ويحمل التعمير معنا جعل المستهلك في وضعية
تستدعي النشاط من أجل تلبية متطلبات الحياة،
وتشجيع المنتج على الاستقرار بإعطائه الإمكانيات
التي تضمن له الإنتاج كتوفير اليد العاملة، السخرة
مثلاً. كما يراد بالتعمير أيضاً، والإقبال على تغير
الأرض (Le sol) وتهيتها للتأقلم مع الظروف الراهنة
(ملاك جدد، تقنيات جديدة تنفذ بسواعد الأهالي...)،
وبجعلها تتجدّد مع تجدّد الشعب. فالتعمير إذن هو
استقرار القوافل البشرية الوافدة من أوروبا بمراكز
هيئت لاستقبالها.

1 ? 1 _ أنظر: (Ch). SCHEFER; *L'Algérie et l'évolution de la colonisation française*. Paris 1928 . p.34

2 ? _ أنظر: (J.A). HEDDE-AINE; *Observation sur la colonisation de la Régence d'Alger*. Paris 1834

2 ? - أنظر: (C) p. 8 SCHEFER; Op. cit.

3 ? _ راجع تقرير اللجنة الإفريقية المطروح والمناقشة يوم 15 جويلية 1834 .

4 - أنظر: MENERVILLE; *Dictionnaire...* Op. cit

وفي هذا الصدد تعتبر العائلة مفتاح إنجاح كل مشروع استعماري، لما سيطرت عن استقرارها من فرص لإنجاز المشاريع الكبرى الضرورية في قطاع الخدمات كشق الطرق ومدّ السكك الحديدية إلى غير ذلك من المرافق الاجتماعية والاقتصادية...⁽¹⁾ ولإقناع حكومة باريس بقوة فكرتهم هذه، دعم دعاة الاستيطان العائلي بالجزائر باستدلالهم بنموذج تعمير فلوريدا الناجح. وجاء في إحدى المجلات أنّه: "...يعتمد في إنجاز المشاريع الخاصة بقري المقاطعات بالدرجة الأولى على أرباب العائلات ثمّ الرجال المتزوجين..."⁽²⁾

1 - حتمية الاستيطان ومسألة الأرض

إنّ استعارة كلوزيل⁽³⁾ عبارة نابليون بونابرت التي قال فيها أثناء اجتياحه أوروبا تحميساً لجيشه: "...أذكركم أيضاً أنّكم مراقبون من قبل الأربعين قرناً الماضية..."⁽⁴⁾ ولكي يتسنى للجيش الفرنسي الجمع بين مهمة التواصل التاريخي والهيمنة على الطريقين التجاريين البحري باتجاه الشرق والبري باتجاه مستعمراتها الإفريقية عبر الصحراء الكبرى، اعتمدت فرنسا سياسة تقوية وجودها بالجزائر بشريا حيث قام الملك لويس فيليب بعد ثورة جويلية 1830 من إبطال خطورة قادة الثورة⁽⁵⁾ بإرسالهم إلى إفريقيا، وصل منهم 2000 رجل إلى الجزائر.

¹ - أنظر: - AKHBAR (Journal); Mardi 1^o juillet 1845.

² - أنظر: - Anonyme; Villages départementaux en Algérie. R.O.A.C.; Tome 14. Paris 1853. P.30.

³ - كلوزيل (CLAUZEL) عُين من طرف الويس فيليب على رأس الجيش الاستعماري عدة إقالة دو بورمنت الموالي للملك المخلوع شارل العاشر على إثر ثورة جويلية إلى غاية عام 1831، ليعود ثانية عام 1835 إلى غاية 1836

⁴ - أنظر - BAUDICOUR; OP Cit. p. 300.

⁵ - أنظر: - Ibid. p. 303.

هم الثوار الباريسيين الذين نظموا أنفسهم في إطار جمعيات أطلق عليها اسم "الميثاق" (La charte)

كما عُين على رأس الحكومة العامة في عام 1832 خبيراً في التنظيم الداخلي وهو الجنرال دوروفيكو (ROVIGO) صاحب تجربة ميدانية حيث سبق له أن شغل منصب وزير الشرطة في عهد الإمبراطورية الأولى، مما يوحي بوجود رغبة قوية في تحقيق حُلْم نابليون بونابرت بالجزائر⁽¹⁾. وأوصت اللجنة الإفريقية المكلفة بمعاينة وضعية الوافدين إلى الجزائر ودراسة أحوالهم بضرورة توقيف الهجرة على الفور إلى حين أن تستوفى شروط الإقامة من أمن وعقار على وجه الخصوص. وستبقى هذه التوصية الشديدة اللهجة سارية المفعول إلى أن تتم السيطرة على الوضع الأمني الذي لازال يعرقل عملية إحصاء وضبط بالتحديد أراضي البايليك ومن ثم الاستيلاء عليها⁽²⁾. وعليه تكون جميع الحكومات المتعاقبة على باريس قد ساهمت في تقوية ركائز الاحتلال النهائي.

أمّا عن الاستيطان فبات مرتبطاً منذ عام 1843 بالأخص بالجنرال بيجو ليزداد رُسوخاً بعد ثورة فيفري 1848. حيث وجدت حكومة باريس الجديدة مرة أخرى في الجزائر المكان المناسب للتخلص رسمياً من معارضيتها⁽³⁾. وتحاشياً لأي لبس لدى الرأي العام الأوروبي حول مستقبل الجزائر، ربط الجنرال بيجو الحاكم العام بين الزراعة والاستيطان، فجعل منهما وجهين لعملة واحدة مقترحا تعمير القرى (les villages) التي ستخصص وتهدأ لغرض الاستقرار⁽⁴⁾.

لقد تعددت توجهات السياسة الاستعمارية بالجزائر فكان الرأي السائد تثبيت أكبر عدد ممكن من الأوروبيين بالجزائر. تثبيتٌ يضمن استقرار الأوضاع

¹ - (جمال) قنان؛ نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر ... المرجع نفسه.

- رسالة تهديد من بونابرت القنصل الأول لجمهورية فرنسا إلى مصطفى داي الجزائر باريس 18 جويلية 1802 ص. 241 .
- مقتطعات من تقرير بوتان عن الجزائر. ص. 247.

² - أنظر: - BAUDICOUR; op. cit. P. 306 .

³ - أنظر: - Correspondance du Général BUGEAUD; 2 EE E1 12 Janvier 1840

⁴ - أنظر: - Ibid.

الاجتماعية بفرنسا ويفتح أبواب الثراء لهؤلاء
الوافدين دون أن يكلف ذلك خزينة الدولة الفرنسية
الشيء الكثير. فبالإضافة إلى العمل على رفع عدد
المهجرين للاقتراب من التوازن البشري بالجزائر،
هناك من رأى في الاعتماد على أصحاب رؤوس
الأموال ضرورة قصوى لإنجاح التعمير، وهناك من
رأى في توجيه المزارعين الأوروبيين نحو الجزائر
تقوية للاستيطان، في حين يبقى الرأي السائد أن
الإنجاح يتوقف أساساً على المتطوعين وعلى أولئك
الذين لا يملكون ما يشدّهم (لا عائلياً ولا مادياً) إلى
أوطانهم الأصلية ⁽¹⁾ مما يجعلهم أكثر قابلية
الاستقرار ومن ثمّ على البقاء بالجزائر واتخاذها
موطناً لهم.

لكن غالباً ما وقع تضاربٌ حول مستقبل نشأة
المستوطنات في المستعمرة نظراً لحدة إشكالية
العقار التي تأرجحت بين البساطة والتعقيد. فالبعض
يرى بأنّ الأمر هين لأنّ الغزو يمكن المحتل من الأرض
بصفة آتية، وله حرية التصرف فيها دون الاكتراث بمن
عليها، إذ تمنح عملية الغزو في نظرهم الحكومة
العامة الحق الشرعي لورثة أملاك الحكومة السابقة.
وسيتّم التصرف في العقار بالجزائر على هذا الأساس
رسمياً إلى غاية عام 1863. وفي الواقع بقي منطق
الغاب ساري المفعول وقاعدة ملازمة لتشريع
العقاري طيلة القرن التاسع عشر ⁽²⁾

1 - 1 - أنظر: (A) (d) 14 P. 1847. AMAURY; L'Algérie et le paupérisme en France. Alger 1847. P. 14

? 2 - أنظر: (Eugène) - GAY; L'Algérie colonisation par enfants assistés de la Seine.
Conférence faite à la mairie du XVI arrondissement, le 17 février 1897 sous les auspices de l'association
polytechnique

Paris 1897. (24 p.). P. 10

2 - أنظر: (H) - JOBERT; Les ressources Domaniales de la colonisation en Algérie
.Thèse pour le Doctorat Paris 1904. p.3

- تظهر أهمية الأرض في عملية الاستيطان من خلال تدخل دوبيين (DUPIN) أمام
مجلس النواب بفرنسا حيث قال: "إنّه من الهراء التحدث عن استعمار احتلال
الجزائر؛ بدون مستوطنين؛ وفي ظل ندرة الأراضي التي يمكن التنازل عنها
لصالحهم، إي في غياب الضمانات التي يمكن تقديمها أو الوعد بتحقيقها..."
جلسة 29 أفريل 1834

أمّا عن التعقيد يظهر من خلال، حسب البعض الآخر، التشكيك في قدرة الحكومة الاستعمارية على وضع يدها على العقار، إذ ليست الحكومة العامة، بعد، المالك المطلق له بالجزائر أين اصطدمت بوضعية عقارية متشابكة، لم تتمكن من فكّ خيوطها إلاّ نسبياً وذلك بعد اجتهادها في فهم تركيبة المجتمع الجزائري نفسه منطلقة من محاولة تصنيف قبائله، إذ خلصت إلى أنّ تنوع ملكية الأرض بالجزائر مرهون بتنوع تلك الوحدات الاجتماعية المشكلة على أسس عرقية أو دينية بل وحتى حسب قربها من بعدها عن مركز الحكم. وما زاد من تعقيد طبيعة الملكية العقارية في الجزائر شيوع لدى المجتمع العمل بفكرة الأرض لمن يُحييها.⁽¹⁾

2- الطرق المعتمدة لتوفير الأرض

إنّ الاكتفاء بشرعية السيطرة على أملاك البايليك لن يضمن تغطية مطالب المستوطنين المتزايدة، في حين إنجاح الاستيطان يتوقف على ما مدى السيطرة على العقار. لذا اتخذت من الحكومة الاستعمارية من استمرارية الحرب خاصة ما بين جويلية 1830 وديسمبر 1840 فرصة للاستحواذ على مساحات جديدة بتسليط عقوبة الحجز الملكيات العقارية (Le séquestre)⁽²⁾ على كلّ من له ضلعا من قريب أو من بعيد في المقاومة. كما مس ذات القرار (القانون) أملاك المتغيبين محولا إياها إلى إدارة العقار⁽³⁾.

DUPIN s'écriait à la chambre: "...La colonisation de l'Algérie est une chose absurde; point de colons, point de terre à leur concéder point de garanties surtout à leur promettre ". Séance du 29 Avril 1834

¹ - أنظر: JOBERT; op. cit.; p. 2 (H)

² - تعريف الحجر (Le Séquestre) : منع مؤقت لاستغلال الأرض أو ملكية خاصة. - إجراء قانوني يحرم أصحاب الحق من استغلال ملكياتهم كعقاب لهم عن موقف أو تصرف تجاه السلطة القائمة. كما يمكن تعريف الحجر بإخراج الشيء المتنازع عليه من يدي صاحبه طيلة مدة النزاع

³ - أنظر: MENERVILLE; Dictionnaire..., op. cit. - Administration générale; 1-5 Décembre 1840

وعلى ضوء حصيلة تجربة عشرية كاملة، سنت الحكومة الاستعمارية سلسلة من القوانين والتي ستمكنها من مضاعفة المستوطنات وإمكانيات التوسع بالضمان لها مجالات حيوية. وبالتالي كلما ازداد الاحتلال توغلا كلما اقتطعت من الأوطان أجزاء جديدة بحجج مختلفة. كما اجتهدت تلك الحكومة فأحداث فرص الاقتطاع كضبط حدود القبائل ورسم المسالك الموجودة واستحداث ممرات جديدة داخل الأوطان مع الحرص على تحاشي المواجهة ولامتصاص غضب الأهالي اعتمدت أسلوب الإقناع بأن تلك العمليات ضرورية لتسهيل حركيتهم، وتعاهد بأن الجهات المشرفة على التنفيذ لن تخرج عن نطاق المعطيات المستقاة من ماضي كل قبيلة. ونظرا لاتضاح الأمر بأنه كلما تم الابتعاد عن متيجة أو عن عواصم المقاطعات، وبعد سيطرة القوات العسكرية على بعض أجزاء الطرق الرابط بين المقاطعات الثلاثة كلما تراجعت خطوط الحكومة الاستعمارية في إيجاد قطع بايليكية جديدة لذ أبقث قانون الحجر ساري المفعول لسرعة فاعليته في الاستجابة إلى تغطية حاجيات الاستيطان. لذا كلما اصطدمت قوات الاحتلال بمقاومة أو تعرضت إلى انتفاضة من قبل هذه أو تلك القبيلة إلا ونفذ على الفور قانون الحجر على ممتلكاتها الجماعية (العرش) أو المشخصة (الملكية الخاصة)، كما هو الحال بالنسبة لما تعرضت له أوطان أهل يسر وبني مناصر. هذا وإن كانت التشريعات الظرفية تتماشى وتطورات الاحتلال وتزايد الإقبال الأوروبي على الاستقرار بالجزائر، فالمادة الأولى مثلا من قانون الحجر من قرار 1-5 ديسمبر 1840 تتناول بل وتحصي الحالات التي يترتب عليها حتما تطبيق الحجر. كما دُعّم بعد عام 1848 ⁽¹⁾ قانون المصادرة E

1 - 1 - أنظر: Ménéville Dictionnaire de la Législation Algérienne code annoté et manuel (M.P) - raisonné des lois, ordonnance, décrets, décisions, et arrêtés de 1830-1860 publiés au B.O.A.G.A.; Paris 1860.

(xpropriation) بـمواد جديدة حيث عاقبت المقاومتين من جهة ومن جهة أخرى تحضيراً لاستقبال المنفيين الجدد على إثر ثورة فيفري 1848 فرنسا.

يبقى عدم امتثال القبائل لقرار دي بورمانت الصادر يوم 15 جويلية 1830 والمكرّس لإخضاع كل القطر الجزائري لفرنسا والملغي لوثيقة 5 جويلية، وإصرارها على تمسّكها بأراضيها، حجة كافية لاعتماد الإدارة الاستعمارية على ما تسفره المعارك لتحديد مصير الأرض. فإن لقيت قواتها العسكرية مقاومة أو صموداً من قبل الأهالي فيكون ذلك كافياً لإسقاط مباشرة حقهم في ملكية العقار وتحوله إلى أملاك الدولة (الإدارة الاستعمارية). أول الأراضي المعرّضة والمهددة بالسقوط تلك التي في حوزة مشايخ القبيلة.

أمّا مسألة تنفيذ القرار فإنّها ليست بالضرورة فورية، وإنّما هي خاضعة إلى حالة الوضع الأمني وإلى طبيعة بيئة الأوطان إذ كان لمرفولوجية الميدان دور في توجيه التنفيذ خاصة وأنّ همّ الحكومة الاستعمارية منصبّ على إنشاء مراكز استيطان بالأراضي المصادرة والأمنة.

إنّ الاستقرار الدائم بالجزائر يضمن لا محلة ارتباط المستعمرة بفرنسا بتكاليف أقل. الأمر الذي شجع حكومة باريس على فتح أبواب الهجرة على مصراعيها. تشجيعٌ بدد كل ما من شأنه عرقلة حرية التصرف بالنسبة للحكومة الاستعمارية بالجزائر فصارت الغاية تهيئة المساحات الواسعة ووضعها تحت تصرف المهاجرين، مما أطلق العنان للضباط العسكريين الذين سبق لهم الاحتكاك بعالم الاستيطان بأمريكا كما هو الشأن بالنسبة لبيجو. لذا لم يتردّد هؤلاء في تطبيق بين عامي 1838 و1843

- Expropriation, § 1 & 2, pp. 316- 329 -

ADRIEN; Régime de l'Expropriation pour cause d'utilité (Jacques) - 2- أنظر: ?

- Publique En ALGERIE. Ed. Paris 1901

سياسة ردّ القبائل ⁽¹⁾ بالجزائر على غرار ما فعلوه مع القبائل الأمريكية. فكانت توجيهات بيجو لقواته تقضي بتسليط ضربات موجعة للأهالي عن طريق حرق الزرع كخطوة الأولى، ثمّ ملاحقتهم كخطوة ثانية بغية ترهيبهم وحملهم على الهروب تاركين وراءهم ممتلكاتهم ⁽²⁾ .

يمكن تلخيص سياسة الحاكم العام في سرعة تطوُّرها أسلوب الردع فأسلوب التجميع بحصر الأهالي في معسكرات مع إصداره قرار رفض الاستسلام الفردي إذ صار لا يقبل باستسلام شيوخ القبائل بمفردهم ولا حتى بمعية أفراد عائلاتهم وإثما من واجب هؤلاء الإعلان عن الاستسلام باسم القبيلة ككل ⁽³⁾ . مما يسهل على قوات الاحتلال إخضاع تحركات أفراد القبيلة إلى الرقبة المستمرة ⁽⁴⁾ وتمكينها ترحيل قبيلة أو فرع أو عائلة منها من

1-؟ الردع (Le refoulement)، التجميع (Le cantonnement)، ترجمة تقريبية لأنه مهما أصبنا في دقة اختيار المصطلحات لترجمة جوهر المصطلحات الفرنسية إلا أنّ الترجمة في هذا الموضوع إلى العربية ستبقى عاجزة عن نقل حقيقة ما تعرض له المجتمع الجزائري في عهد الجنرال بيجو. ويمكن ترجمة " الكونتونم " بالمعسكرات المخصصة للأهالي.

2- أنظر: (A) - DESJOBERT; *L'Algérie en 1838*. Ed. Crapelet, Paris 1839... Pp 40-95

خص ديجوبير Desjobert لهذا الموضوع فصلا كاملا تحت عنوان: النظام الفرنسي أو الاستعماري (Chap. III - Système français ou colonial) تعرض من خلاله إلى الأساليب التي انتهجتها القوات الاستعمارية في الجزائر من إبادة إلى تجميع وذلك من أجل إخضاع القبائل والسيطرة على الأراضي الصالحة للزراعة.

2 - سياسة الحصر التي جاء بها الجنرال بيجو تتلخص نظريا إحدى تعليماته حيث قال: " لا يعن هذا انتزاع من الأهالي أراضيهم وردعهم، لكن حصرهم على المساحة التي يمتلكون والذين هم مستغلها منذ زمن طويل..."

- "... Ce n'est pas de les refouler mais de les resserrer sur le territoire qu'ils possèdent et dont ils jouissent depuis longtemps

- أنظر: Menerville; Dict...t. 1 p. 186

3 - أنظر: G. G.; Décision du 6 mars 1841. *B.O.G.G.A.* N°s 62 - 165; 1 vol. & 2vol. de 1838 à 1843

- قرار الحاكم العام المؤرخ في 6 مارس 1841

4 - يطوق معسكر الأهالي بوحدات استيطانية قصد المزيد من الرقابة من جهة وتسخيرهم في خدمة المستوطنين.

- أنظر: المصدر نفسه ص.

مواطنها الأصلية إلى موطن يحدد من قبل الحاكم العام (1) .

ب - سياسة الرّدْع والتّجميع

أمّا عن الارتباط بالجزائر فلا حيوية ولا تطور للاستيطان بدون بالأرض (Le sol). ومن ثمّ فكيف للدولة الفرنسية أن تضمن الأرض لكل متوافد على الجزائر من أصحاب رؤوس الأموال، الهاجرين والمهجرين، والمتطوعين والأهالي مُتشبثون ومتمسكون بأراضيهم (2).

عبر الجنرال بيجو عن تصوره للاستيطان بدقّة من خلال البيان الذي وجهه عند عودته في 22 فيفري 1840، إلى المحتلين حيث خاطبهم قالاً: "...إنّ... الزراعة والاستيطان وجهان لعملة واحدة. لا يمكن إطلاقاً اعتماد تعمير المدن وتشيدّ بعض المرافق، مقياساً لتصنيف ما تمّ القيام به إلى حدّ الآن ضمن العمليات الاستيطانية، خاصة وأنها تتطلب مساحات واسعة. فتخصيب القرى والأرياف إذن من أولويات الاستيطان ...". (3)

إنّ حلّ معضلة ما، يكمن في تفاعل العديد من المعطيات وتجسيدها لنتائجها وليس وليد الصدفة. فما هي إذ تلك المعطيات التي تمخضت عنها سياسات التجميع (4) ؟

1 - ؟ - أنظر: (A) - DESJOBERT; *L'Algérie en 1838*. Op. cit. p. 88.

2 - ؟ - أنظر: (R) - GERMAIN; *La politique...* op. cit.

1 - 2 - أنظر: (H) - JOBERT; *Les Ressources Domaniales...* op. cit. P. 2.

2 - ؟ - أنظر: (L) - VIGNON; *Un programme de Politique Coloniale Les Questions Indigènes*.

.Paris 1919

p. 190

3 - ؟ - *مراسلات وتقارير بيجو*: 2EE. E1 F80 مركز الأرشيف بئر خادم الجزائر

4 - 1 - أنظر: - MENERVILLE; *Dict...*, op. cit. - Circ. G. 20 mai 1858 - Cantonnement des indigènes. P. 190.

ملاحظة : من المعتاد في المناهل احترام الترتيب الأبجدي للمفردات لكن بالنسبة لمصطلحي cantonnement و colonisation أدمج مينارفيل cantonnement في الفصل المخصص ل colonisation لا لشيء إلا لأنّ عملية التجميع جاء لتحقيق المزيد من الأراضي للاستيطان.

1 _ قرار الارتباط بالمملكة المغربية كأقرب قوة إسلامية آنذاك الذي توصل إليه مشايخ قبائل دار السلطان وبايليك التيطري بعد اجتماعهم بجندل المنعقد عام 1831. مما أدى إلى ظهور تيار مناهض لسياسة التردد والمهادنة ⁽¹⁾ المنتهجة من قبل الحكومة الاستعمارية المؤقتة ⁽²⁾ ، إذ كان معظم القادة العسكريين يرون في ذلك القرار مقابل تردد حكومتهم تدعيما وتوحيدا وترصيصا لصفوف قوات الأهالي ضد قواتهم الغازية.

2 _ عجز الإدارة الاستعمارية على جرّ القبائل التي تعلن عن استسلامها إلى خضوع جاد وحقيقي ، إذ غالبا ما كان موقفها ذاك مجرد مراوغة منها إلى حين زوال الخطر أو إتمام الاستعداد لمواجهة القوات الغازية من جديد ⁽³⁾.

3 _ فشل سياسة إغراق الأهالي بل استحالة تحقيقها في الميدان. لقد حاولت الحكومة الاستعمارية إحداث (كما كان يتصوره بعض دعاة الاستيطان) موجة بشرية انطلاقا من الضفة الشمالية للبحر الأبيض المتوسط لتبتلع أو تلتهم أهل الضفة الجنوبية ⁽⁴⁾.

كتب دي بوسي (DE BUSSY) في هذا الصدد ما مفاده: "... أن التحكم وردع شعب شغوف محارب وكثير الترحال مثل ما هو الشأن بالنسبة للأهالي لن يتحققا إلا عن طريق كتلة جديدة ومتجانسة تتوسع

? 2 - "... قانون التجميع يرمي إلى التحضير من أجل تحديد عقود الملكية العقارية الجماعية لكل قبيلة على قسم معين من المساحة التي تسكنها ويوضع ما تبقى من المساحة الإجمالية تحت تصرف العقار...".

- أنظر: Mélanges et Nouvelles d'Orient et d'Algérie. Année 1852 p. 161

1 ? - أنظر: MERCIER; LA question (.E) - .

Indigène en Algérie. p 22

2 - أستبدل اسم "الجمعية الحكومية" المكلفة بتسيير شؤون الإدارة الاستعمارية باسم "اللجنة الإدارية للإيالة"، وذلك بموجب قرار 1 جوان 1831 اللجنة الإدارية للإيالة.

- أنظر: Ménerville; Dictionnaire... op. cit. p. 6 (M.P)

3 ? - أنظر: Anonyme; Des colonies militaires. AKHBAR (J.) du 12 janvier 1845

4 ? - أنظر: TAILLIART; L'Algérie dans la littérature française. Ed. Champion, 1925 (Charles)

iv -676 p.(Thèse Lettre, Paris) P. 67

تدرجيا نحو الداخل بفضل تناميها " (1) لكن رغم أهمية عدد المسجلين ضمن قوائم الراغبين في الهجرة من فرنسا، إسبانيا، إيطاليا، ألبانيا، مالطا ومن مناطق أخرى إلا أن العدد المحقق يبقى ضعيف لإحداث التوازن البشري فما بلك الوصول إلى انقلاب اجتماعي بالجزائر لصالح العنصر الأوروبي، ناهيك عن صمود المحليين ومقاومتهم لمثل هذه السياسة إذ كان موقفهم هذا بمثابة الحاجز الطبيعي الذي تنكسر عنده الأمواج بعد التظامها العنيف (2).

لقد تصدّى الحجوطيون وبني مناصر وغيرهم من سكان غرب متيجة للمحاولات الأولى التي استهدفت قرية بوفريك أين فقدت القوات الغازية العديد من عناصرها. وقام أهل خشنة ويسر شرقا بقيادة بن زعمون بالمثل حماية لأوطانهم.

4_ فشل إخضاع القبائل عن طريق العمليات العسكرية. ففي شهر ماي 1844 على سبيل المثال نفذ بيجو بضواحي مدينة دلس هجوما ضد قبائل المنطقة، اعتبره بعض المختصين عملية ناجحة عسكريا لكن فاشلة سياسيا لأنها أبقت على معظم القبائل خارج دائرة نفوذ السلطة الاستعمارية (3).

5_ صعوبة سيطرة مصلحة العقار الاستعمارية على أراضي الميري "البابليك" والتي يرجعها روب (ROBE) (4) إلى غياب النظام البلدي بالتصور الغربي قبيل الاحتلال. ويضاف حسبه أيضا إلى تنازل الحكومة المركزية في غالب الأحيان عن ممتلكاتها لصالح من

1 - أنظر: Genty (M.P.) BUSSY; *De l'établissement des français dans la Régence* (De) -

d'Alger. 2^e éd. Paris 1839. Tome 1. (197 p. P. 84

"Une population ardente, guerrière et nomade, comme le sont les Arabes, ne peut être refoulée et... contenue que par le large front d'une population, courageuse et stable qui formant une masse de son accroissement, ne laisse derrière sa première ligne aucun intervalle accessible à l'ennemi..." p.84

2 - أنظر: (Ch)-

TAILLIART; *L'Algérie...* op. cit. p. 67

3 - أنظر: L'ILLUSTRATION, -

(J. U.) Année) 1845 p. 83

4 - روب (ROBE) : نقيب المحامين لدى محكمة الاستئناف بالجزائر.

يرغب في استثمارها من الرعية أو المخازنية (1) .
وتجدر الإشارة هنا ألا أن هذه الوضعية هي أكثر
شيوعا لدى سكان يسّر منها لدى بني مناصر.
6_ الفراغ القانوني: لم يضع المشرع الفرنسي
التراب الجزائري في نفس الإطار القانوني الذي
يسير عليه التراب الفرنسي بعد ثورة عام 1789 كما
نبه إليه أولئك الذين يرون بالزام الدولة على أن تلعب
دورها كاملا بالجزائر بدأ بالإعلان عن كونها المالك
الوحيد للأرض (2).

أمّا عن كيفية التجميع اعتمد الحاكم العام الجنرال
بيجو "سياسة الشجرة" (3) التي ستنفذ عبر مرحلتين:
- فالمرحلة الأولى يتمّ خلالها قطع كلّ الأشجار
المثمرة بالأوطان التي تصلها القوات الغازية، ليدخل
الأهالي في المرحلة الثانية بفرض عليم غرس أشجار
مثمرة من جديد لكن هذه المرة بالأراضي التي يعين
لهم أي التي سيسمح لهم بالاستقرار بها.
لقد سهرت الفرق الغازية التي كانت تحت قيادة
كلّ من دو بار (DE BAR) وشانغاريني، وسانت أرنو
وبقية الضباط على تنفيذ هذا القرار عند احتياحها
أوطان بني مناصر. أمّا عن الأراضي التي أجبر هؤلاء
على تشجيرها فلا تغدو عن كونها أفقر قسم من
أوطانهم تمهيدا لربطهم بها وتعطيل أو كبح جماح
حركيتهم الطبيعية. ومن ثمّ تكون حكومة الاحتلال قد
ضمنت على الأقلّ هدوئهم لأربع أو خمس عقود وهم
في انتظار جني ثمار جهودهم المرهونة بثمار تلك
أشجار التي لن تظهر باكورتها على الأقل قبل المدة
المرتقبة .

1 - أنظر: (E) - Préface p VII (E) - ROBE; Origine, formation... op. cit

2 - أنظر: Ibid. Préface p VII

3 - أنظر: (M.P) - MENERVILLE ; Dictionnaire...; op. cit.

p.185 et suivante

"...أنشأ في هذا الصدد المارشال روندون (Randon) مؤسسة الغراسيين (

les compagnies de planteurs) ..."

المصدر نفسه. ص. 185.

كما عمدت الحكومة الاستعمارية إلى إنشاء إقامات دائمة لمشايخ وقيادات القبائل لعلها تتمكن من تحقيق مراقبة صارمة على التجمعات السكانية الناجمة عن التجميع القسري حيث كان لزاما عليهم بناء منازل وظائفية (logement de fonction) خاصة بإقامتهم بمعية عائلاتهم، وأن تكون بمثابة مراكز إدارية قارة. أمّا عن تمويل الأشغال فسوف تكون على عاتق القبيلة وفروعها عن طريق جمع السنتيم الإضافي ⁽¹⁾ (Le centime additionnel). وللمزيد من التطويق كما نقلته جريدة المبعشر الصادرة في 15 نوفمبر 1852 فُرض على أصحاب الوظائف الجديدة (المشايخ و القياد) احترام بعض التعليمات منها أن لا تتجاوز المسافة الفاصلة بين مقر إقامة أغا العرب ومراكز قيادات الدوائر وبين كل مركز قيادي مسافة 10 كلم كشعاع فاصل بينها حتى تسهل سرعة وسلامة الاتصال بين تلك الدائر. ⁽²⁾

فإذا كان الإقلاع الصناعي الذي عرفته بعض المجتمعات في أوروبا مطلع القرن التاسع عشر الميلادي قد استمدّ تقنياته الأولى من الاقتصاد العائلي (بكل ما تحمله هذه العبارة من معنى) الذي بلغ ذروته خلال القرن الثامن عشر الميلادي، فإنّ فرنسا حרست على توقف تنامي الاقتصاد العائلي الجزائري بتحكمها في مقوماته، إذ لم تغفل الحكومة الاستعمارية في إطار تنفيذ سياسة التجميع أحد العناصر الأساسية في الحياة اليومية للعائلة الجزائرية ألا وهي المطحنة اليدوية (الرحى الصخرية).

¹ - أنظر: (M.P) - Circ. G. n° 22 - 15- 30 Affaires Arabes. Chap.: MENERVILLE; op. cit - novembre 1844

Impositions pour travaux publics (remplacées par la perception de centimes additionnels). P.67 - Chap.-§2- Impôt Arabe. AM-30 juill.-17 nov.1855 - Centimes additionnels ajoutés au principal de l'impôt arabe

"...تصرف هذه السنتيمات الإضافية حسب المادة: 4 - في نفقات المكتب ومستحقات المحاسب القاىض - فتح و صيانة طرق المواصلات كالمسالك... مساكن القيادة..." ص ص. 360-361 .

² - جريدة المبعشر 15 نوفمبر 1852

لقد تفلطن ضباط المكاتب العربية إلى أنه في حالة عدم أخذ الرحي مأخذ الجد فإن الحكومة الاستعمارية قد تضيّع أداة لا تقل أهمية عن العناصر السالفة الذكر الموظفة في السيطرة على الأهالي. وعليه وتغاديا الوقوع في الهفوة هم في غنا عنها وبعد الأمر بضرورة إحصاء المطاح الموجودة في كل خيمة وفي كل بيت أصدرت الحكومة الاستعمارية مرسوما في تاريخ 19 مارس 1851 ينص على إنشاء مطاحن عمومية (le moulin à eau) حتى تتمكن الإدارة العسكرية من مراقبة رصيد الأهالي كما ونوعا من المورد الغذائي الاستراتيجية .

وجاء قرار التنفيذ في 30 أفريل من نفس السنة أقل ما يمكن القول عنه أنه صدر في ظرف قياسي حيث تم إنشاء أولى مطحنة عند مصب وادي بوتان (... Chute d'eau de l'oued Boutan) على مقربة من مستوطنة أفروفيل (Affreville) ⁽¹⁾ تجسيدا للقرار كأول خطوة في سياسة التحكم في الأهالي حتى عن طريق الغذاء. أنجزت هذه المستوطنة بأراضي الحكم العسكري وعدد العائلات الأوروبية لا يتجاوز ست عائلات من لورين ⁽²⁾ (Lorraines).

وجد إذا بني عناصر فرع مليانة، مصيرهم مرتبطا، بموجب هذا القرار، إداريا واقتصاديا بالمطحنة إذ كان عليهم بنقل ما ينتجون من قمح إلى المطحنة المائية الجديدة بالنسبة لهم ⁽³⁾، في حين ستكون وجهة بني

¹ - أفروفيل (Affreville) عين الدفلة حالية مركز استيطاني أنشأ على بعد 5 كلم جنوب مليانة لاستقبال 50 عائلة أوروبية.

² - أنظر: (J) - Annales de la Colonisation Algérienne. Bulletin Mensuel de Colonisation Française et Etrangère. Paris 1852

³ - أنظر: (R) - Code de l'Algérie annoté: t.1 1830-1895.Ed. (R) - ESTOUBLON & LEFEBURE; Jourdan Alger. éd. Challamel Paris, 1896. (vii - 1064- 135 p.)

² - أنظر: - Tableau des Tribus Indigènes soumises à la domination française -1856. Paris 1856 - T.S.E.F.A 58 en 1 vol. Pp.180-181

- ملاحظة: بلغ عدد المطاحن الخاصة بالحبوب عام 1856 بمقاطعة الجزائر 9 مطاحن مقابل 12 مطحنة بمقاطعة وهران و 144 مطحنة لقسنطينة

مناصر شرشال نحو المستوطنة الزراعية نوفي (1) (N OVI) أين أنشئت بموجب قرار 9 جانفي 1852 مطحنة خاصة ذات دورتين على الشلالات المائية من وادي الحمام.

لقد رافق سياسة التحكم في الأهالي عن طريق الغذاء تقطيع إداري جديد تميز بإدخال تعديلات على أساس النشاط الزراعي حيث استُحدثت "الغرف الفلاحية" بموجب مرسوم 21 نوفمبر 1851، وجعلت من شرشال مركزا للدائرة الانتخابية لمزارعي المستوطنات التالية: شرشال، نوفي، زوريخ (ZURICH) (2) والمؤسسات الأوروبية والعربية الواقعة بأراضي الحكم العسكري (3). وألحقت المؤسسات الفلاحية المنتشرة عبر موزايافيل، الشيفة ومزارع الأوروبيين والمحليين المتمركزين ما بين السهل ووادي الناضور بمركز ثاني أنشئ بموزاية، في حين ربطت المؤسسات الموجودة بكل من أفروفيل، عين بينان، عين السلطان، عبد القادر بومدفع وتلك التابعة للأوروبيين والمحليين من الدائرة العسكرية (4) بمركز ثالث فتح بمليانة.

هذا في حين نسجل في هذا المقام غياب المراكز الانتخابية للمزارعين بأراضي يسر، ولعل تأخر توغل قوات الاحتلال بسهل يسر وتأجيل توسيع سياسة التجميع سبب في ذلك، هذا إلى أن يتم تحقيق الردع خاصة وأن المقاومة لا زالت مشتعلة بإقليم جرجرة منذ 1850. إن عمليات المصادرة الأكثر أهمية بيسر بدأت في تاريخ 4 أكتوبر 1852 مع العلم أن الملكية في معظمها غير قابلة للقسمة. (5)

1 - نوفي (Novi) سيدي غيلاس؛ مستوطنة زراعية تم تأسيسها 1848 على بعد 8 كلم من مدينة شرشال، مقاطعة الجزائر، تابعة لبلدية شرشال.

2 2 - زوريخ (Zurich) عند نقطة سوق الخميس بوادي الهاشم على بعد 13 كلم من شرشال تم إنشاء المستوطنة الزراعية زوريخ عام 1848

3 - أنظر: ESTOUBLON & (E.) LEFEBURE ; op. cit. 849 (R)

4 - إستوبلون؛ المصدر نفسه. ص. 870.

5 - أنظر: ESTOUBLON & (E.) LEFEBURE; op. cit. p.964 (R)

أمّا عن الفروع الأولى من أهل يسّر التي تعرضت إلى التجميع عام 1851 فهي: أولاد مرجة، بني خليلي، ماعوية، القويس، بن عثمان، بني رابح، حميدة بلكربال، وعيسى بن عمار⁽¹⁾. سيلحق هذا الجزء من القبيلة بدائرة الجزائر (le cercle d'Alger)⁽²⁾.

1- أسس التجميع والأهداف المتوخاة منه

يدافع دعاة الاستيطان والمنظرين له عن دعمهم وتحميسهم للهجرة وتشجيعهم عليها بأنّ الغاية من الاستيطان هي المساهمة في تثبيت ركائز مجتمع ذكي (Société Intelligente) بالجزائر وجعله ينمو ويتطور في ظلّ القانون (؟). ويتقوى ويتطعم بالتكامل المرتقب بين كل المصالح المحصورة بين أضلع المثلث الاقتصادي العادي المشكل من الزراعة، والتجارة والصناعة⁽³⁾. لكن هل حقا ستلقى القطاعات الثلاثة نفس الرعاية ونفس الاهتمام اللذين تلقاه بفرنسا؟

إنّ التساؤلات الأولى التي طُرحت حول الإمكانيات الزراعية على وجه الخصوص كفيلة بالردّ على هذا التساؤل. فالأرض ضرورية بالنسبة للحكومة التي تسع إلى تحقيق مشروع مجتمع جديد من خلال فتح المستوطنات⁽⁴⁾.

لن تكتمل إذن صورة المجتمع النخبوي (société élite) إلا عن طريق الاحتلال الجماعي. فالاستيطان إذن سواء أكان تحت إشراف الرأسماليين أو تحت إشراف الدولة، أخذاً طابعا مدنيا أو عسكريا فإنّه لن

1 - أنظر: Document Statistique des Tribus du Cercle. F80 - Bobine F 493/10. Année 1851 HH.

2 - أنظر: OUTRY; Dictionnaire ... Op. cit.

3 - أنظر: BARTHELEMY; Etudes Morales, Economiques et Politiques sur (F.M) - l'Algérie. Paris 1840.1°Vol. p.10

ملاحظة: كان بارثالومي يملك مساحات واسعة بمقاطعة الجزائر.

4 - أنظر: BUGEAUD; De la colonisation de l'Algérie. Ed. imprimerie (Le Maréchal Duc D'Isly) - du Gouvernement Alger 1847

يُثمِر إلا إذا تمّ تأصيله بأعداد قوية ودُفعةً واحدة (1)،
وتعزيزه عن طريق العمال الأحرار من أصل فرنسي
أو أوروبي، كما أوصت به اللجنة الإفريقية عام 1834،
وأن تقوم الدولة (فرنسا) بدورها كأول مسؤول عن
مستقبل المستعمرة.

إنّ جلب المستوطنين إلى المستعمرة يتطلب
ضبط مخطط شامل يسهل على الدولة التصرف في
أملك البايليك في شكل هبات أو تنازلات، مما يُبقي
الحكومة الاستعمارية وفية للنهج الوطني الناجم عن
الثورة الفرنسية عام 1789 (2)

لقد أجمع معظم السياسيين والمؤرخين
المهتمين بطبيعة الاستعمار الذي أخضعت له
الجزائر، ورغم تنوع أشكال الاستيطان المنفذة
بمقاطعة الجزائر إلا أنّه ينحصر في نموذجين يعكسان
النزاع القائم بين رجال السياسة والقيادات العسكرية
حول كيفية التعمير حيث الاختلاف قائم كان يدور
حول التركيز على العنصر البشري المدني أم
العسكري وذلك لما يطمح كلا التيارين إلى اكتسابه
من امتيازات من الحكومة الاستعمارية.
أمّا بالنسبة للأهالي فالمسألة لا تختلف كثيرا ما
دامت القرارات التي تصدر عن الحكومة الاستعمارية
ستلاحقهم أينما كانوا وحيثما وجدوا من الإدارتين
المدنية أو العسكرية كما يؤكد على ذلك تسخير كافة
الأجهزة العسكرية لتهيئة الميدان أمام المهاجرين
المدنيين. ولن يغير تفنيد راوسلي (RAOUSSET) أو
تكتمه أو حتى تجاهله لدور جيش الاحتلال في
الاستيطان من الطرح لذا سيتمّ في هذا المقام
التركيز على الاستيطان العسكري أكثر من غيره.

1 - أنظر: OBERT (1) & (Jules) CARLES (2); Aperçu général sur la colonisation de l'Algérie
pour servir de bases à l'organisation du travail. Ed. Vassal Frères 1843. P. 5

2 - أوبري: ضابط عام في الشركة البلجيكية للاستيطان.

2 - كارل: محامي.

2 - أنظر: PEYERIMHOFF; Enquête sur les Résultats de la Colonisation Officielle de 1871 (H.de)-
à 1895. Rapport à M. JONNART, G.G.A. Ed. Torrent, Alger 1906. T.1.(243 p.) P. 16

إذن يشكل التجميع الذي شرعت الحكومة الاستعمارية في تنفيذه على بني مناصر ابتداء من عام 1841 وعلى أهل يسّر مع مطلع عام 1846 أول خطوة في تشديد قبضة الإدارة على المحليين. فالأراضي التي يحصرون عليها ليست أخصب من تلك التي رُحلت إليها بعض الفروع. ورغم اختلاف طرح مسألة الاستيطان شكلا ومضمونا عند إسماعيل عربان، وأونفونتان، وأليكسيس دي طوكفيل وبورجولي، وآخرين إلا أن الجميع يقرّ بضرورة انتزاع الأرض من أصحابها. فبورجولي مثلا يرى بضرورة توفير نقطتين أساسيتين لإنجاح مشروع الاستيطان هما: اليد العاملة، ورؤوس الأموال بنوعها (السيولة والعينية) وتأت الأرض في طليعتها. ويقترح الجرس على مراقبة تحركات المحليين بعد تثبيتهم بالمقرات الجديدة التي لا تغدو عن كونها مستوطنات عربية (1) والتي ستنطلق تحت إشراف الحكومة الاستعمارية بالتوازي مع المستوطنات الأوروبية (2). وهكذا يتبين جليا أنه لا فرق بين الحصر والتجميع لا من حيث الفكرة ولا من حيث القوانين التي تسيرهما، ولا حتى من حيث الأهداف. ولعل الفرق الطفيف بينهما يبقى من حيث طريقة التنفيذ. بعبارة أخرى لا يختلف بالنسبة للمحليين قانون 20 أبريل 1858 (3) الخاص بالتجميع عن قرار شروط الاستسلام الصادر بتاريخ 1841.

¹ - أنظر: BOURJOLLY; *Projet sur l'Algérie*. Ed. Librairie militaire de (Le PAYS De) - Dumaine, Paris 184

² - أنظر: TIQUET; *Une Expérience de petite colonisation Indigène en (J) - Algérie ...les colons Arabes -Chrétien du cardinal Lavigerie*. Ed. Maison-Carrée 1936 (Thèse)

³ - أنظر: YVER; *Les Maronites et l'Algérie*. Rev. Af. volume 60, année 1920. (Georges) - Ed. Alger (s. d.) p. p. 165 - 214

² - أنظر: BOURJOLLY (Le PAYS De) - *Projets...* op. cit. p. 20

³ - أنظر: مينارفيل؛ قاموس...المصدر نفسه. - تجميع الأهالي (Cantonement des indigènes)؛ المنشور الصادر 20 ماي 1858 . ص 190

2 - التعمير (Le peuplement) حسب جريدة "أخبار"

من بين الأهداف المتوخاة من تجميع الأهالي نشرت جريدة "أخبار" في الفاتح جويلية عام 1845 مقالا تطرق فيه صاحبه إلى التكامل القائم بين معاني المصطلحات الأكثر تداولاً آنذاك كالاستيطان (Résider sur un autre sol que celui d'origine) ⁽¹⁾ والتعمير (Le peuplement) والرُّع (الدفع إلى الوراثة) (Le refoulement) والتجميع (Le cantonnement) مقالا يركز على أن لا استيطان دون أوطان ولا تعمير دون العنصر البشري. فكيف يتصور المنظرون الاستعماريون إنجاز العمليتين التعمير والتجميع وكيف سيتصرف أصحاب القرار لإنجاح مشروع الاستيطان مع معادلة عناصرها معقّدة [التعمير = > التجميع = > الصمود] لقد ورد في المقال المشار إليه ما يلي: "... هناك مبدأ يتصدر طليعة قائمة المبادئ التي تحيط مَنشأً مستوطنة جديدة عند بداية الأشغال ألا وهو "التعمير". فمن هنا يجب أن تنطلق جميع تصوراتنا... لأنّ التعمير يعني خلق مصالح بين أفراد مجتمع ما، وأن يكون المستهلكون في حاجة إلى ترضية (من قِبَل الدولة)، وأن تتاح يعطى إمكانيات الإنتاج كتوفير للمنتج يدا العاملة. فالتعمير يعني استعمار الأرض للحصول على مادة أولية تقوم عليها بعض الصناعات أي أنّ التعمير هو ذلك التغيير الذي يجب أن يتولد عن طريق الزراعة مع ميلاد كلِّ شعب جديد... (Peuple nouveau) (؟) فهو يسهلّ على مؤسسات الدولة القيام بمهامها الجديدة والمتمثلة في تفعيل مقومات الاستعمار وعناصره..." ⁽²⁾

كما تطرحها ذات الجريدة المعروفة باتجاهها الاستيطاني إشكالية النموذج الأقدر على تحقيق المعادلة الإنتاجية المشكّلة من مصادر الثروة الثلاثة:

¹ - من الصعب ترجمة مصطلح الاستيطان إلى اللغة الفرنسية بكلمة واحدة.

² - أنظر: المصدر نفسه - AKHBAR (J) 1 Juillet 1845. op. cit

الزراعة، الصناعة والتجارة، والتي يتوقف عليها حتما خلق قوة اجتماعية.

إنّ تغيير الأرض الذي يتولّد أساسا عن طريق النشاط الزراعي مع كلّ ميلاد شعب جديد، كما يُعَبِّرُ التعمير عن رغبة قوية في تكوين عائلة لكل مستوطن (لكل عسكري على أرض الجزائر) ... مع مراعاة إمكانية تحقيق لها المصلحة المادية، فلا شيء يضمن الاستغلالية لرب العائلة، دائما حسب جريدة "أخبار"، استغلالية أكثر من الوضعية الاقتصادية - الاجتماعية التي سيكون عليها.

لم تتردّد ذات الجريدة المؤيّدة للاستيطان العسكري في التأكيد على قدرة العسكري في التعمير حيث سيخلق بفتحه بيتا عائليا بالجزائر وضعية اجتماعية جديدة يساهم من خلالها التقريب من وجهات النظر دعاة النظامين العسكري والمدني، فهي تلك الحالة الاجتماعية التي سيبلغها لا محالة كلّ جندي متقاعد أتيحت له فرصة الاستقرار بالجزائر. وما دام مستقبل الاستيطان مرتبطا بالعقار، وما دام هذا الأخير غير شاغر بالجزائر، أجمع كل من العسكريين والإداريين (المدنيين) خاصة بعد تحقيق القوات الغازية سيطرتها على الطريق السلطاني بشقيه الشرقي والغربي، على مواصلة سياسة الردّ والتجميع لتوفير الأراضي.

ج - انعكاسات الردع والتجميع على بني مناصر وأهل يسّر بدأت سياسة الردّ تعكس ما بين عامي 1840-1843 نتائجها على بني مناصر وأهل يسّر، حيث أُبعدَ العديد من العائلات عن أوطانها لُخْشِرَ عند نقاط تجميع تحت رقابة قوات الاحتلال. نذكر منها المركز الذي فُتِحَ عند أولاد زعيش (Ouled Zaich) الذي سيقّت إليه فروع من القبائل المتيجية وهو على مرمى من قاذفات قوات الاحتلال المنصبة بالبليدة، ويوجد من بين تلك الفروع فرع من بني مناصر أطلق عليه اسم

غريب "قبيلة بني رماس" (Beni-Ramasses) الذي عيّن على رأسه سيدي قدور في أواخر نهاية ديسمبر 1841⁽¹⁾.

ولكي لا ينشغل جيش الاحتلال أثناء تنفيذه سياسة الأرض المحروقة، نصب هذه المرة معسكرات محمية لحفظ ذخيرته الحربية ومؤنه الغذائية للتفرغ أكثر من ذي قبل لحرب تجويع فأحرق الزرع والسطو على المواشي كما أمر به الجنرال بيجو.

فكانت تحركات محمد بن عيسى البركاني من جديد بين الفروع الغربية لقبيلة بني مناصر بإغليك زاتيمة في شهر جوان 1843⁽²⁾ كردّ فعل على عمليات التفكير الإداري⁽³⁾ فرصة أمام شانغاريني لتحرك آلية الدمار الشامل، حيث تحرك قواته بمعية قوات سانت أرنو مدعمة من الجنوب بقوات الدوق دو أومال ومن الشمال بقوات مهندس العمليات الكبرى الجنرال بيجو، فأتلقت المحاصيل الزراعية وبلغت سياسة التجويع المسطرة على بني مناصر ذروتها هذا على غرار ما قام به دو أومال بين 10 و21 مارس من نفس السنة في أوطان نزليوّة (Nezlioua) حيث وقواته زاحفة، أضرم النيران من مدينة بوغار جنوبا نحو سهل يسّر شمالا في العشرات من المداشر والقرى مستعملا قاذفتين للقنابل خاصة بالجبّال (Obusier).

لكن الدمار الذي ألحقه دو أومال بالأهالي على طول الخط الذي سلكه استنقصه الحاكم العام، ولتدارك الأمر أوفد هذا الخير الجنرال سانت أرنو إلى دلس في أكتوبر 1844 ليقضي على ما لم تتمكن منه

1 - أنظر: GERMAIN; *Politique de...* op. cit.

(R.)

2 - زاتيمة اسم مركب من كلمتين " الزيت والماء " أطلقه سيدي أحمد بن يوسف على الأوطان الواقع شرق وادي الداموس لكثرة زيتنها ومائها.

أنظر: (Fernand) - DOR; *Cherchell et la commune Mixte de Gouraya*, Ed. Blida 1895. P.p. 138

140

3 - أنظر: Carette & Warnier; *Notice...* op. cit.

قوات دو أومال. لم يكن هذه المرة الحصاد زراعيًا
فحسب بل طال البشر أيضًا الذي انتهج نفس
الأسلوب من دلس إلى جرجرة مروراً بيسر⁽¹⁾.

1 _ انعكاسات التجميع على بني مناصر

أهم خطوة نفذتها قوات الاحتلال لحمل قبيلة بني
مناصر على التراجع نحو معقلها الجبلية، تمثلت في
عزل الموالين لها سياسيًا وروحياً من أهل بني مناد
وصوماتة (SOUMATA) وتطويقهم عند مستوى سفوح
مرتفعات الأطلسي. هذا من الناحية الشرقية بالنسبة
للخصبة أمّا من الناحية الغربية لها فتحرّكت القوات
الغازية بمختلف أصنافها مستهدفة جبل زكار لتحقيق
الهدف الإستراتيجي المحدد لشنغاريني من طرف
بيجو ألا وهو اختراق مرتفعات بني مناصر أي ما تبقى
من أوطانهم.

فكانت حصيلة تلك العملية (2) تمثلت فيما يلي:

1 _ 150 سجين من أثرياء بني مناد الفارين من
مدينتي مليانة وشرشال.

2 _ غنيمه 1 000 رأس من الماشية.

3 _ احتلال والسيطرة على دشرة أحمد بن لعاج.

4 _ السيطرة على طول وادي الحدّ ووادي معيل،

سهل بوسلمون، وعيون النصر، عند مرتفعات
المحالي، ووادي تيفيز أحد السيول التي تصب في
وادي بوسلمان. لقد نصبت على الأراضي الخصبة لهذا
الأخير مركزاً لها (Bivouac) بأسطة يدها على أملاك
البراكنية خليفة المدية.

5 _ إنشاء مراكز متقاربة مثل ما هو الشأن بالنسبة
لمركز وادي القلعة الواقع على بعد كيلومترين من
الأول فقط (3). وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ متوسط
المسافة الفاصلة بين محطة وأخرى، أو بين مركز

1 - أنظر: - Saint-Arnand; *Les lettres...* op. cit.

2 - العودة إلى حملة خريف عام 1843

3 - أنظر: - D'ESTRE; *Mémoires...* op. cit. p. 236 (H).

وأخر تقدر ب 2 كلم لثدعيم في أغلب الأحيان أبراج
الحراسة المعروفة بالبلوكهوس (blockaus) .
6 _ الاستسلام: أرغم هذا الأسلوب المسلط عل أهل
المنطقة على الاستسلام نذكر بني مناد وصوماته في
جوان 1842، وبين 19 و 20 جوان 1842 ما يزيد عن
ثمانية عشر قبيلة كانت تحت قيادة سيدي محمد بن
علال المبارك. وتواصل الإخضاع مع قبيلة عياد يوم
29 جوان، وقبيلتي تاشته وأولاد بيلال في نفس
الشهر أي 14 و 17 من سبتمبر عام 1842.
رغم ما حققته قوات الاحتلال من تخريب في
المنطقة الغربية إلا أنَّ شانغاريني يسجّل شهادة في
غاية الأهمية عن بني مناصر مكررا إياها على العديد
من صفحات مذكراته، حيث يقول: "...رغم العديد من
الضربات التي تلقتها القبيلة بين سنتي 1840-1841
إلا أنَّ ذاك لم يثنها (القبيلة في نظره) ولم يُحبط قط
من معنوياتها...".
لقد كان بني مناصر أكثر استهدافا مما كان يُعتقد
مقارنة بأهل يسّر. ولعلَّ ذلك راجع إلى قوتها
البشرية ووحدة قيادتها وحصانة مراكزها الأساسية
المنتشرة عبر القمم الجبلية الصعبة. بالإضافة إلى
كونها خلافة حدودية بين الدولة الوطنية المعترف بها
من قبل القوات الاستعمارية ومنتجة المحتلة، وأنَّهم
السند القوي لتحركات بومعزة تلك الشخصية،
الأسطورية المقاومة (1).
هكذا وبعد أن طوقت القبيلة الأم وعزلت عنها
معظم فروعها صار الآن بإمكان بيجو التفرغ أكثر إلى
أهل يسّر. ولشروع قواته في تشتيت سكان السهل
ابتداء من 11 جويلية 1842 انطلاقا من مدينة دلس.
كان ينتظر من قادة القبائل إن أرادوا الحفاظ على
أرواح أهاليهم الإعلان عن الاستسلام الشامل
لقبائلهم.

1 - أنظر: - Akhbar (j.) du mardi 12 janvier 1846 .Anonyme; (sans titre)

يُعدّ الإخضاع الجماعي، المفروض على بني
مناصر بموجب قرار 10 فيفري 1843 عاقبا لمحمد
بن عيسى البركاني وكل عائلة البراكنية، يُعد بداية
لتجميع بني مناصر في إغليك واحد، ومع انتشار
المراكز الاستيطانية الأولى أخضع هؤلاء إلى تقسيم
جديد ورّع من بقي من بني مناصر إغليك بني مناصر
وزاتيمة. ولم يكذبجو أن يفرغ من ضرب المقاومة
عام 1847 حتى تعرض إغليك بني مناصر المذكور
أعلاه إلى تقسيم إداري جديد.

حيث تمّ الفصل إداريا بين بني مناصر الواجهة
الشمالية من زكار في إغليك بني مناصر شرشال
وبني مناصر الواجهة الجنوبية منه في إغليك بني
مناصر مليانة انتزع من خلاله من بني مناصر على
قرار كل عملية تنظيمية جديدة المزيد من الأراضي
لصالح توسيع المراكز الاستيطانية الأولى كنؤفي
وزورخ، وأفروفي و فيسول بينان التي سايرها
امتداد نطاق الحكم المدني .

لقد معظم الأراضي التي أنشئت عليها
المستوطنات قبل عام 1852 صارت خاضعة لمصلحة
الاستيطان وذلك بموجب قانون الحجز 1841 (1) .
ودُعّم في عام 1851 بقانون 16 أفريل الذي ينص
على تجميع المحليين على ما يكفيهم لتغطية
حاجياتهم حسب تقديرات السلطة الاستعمارية مع
العلم أنّ قانون 16 جوان من نفس السنة يعترف
بتنوع الملكيات لدى القبائل (2) . في حين لم تغط
المساحة المُستحوذ عليها، متطلبات المستوطنات.
فلا مساحة 1963 هـ و 54 أ و 15 س بالنسبة
لمستوطنة مارانغو مثلا، ولا مساحة 1300 هـ بالنسبة
لنؤفي كافيتين كما كشف عن ذلك التقرير الرسمي
لسنة 1850-1851 (3) .

1 - أنظر: مينارفي المصنوع نفسه ص. 613.

2 - أنظر- (E) . ROBE; Origine...op. cit. préf. VII

3 - أنظر: L'Annuaire de l'année 1851-1850

ونظرا لطبيعة الاستعمار بالجزائر فإنّ ذلك لن يحول دون توسيع المستوطنات وفتح أخرى ما دام الحكم قائم على أساس التعليمات. فتواصلت إذن سياسة التجميع عن طريق المناشير كمنشور 19 جوان 1856 ⁽¹⁾ وتعليمة 20 ماي 1858 ⁽²⁾ هذا على سبيل المثال لا الحصر.

أمّا بالنسبة للانعكاسات الأولية نذكر منها:

- انتزاع قيادة شرشال من بني مناصر - وظهور أسماء جديدة على خريطة بوايي منها: سيدي سميان، القورين، مارصو، نوفي، وزورخ، فونتان-جيني إلى غيرها من الأسماء. كما شاع اسم قبيلة براز بمليانة مع تراجع اسم بني مناصر.

هل سيتعرض أهل يسرّ لنفس الأسلوب المعتمد من قبل القوات العسكرية ضد بني مناصر؟

2 - تجميع قبيلة يسر

بعد تثبيت أسس المستوطنات العسكرية أولى عند تقاطع الطرق الرابطة بين مليانة ومستغانم شمالا وبين المدينة ومعسكر جنوبا توجهت أنظار بيجو نحو شرق متيجة بغية توسيع دائرة احتلال وذلك بوضع حدّ لصمود بن سالم لكن هذا لا يعني أنّ قواته مستعدة لتجاوز يسرّ.

أمام الإخفاق الذي سجله بيجو في حملة خريف عام 1842 ففي اختراق إقليم سيباو وأمام ما سجلته قوات الاحتلال ضدّ بني مناصر غربا، قرر تنظيم حملة

¹ - منشور 19 جوان 1856 كان الحاكم العام روندون يسع من خلاله شرح مبررات سياسة الحصر والتجميع المفروضة على الأهالي، منها وضع حد للأضرار التي تتسبب فيها قطعان الأهالي بأراضي الغير (المستوطنين) ووضع الأهالي تحت الرقابة الصارمة للمكاتب العربية.

- أنظر: Dict... op. cit. p.74. - MENERVILLE

² - تعليمة 20 ماي 1858؛ أرادها الحاكم العام روندون تكملة للمنشور وتنفيذا للمستوطنين بالمزيد من التدقيق في طبيعة الحقوق التي يستغل بموجبها الأهالي الأراضي، وتحديد ما يكفيهم، إحصاء عدد أفراد القبيلة أو الفروع لمعرفة عدد الغرباء غلي القبيلة ومن ثمّ وضع حدّ للمضاربة التي يتعرض إليها العقار بالجزائر ويذهب (ضحيتة) المستوطنين.

- أنظر: Ibid.

- p. 194

ضخمة لعلّه ستمكن من آفتاك السهل من الأهالي. جمع لهذا الغرض نهاية شهر أفريل 1844 فرقة من 700 رجل بالدار البيضاء، والتي كان عليها الوصول إلى مصب وادي يسّر يوم 29 من نفس الشهر، بعد التحق الأغا محي الدين بذات الفرقة على رأس 400 من الخيالة. تحرك هذا الحشد في الفاتح ماي 1844 تحت قيادة بيجو نحو مدينة دلس التي سقطت بين أيدي قوات هذا الأخير في 12 ماي 1844 ومنها تواصل الزحف نحو وادي النساء ثم قرية تاورغة. ليتواصل التوغل باتجاه برج سيباو وتامدايت في 16 ماي لتزداد المعارك ضراوة كلما اقتربت القوات الغازية من أوطان فليسة أمّ الليل⁽¹⁾ لكن وجود قوات الأمير عبد القادر بالمنطقة وتحركها بين سيباو ويسّر مع إبقاء مولاي عبد الرحمان حدود الغرب مفتوحة أمام الأمير جعل الجنرال بيجو يؤجّل عملة تجميع سكان يسّر إلى وقت لاحق ريثما يتم الاطمئنان على الجبهة الغربية .⁽²⁾

إنّ قبيلة يسّر التي حصرها كارت في إخباريته سنة 1844-1845 بين أوطان خشنة غربا وقيادة سيباو شرقا ومن الجنوب اتحادية فليسة أمّ الليل⁽³⁾ وزواتنة⁽⁴⁾ دون ضبط حدودها الإقليمية بدقة، قدّمها بوإي في أبعد ما يمكن أن تصل إليه، حيث ذكر بأنّ قبيلة يسّر تجاوزت وادي سيباو ما دام هذا الأخير يخترق حسب بوإي أوطان سهل يسّر⁽⁵⁾.

1 - أنظر :- TRUMELET; Le Gnl YUSUF. T1 Paris 1890. (545 p) Pp. 424-425 (C) .

2 - معركة إيسلي: أمام ثبات مولاي عبد الرحمان على موقفه في الجزائر قرر بيجو إحباط العزيمة التي أظهرها السلطان على مساندة المقاومة بالجزائر. فقصّف بالمدفعية كل من طانجة ومقادور وخاض معركة بوإي إيسلي في جويلي 1844. معركة مكنته من رتبة مرشال فرنسا، ولقب دوق إيسلي

- أنظر: Illustration (j.) date

3 - من أهم القادة الشيخ بن زعمون

4 - تصنف على أنها من قبائل الكراغلة

5 - أنظر : بوإي؛ تطور الجزائر... اللوحتين الثانية والثالثة.

في إحصاء التقديري قدّر كاريت⁽¹⁾ عدد أفراد القبيلة عام 1843 بفروعها الأربعة (عست الويدان وعسات الجديان وعسات أولاد سمير وعسات الظهور) بـ 13517 شخص، علماً أنّه إلى حدّ هذا التاريخ لم يكن أهل يسّر قد تتعرضوا إلى ما تعرض له بني مناصر لا من حيث إجراءات حرب الإبادة التي سلطت عليهم منذ 1840-1841 ولا من حيث اختراق القوات الغازية معاقلمهم عام 1843، وبالتالي إذا كان ولبدّ الأخذ بعين الاعتبار الأرقام التي ستقدّم حول قبيلة يسّر يتعين انتظار السيطرة الفعلية على السهل خاصة وأنّ عمليات الحصر الكبرى لم تمسّ قبيلة يسّر قبل صدور قانون التجميع 16 أفريل 1851 وغيره من القانون التعديلية والتعليمات التكميلية التي تنصب في نفس السياق ستحصر قبيلة يسّر لتتمكن إدارة الاحتلال من التصرف في الأراضي التي جُمعت عليها فروع قبيلة يسّر، إلى أن انتهت اللجان المكلفة بالتجميع إلى حصر القبيلة حسبما هو منصوص عليه في تعليمة 20 ماي 1858 في حدود ما يسمح لها بما يكفيها لتغطية حياتها من أراضي رعوية وزراعية.

د- تنوع في أساليب الاستيطان والهدف واحد

بات من الضروري، بعد أن وقع الإجماع على الارتقاء بالجزائر من مجرد مستعمرة إلى مستوطنة، التفكير في أنجع السبل لتحقيق الهدف. فراهن راوسيل- بولبون (RAOUSSET-BOULBON) على عضوية الارتباط بين استمرارية احتفاظ فرنسا بالجزائر وعملية الاستيطان⁽²⁾. قناعة مستمدة من التجربة البريطانية، إذ أرجع راوسيل- بولبون تفوق بريطانيا

1 - أنظر: كاريت؛ 489 op. cit. La notice ...

2 - أنظر: RAOUSSET-BOULBON; De la (G) -

colonisation... Op. Cit. p. 20

على فرنسا في العالم الجديد إلى اعتماد الأولى في
تعدم هيمنتها على الاستيطان
أما بورجالي (BOURJOLLEY) فإن نظرتة لمستقبل
فرنسا بالجزائر كانت أكثر تفاؤلا إذ سيبليح الاحتلال
مرحلته الأخيرة عندما تصير الأرض المُستولى عليها
أمنة. وسياسة ردّ السكان المحليين وترحيلهم عن
مواطنهم ⁽¹⁾ كفيلة لإنهاء الصراع القائم بين
الأوروبيين والمحليين على الأرض. فمن شأن هذا
الأسلوب القضاء على العناصر المحركة للتحزبات أو
ثورات المحلية، وبالتالي ووضع حدٍّ للانتفاضات
الشاملة.

وذهب جيرولت (GIRAULT) ⁽²⁾ إلى أبعد من ذلك
حيث رأى بضرورة الإسراع في التحكم في العنصر
البشري عن طريق ضبط هيكلية إدارية خاصة الأهالي
وتوظيفها في مراقبة تحركاتهم إذ قال بأنه: "... لا
استعمار رسمي إلا بإنشاء البلديات في المناطق التي
يتم اختيارها مستقبلا". ⁽³⁾

إذن لا فرق بين الحصر والجلاء والتجميع لا من
حيث الفكرة ولا من حيث القانون، ولا حتى من حيث
الأهداف. بعبارة أخرى لا يختلف بالنسبة للمحليين
قانون 16 أفريل 1858 الخاص بالتجميع عن قرارات
1841 الخاص بالحصر ⁽⁴⁾ وإن كان ينفذ بمجرد تقدّم
الآلة الحربية، أو قانون الحراسة المضروبة على
الأهالي الصادر في تاريخ 22 جويلية 1846 ⁽⁵⁾.

Projets. op.

¹ - أنظر:

- cit. p 20 BOURJOLLEY

² - جيرولت (GIRAULT) اقتصادي سياسي أستاذ بجامعة بوايي، عضو في معهد
الاستعمار الدولي.

³ - أنظر: GIRAULT; Principe de colonisation et de Législation Coloniale. T.III (Algérie (Arthur) - 3 Ed., Larose & Forcel Paris 1908. (571 p.). P.120
et Tunisie).

⁴ - أنظر: GERMAIN; La politique... Op. cit (R).

- Chap. III, Les Moyens préconisés par Bugeaud pour soumettre les indigènes. Pp.31-46

⁵ - أنظر: (M.P) -

MENERVILLE; Dict... Op. cit. p.73

- Circ. G. n° 39; - 22 juillet -17 décembre 1846, surveillance sur les Indigènes -

د - 1 - الاستيطان العسكري (1)

في الواقع مسألة الاستيطان طُرحت منذ بداية الاحتلال وهي متعلقة بإشكالية حيازة الأرض وكيفية تقسيمها بين السكان المحليين والمهاجرين الأوروبيين؟

انطلق راوسيل - بولبون في اقتراحه حول تقسيم الأرض بين الأوروبيين والمحليين واستغلالها، من فرضية أن الأرض ملك لمن هو قادر على استثمارها وجعلها منتجة. كما لم يرى مانعا في ترك مساحة منها للمحليين على اعتبار أن حرية استغلالها لا تخوّل لهم حق الامتلاك كما كان معهودا لديه وإنما سيصبح مثل هذا القرار من صلاحية الدولة (فرنسا) وحدها (2).
فالقادر هنا إذن لن يكون إلا صاحب المشاريع الزراعية التجارية. أما المحلي حسب تصور راوسي - بولبون فهو غير جدير (غير قادر) بمثل هذا النشاط، وبالتالي السماح له باستغلال بعض المساحات لن يشكل عائقا أمام الإدارة ولا منافس قوي للمستوطن فهو لن يقدر إلا على الزراعة المعشية فقط.
كما دعمت جريدة " أخبار " هذا الرأي حيث نشرت على أعمدتها أن الجزائر ليست مجرد قطعة تكميلية أضفتها فرنسا لممتلكاتها وإنما هي ضرورة حتمية لضمان استقرار مجتمع الميتروبول المتنامي بشريا واقتصاديا. فالجزائر هي تلك المساحة الغنية التي تنقص فرنسا، وأهم ما تعوض به ما فقدته في العالم الجديد. كما تتوقف هيبة فرنسا الدولية وهيمنتها على البحر الأبيض المتوسط على مدى تحكمها في الجزائر (3).

1 - أنظر: LUNEL; Question Algérienne Les Arabes, L'Armée, Les Colons. Ed. (Eugène) -

Lachaud, Paris 1869. (135 p.)

p. 25

2 - أنظر: (G) RAOUSSET-BOULBON;

op. cit

3 - أنظر: BAUDICOUR ; La guerre et le gouvernement de l'ALGERIE. p. v (L) -

وعليه يرى أصحاب التيار الاستيطاني من خلال مقالاتهم أنّ احتفاظ فرنسا بالجزائر يتوقف على قوة نشاطها في المستعمرة، وأن تعتبرها ورشة يكون فيها الدور الأكبر للدولة وبالتالي أن تأخذ هذه الأخيرة - حسب ذات الجريدة - على عاتقها ما يلي:

- 1 - التنسيق والتقريب بين العنصرين العسكري والاستيطاني.
- 2 - تحديد المناطق الاستراتيجية للاستيطان.
- 3 - تشكيل وحدات عسكرية خاصة تشرف على تهيئة أماكن الاستيطان
- 4 - جلب كتلة بشرية من المزارعين إلى أرض إفريقية ويجسدوا الاحتلال عن طريق الزراعة.
- 5 - إنجاز مشاريع زراعية بصفة مشتركة بين المدنيين والعسكريين.
- 6 - إشراف الدولة أيضا على زواج العسكري بعد أربع سنوات من مساهمته في بناء المستوطنة وتحملها⁽¹⁾.

كما ساهمت جريدة "أخبار" في تبسيط مفهوم الاستيطان للرأي العام بأوروبا من جهة ومن جهة أخرى التقريب من وجهات النظر بين تيار الاستيطان إلى بين دعاة الاستيطان العسكري ودعاة الاستيطان المدني خاصة وأنّ المناقشات كانت على أشدها أمام البرلمان الفرنسي بين عامي 1842 و 1845، وأنّ بيجو قد شرع في تجسيد الاستيطان العسكري على أرض الواقع بتدشينه أول مستوطنة عسكرية له بسهل الشلف عند منتصف الطريق بين مليانة ومستغانم والخط الموازي له والرابط بدوره بين المدية ومعسكر⁽²⁾.

أمّا عن انعكاسات فتح مستوطنة أورليانفيل (الأصنام)⁽³⁾ على بني مناصر فإنّها تتمثل في تشديد الخناق عليهم من الناحية الغربية. إذ سجل منذ انطلاق

- AKHBAR 12 janvier 1845 (J) -

¹ - أنظر:

² - أنظر: ROUSSET; *la conquête* ... T.1; op. cit. p. 176 (C) -

الأشغال، تراجع تحركات محمد بن عيسى البركاني
بجبال الظهرة في حين ازدادت ضراوة نحو الجنوب
من السهل خاصة بجبال الونشريس⁽¹⁾. كما زاد بني
مناصر تشتتا مع تضاعف عدد المحطات العسكرية
على وادي الشلف كوادي الفضة ووادي الروينة
وأوطان بني زوق زوق، ومطوقين بسياج عسكري
حقيقي⁽²⁾

فالاستيطان العسكري كما عرفه صاحب الفكرة
الجنرال بيجو يركز أساسا على أفراد الجيش
بعائلاتهم سواء لحقت بهم إلى الجزائر أو تأسست
بعد وقوع الاحتلال مع اختيار الإقامة بالجزائر. لكن
هل سيتأثر المدنيون بسلوكيات الرجل العسكري
ويتحملون صرامته وكيف ستعكس على علاقته مع
المدنيين؟

إنَّ الصرامة المعهودة في التأطير لا تخوّل
للعسكري حقَّ الإشراف على المستوطن المدني، ولا
حتى تمهيد الطريق أمام نمو المجتمع المدني. وإنَّما
مهمته تنحصر في التنسيق مع المدنيين وتدعيمهم
بعض الوحدات العسكرية. إنَّ هذا النوع من
الاستيطان فرضته وضعية اللا أمن بالجزائر، وصعوبة
توسيع الملكية العقارية التي تستند عليها الدولة في
إنجاز المستوطنات.

كما يتحجج دعاة الاستيطان العسكري بأنَّ الإنذار
الأخير الموجه للقبائل الصامدة ولكلِّ المجاهدين بأنَّ
هؤلاء يستمدُّون قوتهم المعنوية على الممتلكات
الممنوع بيعها (Inaliénable) من الدين الإسلامي⁽³⁾،

GERMAIN; *La Politique...* op. cit. (R) -

³ - 1- أنظر:

² - 115- العودة إلى الصفحة 135 من هذه الرسالة

Rousset; *la* (C) -

¹ - 2- أنظر:

conquête ... T.1 op. cit; 181

² - 1- المصدر نفسه، ص. 181.

² - 2- أنظر - FORTIN; *De la crise d'Alger et de sa fin. R.A.O.*; t. III. p. 373-383 (D'Isry)

³ - ورد في المقال عبارة " التطرف الديني " التي يبدو أنَّها أُلصقت بالإسلام
والمسلمين ليست جديدة ما دامت تطلق المسلمين كلما تحركوا دفاعا عن حقهم

لأنّ مثل هذا الموقف له ستكون نتائجه وخيمة على مستقبل الإسكان ككل. وفي الوقت الذي كان تيار الاستيطان المدني يسعى فيه جاهدا إلى التحرر من إدارة الاستيطان العسكري كان أصحاب هذا الأخير ينبهون إلى كون نتائج الاستيطان المدني غير مضمونة على المدى البعيد. إذ بعد العناية بالأشغال المتعلقة بالرّيّ وتهيئة المساحات المخصصة لإعادة التشجير وتجفيف المستنقعات، لابد من دعم المراكز الاستيطانية بالمؤسسات الدينية والأخلاقية والتعليمية⁽¹⁾ وهذا ليس من السهل على حكومة باريس تحقيقه

ويتواصل الصراع بين التيارين مع رفض السان سيمونيين⁽²⁾ اقتراح حكومة باريس المطروح أمام البرلمان في جانفي 1850 والقاضي بإبقاء العنصر المدني داخل الدائرة العسكرية⁽³⁾. إنهم يرون في إرسال السياسيين المعارضين يعد ثورة 1848 والمحكوم عليهم بأحكام مختلفة إلى لامبيز⁽⁴⁾ بدل غيوانا⁽⁵⁾ ليجدوا أنفسهم تحت نظام عسكري يُعدّ

في الوجود كأمة لها وطنها وحضارتها.

¹ - أنظر: HAMONT & () MAREY; Aperçu- () P. 362 et suivantes.

² - السان سيمونون: مصطلح يطلق على من تبني إيديولوجية سان سيمون* وعمل على نشرها.

* سان سيمون: هو كلود هنوي دي روفروي الكونت سان سيمون من مواليد 1760 بباريس. آخر موسوعي (Encyclopédiste) القرن الثامن عشر. أول المنظرين الفرنسيين الاشتراكيين لعصر الثورة الصناعية. صناعي نشيط غني تارة ومفلس تارة أخرى. من كبار اللبراليين، شارك في الحرب الاستقلالية للولايات المتحدة الأمريكية. كان بري بأن التطور الفكري يؤدي حتما إلى التطور السياسي والاجتماعي. له موسوعة خصصها لـ "علم الإنسان". سياسي، اقتصادي، إنساني.

يرى السان سيمونون بضرورة الاتفاق بين القاعدة (masse)، ونخبة من المستنيرين (فكريا ومهنيا) بارزة في معظمها من قادة المؤسسات، مهامها تحرير المجتمع بأكمله من الاستغلال.

أنظر: CD Universalis 2000. Pp. 515-518

³ - أنظر: EMERIT; op. cit. p.65 (Marcel)

⁴ - لايبز (Lambése): مدينة رومانية تعرف اليوم بتازولت

⁵ - غيوانا (Guyana): مستعمرة فرنسية اعترفت لها القوات الأوروبية بذلك عام 1713. جعلت فرنسا منها "مقصلة جافة" يساق إليها المعارضين السياسيين من الفرنسيين والمقاومين من المستعمرات بإفريقيا. فصارت مدينة كايان تحمل

مساسا بحرية الفكر. فهؤلاء حكم عليهم بسبب مواقفهم وليس لمخالفاتهم القانون العام. فليسوا بحاجة إلى إدماج تدريج في الحياة الجديدة على قدر ما هم بحاجة إلى الأمن والاستقرار وهذه مهمة الجيش.

أمّا عن الفئة التي يجدر بالإدارة العسكرية أن تتكفل بها فهي فئة الأطفال مجهولي الهوية سواء ولدوا على أرض فرنسا أو أوروبا أو حتى الجزائر لتمكنهم من الوصول إلى مستوى المستوطنين الناجحين ⁽¹⁾. لكن ليس من السهل على حكومة باريس ولا على البرلمان الفرنسي أن يتدخل لرفع يد جيش الاستعماري على الاستيطان المدني لما له من دور أساسي في تمثيل الدولة الفرنسية على أرض الجزائر وحماية أرواح هؤلاء المستوطنين بالطبع. لقد أشاد بارثالومي وهو أحد الملاك الكبار الأوائل بالجزائر، بدور القوة العسكرية المساهمة في تحقيق الاستيطان المدني، إذ ستبقى الفرق العسكرية متواجدة دوما في كل مكان، ويسير وراءها المستوطنون خطوة بخطوة وهم يتنقلون بمحاربتهم بكل أمان ⁽²⁾. إذن لا مفر من الاستيطان العسكري.

إنّ التطرق إلى التنافس بين العسكريين والمدنيين على تسيير الجزائر لا يهمنا في حد ذاته وإنما انعكاساته على الأهالي وملكيّتهم العقارية مستقبلا.

2 - دور باريس في الاستيطان

"...إنّ قيمة الأرض من قيمة الإنسان،... فإذا كان الشخص لا يساوي شيئا فإنّ الأرض كذلك لن تساوي

معنى الجحيم بالنسبة للأهالي.

ROAG.; op. cit. 1853 T.13; p. 208 -

¹ - أنظر:

² - أنظر - BARTHELEMY; *Etudes Morales, Economiques et Politiques sur l'Algérie*. Paris 18401

vol. p . 421

شيئا...". مقولة ميرابو (MIRABEAU) (1) تشهد على التغير الحاصل في المجتمع الفرنسي منذ منتصف القرن الثامن عشر، والذي بات ارتباطه بالأرض يتأكد يوما بعد يوم. وضعية زادت ترسيخا بعد الثورة الفرنسية عام (2) 1789 إذ صارت الدولة أمام تضاعف مسؤولياتها تجاه مجتمع الفرنسي، تشرف على عملية توفير الأرض كمصدر الأساسي للرزق (3) بدل تركها في يد الإقطاعيين ورجال الدين فماذا عن دور الدولة في الجزائر (4) خاصة بعد أن استفحل الصراع بين دعاة النهج الاستيطاني الحر (5) ودعاة النهج الاستيطاني تحت إشراف الدولة؟ إذ في

1 - ميرابو (MIRABEAU): هو غابريال أونري ريكيتي الكونت دي ميرابو؛

عاش بين 1749 و1791؛ ينتمي إلى طبقة النبلاء القرويين (La noblesse provinciale). نظرت الفلسفة الجديدة لملكية الأرض أثارت غضب عائلة ميرابو ضده وهي التي تعود ملكيتها للأراضي إلى القرن السادس عشر، فرجت به في السجن أكثر من مرة. في حين مكنته هذه الأفكار من الفوز بمقعد نيابي لتمثيل الفئة العامة التي كانت وراء تفجير الثورة الفرنسية عام 1789 إلى أن صار من دعاة الليبرالية المؤيدة للملكية البرلمانية.

2 - ملاحظة إضافية: لم تكن الثورة الفرنسية لثقي على نظام اجتماعي هو أقرب إلى النظام الإقطاعي والذي يسع المستبدون إلى إبقائه. ثورة هزت المجتمع الفرنسي من أعماقه

3 - في إطار الثورة الفرنسية عام 1789 هناك ثورة في القرى لأن المزارعين هم أيضا لهم مطالبهم، يرفضون دفع حقوق السادة من العشر la dîme وحتى الضريبة الملكية... أتلغوا وناق ألقاب النبيل. وعليه شرع نابليون بعد وصوله السلطة في توزيع الأرض على المزارعين الفرنسيين، فأنشأ مؤسسة مسح الأراضي (Le Cadastre) بهدف تحديد أملاك الدولة التي ستمكنها من وضعها تحت تصرف المواطنين

4 - إن ما يميز المستعمرات الفرنسية الأولى أنها من نتاج المغامرين و الشركات التجارية أكثر من كونها "مسألة دولة". يظهر ذلك من خلال ما حدث مع شركة الهند الفرنسية الشرقية التي رغم ما حققه دوبلاكس (DUPLEIX) عن طريق هذه الأخيرة لصالح فرنسا إذ تمكن من بسط نفوذها على كل هضبة الداكن (DACCAN)، إلا أن الدولة الفرنسية قامت باستدعائه طالبة منه العودة على الفور نظرا لما يمكن لسياسته المكلفة أن تتسبب فيه من إرهاب لخزينة الدولة، وتخوفا من وقوع اصطدام محتمل مع بريطانيا المنافس العنيد لفرنسا. وفي نفس الوقت كانت اللجنة المكلفة بتسيير شؤون الشركة تحذر من توسيع الملكية العقارية للشركة لما في ذلك من تكاليف باهظة لتوفير الأمن في غياب دعم الدولة.

5 - المؤسسات الحرة: نذكر على سبيل المثال مؤسسة المزارع النموذجية (les fermes modèles) التي تأسست 30 أكتوبر 183، والجمعية الزراعية (la société agricole) - PEYERIMHOFF (H. de); Enquête sur les résultats de la colonisation officielle de 1871 à 1895. Ed. Alger 1906. Tome premier. (243 p.)

الوقت الذي كان البعض يرى في تباطؤ الاستيطان خلال السنوات الأولى من الغزو دليلاً على إخفاق المؤسسات الحرة في تنمية المشاريع الاستيطانية. أرجع دعاة هذا النهج ذلك التباطؤ إلى جملة من العراقيل أبرزها: تلك القرارات الارتجالية التي كانت تصدر عن القادة العسكريين تجاه المستوطنين والتي مفادها الحد من حريتهم و تقيد تحركاتهم (1) لعل ما تحتفظ به أول مؤسسة التوثيق في مدينة شرشال من عقود بيع أصدق شاهد على تباطؤ امتلاك المستوطنين الأحرار أراضي عقارية. فمن 7 جانفي 1844 إلى غاية 29 أفريل 1845 لم نعر إلا على خمسة عقود بيع (2) .

لقد عرّض هذا الإخفاق الوجود الفرنسي في الجزائر إلى الخطر، ومن ثم وجدت الدولة الفرنسية نفسها أمام مسؤولياتها من جديد تجاه مجتمعها عامة (3) وتجاه المجتمع الذي كانت تسعى إلى خلقه على أرض الجزائر بشكل خاص، وبالتالي فبقوة الظرف، ومن أجل توفير إطار صارم للاستيطان كان على الدولة الإشراف بنفسها على ما يجري في الجزائر (4) من تفاعل بين الأمن وحرية الأفراد ومصالحهم

1 - أنظر: - (L) - MOLLE; Colonisation et Agriculture de l'Algérie. T. 1. Paris 1845

ملاحظة: "يتساءل المستوطنون الذين... غمروا بحياتهم وبأموالهم على أرض الجزائر... عن متى ستنتهي التصرفات العشوائية. وهم رافضون للأنظمة الاستثنائية التي كانت تُسير بها المستعمرة (الجزائر...) لقد طلبوا وبإلحاح من حكومة باريس تطبيق القوانين التي تُسير عليها المؤسسات في فرنسا لتحقيق فكرة أرض فرنسا في شمال إفريقيا

أنظر: - (G) - RAOUSSET – BOULBON; De la colonisation et ses institutions civil. Paris

1847

2 - العودة إلى حزمة (N) عقود بيع من عام 1844 إلى عام 1847. بأرشف ولاية تيبازة. الأرشف المودع من قبل الموثق السيد صحراوي من مكتبه الكائن بمدينة شرشال إلى مصلحة الأرشف لولاية تيبازة وذلك بتاريخ 9 مارس 2001

3 - لم تعد فرنسا بعد ثورة 1789 تلك الدولة التي كانت في خدمة الملك وحشيتته من نبلاء ورجال الدين وإنما منذ ذلك التاريخ صارت تهتم أكثر بعامة الناس أي المواطنين الفرنسيين دون تمييز.

4 - أما عن دور الدولة في الجزائر فإنه ليدّ من التذكير أنّ الغزو الذي تعرضت إليه الجزائر كان من تدبير وتخطيط الدوائر الحكومية الرسمية في الدولة الفرنسية وذلك الاهتمام يعود إلى أبعد من غزو نابليون بونابرت لمصر عام 1798 إلى أن ضبطلت الخريطة الحديدية للمواقع الإستراتيجية على يد بوتان (BOUTIN)

ليتواصل توافد الأشخاص فُرادة أو جماعات رأسمالية إلى الجزائر.

إنَّ مصير المستعمرة رهين قوة التعمير وهذا الأخير رهين ذلك التفاعل (الأمن والحرية ...) وهمّة المقبلين على استغلال المساحات التي وضعت تحت تصرفهم. ومن ثمّ فعلى قدر ما ستسيطر عليه الدولة من عقار على قدر ما سيُضمن نمو وترقية المستعمرة. لعل في هذه العلاقة التكاملية ما يفسر جانباً من سياسة التجميع التي انطلقت على يدّ الجنرال بيجو في مطلع الأربعينيات. لم يكن ليُفوت القادة العسكريون فرصة مثولهم أمام البرلمان لتوجيه بدورهم النقد اللاذع لتلك المؤسسات الحرة. إذ لم يتردّد بيجو في وصف المزارعين الأحرار بالردالة والكسل⁽¹⁾، وأنّه لا يُرجى من ورائهم تعبيد الأرضية للاستيطان بالجزائر. إنَّهم يسرون نحو المجهول⁽²⁾ وهم عاجزون على تسديد

عام 1808 بطلب من الدولة دائماً، وأخيراً تنفيذ الغزو عام 1830 بإرسال قوات عسكرية نظامية بأمر من الدولة وما يؤكد مسؤوليتها في الغزو هو احتفاظ حكومة باريس في عهد لويس فيليب (Louis-Philippe)

1 - ؟ - كتب مونتني (MONTAGNE) يقول: يصل عدد معتبر من الأفراد من مالطا ومن إسبانيا ومن فرنسا ومن ألمانيا، لكن ليسوا من نخبة جتمعاتهم " - أنظر: MONTAGNE; *Psychologie...* p. 196 (D.J.) -

2 - ؟ - أنظر: BUGEAUD; *La Colonisation* ...op. cit. -

P. 19. 3 - ؟ - أنظر: TAILLIARD; *L'Algérie dans...* op. cit (Ch.) -

2 - ؟ - أنظر: TAILLIARD; *Ibid.* P.20 -

يقصد بيجو بكلمة المجهول هنا تلك الظروف الطبيعية الخاصة بالجزائر وهم غير متعودين عليها كالجفاف، والجراد ... وإتلاف المحاصيل الزراعية خاصة الأولى منها ... الأمراض والأوبئة . "

2 - ؟ - أنظر: BUGEAUD; *La colonisation* ... Op. Cit. P.19 -

3 - ؟ - ذكر تاليار هو الآخر الفئات البشرية التي سعى السياسيون إلى التخلص منها منذ بداية الغزو وذلك بأقل تحفظات.

وذكر بريغو بارادول (PREVOST - PARADOL) ما يلي: لنخلص فرنسا من المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة وكل المحكوم عليهم ... لم نتردد في عام 1831 في التخلص من غير المرغوب فيهم نحو الجزائر ... "

P. 70-71

» P. « Débarrasser la France d'une population oisive qui est dangereux pour le gouvernement à Paris »

71

أنظر: PREVOT-PARADOL; *La France nouvelle*. Ed. Leroy Paris 1868. (423 p.) (Lucien Anatole) -

ديونهم. وعليه فالدولة لوحدها قادرة على إيجاد العائلات المزارعة المحترمة والتي لن تُطالب بدفع رأسمال استقرارها ما دامت أجهزة الدولة من جيش وإدارة كلها مُسخّرة لخدمتها، وهي التي تتكفل بالتحضيرات اللازمة من أرضي ومساعدات مالية، وستبقى في خدمة المهاجرين والمهجرين بنفس العناية حتى تضمن تجذّرهم بالأرض الجديدة. لم يكن لمن هو في مثل تشبث بيجو بمشروعه الاستيطاني العسكري أن يوجّه نقداً على أعلى مستوى في الدولة الفرنسية دون أن تكون في جعبته أدوات الإقناع خاصة عندما يتعلق الأمر بالمواجهة في حضرة البرلمانيين بباريس. فكانت الأرض رهانه الرابع، مما يُفسّر سياسة التجميع التي انتهجها، فاتحا عهد تحويل العقار من أيد أصحابه إلى أيد المكلفين ببناء المجتمع الجديد الذي تمّ الاتفاق على تسميته بـ (Le peuple Algérien) ⁽¹⁾، وهو القائل بأنّ المحليين - الأهالي لن يُهزموا إلاّ إذا ضُربوا في الصميم وافتكت منهم الأرض فمن خلالها سُنْهَرُ مصالحهم ⁽²⁾ . يرجع لوسيبس (Lespesse) تباطؤ العسكريين في التحكم في حدود أوطان القبائل إلى صعوبة التحكم فيها رغم مساهمة عمليات التحديد العمليات العسكرية إلى غياب إطار سياسي- إداري مركزي عند الغزو والذي لم تعرفه الجزائر في نظره إلاّ عام 1838 بتأسيس الوحدة الكبرى التي أطلق عليها رسمياً اسم (L'Algérie) إذ منذ ذلك الحين والحكومة العامة تسعى إلى تحقيق مشروع " المجتمع الجديد - على الأرض الجديدة - مكوناته ستكون ما في ذلك شك

- لقد اتخذ بيجو من تلك الاخفاقات للدفاع عن نظريته الاستعمارية: التي كان يعوّل في تحقيقها على العنصر العسكري (soldats colons).

- BUGEAUD; la colonisation. Op. cit. P.73 -

1 - العودة الصفحة 38 من هذه الدراسة.

2 - أنظر:

R.O.B.S.O ; année 1845. P. 357

**أوروبية العنصر، فرنسية القانون مع إقصاء المحليين.
جملة وتفصيلا.**

**إذن مثل هذه الدقّة في الهدف يستدعي السيطرة
بيد من حديد على الأراضي التي تتحرك عليها القبائل
بشكل منفرد أو بعزلها عن بعضها البعض.**

القسم الثالث

الاستيلاء على العقار بالجزائر

الفصل الأول

إجراءات الاستيلاء على العقار

- أ - أملاك البايليك عشية الغزو
- ب - أراضي البايليك بأوطان القبيلة
- ج - إجراءات تحويل الملكية العقارية
- د - قنوات تحويل العقار إلى التشريع الفرنسي

بعد أن دخلت عملية المسح الأولى ⁽¹⁾ بفرنسا مرحلتها الأخيرة صارت ابتداء من تاريخ 7 أوت 1850 تجدد كلما اقتضت المصلحة العامة ذلك، مع العناية بضبط الملكيات العقارية، ومن ثم أصبحت عملية المسح فرصة لترسيخ تقليد مراجعة الملكية العقارية إن على مستوى الدولة حيث تكون شاملة، إن على مستوى المقاطعة حيث تكون المراجعة، إن على مستوى الكومون (بلدية) فتكون محلية. ونظرا للطلب المتزايد على العقار وقيمة المبالغ المالية التي يمكن أن يعود بها هذا القطاع على الدولة، أنشأت حكومة باريس عام 1852 "مؤسسة القرض العقاري" التي أوكلت لها مهمة تسيير العقار، والتحكم من خلالها أكثر في عائداته. هذا بالنسبة لدور الدولة الفرنسية في تسيير العقار هناك ما بعد ثورة عام 1798 .

فماذا عن اهتمام الحكومة الاستعمارية العقار بالجزائر خاصة وأنها تحمل مشروعي التخلص من المعارضة السياسية، وغيرها من العناصر الغير مرغوب فيها بتشجيعها على الاستقرار بالجزائر، وربط مدن ساحل إفريقيا الغربية بباريس عبر التراب هذه الأخيرة ⁽²⁾ كما سبقت إليه الإشارة؟ لقد عرفت طبيعة الملكية العقارية ⁽³⁾ عند نهاية القرن الثامن عشر، تغيرات عميقة وفق الانقلابات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي أحدثتها ثورة

¹ - قانون المسح (Le Cadastre) أصدره نابليون بونابرت في 7 أوت 1805

² - يعود اهتمام فرنسا بالطريق التجاري القديم عبر البحر الأبيض المتوسط و إفريقيا الشمالية إلى القرن السادس عشر كما هو واضح من خلال إنشاء شركة لانش بعنابة التي تم فتحها في إطار الامتيازات الأوروبية في الولايات العثمانية، والتي تعرف أيضا باسم الشركة الإفريقية لاستغلال المرجان.

³ - يقصد بالملكية العقارية كل ما يتعلق بملكية الأرض جماعية كانت أو فردية. أنشأت الحكومة الفرنسية عام 1852 مؤسسة ذات حالة خاصة أطلق عليها اسم "مؤسسة القرض العقاري" وتعتبر الضريبة العقارية من أهم الموارد المالية بالنسبة للدولة ويقتضي التحكم في هذا النوع من المداخل إجراء مسح شامل لأراضيها وضبط الملكيات العقارية.

عام 1798. إذ خضعت للمتطلبات الآنية وحتى المستقبلية للمجتمع الفرنسي.
أما عن طبيعة الملكية العقارية بالجزائر وفي نفس الفترة، فإنها كانت تعكس قوة ارتباط الأشخاص (كانوا طبيعيين- الأفراد- أو معنويين- القبيلة-) بالأرض، ومن ثمّ بات من الضروري تكسير تلك العلاقة القوية القائمة بين الأهالي وأوطانهم. فراحت الحكومة الاستعمارية تبتكر وتبدع في أدوات الاستيلاء على العقار. وبالتالي وبعد إخفاق آليات حرب الإبادة في تمكينها من تحقيق مآربها من خلال تكسر ذلك الرباط، اعتمدت هذه المرة على أسلوب التقنين لعلها ستتمكن من تصديق الأوطان بتفكيك الوحدات الاجتماعية (القبائل) عن طريق القوانين، وبها يُقلع ويبعد الأهالي عن أوطانهم ليُفسح المجال أمام الأوروبيين، لعل القطع الممنوحة لهم تكون سببا كافيا لتنامي لديهم شعور جديد يُعرف "بالاستيطان"، خاصة وأنّ الدولة (الحكومة العامة) تسعى إلى تمكينهم من "حق" لم يكن معظمهم يحلمون به لا بفرنسا ولا بأوروبا. أحدث إذن الغزو الفرنسي وضعاً غير طبيعي في الجزائر زرع من خلاله تنظيمها العقاري.

تعود أول خطوة في مجال تحويل العقار عن طريق القانون إلى تاريخ 8 سبتمبر 1830 حيث أصدر القائد العام كلوزيل 1830 ينص على إدخال أملاك الداى وأملاك كل من غادر الإيالة عند الغزو، ضمن أملاك الدولة (1). فما هي أملاك البايليك عامة

1 - أنظر: MENERVILLE; Dict... op. cit. p. 9 (M.P)

- 9 p. Du Directeur des finances, § 1,3 Chapitre 4 - Administration Générale

? - 2 - أنظر: (H) - JOBERT; Les Ressources Domaniales de la colonisation en Algérie (Thèse pour le Doctorat) Paris 1904. P.2

"... بالنسبة للبعض،... ملك الاحتلال الدولة (فرنسا) قسما كبيرا من القطر الجزائري ومكنها من حرية التصرف في الأرض... كوارث لحقوق الحكم التركي... لقد طغت هذه الفكرة على كل المشروع الاستيطاني ومنذ صدور السيناتوس كنسلت 1863 اتخذت كقاعدة لتشريعنا العقاري..."
- أنظر: المرجع نفسه، ص. 3.

وتكل المتواجدة ضمن أوطان بني مناصر وأهل يسّر؟
وكيف كانت الحكومة الاستعمارية تتصرف في حالة
عدم توفرها في بعض الأوطان؟

أ- أملاك البايليك عشية الغزو

لم تستقر الحكومة الاستعمارية في تعاملها مع
الملكية العقارية بالجزائر على سياسة معينة. فمن
الاعتراف بالحق الطبيعي للمحليين⁽¹⁾ إلى حق الدولة
(عن طريق الحكومة العامة) المكتسب بفعل الغزو. إذ
لم يمرّ على معاهدة 5 جويلية 1830 التي تعهدت
بموجبها فرنسا باحترام الممتلكات⁽²⁾ عشرة أيام
فقط حتى أصدر دي بورمانت بيانا يعلن من خلاله عن
حق الدولة اللامشروط والمكتسب عن طريق الغزو.
لم تتردد القوات الاستعمارية، وهي تعلن الحرب
حينذاك على دار الجهاد، في البحث عن أدوات التحكم
في الأهالي، بالوقوف على عادات وتقاليده المجتمع
الجزائري وطبيعة اقتصاده. ولقي في هذا الصدد
المجال الديني اهتماما منقطع النظير لكونه محرك
حياة المجتمع من كافة مناحيها. وعلى هذا الأساس
حاولت أكثر من مرة حكومة الاحتلال أن تستنبط من
الشريعة الإسلامية ما يمكنها من المجتمع أكثر. فزرع
ضباطها الشكوك حول وجود "الملكية الخاصة"
بالجزائر. إذ شاع بين الجيش الاستعماري، بأن محمد
عليه الصلاة والسلام قد ذكر كذا مرة - أعلن عدة

¹ - أنظر: JOBERT; Les Ressources Domaniales de la colonisation en Algérie. Ed. 1904. P. 6 (H) -

² - أنظر: ROBE; les Lois de la propriété immobilière en Algérie. Ed. (Eugène) -

Imprimerie générale Algérienne. Alger 1891. P4

² - بيان فرنسا إلى الجزائريين عشية الاحتلال سنة 1830 جاء فيه ما يلي على
لسان دي بورمانت: "...إني أضمن لكم بأنه ليس منا من ينوي مضرتكم، لا في
ممتلكاتكم ولا في عائلاتكم. إني أضمن لكم أيضا بأن بلادكم، وأراضيكم،
ومزارعكم، ودكاكينكم وكل شيء..."

- (أبو القاسم) سعد الله؛ الحركة الوطنية... المرجع نفسه .
الملحق (1) ص. 443

مرات- "...بأن كل ما يوجد في السماء وعلى الأرض هو ملك لله..."⁽¹⁾.

لكن ما المراد من التأكيد على حقيقة غير قابلة للجدل إن لم يكن القصد غير إبعاد الأهالي عن أراضيهم وإحياء من جديد ما تحمله عبارة: "...إن سلطة الملك (الحاكم) مستمدة من الله..." وبالتالي إنعاش مبدأ "الحق الإلهي" الذي ردعته ثورة عام 1789.

إذن لا مانع بالنسبة لحكومة باريس أن تتعد بل أتخالف الحكومة الاستعمارية بالجزائر مبادئ ثورة جويلية 1789 وإحيائها من جديد السلوكات ما قبل عام 1789 ما دام ذلك سيخلص الأولى من المعارضة وسيتمكن الثانية من مساحات أوسع. فتبنت من جديد فكرة انفراد السلطان بملكية الأرض⁽²⁾، مما يخول لها حق التصرف في العقار بالجزائر وفق القوانين الفرنسية [القديمة-الجديدة] لكونها حلت محل الحكومة المركزية منذ عام 1830.

لكن سرعان ما اصطدم الضباط العسكريين أثناء محاولاتهم الوقوف على واقع العقار بتنوع الملكية العقارية وبتباينها من منطقة إلى أخرى على غرار تنوع القبائل والضرائب. فالتنظيم الضريبي المستمد من الشريعة الإسلامية كالخراج، والوقف، وغيرها... يعكس التنوع الحاصل في الملكية العقارية بالجزائر⁽³⁾.

لتوظيف التنوع الضريبي في بسط يدها على أملاك البايليك، شجعت حكومة الاحتلال نخبتها المثقفة على دراسة أمهات كتب التشريع وتفاسير الأئمة مع التركيز على مؤلفات الحنفية والملكيين، لعلها تتحصل على ما يدعم استحواذها على المزيد من العقارات. فعمدت تلك النخبة على أخذ ما يناسب

...Op. cit. p. 6 et p.9.

¹ - أنظر: Les ressources (H) JOBERT -

² - أنظر: Ibid. P.6 -

³ - أنظر: (J) . p. 345 . année 1840 . S.T.E.F.A, Notice ...op. cit. URBAIN -

مصالح حكومتها من تفسير الشيخ سيدي خليل،
لتستكمل ما ينقصها من تفاسير الشيخ مصطفى
الرّناسي، والشيخ البناني والشيخ السعدي⁽¹⁾.
إنّ الأراضي التي تشكل عادة، قاعدة لأملأ
البابليك هي تلك الأراضي الواسعة ذات القيمة
الاقتصادية بفضل خُصبة تربتها، زائد الأراضي الميتة
التي لا يعرف لها أصحاب وتلك المساحات غير
المستغلة⁽²⁾. لكن هذا النوع من الأراضي يمكن أن
يُحول وفق الشريعة الإسلامية إلى ملكية مشخصة
لصالح كل من يقدم على إحيائها أي يستثمرها⁽³⁾. إذ
تنتقل الأرض الميتة قانونياً بعد ثلاث سنوات من
استثمارها من حيازة الدولة إلى ملكية خاصة⁽⁴⁾
في حين هناك نوع آخر من الأراضي الميتة لكن
ليست قابلة للتحويل لأنّها مخصصة لسُخرة. يدخل في
هذا السياق كلّ ما هو موجّه للصالح العام كالأراضي
المحيطة بالبئر، والمجاري المائية والمساحات
المجاورة لأراضي تابعة للمدينة، والأراضي المخصصة
لصرف المياه القدرة والمزابل العمومية. وعلى ما
ذكر من الأراضي المسخرة يضاف بالنسبة للقرية كل
ما يصلح لاستغلالات أهل القرية عامة كالمراعي
والمسالك⁽⁵⁾.

ب - أراضي البابليك بأوطان القبيلة

إذا كان مصطلح "الوطن" شائع الاستعمال
بالجزائر فإنّه بالنسبة لفرنسا يعود إلى تلك التحولات
المتتالية عن ثورة عام 1789. إذ يعكس قرار تثبيت
المزارعين الفرنسيين من قبل حكومة باريس على
الأراضي التي ينشطون بها عمق التغيرات التي

1 - أنظر: (H) - pp 12-14 , JOBERT, op. cit.

2 - المصدر نفسه، ص 21-23

3 - المصدر نفسه، ص. 37

4 - المصدر نفسه، ص. 39

5 - المصدر نفسه، ص. 40

عرفها المجتمع الفرنسي فتولّد لدى هؤلاء
المستفيدين من قطع أرضية في إطار الإصلاحات
الزراعية شعور قوي بالارتباط بالأرض يعرف بالانتماء
إلى "الوطن" ⁽¹⁾ . ثمّ أدخلت تعديلات جديدة على
هيكل المؤسسة العقارية استجابة لمتطلبات الحياة
الاقتصادية الجديدة الناجمة عن ثورة عام 1789
وتفاديا لنقمة فئة أصحاب الامتيازات، انتهجت
الحكومة في تطبيق إصلاحاتها سياسة التثبيت
التدرجي للمزارعين انطلاقا من أملاك الدولة. لقد
أفرزت عملية بيع أملاك هذه الأخيرة - أراض الوطن -
بفرنسا، وهو ما يقابل أملاك البايليك بالجزائر، فئة
من الملاك الصغار، التي تضاعف عددها بالتوازي مع
ما استرجعته الدولة من أراضي رجال الدين
والإقطاعيين. لكن هل ستمكن الدولة وعدد ساكنها
في تزايد مستمر من تغطية كل الطلبات؟ وكيف
التصرف وقد تبين للحكومة مدى نجاج التحكم في
استقرار الساكن وإشغالهم بعمل الأرض.
إنّ استنزاف ما كان بحوزتها من المساحات
المسترجعة سيهدد حتما استقرار الأوضاع الداخلية
لأنّ هذه الأخيرة رهينة الاستقرار الاجتماعي ⁽²⁾ .
وعليه عوّلت فرنسا في حلّ أو بالأحرى تغطية
مشاكلها الداخلية على حساب الجزائر.
لكن ماذا عن أهل الجزائر من المواطنين وأوطانهم
تحت رحمة الجيش الاستعماري - رمز الدولة
الفرنسية -؟ وهل إدارة الاحتلال مستعدة لإشراك
الأهالي في المواطنة على القاعدة الفرنسية؟ وهل
سيرضى الأهالي بتلك القاعدة وارتباطهم بالأرض
يعود إلى قرون مضت ما دام "الوطن" بالنسبة
للأهالي يعد مورد رزق ودون وسيط؟

¹ - انطلقت الإصلاحات الزراعية من إعادة النظر في هيمنة النبلاء ورجال الدين
على العقار بل مصادرة العقارات لتوضع تحت تصرف عامة الناس

² - أنظر : (A) - SABOUL; Livre d'Histoire - Géographie, Classe de 4°. Information Historique Mai 1960

ومن ثمّ فمفهوم المواطنة بالجزائر تطور وفق مسار تاريخي مختلف عن المسار الفرنسي الغربي فهو يعكس ثمرة الأنشطة الاقتصادية الناجمة عن ارتباط المجتمع بأرضه عبر الزمن أكثر من كونها عاكسة لأنشطة السياسية. لقد أجمعت التقارير الأولى من الغزو على أنّه كان للقبيلة، مهما كان نوعها مستقرة أو رحالة، كان لها "موطن" معلوما ومجالا حيويا، فنقول أوطان بني مناصر، وأوطان أهل يسّر.

فكيف ستتعامل الحكومة الاستعمارية إذن مع هذا الوضع واللجنة الإفريقية توصي بضرورة غرز العنصر الأوروبي بالجزائر، لاستنتاجها استحالة الاحتفاظ بالجزائر لمجرد السيطرة العسكرية على بعض المرافئ التجارية المترامية هنا وهناك على الشريط الساحلي واحتلال بعض المواقع الإستراتيجية؟ يبرز جليا من توصيات اللجنة الإفريقية الواردة في تقريرها المؤرخ في 3 أفريل 1834 (1) على ضرورة إحكام الإدارة الاستعمارية قبضتها على العقار بالجزائر. إذن لا مناص من الاستيطان بهذا القطر وبالتالي لامناص من تجريد الأهالي من أوطانهم، لأنّ استقرار الأوضاع بفرنسا صار رهينة قدرة الهيمنة على أوطان القبائل التي ستساق مستقبلا إلى دواوير جديدة يحددها التشريع الاستعماري (2).

ولم يتوان الحكام العامون بعد دي بورمانت في السير على منهجه إي "الوعد ثمّ التملص منه"، مع السعي إلى توظيف من التشريع الإسلامي ما يكفل لدولة حقها (الإدارة الاستعمارية) كلما اقتضى النشاط الاستيطاني ذلك. وانطلاقا من كون العقار

1 - أنظر: (H.de) - Peyerimhoff; Enquête... T.1 op. cit. Alger 1906. p 6

2 - أنظر: - BOYER; L'évolution de l'Algérie Médiane de 1830 à 1956. Préface xix, p. 15 (P)

ملك للسلطان أو الخليفة (3) فإن ملكية العقار ستنتقل حتما حسب هؤلاء إلى الحاكم الجديد. تتمتع القبيلة هي الأخرى بالحق السلطوي على أوطانها على غرار الإدارة المركزية. ولم يكن للبراني الحق في إحياء أرض ميتة في نطاق مجالها الحيوي إلا بموافقة جماعة القبيلة، في حين يبقى استغلالها مفتوحا أمام أي فرد من أفراد القبيلة أو فرع من فروعها دون أي شرط (1).

تلكم هي الحقوق التي كان بإمكان جماعة القبيلة أن تحتفظ بها وأن تدافع عنها. وتلكم هي الأراضي التي أطلقت عليها لجان (س. ك.) 22 أفريل 1863 أراضي الجماعة المخصصة للصالح العام بما فيها المسالك (2) في انتظار إلحاقها بأملك الحكومة الاستعمارية (الدولة) ومن ثم وضعها تحت تصرف مؤسسة العقار التي ستضعها بدورها تحت تصرف مؤسسة الاستيطان.

بإمكان الحكومة الاستعمارية إذن الإشراف على هذا النوع من الأراضي خدمة للصالح العام، ولها الأولوية في اختيار القطع الأرضية التي تناسب والنشاط الذي تسعى إلى تحقيقه عليها (3). وتبقى الحكومة العامة تحتفظ لنفسها بحق الاستثناء كإمكانية تنازل الحكومة العامة عن بعض الأراضي لصالح المستوطنات.

1- طبيعة العقار بأوطان بني مناصر

صرّح بيليسي في " الحوليات الجزائرية " بأنّ أملاك البايليك بأوطان بني مناصر هي شبه منعدم، حيث كتب قائلا: "... التزمت قبيلة بني مناصر في بداية الأمر الحياد تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر

3 - أنظر: JOBERT ; Les ressources :op. cité .P 6 (H) -

1 - المصدر نفسه، ص. 45.

2 - المصدر نفسه، ص. 48.

3 - المصدر نفسه، ص. 44.

استجابة لسياسة شيخها وزعيمها الروحي السيد
امحمد بن عيسى البركاني ... " (1). هذا ما يوحى في
نظره باستقلال بني مناصر عن السلطة المركزية.
لكن يتضح من خلال تقارير للجنة (س. ك.) أن حالة
العقار بدواري بني مناصر شرشال وجود عدد كبير
لقطع تعرف بأراض- عسكر كما هو الشأن بالنسبة
لأراضي تازمورت - عسكر (عين تابوش)، تازمورت
عسكر (بركوش)، وتازمورت عسكر (جنان بريك) ،
وكدية العسكر ذات الأراضي الخصبة (2) . إذن كيف
تتعامل السلطة الاستعمارية مع هذه الحالة وهل
تتوقع العثور على المزيد من الأملاك التابعة للبايليك
بأوطان بني مناصر بعد غزو مدينتي شرشال ومليانة
عام 1840؟

أمّا عن الأراضي التي شرعت حكومة الاحتلال في
الاستحواذ عليها باسم الصالح العام فإنّها كانت نتاج
عمليات شق الطرق الأولى عبر سهل متيجة- حيث
تمكنت الإدارة من اقتطاع منه مساحة 170.000 هـ
منها 80.000 هـ هي للتلال المشكلة للهضبة المحيطة
بالجزائر، و90.000 هـ سيطرت عليها القوات الغازية
بعد تجاوزها حدود مزافران (3).

هذا بالإضافة إلى أملاك الدولة التي أحصاها، في
حدود جويلية 1834، بيرنادات (BERNADET) المراقب
لأملاك الدولة بمعية قائد مكتب العرب بأمر من
فوارول (VOIROL). إذ انطلق بيرنادات في أشغاله من
احواش أوطان بني خليل وبني موسى محددا على
الخريطة الطوبوغرافية لعام 1834 مواقع أوطان
الأحواش التالية: حوش بن صالح، حوش بني خليل،
حوش بوعقاب، حوش شاوش، حوش سوق علي،
حوش بولاجورة حوش ميموش. تقع هذه الأحواش

1 - أنظر: - (Ch) - TAILLIARD; L'Algérie dans....Op. Cit., P. 75

2 - أنظر:- CADASTRE; Rapport de la commission administrative, en date du 10 juin 1867. Province d'Alger , Subdivision de Miliana, Cercle de Cherchell. Tribu des Beni Menasser; Douar de Sidi SMIANE.

.Délimitation et Bornage des groupes territoriaux. Copie n° 70

3 - أنظر: - PELLISSIER; Les Annales ...; Op. Cit. T.1 p. 343

على أجود الأراضى⁽¹⁾ . والملفت للانتباه هنا هو تركيز اهتمام إدارة الاحتلال على متيجة الغربية أي على تلك الواقعة على الطريق المؤدي إلى شرشال . ومن دون شك أنّ مواجهة أهل يسّر وبني مناصر تحت راية الأمير عبد القادر القوات الغازية وصمود مدنها الإستراتيجية أمام زحفها طيلة عقد ونيف من الزمن، يطرح أكثر من تساؤل حول ماهية الملكية العقارية عامة وملكية الدولة (البابليك) خاصة، وحول إشكالية تصرف إدارة الاحتلال للوقوف على أنواع الملكيات العقارية بهذه الأوطان؟ وهل يكون الأمير عبد القادر وهو في حالة حرب قد أدخل تعديلات على التنظيم العقاري الذي كان قائما قبل الاحتلال؟ لقد أجمعت المصادر المطلع عليها على أنّ تمتع بني مناصر بالنظام اللامركزي ساهم في انتشار الملكية المشخصة (propriété individuelle) بأوطانهم كانت أكثر انتشارا خاصة بمنحدراتها الخصبة الممتدة من المدن الساحلية شمالا إلى التل جنوبا⁽²⁾ . فهل يمكن حين إذ القول بوجود أملاك تابعة للبابلليك في أوطان بني مناصر؟ إنّ مثل هذه الوضعية توحى بندرة أراضى البابلليك بأوطان بني مناصر، فإذا انعدمت بالقسم الجبلي فإنّه توجد مساحات معتبرة بالمناطق التلية خاصة على طول الطريق السلطاني حيث تنتشر بعض وحدات المخازنية.

2 - طبيعة العقار بأوطان أهل يسّر

إنّ الوضعية الإدارية لأهل يسّر قد مكّنتهم من مساحات بايليكية واسعة مُنحت لهم تارة على شكل إقطاعات وتارة أخرى على شكل تملك بعقود ظرفية

1 - أنظر: - (J.A) p. 9 HEDDE-AINE; Op. cit.

2 - 1 - أنظر: - (F) p. 65 HUGONNET; Op. cit.

2 - أنظر: - (De) p. 338 PELLISSIER; Les Annales... Op. Cit. ;

غير قابلة للتوارث ⁽³⁾. ويبقى ذلك على أساس أنهم إما رعايا أو إمّا مخازنية في خدمة الدولة وهكذا فإذا كانت ندرة أملاك البايليك وراء تأخر إنشاء مستوطنات بالأوطان المعترف بها لبنى مناصر، فإنّ تأخرها بأوطان قبيلة يسّر يعود إلى ظروف المقاومة كما سبقت إليه الإشارة بالإضافة إلى تميّز سكان سهل يسّر بالاستقرار أكثر مما يصعب إلغاء حثهم في الأرض.

ج- إجراءات تحويل الملكية العقارية

لقد تحولت الجزائر منذ عام 1848 إلى قبلة للكربوناريين ⁽¹⁾ (وهم اشتراكيو المذهب) الذين نفوا على أعقاب ثورة فيفري 1848، على غرار ما تعرض له أولئك الذين لم يكن مرغوبا فيهم بباريس بعد الإطاحة بالملك شارل العاشر ⁽²⁾ في جويلية 1830 من طرف الجمهوريين. مما جعل التيار الاشتراكي أكثر انتشارا بين الأوروبيين بالجزائر وعلى ضوء تلك الأفكار ألزم الجنرال بيجو المستوطنين بالاستغلال

³ - أنظر:- (W) PADEL et (L.) STEEG; *La législation foncière Ottomane*. Ed. Fedone, (s. d.) (350 p.). P 21

¹ - أنظر:- (Marcel) - EMERIT; *La Révolution de 1848 en Algérie. Mélange d'histoire par (Pierre)* Ed. BOYER, (Marcel) EMERIT, (Lucien) GENET, (Laure) KLINGER et (Pierre) MENEZO. Larose Paris 1949. - Chap. L'Esprit de 1848 en Algérie par (M.) EMERIT. Pp. 13 - 28

² - الكربوناريون: مناضلو التيار الكربوناري. تأسس هذا التيار لتحرير نابولي الاحتلال الفرنسي جنوب إيطاليا. أمّا عن أصل التسمية فإنها تعني الفحامين إي الذين يشتغلون بصناعة الفحم الخشبي بغابات إيطاليا أين كان يختفي أصحاب المقاومة. أمّا عن دورهم في فرنسا حيث انتشر هذا التيار نجد الكربوناريين الفرنسيين وراء ثورتي عام 1830 و1848.

أنظر:- Ibid. - Chap. vi; Un carbonaro*, Instigateur de la politique du "Royaume arabe" Pp. 87 - 107
* - الكربوناري المقصود هنا هو إسماعيل عريان المقرّب من الإمبراطور لويس نابليون.

² - شارل العاشر: من عائلة آل بوربون التي عادت إلى العرش بمساعدة المحافظين المجتمعين بغيينا عام 1815. لكن شارل العاشر لم يساير ذلك التطور وتلك الإصلاحات اللذان عرفهما المجتمع الفرنسي وعلى وجه الخصوص الطبقة البرجوازية واللذان كان أخوه لويس الثامن عشر قد شرع في تنفيذهما. وما حملته على الجزائر إلا لتغطية أعماله الاستبدادية وامتصاص غضب العاطلين عن العمل والمسرحين من العيش وفي نفس الوقت تعويض ما خسره فرنسا من مستعمرات

الجماعي للأرض⁽¹⁾، خاصة وأن معظم المنظرين للاستيطان هم من المتشبعين سياسيا واقتصاديا بمبادئ الاشتراكية⁽²⁾. ومن أبرز دعاة تطبيق الاشتراكية بالجزائر هم من التيار اليساري سيموني، وفي طليعتهم أونفونتان⁽³⁾ وعربان. ويظهر الاتجاه الاشتراكي عند هذا الأخير من خلال محتوى كتابه "الجزائر للجزائريين"⁽⁴⁾

أما عن مصطلح الجزائريين فإنّ عربان، أقصى منه الأهالي، كما ركّز في عرضه على حالة الملكية العقارية عند المحليين على ضرورة تدّخل الدولة (الحكومة الاستعمارية) وبقوة في إعادة تشكيل الملكية بالجزائر على أسس جديدة لكي تتمكن من إدارة العقار والتحكم فيه وبقوة في تشكيل الملكية بالجزائر لكي تتمكن من إدارة والتحكم في العقار لقد غد من غير الممكن في نظر عربان إبقاء ملكية الأرض في يد الأهالي⁽⁵⁾، والسير في نفس الوقت على النظام المعمول به بفرنسا، هذا عندما يتعلق الأمر بالأوروبيين بالطبع.

1 - المصدر نفسه. ص. 49

2 - أنظر: TAILLIARD; L'Algérie dans ...op. cit. (675 p.) p. 75 (Ch)

3 - 1 - أونفونتان (ENFANTIN Barthélemy-Prosper): أحد أتباع سان سيمون. شارك في تأسيس جريدة "المنتج" (Le producteur) عام 1825، "الكرة الرضية" (Le globe) عام 1830. و أثناء إقامته بمصر بين عامي 1833-1837 اقترح على محمد علي باشا فكرة شق قناة السويس، لكن لم يتمكن آنذاك من إقناع الباشا. أمّا فيما يخصه بالنسبة للجزائر فإنّه ألف كتاب عنوانه "استعمار الجزائر" (La colonisation de l'Algérie)، يعرض فيه تصوره لإنجاح احتلال الجزائر مركزا على أمن المستوطنين ... مع التنبيه إلى أنّ الاستيطان أمر ضروري للحفاظ على المستعمرة مدعما اقتراحه هذا بإرجاع زوال الاستعمار الروماني من الجزائر إلى غياب العائلات الرومانية الاستيطانية بالجزائر، عكس ما قام به الوندال والعرب ...؟

أنظر: ENFANTIN; Colonisation de l'Algérie. Paris 1843. (529 p.) P.12 (B-P).

2 - 2 - نظرة: اعترف أونفونتان بعد زيارته للجزائر أنّ النظم الاقتصادي المعمول به من طرف القبيلة يعكس الصورة الحقيقية للاشتراكية البدائية

4 - "الجزائر للجزائريين": كتاب من 164 صفحة لصاحبه إسماعيل عربان تحت اسم مستعار (فوازان جورج) (VOISIN GEORGE) كما استنتجته جريدة "أخبار" من خلال تطابق الأفكار وأسلوب الكتابة بين مؤلفات الشخصيتين. حررت صفحاته وفق ما تضمنه الخطاب الذي ألقاه الإمبراطور الثاني نابليون الثالث في 19 سبتمبر 1860 بالجزائر والمتضمن فكرة "المملكة العربية".

5 - أنظر: (GEORGE) VOISIN; L'Algérie pour les Algériens. Paris 1864. P. 1

لذا يستلزم وضع نظام جديد قائم على مُصادرة الأرض مع دفع التعويضات إن اقتضى الأمر ذلك. ويؤكد عربان في اقتراحه هذا على وجوب العناية بالعقار الريفي وأن يُسمح بحركة الملكية الفردية بالمدن (بيع الأهالي وشرائها من قبل الأوروبيين). وبعد أن منحت الحكومة العامة لنفسها حق التصرف في "أراض العنوه" أي "أراضي الدية" (1) وأراضي الوقف (2)، والأراضي الميثة، وتلك المصادرة تحت غطاء المنفعة العامة (3) والأراضي الشاغرة، والتي لا يوجد من يرثها بعد وفاة صاحبها (4) وتلك المُتبرع بها (5) والتي يغيب عنها أصحابها لمدة طويلة (6) وحتى أراضي المطمورة لم تُستثنى (7). وبعد إن استولت على كل هذه الأصناف وغيرها من ما لم يذكر، لجأت الحكومة العامة إلى إصدار تعديلات قانونية لتوسع من العقار الذي صار في حوزتها. ومن أهم المراسيم التي صدرت في شأن الملكية العقارية نحتفظ بتعليمية 21 أوت 1839 التي تأسست بموجبها إدارة العقار بالجزائر (8) لما لها من دور في قُرْنَسَةِ

1 - أنظر: GIRAULT; Principe de... Op. Cit. Le régime des terres en Algérie lors de la (A) -

..conquête Pp.308-311

2 - أنظر: IN صبط ممتلكات البايليك من طرف إدارة الاحتلال يستدعي الوقوف على المناطق التي كان أصحابها يدفعون الخراج لأن أصحابها كانوا ملزمين بدفع 1/10 إنتاجهم أي العشر لخزينة الدولة مقابل احتفاظهم بالأرض
انظر: JOBERT; Op. Cit. 10 (H)

2 - المصدر نفسه. ص. 17

3 - المصدر نفسه. ص. 23

4 - المصدر نفسه. ص. 66

5 - المصدر نفسه. ص. 43

6 - المصدر نفسه. ص. 43

7 - المصدر نفسه. ص. 62 وما تليها

8 - أنظر: MENERVILLE; Dictionnaire... Domaine § 1; Ordonnance 21 août 1859 - (M.P) -

Constitution et administration du domaine de l'Etat. -Chap. 8 Du domaine. §1- Domaine de l'Etat. P.281

تشمل أملاك الدولة: - العقارات التي صارت بموجب قرارات عادية موجهة لخدمة الصالح العام والمعوضة من أموال الدولة. - تلك التي تم أو سيتم الحصول عليها عن طريق إرادات أو رؤوس أموال من صندوق الخزينة المالية. - تلك التي لم يكن مدخلها في ظل الإدارة السابقة، استغلال خاص من قبل أهالي المدن، الدواوير، الوطان، القبائل أو المقاطعات أو تلك التي لم تكن ملكية جماعات، تجمعات

العقار مع ترسيم الملكية المطلقة لحكومة الاحتلال منذ بداية الغزو⁽¹⁾.

إذن ليست أراضي أوطان بني مناصر وأهل يسّر (بمنطق نص المرسوم) معنية بقانون 21 أوت 1839 ما دامت خارج دائرة قبضة القوات الاستعمارية و أنها لازالت ضمن نطاق الدولة الوطنية. أمّا عن القوانين التي صدرت في عهد الحاكم العام ويجو نذكر التعليم الملكية الصادرة في 1 أكتوبر 1844⁽²⁾ والمتعلقة بتأسيس الملكية العقارية بالجزائر على أساس الوضع الجديد.

1- السيطرة على "الأوطان"

أمّا عن كيفية إخضاع أملاك الأهالي للتشريع الفرنسي، كانت القرارات الاستعمارية يُسائر صدورها الظروف، وحسب طبيعة ردود فعل كل قبيلة. ونظرا لنفور الأهالي من العيش تحت حكم الغزاة، فضل البعض منهم بعد سنوات طويلة من المقاومة، الهجرة وترك الديار عن البقاء في دائرة الحكم الاستعماري. صار إذن العديد من العائلات الكبرى ومثلها من القبائل بعد مغادرتهم أوطانهم خارج الدائرة القضائية لحكامهم الطبيعيين. فاعتبر الحاكم العام هذه الوضعية وضعية جد خطيرة لكونها ستعطل، بل ستبطل القرارات التي كان يجو يسعى إلى تمررها عن طريق المشايخ. وكونها ستفقد السلطة الاستعمارية سيطرتها على الأهالي إذ هي تمنح فرصة هروب بعض أفراد العائلات التي كان ولاؤها مشكوكا فيه. ومن ثمّ فخرج هؤلاء وأولئك من دائرة مراقبة الإدارة الاستعمارية

سكانية. - الملكيات المهجورة. - الملكيات الشاغرة و بدون ملاك.

¹ - المصدر نفسه، ص. 278

² - ¹ - المصدر نفسه، ص. 278 - تم تسجيل التعليم الملكية 21 أكتوبر 1844

Montagne; Commentaire Explicatif et critique de (D.J) -

² - أنظر:

l'ordonnance royale du 1 octobre 1844 sur la propriété en Algérie, Alger 1845

سيمكّنهم من التحرك بكل حرية وبالتالي هم يشكلون خطراً من جديد على المصالح الاستعمارية. لذا عمدت الحكومة الاستعمارية على إصدار تعليمة 30 سبتمبر 9 أكتوبر 1844 تحت رقم 19 والتي تنص على ضرورة القيام بإحصاء القبائل. إجراء مفاده تحقيق الأمن للمستوطنات عن طريق التحكم في تحركات القبائل التي هي في مثل هذه الوضعية وملاحقة أفرادها.

فكان على اللجان المكلفة بعملية الإحصاء تقديم تقارير دقيقة عن كل من هجر أوطانه، مع التركيز والتدقيق فيما جعلهم يواصلون البقاء على الأرض التي ترى فيهم الإدارة أجانب عنها. وعلى المحققين تقدير الحالات الاستعجالية التي يمكن أن تتخذ في شأنها الإدارة الإجراءات اللازمة، كإعادة هذه أو تلك العائلة إلى قبيلتها أو إبقائها حيث اختارت الاستقرار. وعلى اللجان تقديم اقتراحات مناسبة حول الطريقة والفترة المناسبة لتنفيذ عمليات التحويل التدريجي للقبائل التي صدر في حقها مثل هذا القرار. تُكتسب الملكية العقارية وفق المكان والزمن وذلك حسب ما تُحدّد متطلبات السياسة. وما دام يُنظر إلى الملكية على أنها تجسد ذلك الارتباط القوي القائم بين الأشخاص (كانوا طبيعيين أو معنويين) والأرض، ارتأت حكومة الاحتلال بضرورة تكسيه باستبدال العنصر المحلي بالعنصر الأوروبي الذي صار مقيماً على أرض محتلة. وعليه فإن الهدف المتوخى من احتلال هو استبدال حق شرعي بحق جديد لأن الأول لم يكن يستجيب ولا ليطماش وأغراض المستعمر.

أمّا عن إخضاع أراضي القطر ككل إلى القانون الفرنسي، في الواقع، لم تدم تجربة حكومة باريس أكثر من سنتين أي ما بين عامي 1858 و 1860 حيث حاولت الإدارة تطبيق سياسة "إدماج القطر" (

الجزائر والمستوطنات لكن دون جدوى. (L'assimilation du territoire) (1) على إثر استحداث وزارة

2 - استغلال الظروف غير العادية

لن يفوت المحليون حسب الإدارة الاستعمارية، فرصة جهل هؤلاء لتركيبة الأسماء الشخصية والعائلية ونظام الأنساب بالجزائر، فبيعت للمستوطنين مساحات وهمية من حيث الموقع والحدود وعلى الخصوص من حيث تعدد المدّعين من أفراد العائلة أو القبيلة بشرعية الملكية، مما فتح المجال أمام البعض فرصة انتحال شخصية صاحب الأرض الشرعي. إذ غالبا ما استغل تشابه الأسماء بين أبناء العمومة لزعم أن المدّعي هو صاحب هذه أو تلك القطعة مستغلا (2) لقد أفرزت حتمية إنشاء المستوطنات وضمان أمن المستوطنين خلال السنوات الأولى من الاحتلال ثلاثة توجهات سياسية يسعى أصحاب كل تيار التأثير من على صنّاع القرار في باريس (3) لم تستفد الإدارة الاستعمارية للعقار عام 1830 (4) من أراضي أوطان بني مناصر وحلفائهم ولا من تلك التابعة لأهل يسّر لأن قانوني المصادرة

1 - 1 - أنظر: (M) - EMERIT; La Révolution ... op. cit. - Chap; VI: EMERIT; UN Carbonario... p 87-106

RINN; L'Algérie Assimilée. Etude sur la constitution et la (Louis) - réorganisation de l'Algérie Ed. Constantine -Paris 1871. (160 p.)

2 - أنظر:

ROBE; La (E) -

2 - أنظر:

Lois ..., op. cit. p

3 - المصدر نفسه، ص. 4 - 27

MENERVILLE; Dic... op. cit. - Domaine- p. 278. " Dès le 1 (M.P) -

4 - أنظر:

septembre 1830, un directeur des domaines et revenus publics et quelques agents sous ses ordres furent nommés pour diriger cet important service

(¹) والحجر (le séquestre) الصادر في 8 سبتمبر 1830
 (²) كانا ساريا المفعول على تلك الأوطان الغزو لم
 يطاء بعض أطرافها إلا في ديسمبر 1840.
 أمّا عن قانون العقار فإنّه معرض للإثراء يوميا
 تماشيا مع ما يسفر عن المعارك العسكرية. وعليه
 فمع سقوط مدينة شرشال في ماي 1840 أدخلت
 الحكومة العامة إضافة على قانون الحجر يمكنها من
 وضع حزام اقتصادي هذه المرة حول المدينة، إذ ينص
 القانون على أنّ الحكومة العامة تمنح لكل عائلة
 بالإضافة إلى مسكن في المدينة مساحة عشرة
 هكتارات على أطراف المدينة، علما أنّ شرشال تعدّ
 أول مستوطنة أعلن عنها 29-20 سبتمبر 1840
 باستقبالها مائة عائلة أوروبية (³). فبهذا الحزام
 الاقتصادي الأمني، تكون نظريا (⁴)، الحكومة العامة
 قد استولت عند نهاية السنة على 10000 هـ من أجود
 أراضي بني مناصر.

11 - ؟ - أنظر: Ibid.; - Expropriation publique - Arrêtés du G. G. ou du G. en Chef: 26 oct. 1830, -
 319-329 p. Règlement sur l'Expropriation publique. 17 Oct 1833 -

2 - ؟ - أنظر: JACQUES; Du Régime de l'Expropriation pour cause d'utilité publique en (A) -
 (234 p) . Paris 1901. Algérie

3 - ؟ - أنظر: WURTZ; De l'expropriation pour cause d'utilité publique. Ed. Jourdan Alger 1886. -
 (68 p)

2 - ؟ - يمكن تعريف الحجر بـ " وضع يد الدولة على الممتلكات العقارية والأراضي
 الصالحة للزراعة للشخص أو لجماعة " يعلن عنه عن طريق قرار يصدره الحاكم
 العام أثناء اجتماع مجلس الحكومة.

GIRAUT; Principes de colonisation ...op. cit. (Arthur) - أنظر:

237.

2 - ؟ - أنظر: MENERVILLE; Dictionnaire...op. cit. p. 612 -

قرار الحكومة العامة 1-3 ديسمبر 1840 المتعلق بقائمة القوانين التي ضربت
 الملكيات الخاصة بالأهالي بالحجر. يسير هذا الأخير انطلاقا من تاريخ استئناف
 الهجمات خاصة عند مغادرة الأهالي الأراضي التي استقر بها النفوذ الفرنسي
 والتي تسعى الحكومة العامة الوصول من خلال إدارة الحجر الوصول إلى أراضي
 الخصوم أي الوصول إلى كل من شرك في الاعتداءات وسلط النهب على السكان
 الأوروبيين وعلى القبائل التي أعلنت خضوعها لأنّ ذلك يعتبر فعل موجه ضدّ
 فرنسا. ومن ثمّ يستلزم تطبيق قوانين الحرب على هؤلاء بالاستيلاء على الأراضي
 التي كانوا يقيمون عليها وحجر أراضي الملك

3 - ؟ - أنظر: Ibid.; A.G. 20-29 sept.1840 - Colonie de Cherchell - art. 2. P.658 -

4 - ؟ - أنظر - Ibid- art. 6: Le district de Cherchell restera en état de guerre tant que la situation du pays
 restera cette disposition..." P. 658

لوضع حدٍّ لتجارة العقار الفوضوية (بيع بدون عقود) التي سادت خلال السنوات الأولى من الاحتلال وضعت الحكومة العامة قانوناً يلزم المحليين والأوروبيين بإبرام عقود الملكية الجديدة في حدود التشريع الجديد وتحت إشراف السلطة

أمّا عن التزام الحكومة الاستعمارية تجاه المحليين فإنّه قد سقط مع تجاوز المرحلة الصعبة بالنسبة لها من الغزو - التزام اقتضته إستراتيجية الحرب - وعليه تمثلت استجابتها لمتطلبات الاستيطان في فتح كل القنوات أمم تحويل ملكية الأرض من التشريع الإسلامي إلى القانون الفرنسي وذلك قبل الإعلان على أنّ الجزائر أرض فرنسية عام 1844⁽¹⁾.

إنّ مواجهة أهل يسّر وبني مناصر للغزو وصمود مدنها الإستراتيجية طيلة عقدٍ ونيفٍ من الزمن، وتنسيق جهودهم مع الأمير عبد القادر يطرح أكثر من تساؤل حول ماهية الملكية العقارية بأوطان أهل يسّر وبني مناصر عامة وحصّة الدولة بها (أملاك البايليك). وهل تمكن الأمير عبد القادر وهو في حالة حرب من تنظيم العقار بشكل مخالف لما كان عليه هذا الأخير قبل عام 1830؟ وتطرح في نفس الوقت إشكالية الإجراءات والطرق التي ستمكن إدارة الاحتلال من ضبط أنواع الملكيات بتلك الأوطان انطلاقاً من طبيعة العلاقة السياسية لأهاليها بالإدارية المركزية.

أجمعت المصادر التي تمّ الإطلاع عليها على أنّ بني مناصر كانوا يتمتعون بالحرية المطلقة في استغلال أوطانهم خاصة منحدرات الظهرة الشرقية، وبالتالي لا يمكن الحديث في هذا المجال عن وجود أملاك الدولة فيها. إنّ مثل هذه الوضعية توحى بغياب أو على الأقل ندرة أراض البايليك في القسم الجبلي من أوطان بني مناصر في حين هي واسعة الانتشار

¹ - أنظر: VOISIN; *L'Algérie...* op. cit. . Paris 1861. p. 5 (G) - ؟

في التل خاصة تلك الأوطان التي يخترقها الطريق السلطاني، إنَّها تحت إشراف المخازنية، أمَّا بالنسبة لأوطان يسرّ فالأمر هنا يختلف، مادامت الوضعية الإدارية لأهالي السهل بالنسبة للحكومة المركزية تختلف عن وضعية بني مناصر. مما جعل أملاك الدولة بحوض يسرّ أكثر انتشارا و تنوعا وأكثر أهمية. فمنها ما يتمثل في الأراضي المخصصة لمكافأة رعايا الدولة أي تلك المساحات التي تمنح عادة لأهل المخزن مقابل خدمات لصالح الدولة. فتارة تمنح على شكل اقطاعات وتارة أخرى على شكل تمليكات بعقود ظرفية غير قابلة للتوارث، إذن فإنَّ لجوء الإدارة الاستعمارية إلى تطبيق سياسة التجميع على بني مناصر يعود لندرة أملاك البايليك وعدم توفرها بالقدر الكافي لإنشاء المستوطنات ناهيك عن صعوبة مسالك بها. في حين يفسّر تأخر عملية الاستيلاء على ما اعتبرته الإدارة الاستعمارية ملك للبايليك بأوطان أهل يسرّ إلى ظروف الحرب، كما سبقت إليه الإشارة، مع العلم أنَّ أهالي المنطقة يتميزون بالاستقرار أكثر لما يوفره السهل من شروط زراعية.

د - قنوات تحويل العقار إلى التشريع الفرنسي

1- عن طريق التجميع المقتن

إنَّ سياسة التجميع التي مهدت واصطحبت مسألة تحويل العقار منذ بداية الغزو توجت لنجاعتها في إخضاع الأهالي الذين أنهكتهم حروب الإبادة بالترسم. لقد أخذت سياسة التجميع بصدور قانون 16 أفريل 1851 طابعا شرعيا بوضعه حدا للتجميع عن طريق التعليمات والأمريات. لقد طرحت مسألة العقار بجدّ عام 1844، فهناك من لم يتحرّج من إبادة المحليين للاستحواذ على الأرض كما جاء في اقتراح ديفونتان (DES-

(FONTAINES)، وهناك من اقترح على رأي لورانس (LAURENCE) شراء الأراضي من أصحابها، وهناك من كان يفصل مواصلة سياسة الردع عن طريق إحراق المحاصيل الزراعية التي كان بيرنارد (BERNARD) يرى بأنها العملية التي ستنتهي حتما بتجميع الأهالي على أفقر الأراضي، في حين فضل ينجو الجمع بين كافة الآراء ونفذها بإحكام في تجميع القبائل الواحدة تلوى الأخرى مبتعدا إلى حد ما عن تعدد الجبهات، ليتفرغ لتوجيه ضرباته للأمير عبد القادر انطلاقا من المنطقة التالية لأسباب استراتيجية أي تأمينا للطريق السلطاني من قسنطينة إلى وهران مروراً بالجزائر. هكذا تعود المحاولات التجميعية الأولى التي تعرض إليها بني مناصر إلى قرار 6 مارس 1841 الذي أقر بموجبه الحاكم العام عدم القبول بالاستسلام الفردي ولا بالخضوع الجزئي للقبيلة. ورفض في 17 جوان 1842 الجنرال ينجو بالفعل قبول استسلام سيدي قدور البركاني أغا بني مناصر بمفرده (1) - وهذه بعض الإجراءات التمهيدية لسياسة التجميع الجديدة:

- 1 - إحصاء المسالك والطرق التي تسلكها القبائل على أساس أنها محسوبة لصالح البايليك. مع تحديد طبيعة وسائل النقل المستعملة من طرف كل قبيلة.
- 2 - وضع أمن الطرق والمسالك تحت مسؤولية القبائل الأوطان التي يقطع الطريق.
- 3 - إلزام القبائل على تزويد الأسواق الأوروبية بالمواد الأساسية.
- 4 - حرق المحاصيل الزراعية والقرى أو جزء منها كما فعله دو بار (DE BAR) مع بني مناصر في مطلع جانفي 1843.

إذن تهدف الحكومة الاستعمارية من وراء تجميع القبائل بهذا الشكل إلى إحكام قبضتها أكثر على

op. cit.

1 - أنظر: GERMAIN; La ... politique (R)

الأشخاص الفاعلة. كما سيساعدها ذلك على ضبط وإحصاء فروع القبيلة الواحدة، ومن ثمّ فهم قاعدة القبيلة والتحكم أكثر فيها.

ومع الإقبال المتواصل للأوروبيين أصدر المارشال بيجو للحصول على المزيد من الأراضي، تعليمة 10 أفريل 1847⁽¹⁾، يسعى من خلالها أqlمة سياسته التجميعية مع الأوضاع الجديدة التي بلغها الاحتلال سياسيا وعسكريا. وفيها يشرح بيجو لضباطه كيفية التعامل مع الأهالي لاقتطاع مساحات جديدة من أراضيهم. فجاء فيها: "... ليس الهدف انتزاع الأراضي من الأهالي ولا ردعهم (refouler) ولكن حصرهم (resserrer) على جزء من الأراضي التي يملكون منذ زمن بعيد⁽²⁾

هذا إلى أن صارت الحكومة الاستعمارية في مطلع الخمسينيات من القرن التاسع عشر ميلادي على أتمّ الاستعداد للشروع في تنفيذ الخطوة الثانية من مشروع الاستيلاء على أراضي الأهالي. خطوة مبنية على فكرة إيهام هؤلاء بأنّ جميعهم لن يضمن لهم حق الملكية الجماعية فحسب، بل سيضعهم على الطريق السليم التّخضّري، خاصة وأنّ أراضي العرش (أراض معسكرات الحصر) ستقسم لاحقا بينهم على أساس ملكية فردية.

أمّا عن الظروف التي شُرّع فيها "قانون التجميع" الصادر في 16 أفريل 1851 فإنّه جاء في وقت كانت فيه حكومة باريس تمرّ بظروف عصيبة. إذ كان على الملك لويس فيليب أن يواجه مخلفات المجاعة التي ضربت فرنسا عام 1846 حيث زاد الفقر تفاقمًا، ومواجهة بعض ضباط الجيش الفرنسي الذين أخفق في استمالتهم لسياسته. هذا في حين كانت الأوضاع بالجزائر تتسم بهدوء نسبي حيث سمح ذلك بعودة

MENERVILLE; Dictionnaire...Op. Cit.- Circ.G. 10 avril (.M.P) -

1847 -politique, colonisation. P.186

1 - أنظر:

Ce n'est pas de les déposséder de leur terre et de les refouler mais de les ..."

2 -

"...resserrer sur le territoire qu'ils possèdent

الأهالي إلى استئناف أنشطتهم العادية من وحرث وزرع.

وتحسبا لما يمكن أن تنجر عن عجز الدولة في تجاوز تلك الوضعية المتأزمة (اقتصاديا، اجتماعيا، سياسيا) من عواقب وخيمة، استغل لويس فيليب ذلك الهدوء، لانشغال مواطنيه وجيشه بالمستقبل الزاهر الذي ينتظرهم بالجزائر، خاصة وأنه تمّ تسجيل نتائج إيجابية للعمليات الاستيطانية الأولى والتي كان لنشاط المكاتب العربية دورا كبيرا في تحقيق هذا الإنجاز. أمّا عن ذلك الاستقرار ترجعه الإدارة إلى حثّها الأهالي على العناية بالغرس والعودة إلى أنشطتهم التجارية (من جديد) بجديد والاعتناء بمساكنهم وبناء المطاحن...⁽¹⁾. يتوفر في ذلك ما يمكن الحكومة الاستعمارية من المزيد من مراقبة خاصة من خلال ربط الأهالي بالمطاحن العمومية. لكن ذلك الهدوء لا يغدو عن كونه هدوءا يسبق العاصفة أو هو ينذر بدنوها، إذ لم يدم طويلا. فتقسيم أراضي القبائل التي وقع عليها الاختيار لتنفيذ قانون التجميع (الأعراش الإدارية) بين فروعها وفروع القبائل المجاورة لها كان كافيا لتفجير الوضع من جديد.

نقلت جريدة "المبشر" أخبارا على الوضع في مليانة آنذاك هذا ما يلي: "... قد كان سعادة جنرال العمالة أمر ساير الأعراش بدفن الحبوب في المظمور المعين ولما كان القائد محمي الدين خالف الأمر جعلت عليه ثلاث مائة فرنك خطية لعدم امتثاله وكان من لم يعمل بمقتضى هذا الأمر تلزمه الخطية. ولما وقعت فتنة بين أولاد حامد من بوغار وأولاد عزيز الشراقة من مليانة بسبب قسمة الأراضي وجرح بعض الناس من عرش أولاد عزيز قدم أصحاب بيرووات العرب لبلادهم وقسموا الأرض على نصفين وخدمت

¹ - الجنرال روندون؛ مقال إعلامي. جريدة المبشر 16 يناير (جانفي) 1852

فتنتهم حيناً ثم جعلت خمس فرانك على العرشين
خطية وفرضت بينهم الدية...⁽¹⁾.
اتخذ إذن تجميع الأهالي الذي هو في الأصل فكرة
عسكرية، أبعاداً جديدة في نطاق الاستيطان، حيث
تواصلت عملية ردّ بعض القبائل ونقل البعض الآخر
إلى مواطن جديدة تكون من اختيار الإدارة بعيداً عن
المواطن الأصلية للقبائل أو بعض فروعها. ويُحصر
البعض الآخر على أفقر قسم من أوطان القبيلة⁽²⁾.
كما قيّد قانون التجميع لعام 1851 تصرف الحاكم
العام في العقار؛ وأطلق العنان للشركات الرأسمالية
الكبرى مقابل مساهمتها في تمويل خزانة الحكومة
العامّة بقرضها مبالغ مالية، مما سيخفف عليها أعباء
الأشغال العمومية⁽³⁾.

ولعلّ من أهم انعكاسات قانون التجميع هذا،
تراجع استعمال مصطلح "القبيلة" ليحلّ محله في
مطلع الخمسينيات من القرن التاسع عشر مصطلح
"العرش"، حيث وردت في تقرير توليت سي حامد بن
عليّ على بني مناصر الجبال الصادر في 15 مارس
1852⁽⁴⁾ العبارات التالية: "... قاضيا على عرش بني
مناصر...". تميزا بين هؤلاء الذين صاروا إدارياً
مرتبطين بمليانة وأولئك الذين أبقتهم الحكومة
العامّة على ارتباطهم بإدارة بشرشال. كما اتخذت
الحكومة الاستعمارية ببعض الإجراءات الوقائية

1 - [?] 1 - جريدة الميشر 31 يناير (جانفي) 1852

2 - [?] 2 - جريدة الميشر مارس 1852

3 - [?] 3 - أنظر - ROBE; Les Lois de la Propriété Immobilière en Algérie. Alger.1891.(417 p.). P. 41 (E)

عرفت القرارات الصادرة منذ 1851 و المتعلقة بملكية الأرض وطبيعة حق القبيلة
في الأرض جدلاً حاداً حول الملكية الجماعية للأراضي المستغلة بشكل دائم مهم ...

2 - [?] 2 - أنظر: REY-GOLDZEIGUER; Le Royaume Arabe la Politique Algérienne de (A) -

Napoléon III

1861-1870. SNED. Alger 1977. P.150

3 - [?] 1 - أني ري - غولديغير؛ المرجع نفسه، ص. 149.

2 - [?] 2 - نسجل هنا بأن قانون التجميع جاء ليرسخ أراضي القبائل ضمن أراضي الحكم
العسكري

4 - [?] 2 - أنظر: جريدة الميشر 15 مارس 1852

لاحتواء أي طارئ. فأنشأت الفنادق وحوّلت نقاط تسويق الأهالي المعتاد عليها أسبوعيا إلى نقاط هي من اختيار المكاتب العربية.

أمّا بالنسبة للفنادق فإنّها عبارة عن محطات استقبال لكلّ مهتم بالاستقرار بالجزائر. وبالتالي كانت موجهة لتقريب زبائنهم من وراشات الاستيطان. ومن الفنادق المطوّقة لمعسكر تجميع عرش بني مناصر الجباله نذكر فندق عين الكحلة الواقع بين مليانة وثنية الأحد المدشّن في 20 ماي 1853 إي بعد خمسة عشر شهرا من خلق عرش بني مناصر الجباله. وفندق يتوسط الطريق الساحلي الرابط بين شرشال ووادي الداموس وفندق ثالث بين هذا الأخير وتنس. ولم يعد يُقبل في عهد الجمهورية الثانية خضوع الأعراس إلّا وفق الشروط المحددة من قبيل الإدارة الاستعمارية. فأرغم الأهالي على التردد على أسواق المستوطنات والأسواق الجديدة.

إنّ تحويل سوق السبت (وطن السبت) غرب أوطان حجوط الذي كان يقصده بني مناصر وتحويل سوق الأربعاء بنفس المنطقة إلى سوق القرية الاستيطانية مارانكو (Marengo) ⁽¹⁾ يشهد على أنّ الإدارة الاستعمارية تسعى إلى التحكم في تحركات الأهالي. هذا مع مواصلة تشيد المتاريس والحصون ⁽²⁾. ومن ركائز الاستيطان مساهمة الأهالي في إنجاز بيت للأغا - بيت الحكم - وفي تكليف الأشغال العمومية كالطريق الرابط بين الأرهاط وقوراية ⁽³⁾ تعطلت جلّ المشاريع بل سجلت أشغال الطرقات وبيت الأغا بعض التراجع لتصاعد مقاومة بوبغلة ولالا فاطمة انسومر في حين انتشرت ديار العسة (الحراسة) على طول الطريق الرابط من خشنه إلى

1 - جريدة الميشر 15 مارس 1852

- L'ILLUSTRATION année (J)

2 - أنظر:

1850 p.344 et suivante

3 - جريدة الميشر 1 أكتوبر 1852

سيباو كل عشر كلومترات (1). سياسة التجميع هذه مفادها ضرب مقوماتها صمود القبائل. خاصة وأن هذا الأخير لا يقاس بعدد الأفراد وإنما بقوة تلاحمهم.

2 - عن طريق التعديلات الإدارية

ارتأى الحاكم العام الجنرال راندون، بضرورة التريث وعدم التعجيل، تحسبا لأي طارئ، وخوفا من عدم السيطرة على ردود فعل محتملة عن محتوى قانون 16 أبريل 1851، فانتهج سياسة التدرج في التنفيذ خلال السنة مع مراعاة في فتح المعسكرات التجميعية الجديدة قربها من القطعة المركزية المخصصة لغرز مستوطنات أوروبية مستقبلا. ولم تتوقف سياسة التجميع عند ما تضمنته تعليمة 16 أبريل 1851 فحسب بل تلتها العديد من التعديلات عن طريق التعليمات (les circulaires) التي كانت تحمل كل مرة مبرراتها من وحي الظرف ومصلحة الاستيطان تشدد من خلالها إدارة الاحتلال الحصار على القبائل مع تضيق عليها مواطن التجميع. فمن تعليمة 19 جوان 1856 إلى تعليمة 20 ماي 1858 إلى غيرها من التعليمات التي تصب في سياق واحد ألا وهو توسيع أراضي المستوطنات وتأمين المساحات الضرورية لذلك (2)

إن ما جاء في تقرير وزير الحربية رونود الموجه إلى الإمبراطور نابليون الثالث عام 1857 يؤكد على أن التعليمات الخاصة بالتجميع للانتقال بالملكية الجماعية (أراضي العرش) إلى الملكية المشخصة وهي فرصة لإضافة مساحات جديدة لمصلحة الاستيطان. كما اعتمدت الحكومة الاستعمارية في

1 - جريدة المبشر 15 نوفمبر 1852

2 - العودة إلى المنشور الوزاري الموقع عليه من طرف الكونت دي شاسلوب لوبات (Comte De CHASSELOUP-LAUBAT) الصادرة في 7 سبتمبر 1858 والتي تتناول كيفية التحضير للاستيطان مع التركيز على تجميع الأهالي في معسكرات، دائرة المستوطنة... إلحاق الأراضي بأملك الدولة مع التأكيد على أن في كل لحالات تعد أمرية 26 أبريل 1851 أرضية للقرارات اللاحقة. - أنظر: مينارفييل؛ المصدر نفسه. ص. 192 وما يليها.

**إطار الاستحواذ على المزيد من العقار على الإدارة
عن طريق:**

1 - شراء الأراضي من طرف الأوروبيين، يرفع عن الأرض مباشرة حصانة القانون الإسلامي. إذ ستخضع من لحظة البيع إلى القانون الفرنسي، في حالة بيع ثانية أو تقسيم بين ورثاء أو شركاء وحتى في حالة إعادتها إلى صاحبها الأول أي صارت من جديد من نصيب مسلم.

2 - يخضع أي عقار للقانون الفرنسي بمجرد أن تتم عملية انتقال الملكية - حتى في حالة البيع والشراء بين المسلمين - عن طريق عقود عقارية في شكله الفرنسي توثيقا وإداريا.

3 - عن طريق التقاضي أمام المحاكم الفرنسية، التي ستنظر في العقود ثم تصدر أحكامها بالحق القانوني انطلاقا من روح التشريع الفرنسي.

4- تنتقل أيضا مع توثيق المسلم ملكيته عن طريق المؤسسات الاستعمارية إذ يكون بذلك قد وضعها تحت حماية القانون الفرنسي.

5- وعندما يثبت أن الأرض كانت ملكية سابقة لحكومة الديوان (البابليك).

هذا إلى أن ضمنت الحكومة الاستعمارية هيمنتها العسكرية على معظم التراب الجزائري حيث تبذرت شيئا فشيئا ازدواجية قانون العقار لصالح القانون الفرنسي بتنظيمه الاستعماري العسكري والمدني⁽¹⁾

كما ساهمت التعديلات المتتالية التي يعرفها التنظيم البلدي في توفير كل مرة المزيد من الأراضي لمصلحة الاستيطان، إذ لا يتوقف نشاط البلدية - مهما كان نوعها - عند الإشراف على الأحوال الشخصية والإحصاء فقط. فعمليات ضبط حدود البلديات سيُمكن المصالح العمومية من الكشف على

ROBE; *La lois de la propriété...* op. cit. (Eug) -

¹ - أنظر:
p.4 et suivantes

أملك البايليك العقارية وجردها مع تحديد مواقعها
وتقدير قيمتها، ويساعد على إنجاز المشاريع الكبرى
للدولة كمد الطرق البرية (1)

3- عن طريق مسح الأراضي (2)

يرجع بعض المنظرين الرأسماليين تأخر استثمار
أصحاب رؤوس الأموال بالجزائر إلى غموض وضعية
العقار، ولا يمكن رفع اللبس على الوضعية القانونية
للعقار إلا عن طريق مسح الأراضي، وسيتم الفصل
في قضايا عقار المتنازع عليه من طرف الحكومة
العامّة بسهولة، وبالتالي سيتمكن من وضع حدّ لكل
التلاعبات والتجاوزات.

لقد كشف المسح عن طبيعة العديد من القطع
الأرضية، أضف إلى ذلك دقة المعلومات التي زوّد بها
بلدية المدينة أثناء ضبطها لحدودها الإقليمية ومدّ
شبكة المواصلات على ترابها، ناهيك على تحديد
مساحة الأراضي الصالحة للزراعة والأقسام الغابية
وتلك التي هي بحاجة إلى تشجير، كما تكشف عن
المناجم والمحاجر (Les carrières) ومنابع المياه
المعدنية ... (3)

وتسعى الإدارة الاستعمارية من خلال المسح
التحكم أكثر في فروع القبائل كما يظهر من خلال

MONTAGNE; Physiologie morale et physique d'Alger, 1833. Ed. (D-J) -
Marseille, Paris, Alger 1834. (335 p.). P.175

1 - أنظر:

2 - 1 مادام الأمن الغذائي مرتبط بالأرض كان على زعماء الفرنسية أن يخصصوا هذا
الموضوع بعناية فائقة وعليه تبين للإمبراطور نابليون الأول عام 1807 أنّ المقياس
الجزئي يمثل مضیاعة للوقت والمال فأمر بإحصاء عام للأرض في كل بلديات
الإمبراطورية وذلك مع المسح الشامل وتقسيم لكل قطعة ملكية والمسح يعني
وضع مخططات صحيحة ومتطورة بالقدر الكافي لتعين حدود المعالم في كل أنواع
النزاعات والدعاوى القضائية، هذا من جهة ومن جهة ثانية مسح الأراضي سيساعد
وضع مقياس أساسي لتحديد الضريبة. لقد انتهت العملية بنجاح في فرنسا بين
1822-1850 بعد صدور قانون ميزانية الدولة يوم 15 سبتمبر 1807.

2 - 2 - لسيطرة على موضوع المسح (cadastre) بالجزائر يتطلب منا العودة إلى
عمليات الطوبوغرافية الأولى. صدر مرسوم إنشاء مصلحة المسح في تاريخ 14
أكتوبر 1846 بتوقيع من الجنرال بيجو.

أنظر: R.B.G.A. 1830-1854

Année 1838 p. 275

3 - أنظر: T.S.E.FA . -

تقرير لجنة المسح التي أنهت أشغالها عام 1851
شرق مقاطعة الجزائر. إذ ورد فيه ما يلي:
قسم (division) الجزائر، القسم الفرعي (Subdivision)
دلس، دائرة دلس، إحصائيات قبائل الدائرة:

- أخضعت قبيلة يسّر في هذا الإطار إلى عملية المسح عام 1851، ضمن الحدود التالية: البحر ويسّر دائرة دلس شمالا، عمراوة شرقا، بني خلفون جنوبا وفليسة خشنة غربا. أما عن فروع هذه القبيلة⁽¹⁾ حسب ذات التقرير هي: ولاد مريجة، بني خليل، ومعاوية والقيوس، وبني عثمان، بني رباح، وحميصة بلكربال، عيسى بن عمار.

الفروع	ع / س عام 1851	ع / س عام 1860	م. عام 1851
- ولاد مريجة	206 ش	714 ش	630 هـ
- بني خليل	254 ش	-	546 هـ
- معاونة	182 ش	282 ش	357 هـ
- القيوس	211 ش	852 ش	619 هـ
- بني عثمان	853 ش	523 ش	2152 هـ
- بني رباح	172 ش	223 ش	350 هـ
- حميدة بل	88 ش	460 ش	210 هـ
- كربال	378 ش	-	567 هـ
- عيسى بن عمار			

الوثيقة رقم 4
 ع./س. = عدد السكان
 ش. = شخص.
 هـ = هكتار

4- عن طريق التحكم في قيادة المحليين
 بعد أن ثبت لدى الحكومة الاستعمارية أنّ أدوات
 التحكم في الأهالي تكمن أصلا في التركيبة البشرية
 للمجتمع وقوة مشايخه مستمدة من عقيدته.

¹ - ملاحظة: من خلال الفروع المذكورة نستنتج أنّ القبيلة يسّر المقصودة ما هي إلا فرع من فروعها إي يسّر الظهور.

فارتأت بضرورة استمالة نخبة المجتمع والمتمثلة في المشايخ الذين كان لهم على مجتمعهم تأثيرا روحيا وسياسيا بفضل ورعهم في الدين وفي بلائهم البلاء الحسن في الدفاع عن الأوطان. إنَّ احتلال أوطان قبيلة ما كان في نظر الحكومة الاستعمارية مرهونا باستمالة تلك النخبة (1) لصالحها والسيطرة عليها. فالمجمع بين الإمامة وقيادة الجيوش في المعارك، والإشراف على جميع المسائل الاجتماعية والاقتصادية يجعلهم ورقة رابحة إذا ما تمكنت إدارة الاحتلال من استمالتهم.

أصدر الجنرال بيجو قراراتين لعلَّه يتمكن من استغلال قوة تأثير المشايخ على قبائلهم لصالح الاحتلال. فقرار عام 1841 القاضي برفض الاستسلام الفردي بل حتى العائلي. وأن لا يقبل الاعتراف به لأنَّ الفرد هنا هو ذلك الشيخ والقائد المطالب بجرّ من خلال استسلامه كل القبيلة مع تقديم أبناء الوجهاء كرهائن. لقد سبق وأن حَصَّر بيجو ما يضمن له تحقيق سياسته تلك. إذ يعود استسلام قبائل موزاية وبني مناد وبني زوق زوق بين 1841-1842 من جراء سياسة الأرض المحروقة وجاء القرار الثاني مكملا للأول حيث في حالة مقاومة وصمود القبيلة وهدم الاستجابة للقرار الأول فإنَّ القانون ينص على إسقاط ملكية القبيلة ضمن أملاك الدولة عن طريق قانون مصادرة أملاك قادة المقاومة.

إنَّ الطريقة التي يتَّمم بها إخضاع القبيلة لها هي الأخرى دورا في تحديد وضعيتها القانونية الجديدة والتي صار عليها عقار القبيلة. لم يكن الغزو كافيا لإلحاق الأرض بأملاك الدولة لذا أنشئت العديد من اللجان - كلجان المسح، لجان الطوبوغرافيا، وحتى اللجان العلمية - لغرض المساهمة في تقيم الحالة

1 ؟ - أنظر: VIGNON; Un programme de Politique coloniale. Les questions Indigènes. Paris (Louis) - 1919. (369 p.) Préf. xliii-xliv

القانونية للعقار عامة، والبحث عن نوعية قد تنفرد بها قبيلة عن غيرها مع النظر في التشريعات التي تسير هذا أو ذاك النوع لعل فيه ما يوصل الإدارة الاستعمارية إلى بناء تشريع يوحى في شكله أنه مستمد من التشريع المحلي المعتاد عليه من قبل الأهالي، لكن بروح جديدة نابعة من الفكر الاستعماري الاستغلالي، تسمح بتحقيق مشاريع الاستيطاني. أمّا عن علاقة المشايخ بالأرض فاستمرار مقاومتهم يعرض أملاكهم الخاصة وأملاك كل القبائل الموالية لهم إلى نفس الأحكام التي سلّطت على أملاك البايليك وأولئك الذين هجروا منهم الأوطان.

5- عن طريق قانون 22 أفريل 1863 (1)

انطلقت الحكومة العامة في جميع قراراتها المتعلقة بالعقار سواء كان الأمر يتعلق بالحجز والمصادرة أو بإبرام عقود ملكية، انطلقت من قانون 6 جويلية 1824. وما تطبيق قانون تولد وتبلور في رحم المجتمع الفرنسي، على العقار بالجزائر على أساس إلا تأكيداً على إقدام الحكومة الاستعمارية على فرنسة الأراضي المحليين (2). وللوصول إلى تحقيق تلك الغاية جاءت الحكومة الاستعمارية بقانون (س. ك.) 22 أفريل 1863. فكيف سيتمكنها من المزيد من الأراضي؟

لقد كانت لجان (س. ك.) مكلفة بتشكيل ملف لكل قبيلة مكون من الوثائق التالية مذكرة وصفية لحدود القبيلة وأخرى لدواوير مرفقة بتصميم لمختلف القطع الرضوية من تحرير المهندس المختص (le géomètre) لأنه صار من الضروري بالنسبة لمستقبل أن تُنشأ المستوطنات بإحكام عند النقاط يحددها هذه المرة المهندس بعناية كبيرة.

1 - أنظر الفصل الثاني من القسم الثالث.

2 - أنظر: (G) - VOISIN; op. cit. p.4.

فمعرفة طبيعة سطح المساحات التي جُمع عليها
بني مناصر وأهل يسّر أكثر من ضرورة إذ من خلالها
ستتضح جوانب التغير التي طرأت وستطراً عليهم
حاضراً ومستقبلاً بدأ من تاريخ التنفيذ وذلك على
جميع الأصعدة الاجتماعية والاقتصادية والإدارية (1)

1 ؟ - أنظر: PERRIQUOT; Commentaire par ordre alphabétique du SENATUS-CONSULTE (J-R) -
du 22 Avril 1863 et des Lois, Décrets, Instructions, etc, sur la constitution de la propriété en Algérie.

Alger 1867

TITRE III; Application du Sénatus-Consulte. Chap.1° opérations des commissions et sous commissions
des territoires militaires .P. 53 et suivante

الفصل الثاني

السيناتوس كنسلت 22 أفريل 1863

أ - نظرة على قانون السيناتوس كنسلت

ب - أسس ضبط قوائم القبائل المعنية

قانون 22 أفريل 1863

ج - تنفيذ قانون السيناتوس كنسلت 22 أفريل 1863

د - السيناتوس كنسلت في خدمة الاستيطان

هـ - الدوار الكومون نيتاج السيناتوس كنسلت

أ - نظرة على قانون السيناتوس كنسلت 22 أفريل 1863

تبلورت فكرة السيناتوس كنسلت مع نهاية
الخمسينيات من القرن التاسع عشر ميلادي حيث
ظهرت محدودية قانون التجميع ⁽¹⁾ في تزويد

¹ - أنظر قانون التجميع الصادر في 16 جوان 1851

المؤسسة الاستيطانية بما تحتاجه من عقار. فأنشئت حكومة باريس لجنة بموجب قرار 29 ماي 1861 للنظر في إشكالية ذلك عجز. انتهت اللجنة الحكومية من تحرير مسوّدّة مشروع قانون ضمنيتها الطرق الممكن انتهاجها لإدخال ملكية الأهالي في نظام الملكية الفردية الفرنسي⁽¹⁾. طرحت اللجنة مشروعها أمام مجلس الأمة (Sénat)، في حدود نهاية سنة 1862 للمناقشة، لكنه لقي معارضة شديدة.

وتحسبا لما ستفرزه المناقشات الحادة الجارية في مجلس الأمة الفرنسية حول مشروع تشخيص ملكية الأهالي، أبرق الإمبراطور في 6 فيفري 1863 رسالة إلى الحاكم العام المارشال بيليسي الدوق دي مالينكوف يطلعه فيها عن حرصه الشديد على الالتزام بما تعاهدت به فرنسا في 5 جويلية 1830⁽²⁾، ومن ثمّ الإسراع في ضبط مشروع قانون يضمن حق الأهالي في الملكية الفردية. فكلف نابليون الثالث إذن بيليسي بوضع مخطط تكمّل به الحكومة العامة اعتراف فرنسا بالملكية الجماعية لأراضي العرش لصالح الدواوير الناجمة عن سياستي الجلاء والتجميع خاصة وأنّ مجلس الأمة على وشك مراجعة التشريع الخاص بالجزائر.

قدّم الجنرال ألارد (ALLARD) المشروع السيناتوس كنسلت المكمل لقانون التجميع إلى لجنة مجلس الأمة وفق ما يتماش وطبيعة الحكم بالجزائر⁽³⁾، كما كان يرغب فيه الإمبراطور أي تقسيم أراضي العرش⁽⁴⁾، مرفقا أيّه بتوضيحات حول

1 - أنظر: PELISSIER (Duc de Malakoff); Projet de décret sur le cantonnement des indigènes Alger - 1861

2 - أنظر: MEVERVILLE; Dictionnaire ...op. cit. p.186 et suivantes

3 - المصدر نفسه؛ ص. 187

4 - يعدّ قانون 16 أفريل 1851 تلك الأرضية التي سينطلق منها قانون سيناتوس كنسلت 22 أفريل 1863 إذ بعد أن حدّد الملكية الجماعية لأراضي القبيلة جاء هذا الأخير ليقسم ملكية القبيلة إلى ملكيات فردية يعترف بها القانون على شكل أملاك خاصة بعد أن تفتك الإدارة ما يناسب.

الدوافع الكامنة وراء إقبال الإمبراطور على مثل هذا الموقف. حاول إذن لويس نابليون أن يحتاط بالاستعداد لمواجهة أي قرار متوقع صدوره عن مجلس الأمة لا يتماشى وسياسيته بالمستعمرة (أي أن يكون لغير صالح الأهالي)، لعله يتمكن من وضع حدٍّ لعمليات تجريد الأهالي من ممتلكاتهم. وكان من جهة أخرى يسعى تفادي ردود فعل الأهالي أمام استنزاف أراضيهم.

وهذا بعض ما ورد في قانون السيناتوس كنسلت 22 أبريل 1863 في النقاط التالية:

- ضبط طبيعة الملكية وإحصاء أنواع الملكيات العقارية قبل الغزو ليسهل التصرف فيها فيما بعد، مع التركيز على إبراز بلاد المخزن، بلاد العرش، وأراضي الملك، ثم أراضي العرش الناجمة عن قانون التجميع 16 جوان 1851.

- تحديد كيفية التعامل مع حدود الدواوير بعد تقسيم أراضي القبيلة، وما يعود منها لصالح مؤسسة العقار. ويؤكد الإمبراطور أن قانون (س. ك.) 22 أبريل 1863 لا يرم إلى إرجاع الأراضي التي صارت في قبضة مؤسسة العقار للأهالي من جديد.

- التأكيد على أن انطلاقة تنفيذ (س. ك.) في تشخيص الملكية ستنتقل من حيث ما تم تحقيق من خلال تنفيذ قانون التجميع، كأراضي الدواوير التي تشكلت بعد تفكيك القبائل وفصل فروعها عن بعضها البعض.

- أن يُخَصَّر الدوار بفتح بعض المنشآت الإدارية البدائية كدار القايد أو الشيخ، ليكون أرضية لبلدية المستقبل الخاصة بالأهالي.

- سطر قانون (س. ك.) 22 أبريل 1863 ملامح الإدارة التي ستشرف على التنفيذ من لجان ولجان ثانوية وجماعات الأهالي.

- أنظر: (J. R) - p.10 op. cit; 1863 avril 22 du SEN.-CONS. Commentaire ... du PERRIOD;

تمّت مراجعة وتعديل ما يتعلّق بالإدارة من قبل راندون وزير الحربية بموجب تعليمة 23 ماي 1863. فضبط بهذا التعديل الإدارة العامة المكلفة بتنفيذ قانون (س. ك.)⁽¹⁾. ونصت تعليمة 25 أفريل 1865⁽²⁾ المعدّلة لأمرية 22 أفريل 1863 على ضرورة اختيار القبائل والفروع وفق ما يحقق المصلحة العامة وفق التصور الاستعماري طبعاً. ورغم اعتبار تعليمة المارشال ماك-ماهون (MAC-MAHON, Duc de Magenta)⁽³⁾ الحاكم العام بالجزائر، الصادرة في 1 مارس 1865⁽⁴⁾ انطلاقة جديدة للسيّناطوس كنسلت إلّا أنّها لم تغيّر من جوهره في شيء ولم تراجع قوائم القبائل التي انطلقت بها أشغال اللجان أو اللجان الفرعية. أمّا عن الأجواء العامة التي صدر فيها القانون (س. ك.) 22 أفريل 1863 يمكن تلخيصها فيما يلي:

- تدفق ما بين عامي 1851-1858 المعارضين للسياسة الأمير-الرئيس لويس نابليون على الجزائر والذين هم بحاجة إلي أراضي.
- تزايد اهتمام الأدباء الفرنسيين بالجزائر فصارت مصدر إلهامهم.
- إنجاز خط السكة الحديدية الرابط بين الجزائر والبليدة عام 1862، مما شجّع أرباب العمل الشركات الاحتكارية على الاستثمار بالجزائر خاصة بمتيجة واستغلال الثروات الغابية المحيطة بالسّهل، كما وقع بالنسبة أشجار لغابات الفلين بأوطان بني صالح⁽⁵⁾.

1 - المصدر نفسه ص. 197

2 - تاريخ التنفيذ 10 جوان 1865

3 - أنظر - MIRIBEL (De); *Mémoires du Maréchal Mac-Mahon Duc de Magenta*. Plon, Paris (Guy) éd. mcmxxxii 6°

4 - أنظر: - MAC-MAHON, Duc de Magenta. (Marl), G G.A.. - *Instructions relatives aux Opérations de délimitation du territoire des tribus et de répartition de ce territoires entre les douars* (Exécution du Sén-Con. du 22 avril 1863. Rapport; Alger, le 1 mars 1865. B.O.G.G.A., année 1866. p 150 et suivantes

5 - أنظر: - (A) REY; *Le Royaume...* . Op. Cit. p. 120 ;GOLDZEIGUER

- مسعى الإمبراطور في وضع حد للصراعات الإيديولوجية حول السياسة التي كان أصحاب النفوذ يهيمون لانتهاجها بالجزائر.

- تأثر الإمبراطور بالموقف النبيل الذي سلكه الأمير عبد القادر تجاه المسيحيين بدمشق عام 1860

- زيارة نابليون الثالث إلى الجزائر عام 1860: كان مستقبل المستعمرة عند عودة النظام الإمبراطوري بفرنسا في خطر لعدم التوازن بين عدد الأوروبيين 200.000 شخص منهم 120.000 فرنسي فقط مقابل 5.000.000 من الأهالي (1). وتصاعد تضمر هؤلاء مما ألت إليه وضعتهم، إذ بلغ المستوى المعيشي عام 1860 مستوى من التدهور لا يطاق.

فتعددت الشكاوي من تصرفات إدارة الأملاك العقارية التي استولت على بيوتهم وحقولهم ومن تصرفات إدارة الغابات التي لم تكتف من الاستيلاء على غابات الأهالي بل تمادت في إضعافهم وإرهاق كاهلهم بضرائب مختلفة بحجة اختراق مواشيههم غابات (الدولة).

1 - إدارة السيناتوس كنسلت (2)

فإذا خُص الشطر الأول من قانون (س. ك.) 22 أفريل 1863 لمسألة تعيين القبائل التي تتوفر فيها شروط الإخضاع للعملية فإن الشطر الثاني منه كما جاء في النص الملحق والمؤرخ في 23 ماي 1863، خُص لضبط الجهاز الإداري الذي سيشرف على

MENERVILLE; -

1 - أنظر: 186.

.Dict... op. cit. 2° partie; p

2 - 1 - أنظر: - NAPOLÉON (Emp); D. I. portant règlement d'administration publique pour (L)

,l'exécution du Sén.- cons. du 22avril 1863 relatif à la constitution de la propriété en Algérie

.dans les territoires occupés par les Arabes. du 23 mai 1863. B.O.G.G.A. année. p.p. 186-213

- تعليمات عامة حول تنفيذ السيناتوس كنسلت 22 أفريل 1863 وتنظيم الإدارة العامة ل 23 ماي من نفس السنة والتي تتماش والملكية في الجزائر، بالأراضي الأهلة بالعرب

PERRIoud; (J-R) -

? - 2 - أنظر:

Commentaire... op. cit. p. 20

التنفيذ. فألى جانب اشرف الإمبراطور بنفسه على التنفيذ، ضبط الملحق الإدارة خاصة بالسيناتوس كنسلت.

تشرف اللّجنة المشتركة للمقاطعة على أراضي قبائل الحكمين المدني والعسكري دون تميز ⁽¹⁾. يترأس الحاكم العام لكل مقاطعة أشغال الجان والجان فرعية، وذلك تحت رقبة الحاكم العام الذي يتلقى التعليمات مباشرة من الإمبراطور. تمّت تلك التعديلات على ضوء ما تلقته اللجان الأولى من صعوبات، إنّ تعين الحاكم العام للمقاطعة أحد الضباط العسكريين على رأس اللّجنة المكلفة بالقبائل الخاضعة للحكم العسكري، وأحد الإداريين المدنيين على رأس تلك اللجان التي تنشط في نطاق الحكم المدني ⁽²⁾.

لكن لتحقيق أهداف (س. ك.) 22 أفريل 1863 بالملموس، ارتأت الحكومة الاستعمارية بضرورة الدمج بين لجنتي النطاقين، لتضمن التنسيق خاصة وأنه من بين أعضاء اللجان الجديدة يوجد ممثل عن مصلحة العقار. ولم تكتمل اللّجنة الواحدة إلا بالاستعانة بالعنصر المحلي لما له من دراية بشؤون القبيلة. وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ عدد لجان (س. ك.) في تزايد مستمر مع ارتفاع عدد القبائل المعنية بالقانون. وفي الواقع سرعان ما تبين مع انطلاق أشغال اللجان استحالة الالتزام بالتنظيم الإداري المسطر في الوثيقة الأولى من (س. ك.) 22 أفريل 1863.

¹ - أنظر: MENERVILLE; Dict... op. cit. p. 197.

² - ¹ - أنظر - (J-R) . PERRIoud; op. cit.; 54 et suivantes.

² - التركيبة البشرية للجنة واللجنة الفرعية للسيناتوس كنسلت 22 أفريل 1863:- اللجنة : الجنرال أو العقيد ، نائب الموظف السامي لإدارة المقاطعة (sous-préfet)، رئيس مكتب العرب للمقاطعة الثانوية، مراقب العقار. - اللجنة الفرعية: ضابط من مكتب العرب، مساح (géomètre) مختص في علم المساحة)

لقد أعطى التغير الذي وقع على لجنة المقاطعة
الثانوية لدلس (La subdivision de Dellys) الخاضعة للحكم
المدني حيث صار يترأسها قائد الأركان لمقاطعة
الفرعية لدلس الكولونيل دي نوفو (Colonel De NEVEU)
المكلف بأراضي الحكم العسكري دون أن تذكر لجنة
الحكم المدني. مما يجعلنا نستنتج أنّ من أولويات
الحكومة العامة في سنة 1863 توسيع أملاك الدولة
في دائرة دلس ثم استكمال إلحاق الأراضي التي بين
أيدي المحليين. جاء تشكيل لجنة المقاطعة الفرعية
لأورليانفيل معايرة للمقاطعة الفرعية دلس حيث
عُين الجنرال لالمان (LALLEMAND) رغم كونه رجلا
عسكريا إلا أنّه عُين بصفته رئيس مدني على اللجنة.
تظهر أهمية نشاط اللجان ودورها في إنجاح
العملية من خلال حرس الأمين العام للإدارة العامة
للشؤون المدنية السيد سيرف (SERPH) على التوقيع
في 12 أوت 1863 على قرار رفع عدد اللجان
الفرعية إلى أربعة لكل منطقة، لجنتين لأراضي الحكم
المدني واثنين للحكم العسكري.
ونظرا لأهمية العمل المنوط برؤساء اللجان كان
تعينهم يخضع إلى موافقة الإمبراطور. أمّا العناصر
الإدارية الأخرى يرجع تعينها إلى الحاكم العام بعد
اختيارها من بين الموظفين بل من بين كل العناصر
التي برهنت على معرفتها الجيدة للشؤون العربية، و
أثبتت نجاعتها بتفانيها في خدمة الحكومة
الاستعمارية وهي مستعدة الآن للمساهمة في
تحقيق وإنجاز مثل هذا المشروع الضخم⁽¹⁾

¹ - المصدر نفسه، ص. 23 .

- الجماعة المحلية (1)

تُكرس الفقرة الأولى من المادة الثالثة من الفصل الثالث للسيناتوس كنسلت 22 أفريل 1863 ضرورة مشاركة القبيلة ضمن اللجنة واللجان الفرعية، وحققها في اختيار ممثليها. لكن لم يكد المشرّع أن ينهي نص المادة حتى أفقد جماعة القبيلة طابعها الأصلي. إذ حصر تركيبتها البشرية في عناصر معينة من قبل القيادة العامة للمقاطعة (2). وأفرغها من جوهرها حيث أبعداها عن مهامها الأساسية كال دفاع على مصالح القبيلة. هذا عن طريق القيود التي فرضها عليها، منها النقاط التالية:

- 1- انطلاقا من التعليمات العامة الصادرة في 11 جوان 1863 والمتعلقة بتنفيذ (س. ك.) المادة الثانية ستشكل كل جماعة دوار من 3 أو 7 أعضاء حسب القاعدة التالية: لكل 30 خيمة أو قوربي أو أقل من ذلك ثلاثة أعضاء ، ومن كل 30 خيمة أو قوربي إلى غاية 60 خيمة خمسة أعضاء (3).
- 2- رئاسة الجماعة تعود لقائد القبيلة بتعين من طرف الحكومة العامة
- 3 - تحدد الإدارة الشروط التي يجب أن تتوفر في العناصر المعنية مثل: أن يكون الفرد ذا شخصية مؤثرة على القبيلة، وأن يكون من العائلات القيادية،

1. 1 - أنظر: - PELLISSIER; Arrêté du 14 juillet 1863 : pour la formation des Djemââ de Tribu et de Douars, et la désignation des délégués des tribus et des douars auprès des commissions et sous commissions de délimitation et de répartition des territoires. B.O.G.G.A année 1863. Pp. 247-250

2. 2 - أنظر: - MAC-MAHON; Rapport...; Alger, le 1 mars 1865. op. cit.. B.O.G.G.A., année 1866. p. 196 et suivantes

الباب الثاني: التنظيم البشري المخصص لتنفيذ قانون السيناتوس كنسلت 22 أفريل 1863.

- أنظر: - MENERVILLE; op. cit. Titre 2 - Organisation du personnel employé à l'application du Sén- Cons. Signé MAC-MAHON. Dict. 2° partie; pp. 206 et suivante

3. 3 - أنظر: - PERRIoud; Commentaire ... op. cit. p. 98 (J-R)

2 - أنظر: - PELLISSIER; Arrêté du 14 juillet 1863 ... op. cit. B.O.G.G.A année 1863 p. 249

3 - أنظر: - Ibid. p. 247-248

وأن يكون صاحب ملف خاليا من السوابق العدلية أي لم يسبق له وأن تعرض لأية عقوبة من أي نوع كانت⁽¹⁾.

- 4- تمنح الإدارة العامة عقودا جماعية تتضمن أسماء أفراد كل جماعة كدليل على موافقتها على القائمة.
- 5- ليس للجماعة حق الدفاع أو الاحتجاج إلا بموافقة الإدارة العامة للمقاطعة

- مهام الجماعة

حصرت الإدارة الاستعمارية مهام الجماعة في إنجاح المشاريع الاستيطانية إذ أُلقيت على عاتقها مهمة إقناع الأهالي بما سيعود عليهم وعلى مجتمعهم ككل تنفيذ قانون (س. ك.) من خير، حتى لو تعلق الأمر بمصادرة أراضيهم لصالح الاستيطان أو ما ينجر عليها من المشاريع الكبرى⁽²⁾، وأن إدارة الاحتلال تعدهم بدفع تعويضات ما يتعرضون له من تجريد لأوطانهم (تعويضات رمزية أو أراضي غير صالحة للزراعة).

أعطت إذن الفقرة الأولى من المادة الثالثة من الفصل الثالث للسيناتوس كنسلت 22 أفريل 1863 للجماعة المرسمة مفهوما جديدا، حيث جعل منها وسيلة تضاف إلى تلك المجموعة التي سخرتها لتحويل الأرض من الأهالي إلى المستوطنين بعد أن أوهم أنهم صاروا ملاك على الطريقة الفرنسية⁽³⁾.

2- أرشيف مصلحة السيناتوس كنسلت

إن مصلحة (س. ك.) هي مصلحة مدنية ، أهدافها مُسخرة لصالح المستوطنين الأوروبيين المدنيين.

1 - أنظر: المصدر نفسه ؛ المادتان 4 و 8 . ص. 249 .

2 - 1- أنظر: MAC-MAHON; op. cit. B.O.G.G.A.; n°s 133 à 160 -

année 1865. p. 200

2- 2- أنظر: MAC-MAHON; Ibid, B.O.G.G.A.; n°s 133 à 160 année 1865. p. 150 -

3- الملكية الفردية: حاولت الإدارة الاستعمارية إقناع المحليين بأن الملكية الفردية رمز من رموز الحضرة.

- وللتحكم في عمليات تحويل الأراضي من أصحابها الشرعيين إلى المستوطنين بشكل قانوني أنشأت الحكومة العامة إدارة التوثيق (أرشيف) خاصة بها. _ الوثائق الأرشيفية الأساسية ⁽¹⁾ تتمثل في:
- 1 - عقود الملكية التي سيقدمها البعض من المحليين إثباتا لحقهم في الأرض.
 - 2 - الخرائط الطبوغرافية: التي كانت تنجز تدريجيا أثناء عملية مسح أراضي القبيلة.
 - 3 - التقارير الأولية التي تحررها اللجان، و اللجان الفرعية.
 - 4 - الوثائق الرسمية المتمثلة في القرارات والمراسيم التي تجسد توصيات اللجان
 - 5 - أحكام المنازعات، كانت بين المحليين والمستوطنين أو بين المحليين أنفسهم.
- ونص قانون (س ك) 22 افريل 1863 على إلزامية تدوين كل القرارات والتعليمات صفحات الكشف الرسمي للحكومة العامة للجزائر (B.O.G.A.) والجريدة الرسمية (J.O.) وعلى صفحات جريدة المبشر (J. M.) ⁽²⁾.
- 6- ملفات المسح "الكادستر" ⁽³⁾

1 - أنظر: Charles de Bouzet: art. B.O.G.G.A; année 1870

2 - أنظر: MAC-MAHON; op. cit. B.O.G.G.A.; n°s 133 à 160 année 1865. p.226 - 230

2 - أنظر: PERROUD; op. cit. p.19

(J.-R.)

3 - الكادستر (Le Cadastre) بمعنى المسح: إنَّ تاريخ ميلاد أو ظهور مصلحة المسح تاريخ متداخل مع تاريخ اقتصاد الشعوب. ذلك لأنَّ مصدر الاقتصاد الأساسي هو الأرض. ونظرا لتطور المجتمعات و تزايد استعمالها لإمكانيات الأرض صار من الضروري أن تصهر الدولة على حماية مصالح العامة لكن لن يتحقق لها ذلك إلا إذا توفرت لديها المعلومات الدقيقة على مستوى كافة التراب التي تشرف عليه. فالمسح إذن هو إنجاز مجموعة من الوثائق على أساس المعلومات التي تمَّ رصدها بدقة، قصد تنظيم مصالح الدولة والأشخاص. وهو أيضا تلك الإدارة المكلفة بالشهر على هذه الوثائق من جهة والتأكد ميدانيا عن طريق مختصين من صحتها وذلك بالخروج إلى الميدان أي الوقوف عند التطابق بين معطيات الوثائق بالمعطيات الطبيعية الواقعية ليتمَّ تثبيتها نهائيا على خرائط طوبوغرافية.

3 - وثائق الكادستر أرضية لقانون (س.ك.).

كان، نظرا لارتباط الأمن الغذائي بالأرض، على الإصلاحيين الفرنسيين، التركيز على إحصاء إمكانات الدولة بدقة. وعليه أمر نابليون بونابرت في إطار قانون ميزانية الدولة يوم 15 سبتمبر 1807، إدارات بلديات الإمبراطورية بإجراء إحصاء عام للأراضي الصالحة للزراعة التي صارت تابعة للدولة، ليتم تقسيمها بعد المسح الشامل لتراب البلدية إلى ملكيات مشخصة.

يعني المسح وضع مخططات صحيحة ومتطورة بالقدر الكافي لضبط حدود الملكيات، ووضع مخططات جزئية حقيقية تعرف بملكية الأرض بهدف السيطرة على مختلف النزاعات والدعاوى القضائية. كما سيساعد مسح الأراضي على وضع مقياس أساسي لتحديد الضريبة.

أما بالنسبة للجزائر ورغم انتهاء العملية بفرنسا بنجاح بين 1822- 1850 إلا أن الإدارة الاستعمارية لقيت أثناء تنفيذ المسح على الطريقة النابليونية صعوبات جمة، لاصطدامها بنظام عقاري جد معقد وتناقض أملاك البايليك كلما تم الابتعاد عن المراكز الحضرية.

فالمسح هو أيضا عملية تأسيس ملفات عقارية مكونة من وثائق يتم رصد محتوياتها بدقة. كما يجمع المسح بين الفعل والفاعل فهو الإدارة المكلفة بالسهر على جمع الوثائق والحفاظ عليها في إطار المؤسسة بعد التأكد من صحتها ميدانيا عن طريق المختصين (Géomètres). ثم الانتقال إلى مرحلة جديدة إي إلى توقيع تلك المعطيات الطبيعية على خرائط طوبوغرافية. فصارت مصلحة المسح إحدى الركائز الأساسية في ميزانية الدولة إذ تساهم بطريقتها الخاصة في تنظيم مصلحة أملاك (service foncier) الدولة والأشخاص كانوا طبيعيين أو معنويين، وتنظيم قاعدة الضرائب (Assiette de l'impôt) بجردها الملكية العقارية.

حُصر في بداية الأمر مسح الأراضي في الجزائر على حدود الأراضي التي تمكنت منها القوات الغازية التي احتفظت فيها الإدارة الاستعمارية بحق الإشراف مباشرة. أمّا عن الأغراض المتوخاة من وراء المسح فإنها تتلخص فيها يلي (1):

1 _ الإحصاء: ضبط مواقع كلّ من الأراضي غير الصالحة والأراضي غير المستغلة بعد، والمروج والمستنقعات والمساحات الغابية، وتلك التي هي بحاجة إلى تشجير.

2 _ تحديد مواقع المحاجر والمناجم، والمياه المعدنية الملائمة للصحة أو النقية والتحضير إلى التجفيف وبالكشف من جديد على آثار قنوات مجاري المياه التي ردمت من جراء الحرب.

3 _ حماية المصالح الخاصة: عن طريق تحديد الملكيات.

ونظرا للخدمات التي يمكن أن يقدمها المسح

لإنجاح عمليات (س. ك.) 22 أفريل 1863

في غياب تطابق الهيكل الإداري بفرنسا وبالجزائر عينت الحكومة الاستعمارية الإطار المكلف بمهام

المسح، وتحديد منهجية العمل أو بالأحرى حددت

الأولويات، أصدر لويس نابليون في 2 جويلية 1864

جملة من القرارات (2) منها:

أن تقوم البلديات أو الأحياء بعمليات المسح في

غياب وجود إدارة الكونتون (Canton) بالجزائر. تأتي

بلديات المدن في الطليعة لكونها تتوفر على إدارة

هامة (Chef-lieu)، ثمّ البلديات القروية، المراكز

السكانية التي اجتمع فيها الأوروبيون والتي لم ترقى

بعد إلى مستوى البلدية، وأخيرا الاحواش والتجمعات

المعزولة الملحقة إداريا بأقرب إدارة استعمارية.

1 - أنظر: T.S.E.F.A; année 1838 p. 275

2 - أنظر: (M.P.) MENERVILLE;

...Dict

وتلج تعليمة 12 سبتمبر 1865 (1) على ضرورة تقيم الملكيات الخاصة، وأنّ تقدّم إلى رئيس الدائرة (Préfet) تصاميم الخرائط المنجزة من قبل المشرفين على المسح في شكل مجزئ حتى يتمّ تحت إشرافه توزيع القطع الأرضية بين البلديات.

ب - أسس ضبط قوائم القبائل المعنية بتنفيذ قانون س.ك.ك نصيف إلى ما سبقت إليه الإشارة (2) أي إلى دور المهندس المختص في الرسم الجغرافي، وإلى الأخذ بعين الاعتبار انتشار المراكز المخصصة للاستيطان مع العودة إلى هذه النقطة ببعض التفصيل، نصيف ضرورة مراعاة إمكانياتي توسيع وفتح المستوطنات

1- حسب انتشار المراكز المخصصة للاستيطان

بعد أنّ أحكمت الإدارة الاستعمارية سيطرتها على الساحل ثمّ التل فإنها تمكنت من السيطرة نسبيا على حركية القبائل، حيث تتولد عن تنفيذ قانون 16 أفريل 1851 معالم الدواوير كما تصورته الحكومة العامة والتي مكنتها من فتح مراكز الاستيطان الأولى، لجأت إلى بناء الفنادق لتكون بمثابة محطة لاستقبال المهاجرين الأوروبيين في انتظار تهئية أرضية الاستيطان ومن ثمّ التمرکز. فبالنسبة للشرق شيد فندق في بلاد يسر بين الوادي وثنية بن عيشة في شهر أفريل 1853. إنجاز تزامن مع فتح فندق وادي الداموس غربا (3) هذا بعد أن تمّ شقّ الطريق الرابط بين المدينة والشفة من قبل أهل الأعراش. أضف إلى ذلك إنجاز فندق آخر

Circulaire du 12 septembre 1865.

1 - أنظر - (M.P.) MENERVILLE;

.Dict...op. cit

PERRIoud; Commentaire ... op. cit.- Titre III; Application (.J.-R) -

2 - أنظر:

.du Sén-Con

.Chapitre- 1° Opération des commissions et sous-commission en territoire militaire. P. 54-87

2 - أنظر: جريدة الميشر 15 أفريل 1853

3 - أنظر: جريدة الميشر 30 ماي 1853

3 - أنظر: جريدة الميشر 15 أفريل 1853

حسب ما نقلته جريدة المبشر بتاريخ 20 ماي 1853 على الطريق الرابط بين مليانة و ثنية الأحد ⁽¹⁾ أمّا بالنسبة للمستوطنات التي أصبحت تُسَيَّر من قبل لجان مدنية تمهيدا للحكم المدني نذكر منها شرشال، تنس، أورليانفيل ومارنغو وهي مستوطنات زاد بها بني مناصر محاصرة، كلا دلس وأومال على التوالي شمالا وجنوبا بالنسبة لأهل يَسَّر ⁽²⁾. وضع هذه المستوطنات تحت إدارة الحكم المدني جاء على إثر تجميع أهالي المنطقتين في ظرف قياسي ما بين ماي 1848 وأوت 1848 ⁽³⁾.

2- مراعاة إمكانية فتح أو توسيع المستوطنات

وواصلت الحكومة الاستعمارية تنصيب مستوطناتها ما بين أكتوبر - نوفمبر 1848 لاستقبال 50 عائلة أوروبية ⁽⁴⁾، كما هو الشأن بالنسبة لمستوطنة أفروفييل (خميس مليانة)، وفق شروط مدروسة مسبقا كأن تكون المراكز الجديدة مكتملة لسابقتها وأن يأخذ في اختيار مواقعها عين الاعتبار مدي محاذتها أو قربها من الخط المسطر لإنجاز مشروع السكة الحديدية حيث يضمن الأمن بالتدخل السريع، وتوفر المؤونة وصرف البضائع، وفي مواقع يسهل ربطها مستقبلا بالطريق الرئيسي عبر المسالك الموجودة.

لقد عبّر وبالإحاح ماك-ما-هون الحاكم العام على ضرورة تقدير إمكانيات توسيع المستوطنات ⁽⁵⁾. وامثال لذلك أصدر الحاكم العام لمقاطعة الجزائر

1 - جريدة المبشر 30 ماي 1853

2 - أنظر:

MENERVILLE; op. cit. p. 194

13 - ؟ - أنظر: (G) - P. 286 - MIRIBEL; Mémoire... Mac Mahon...op. cit.

2 - ؟ - أنظر: مستوطنة أفروفييل لم تكن مستوطنة زراعية.

MENERVILLE; op. cit. p. 664 -

- أنظر:

4 - أنظر - Ibid. p. 664

Ibid. - Rapport des instructions; Mac Mahon; -

5 - ؟ - أنظر:

Alger 10 février 65 P. 26

في هذا السياق أمرية 10 فيفري 1865 يؤكد فيها،
على التزام إدارته بتنازل الدولة (الحكومة
الاستعمارية) على العقار مجّانا كما نصت عليه تعليمة
29 نوفمبر 1864 مع احترام نظام البيع بالأسعار
المحددة من قبل إدارة.
أوكلت حكومة باريس عملية تحديد قوائم القبائل
وفروع البعض الآخر منها المنعنية بقانون (س. ك.)
22 أبريل 1863، إلى المجلس الأعلى للجزائر
والمستعمرات وجعلتها من صلاحيته، لأنّه في نظر
الحكومة بمقدور هذا الأخير ⁽¹⁾ تقدير ما يصلح من
أوطانها كمركز للاستيطان وما توفره من ثروة
خشبية لدعم الصناعة بالميتروبول بالسيطرة على
الغابات، مع قدرته على تحديد النطاقات الصالحة لمدّ
الطرق البرية بنوعيتها.
وللمزيد من التضييق على بني مناصر أخضعت
الحكومة الاستعمارية جبال زكار إلى قانون تنظيم
الغابات ⁽²⁾ الموقع في 6 سبتمبر 1864 من طرف
الحاكم العام بالنيابة ⁽³⁾. إنّ مثل هذا القرار وفي هذا
ظرف بالذات يعد إجراء تمهيدا لإخضاعهم لقانون
(س. ك.)، ومن ثمّ تمكين المستوطنين من استغلال
غابات الفلين التي تكسو جبال الظهرة الشرقية.
أمّا بالنسبة لمدّ خط سكة حديدية، لقد سبق وأن
صدر في هذا الشأن في 11 جوان 1863 قرار
إمبراطوري يُزكّي من خلاله نابليون الثالث الاتفاقية
المبرمة في الفتح ماي 1863 بين راندون وزير
الحرية وشركة السكك الحديدية باريس- ليون البحر

¹ - ملاحظة الإدارة المسيرة للجزائر ما بين 1858 و1860- لقد عُوضت الحكومة العامة التي حلت، في بداية الأمر بالمجلس الحكومي الذي عرف نفس المصير، عوضت ب المجلس الأعلى للجزائر والمستعمرات ليعمل بالتنسيق مع وزارة الجزائر

- أنظر: Ibid.; Décret impérial 2° partie p. 53

² - أنظر: Op. cit.; D.M. du 26 août 1856. Signé NAPOLEON (J). - § 1, P.121

³ - ¹ - أنظر: Gr Gnl Al. par intérim; Arrêté du 6 septembre 1864. B.O.G.G.A. année 1864. P. 380

[?] - ² - أنظر: MENERVILLE; Op. cit. - Arrêté du Grt Gnl A. - 6 septembre 1864. 2° partie , P. 31

الأبيض المتوسط الخاصة في إطار إنجاز السكك الحديدية الجزائرية إنشاء خط يقطع المنطقة، فحرصت الشركة على أن يكون مساره محاذيا للطريق السلطاني الرابط ما بين الجزائر ووهران عبر النقاط التالية: البليدة، أفروفييل، أورليانفيل، غليزان، سان دونيس (Saint-Denis du Sig) بسيق، وسانت بارب⁽¹⁾ (Sainte-Barbe)

هذا بعض ما جلب اهتمام المجلس الأعلى للجزائر والمستعمرات بأراضي بني مناصر. أمّا بالنسبة لأراضي يسّر لعل خصوبة تربة السهل كافية لإدخال أوطان قبيلة يسّر وفروعها في نطاق الحكم المدني الذي يتميز بارتفاع عدد المستوطنين في وقت مبكر إذ هي تعد لأزيد من 10 سنوات مركز استقطاب هام للمستوطنين.

ودائما في إطار التحكم أكثر في تحركات الأهالي وإنجاح عمليات الاستيطان ارتأت الحكومة الاستعمارية بضرورة مراجعة التقسيم الإداري لكل من بني مناصر وأهل يسّر. فالوحدات الإدارية الثلاثة لبني مناصر: قبيلة بني مناصر الشراقة⁽²⁾، وقبيلة بني مناصر الغرابية وقبيلة زاتيمة صارت لا تتماشى والتطورات الراهنة. ومن ثمّ حان الأوان في نظر الإدارة الاستعمارية الانتقال الأغاليك الثلاث إلى تقسيم جديد ليقسم الواحد منها إلى مجموعة من الدوائر.

عملية لا يتوقع من ورائها إلا المزيد من الهيمنة على أخصب المناطق إذ مكنت إدارة الاحتلال مؤسسة الاستيطان من أراض على منحدرات جبال زكار الواجهة الشمالية على ارتفاع 1000 متر من أوطان بني مناصر⁽³⁾.

¹ - أنظر: - RANDON; - Décret Impérial du 11 juin 1863. B.O.G.G.A. année 1863. P. 344.

² - قبيلة بني... إن استعمال هذا مصطلح: "قبيلة" للدلالة على وحدة إدارية ناجمة عن التقسيم مفاده عزل الأهالي عن بعضهم البعض سعين وراء محو أثر القبيلة الطبيعية.

³ - أنظر: - BERNARD; La colonisation Algérienne (A)

أخذت الحكومة الاستعمارية مع التراجع المتوازي
لفرض الاستيلاء على مساحات جديدة مع تراجع حدّة
المقاومة، ونفاذ مساحات الحجز⁽¹⁾، تدابير جديدة
لتوسيع أملاك الدومين (البلديات) بتحريكها هذه
المرة عامل المصلحة العامة ناهيك عن مواصلة البحث
على أملاك البايليك وتحديد مواقعها لتكون ورقة
رابحة في تغطية تعويضات ما ستصادره من أراضيهم
لفائدة المستوطنات والمراكز الجديدة. ولم تغفل
تلك الحكومة عن ضرورة مراعاة خصوصيات البيئية
بين مواطن المهاجرين الأوروبيين ومستوطناتهم
الجديدة حفاظا على صحتهم وتسهيل عليهم التأقلم
بالجزائر.

ج - تنفيذ السيناتوس كنسلت 22 أفريل 1863

وما دام الاستيطان يأتي في طليعة اهتمامات
الحكومة الاستعمارية فإنّ (س. ك.) سيكون حتما
مسخرا لإنجاحه، وإن كان في الظاهر موجهها لصاح
الأهالي. وعليه فإنّ قوائم القبائل التي ستخضع
لتحقيقات لجان (س. ك.) سيراع في ضبطها
المسافات التي تفصل بين مواطنها ومواقع
معسكرات الاحتلال خاصة بمناطق الحكم المدني⁽²⁾.
نسجل هنا أنّ إدارة الاحتلال أصدرت قرارات تتعلق

¹ - أنظر:

-B.O.G.G.A.; année 1866

- B. O. G. G. A. année 1863.

² - 1 - أنظر

.P.217

[?] - 2 - أنظر - Cadastre; Registre Zatima; d'ensemble sur la situation du douar

- ملاحظة: ورد في هذا التقرير ما يشهد بأنّ أولوية السيناتوس كنسلت 22 أفريل

1863 هي إرضاء أطماع الاستيطان. نحتفظ بالجملة كما وردت في التقرير: " Le

douar Zatima, formé de l'ancienne tribu du même nom, fait parie de la commune Mixte de Gouraya
département d'Alger. - Le territoire est situé dans le massif montagneux qui sépare le littoral de la plaine du
Cheliff.- Le sol se prête mal à la culture des céréales et ne saurait être d'aucune utilité pour la

"...colonisation

بالجماعة الكبرى (القبيلة) على مستوى القطر (1) ثمّ تلتها قرارات خاصة بالفروع في شكل ملحق. لقد جمعت إدارة (س. ك.) بين مواصلة ضبط وضعية الملكية العقارية، ومسح الأراضي، وهي بذلك تساهم في تحضير ظروف الاستقرار أمام العديد من الأوروبيين، وتمكينهم من الاستفادة تحت رعاية الحكومة الاستعمارية من مساحات جديدة دون أن يضطروهم ذلك إلى الوقوع في مواجهات مع الأهالي الذين هم شهودا على ما تتعرض له أوطانهم من تمزيق.

أمّا تقديم وتأخير بعض القبائل على أخرى لنا في بني مناصر وأهل يسّر ما يمكن تفسيره بعض الاعتبارات التي تؤثر على السياسة العامة للحكومة الاستعمارية. حيث في الوقت التي صارت فيه فروع قبيلة يسّر تحت رحمة بلديات الحكم المدني حيث الرقابة الإدارية غير صارمة فيما يتعلق بتحويل العقار لأنّ العملية تكاد أن تكون مكفولة عن طريق البيع الحر، كانت قيادة بني مناصر لا زالت تحتج على التقسيمات المتواصلة، وهي تطالب الإدارة الاستعمارية بإعادة شمل بني مناصر تحت قيادتها الموحدة. وعليه لم تكن مقاومة 1864 تقتصر على أولاد سيدي الشيخ وإنّما شملت أهالي مقاطعة الوسط خاصة إذا علمنا بتحريك قيادات الناحية الشرقية من جبال الظهرة لتوحيد المقاومة (2). ألح نابليون الثالث في تعليمه إمبراطورية في 12 أوت 1866 موجهة إلى اللجان الإدارية على ضرورة

1 - القائمة الأولى التي تتضمن أسماء القبائل التي ستخضع لقانون السيناتوس كنسلت 22 أبريل 1863 والتنظيم الإداري العام لـ 23 ماي الخاص بالملكية العقارية بالجزائر (ملحق قرار 22 مارس 1863). القبائل المعنية بهذا القرار هي 32 قبيلة على مستوى القطر. نظر فيها ليتم إلحاقها بالقرار الإمبراطوري المؤرخ في 1863. موقعة من طرف وزير الحربية راندون. سنحتفظ بأسماء قبائل مقاطعة الجزائر فقط:

2 - 1- العودة إلى فصل اتحادية بني مناصر

? - 2- أنظر: - (A) - REY-GOLDZEIGUER; op. cit. Partie: Les masses algérienne en mouvement 1864- 1866. P.273 et suivantes

الاعتناء أثناء تطبيق المادتين الأولى (1) والثانية (2) من قانون (س.ك.) 22 أفريل 1863 القبائل المجاورة لكل قبيلة مُقيّد اسمها ضمن قائمة 73 قبيلة الجديدة وتلك الواقعة على القرب من قبائل التي تمّ الشروع في تنفيذها عليها من القائمة الأولى، وذلك ربحا للوقت وتسهيلا للمدّ الاستيطاني مستقبلا. كما هي مطالبة بالتعجيل في تنفيذ القانون على القبائل التي سيقطع خط السكة الحديدية أوطانها، مما سيسهل على المؤسسة العقارية توفير الأراضي لشركة السكك الحديدية باريس- ليون البحر الأبيض المتوسط، سواء عن طريق المصادرة بحجة الصالح العام، أو تقديم تعويضات عقارية للأهالي تكون اللجان قد تمكنت من اختيار مواقعها، حيث سيتم ترحيلهم إليها (3).

1 - المادة الأولى:- القبائل الجزائرية تمّ الإعلان عن ملكيتها للأراضي التي تتمتع باستغلالها بصفة دائمة وتقليدية، تحت أية صفة. كل عقود وتقسيمات أو تفصيلات لممتلكات، وقعت بين الدولة والأهالي، نسبة إلى ملكية الأرض، هي معترف بها وستبقى مثبتة.

Art. 1° - Les tribus de l'Algérie sont déclarées propriétaires des territoires dont elles ont la jouissance permanente et traditionnelle, à quelque titre que ce soit. Tous actes, partages ou distractions de territoires, intervenus entre l'Etat et les Indigènes, relativement à la propriété du sol, sont et demeurent confirmés

2 - المادة الثانية: سوف يتمّ إداريا وفي أقصى الأجل: 1- تحديد أملاك القبائل... 2- توزيعها بين دواوير كل قبيلة من قبائل التل وأخرى من الأراضي الزراعية، مع الاحتفاظ بأراضي ستحتفظ بطابع ملكية البلدية... 3- تشكيل الملكية المشخص بين أفراد تلك الدواوير، أينما كان هذا الإجراء ممكنا، ومناسبا. مراسيم إمبراطورية تثبت التنظيم والتفاصيل التي ستحيط بالملكية المشخصة

:Art. 2° - Il sera procédé administrativement et dans le plus bref délai

1° - A la délimitation des territoires des tribus

2° - A leur répartition entre les différents douars de chaque tribu du Tell et des autres pays de culture ; avec réserve des terres qui devront conserver le caractère de biens communaux

3° - A l'établissement de la propriété individuelle entre les membres de ces douars, partout où cette mesure sera reconnue possible et opportune

Des décrets impériaux fixent l'ordre et les délais dans lesquels cette propriété individuelle devra être constituée dans chaque

أنظر: PERRIOUD (J.R.); Commentaire ...Op. Cit. p.7 et suivante

3 - أنظر: - Désignation de 73 tribus sur le territoire RANDON; sous Couvert Napoléon (Emp.); Désignation de 73 tribus sur le territoire Sén. Con. 22 avril 1863. Paris le 20 Janvier 1866 B.O.G.G.A. année 1866. p.16

2 - إنّ أشغال التثليث الكبرى (Triangulation) تمت ما بين 1864 - 1873

أنظر: - MEMORIAL; du service géographique de l'armée. Tome V; Paris

1930. p.79

فقانون (س. ك.) لا يغدو إذن عن كونه خطوة جديدة في مواصلة الاستيلاء على ممتلكات الأهالي، ووسيلة لتدارك محدودية قانون التجميع الصادر في 16 جوان 1851، والاعتراف بملكية العرش (الملكية الجماعية).

ذكر روندون، وهو يطلع في تقرير، الإمبراطور عن محتوى (س. ك.)، بأن من الأهداف المسطرة من خلال عمليات تنفيذه "توفير الأرض للدولة المسؤولة الأولى على إنجاز عملية الاستيطان". إذ ورد في تقريره ما يلي: "بعد الاعتراف بحق القبيلة في استغلال الأرض وهو حق ناقص يمكن تداركه بالسماح بتقسيمها بين مستغليها وبين الدولة (1) وجدت فرنسا في الجزائر مخرجا للفقر المدقع الذي مس فئة واسعة من المجتمع. وأمام مسؤولياتها تجاه العمال الأذكياء وحفاظا على مصالحهم، عملت على التكفل بمستقبل أربعة ملايين من المحتاجين دون أن يكون ذلك على حسابهم ودون عرقلة مؤسسات المانيفاكتور (manufacture). اقترح بعض المفكرين المستنيرين الليبراليين مشروعاً يكفل تأطير أولئك المتسولين في مقاطعات إقامتهم (أحيائهم) بفرنسا ريثما تخلق الدولة مناصب الشغل بالجزائر، حينئذ توجه تلك الفئة إلى الجزائر وبالتالي ستشكل فئة المستوطنين المدنيين المعول عليهم لإنشاء المجتمع الذكي الذي ندى به البعض هذه المرة على أرض الجزائر. تتعاهد الدولة من خلال الحكومة الاستعمارية بالجزائر بمنح كل متسولٍ يتوجه إلى الجزائر للاستقرار قطعة أرض مقابل مبلغ رمزي 50 فرانك فرنسي، هذا ناهيك عن تسهيلات أخرى تسهل على المستوطن تنمية ثروته في ظل النظام الاقتصادي الحر (2).

PERRIoud; (J.R) -

AMAURY; (A) -

1 - أنظر:

COMMENTAIRE...Op. cit.;p. 20

2 - أنظر:

.Colonisation de l'Algérie. Alger 1847

طرحُ سعى من خلاله دعاة الاستيطان المدني فرض تواجدهم في الميدان ومن ثم منافسة دعاة الاستيطان العسكري الذي تحقق على أرض الواقع عام 1843 مع مستوطنة أورليانفيل، خاصة وأنَّ الأوضاع الأمنية في مقاطعة الوسط صارت بالنسبة لهم أكثر استقراراً منذ عمليات خريف عام التي تعرض إليها بني مناصر، منذ 1846 بالنسبة لأوطان قبيلة يسر إلى جانب ما وفرتة العملية الحجر عقب كلِّ هجوم من أراضي واسعة

اعتبر بعض الاقتصاديين والسياسيين الغربيين خاصة الليبراليين منهم في انتشار الملكية المشخصة سمي من سمات المجتمعات المتحضرة في القرن التاسع عشر ميلادي⁽¹⁾، لما تضمنه من حرية التصرف في الأرض ووسيلة لحماية مصالح التوجه الليبرالي. ورغم ما كانت عليه الملكية الخاصة من انتشار قبل الغزو، إلاَّ أنَّه كان يراد من وراء مشروع (س. ك.) الذي حمله أصحابه شعار "حق الأهالي في الملكية المشخصة على النمط الغربي" لِيَسْهُل على الأوروبيين التعامل مباشرة مع الأهالي وشراء منهم قطع أرضية لمجرد حصولهم على عقود ملكية فردية من مؤسسات الإدارة الاستعمارية حيث لا سلطان للقبيلة على الفرد. فالأخطر من مسألة التحويل هاته أو حتى من فرنسة الأرض الجزائرية هو جوهر ما سنَّ من أجله هذا القانون والذي يكمن في التخطيط إلى انتزاع الفرد من عشيرته، وجعله يتخلى عن التزاماته تجاه قبيلة⁽²⁾.

1 - أنظر:

. Op. cit -

2 - أنظر: - (J.R.)، p. 32. Titre V, Commentaire... op. Cit. PERRIQUOT

...Article 45. " La constitution de la propriété

- المادة 45 : أن تشكيل الملكية الخاصة لا يقتصر بالضرورة على الأراضي الصالحة للزراعة فقط، بل يتمثل أيضا في وضع حدٍّ للملكية غير القابلة للقسمة بتحديد أولويات الحقوق التي تملكها العائلات. بعد هذه العملية لن يبقى بالدوار ملكية جماعية غير تلك المتمثل في أملاك البلدية.

1- يسّر تحتل طليعة التنفيذ

إنّ المتمعن في المراسيم الإمبراطورية المتعلقة بتعين القبائل المعنية بقانون (س. ك.) 22 أفريل 1863 والتي ستنفذ عليها اللجان المادتين الأولى والثانية منه سيلاحظ حتما العناية اللا متناهية بمصالح الأوروبيين المتدفقين على الجزائر ومستقبلهم الاستيطاني. ولعلّ ما جاء في حق قبيلة يسّر وبني مناصر أفصح ما يمكن تقديمه لتوضيح الهدف الجوهري من قانون (س. ك.).

لقد صدر قرار إخضاع قبيلة يسّر (بشرا وموطنا) للإجراءات المنصوص عليها في المادتين الأولى والثانية من قانون س. ك. 22 أفريل 1863 بموجب مرسوم إمبراطوري استثناء مؤرخ في 29 أوت - 21 سبتمبر 1863 في حين لم يرد ذكرها ضمن القائمة الأولى الصادرة في 12 - 31 أوت 1863 (1) كما يوضحه الجدول التالي:

القائمة الأولى: القائمة الأولى للقبائل المعنية بقانون س. ك. 22 أفريل 1863.
الوثيقة رقم 5

القبائل (2)	الدوائر الإدارية	تاريخ م.إ. (3)	تاريخ التنفيذ (4)
- موزاية	- البلدية	31 أوت 1863	23 - 9 - 1870
- بوجلوان	- مليانة	"	31 - 12 - 1860
- بني ثور	- دلس	"	30 - 10 - 1868
- تورعة	- دلس	"	8 - 9 - 1867
- عمراوة	- دلس	"	
- حسن بن علي	- المدينة	"	
- بوجلوان	- تنس	"	
	- أورليانفيل	"	

1 - قرار إمبراطوري يتضمن تعيين القبائل التي سيبدأ بها تنفيذ السيناتوس

كنسلت 22 أفريل 1863. بتاريخ 12 أوت 1863.

قرار محرر بسان كلو بفرنسا بتوقيع الإمبراطور نابليون ومارشال فرنسا ، وزير الحربية راندون

- أنظر: - D.I.; portant désignant des tribus où il sera d'abord procédé à l'exécution du
Sén.-Con. du 22 avril 1863, du 12 août 1863. B.O.G.G.A. 3° année 1863. Alger 1863

2 - أنظر المصدر نفسه : - D.I.; portant désignant des tribus où il sera d'abord procédé à l'exécution
du Sén.-Con. du 22 avril 1863, du 12 août 1863. B.O.G.G.A. 3° année 1863. Alger 1863

3 - تاريخ م.إ. = تاريخ المرسوم الإمبراطوري.

4 - قرارات مدونة في النشرات الرسمية للحكومة العامة بالجزائر (B.O.G.G.A.)

- 4 - 7 - 1869	"	- أومال - أومال	- حميس - عريب - أولاد بليل
- 6 - 15 - 1864			

- 3 - 24 - 1866			
- 3 - 13 - 1867			

يظهر من خلال الجدول أعلاه بروز ثلاث مجموعات من القبائل:- الأولى منها مشكلة من ثلاث فروع من اتحادية بني مناصر وهي موزاية، بوحلوان، حسن بن علي.- الثانية هي مجموعة منبثقة من عن اتحادية سيباو، تظم كلا من بني ثور، تاورغة، عمراوة، عريب⁽¹⁾ وأولاد بليل. - الثالثة هي فروع لقبائل مرتبطة إداريا رأسا بالمستوطنة العسكرية أورليانفيل منها بوحلو⁽²⁾، وحميس⁽³⁾ فإنها مرتبطة رأسا بالمستوطنة العسكرية أورليانفيل. أمّا عن مراكز الاستيطان الأولى بأوطان يسّر نذكر البعض منها: مستوطنة ريفت (Rivet) التي تأسست بموجب قرار 21 جوان 1856، وقبلها المدينة الاستيطانية دلس بتاريخ 2-25 مارس 1845. هذا لتتوسع قائمة المراكز والقرى الاستيطانية عشية صدور قانون 22 أفريل 1863 كما هو الشأن بالنسبة لقرية ريبيفال (Rébeval) التي تأسست بموجب قرار 4 جوان 1860، في حين تأجل مرة أخرى فتح المراكز الاستيطانية إلى عام 1895 بأوطان زاتيمة حيث تمثل ذلك في انشأ مستوطنة دوبليكس (DUPLEIX) على الضفة الغربية من وادي الداموس.

¹ - الانتباه لعدم الخلط بين فرع عريب الواقعة جنوب بني جعاد وذلك الفرع الواقع جنوب مليانة.

² - بوحلو فرع من فروع بني بومليك على المنحدرات الشمالي الغربية من أوطان بني مناصر

³ - حميس (Heumis) هي تلك الأوطان المترامية الأطراف التي يقطعها الطريق الرئيسي بين سهل الشلف والبحر

جدول يوضح المستوطنات التي ستستفد حتما من تطبيق تنفيذ س.ك. على قبيلة يسر (1)

القبائل المعنية س.ك.	مراكز الاستيطان القريبة	طبيعتها	تاريخ تأسيس المركز	تاريخ التأسيس
يسر	- قرية الفندق - دلس - فوردلو (Fort-de- l'eau) - روية - راية - ربيغال	- مستوطنة زراعية	أنشأت الخلايا الاستيطانية الأولى مع تقدم القوات العسكرية (2)	9 - 21 - 1844 - 2/25 - 3 - 1845 - 11-01 - 1850 - 10 - 30 - 1855 - 9 - 14 - 1854 - 6 - 14 - 1860

الوثيقة رقم 6

كما تظهر قوة اهتمام الحكومة الاستعمارية بأراضي يسر من خلال احتلال ثلاث فروع منها وهي يسر الجديان ، يسر أولاد سمير ويسر الظهور، طليعة القائمة الجماعية الثانية والمتضمنة لـ 48 قبيلة على مستوى كل من المقاطعة والقطر، بموجب المرسوم الصادر في 28 جانفي 1864 (3)

1 - أنظر:- MENERVILLE; Dict.,... op. cit. - D. I. Désignation des tribus soumises aux opérations de délimitation répartition - 29 août - 21 septembre 1863 - territoire de la Tribu des Issers

.P. 222. 2° partie (Département d'Alger)

2 - يمكن العودة إلى عمليات الغزو

3 - أنظر - MENERVILLE; Dict...op. cit. - D.I. -16 avril -24 mai 1864. décision des 48 tribus désignées p.

- القبائلي المعنية ب(س.ك.) 22 أبريل 1863 بمقاطعة الجزائر صدر في 16 أبريل - 24 ماي 1864 الأمر القاضي بالشروع في العمليات المتعلقة بتشكيل ملكية العرب (تشخيص الملكية) على أراضي 48 قبيلة. نحتفظ من هذا العدد إلا بما له علاقة ببني مناصر وأهل يسر فقط⁽¹⁾.

المقاطعة subdivision	الدائر cercle	إقليم district	القبيلة tribu
- دلس	- دلس	- دلس	- يسر الجديان، يسر أولاد سمير،
- أومال	- أومال	- أومال	- يسر الظهور، سيباو
- المدية	- المدية	- المدية	- بني موسى، بني مناصرة،
- مليانة	- مليانة		- فروخة، غلارة؟ بني صالح
- أورليانفيل	- أورليانفيل		- صوماطة، بني أحمد،
			- بويحوسني، جندل
			- مجاجة، أولاد فارس.

الوثيقة رقم 7

التعليق

نسجل سقوط العديد من فروع قبيلة "يسر الوطن" كما كانت عليه عشية الغزو. فغياب نزليوة مثلا، التي لم تتمكن القوات الغازية من احتلالها إلا في عام 1852، تصنف معظم أراضيها ضمن الملكية الخاصة⁽²⁾ أمّا الفروع التي شملها قانون (س.ك.) 22 أبريل 1863 من الاتحاديتين بعد تصديعهما، نذكر بالنسبة لبني مناصر كلا من فرعي بوهلون وحسن بن علي باعتبارهما فرعين مخزينين، وفرعي بني ثور وتورغة بالنسبة ليسر وذلك بموجب القرار الإمبراطوري المؤرخ في 12 أوت 1863⁽³⁾. ورغم ذلك يبقى الغموض يكتنف المراد بقبيلة يسر (Tribu des Issers) لكونها وردت تارة في صيغة الجمع، وتارة أخرى محددة بالشكل التالي: محصورة من الشمال بالبحر الأبيض المتوسط ويسر من دائرة دلس ومن الشرق أهل عمراوة من الجنوب أهل فليسة وأهل خلفون وخشنة غربا. وما يبرز من هذا التحديد هو فصل يسر الغرب عن يسر الشرق.

1 ؟ - أنظر: RANDON; sous Couvert Napoléon (E.); Désignation de 48 tribus sur le -

territoire desquelles il sera procédé à l'exécution du Sén. - Con. 22 avril 1863

Il est prescrit d'entreprendre les opérations relatives à la constitution de la propriété arabe sur - le territoire de 48 Tribu. dont le territoire doit être Soumis aux opérations prescrites par les paragraphes 1-2 et 3 du règlement d'administration publique du 23 mai 1863. Saint - Clout,

.avril-24 mai 1864. B.O.G.G.A. année 1865 P.195-196 16

2 - أنظر: B. O. G. G. A. année 1870. Op. Cit. pp.216-217

3 - عدد القبائل التي خصّها القرار 12 أوت 1863 على مستوى القطر هي 32 منها 11 بالنسبة لمقاطعة وهران ونفس العدد بالنسبة لقسنطينة.

- أنظر: B. O. G. G. A. année 1863 - Décret impérial; p 325.

أمّا عن أسباب اهتمام الإدارة الاستعمارية بيسّر فإنّه يعود إلى سهولة السطح وجودة أراضي حوض يسّر، وغزارة شبكتها المائية التي تكاد أن تنفرد بدوام الجريان، ناهيك عن قربها من مركز الاستيطان، فأراضي يسّر الجديان تحيط بمدينة دلس كما دُعّم هذا الاهتمام الوصول إلى تيزي وزو وفتح مستوطنة في 27 أكتوبر 1858.

بعض مراكز الاستيطان القريبة من القبائل المعنية بقانون (س.ك.) 22 أبريل 1863 (1)

القبائل المعنية س.ك.	مراكز الاستيطان القريبة	طبيعتها	تاريخ تأسيس المركز	تاريخ التأسيس (2)
- موزاية	- العفرون - بورومي - مارينق Marengo	- مستوطنة زراعية (3) " "		- 11 - 2 - 1851 " "

1 - هذه العشر قبائل خاصة بمقاطعة الوسط من أصل 32 قبيلة على مستوى القطر .

- أنظر: مينرفيل؛ قاموس... المصدر

نفسه.

2 - أنظر: MENERVILLE; Dictionnaire de la législation algérienne 1830 - 1860. 2 éd. Alger, Paris - 1860.

3 - أنظر: Ibid-

Décret du président de la République - 11février, 25 mars 1851Constitution définitive des colonies - agricoles. Par décret du président de la République, en date du 11 février 1851, les colonies agricoles créées ... en vertu du décret de l'assemblée nationale, du 19 septembre 1848, ont été définitivement constituées

- 2 - 11 - 1851			- موطوط (Montenotte) (تنس)	- بوحلو
- 2 - 11 - 1851	1848		- مليانة	- بوحلوان
- 2 - 11 - 1851		- مستوطنة زراعية	- دو أمال	- عريب
- 2 - 11 - 1851		- مستوطنة زراعية	- دو أمال	- أولاد بلهيل
- 2 - 11 - 1851			- المدينة - لودي (Lodi) - داميات (Damiette)	- حسن بن علي
-		-	- دلس	- بني ثور
			- دلس	- ناورغة
			- دلس	- عمراوة
- 2 - 11 - 1851	1848 -		- زوريخ	-
- 2 - 11 - 1851	1848 -		- نوفي	-

الوثيقة رقم 8

إنَّ المراد بقانون س. ك. 22 أبريل 1863 يتمثل في توسيع المستوطنات على حساب الأهالي، وأنَّ أراضي قبيلة الموطن كلها مستهدفة، خاصة وأنَّه لم يُشار إلى الفروع المنبثقة عنها والناجمة عن التقسيمات المفروضة على قبيلة الموطن عام 1851 (سياسة التجميع)، وتعامل الإدارة الاستعمارية مع تلك الفروع على أساس أنَّها مستقلة عن بعضها البعض.

2 - أوطان بني مناصر مركز اهتمام الحكومة الاستعمارية

إنَّ إدراج ما صار يعرف بقبيلتي بني مناصر غرابة (مليانة) وبني مناصر شراقة (شرشال) ضمن القائمة الجماعية الثالثة المقترحة على الإمبراطور والتي وافق عليها بموجب قرار في 22 مارس - 8 أبريل 1865. وما دام الطريقان يسيران بالتوازي مع الواجهة الجنوبية لمرتفعات الظهرة، كان من الطبيعي أن تخضع اللجنة بني مناصر غرابة (مليانة) ⁽¹⁾ للمادتين الأولى والثانية من (س. ك.) قبل بني

¹ - أنظر: القبائل وفروع القبائل التي يقطعها الطريق السلطاني (الإمبراطوري): وؤمري، جناد، بني زوق زوق، عريب، براز، العطاف، بني راشد،

مناصر الشراقة كما نصّ عليه القرار الإمبراطوري المؤرخ في 20 جانفي 1866.

القبائل المعنية ب(س.ك.) 22 أفريل 1863 بمقاطعة الجزائر. قرار إمبراطوري صدر في 22 مارس - 8 أفريل 1865 في حق 124 قبيلة. نكتفي بنقل ما يخص مقاطعة الجزائر⁽¹⁾.

القبائل	الدوائر	القبائل	الدوائر
- زمول، خشنة السهل، - بني خليل، بترونة بني سمنجر، بني عيسى، - أولاد براهيم - عومري - أولاد عنتر، أولاد حمزة، أولاد أحمد، أولاد أمفاطا	- دلس - تزي وزو - أومال - المدية - بوغار - مليانة	- اللحرارة، بني بوكني - بني مناد، بني مناصر شراقة، بني مناصر الغرابية، قوراية - بني محرز، بني سومر، أولاد سليمان، سوايح - سباح الجنوب - زوغارة، ماينيس، بني تامو، بوغدورة	- شرشال - ثنية الأحد - أورليانفيل - تنس

الوثيقة رقم 9

إدراج مثل هذا الجدول في هذا المقام مفاده تسهيل الوقوف على العمليات الكبرى التي عرفت المنطقتين ومن ثمّ تقيم انعكاساتها على الأهالي على المدى البعيد.

**ونظرا لما كانت تنتظره مصلحة الاستيطان من
مساحات جديدة، أنهت اللجنة تقريرها الخاص بقبيلة
بني مناصر في 17 أكتوبر (2) 1869. تجدر الإشارة هنا
إلى أنّ خط السكة الحديدية الرابط بين بو مدفع
وأفروفييل تعطل لاندلاع انتفاضة عام 1871.
أمّا فيما يخص نشاط لجنة (س.ك.) 22 أفريل
1863 المكلفة ببني مناصر الشراقة فإنّه كان يخضع
أكثر لمتطلبات توسيع المستوطنات الزراعية. ورغم**

أولاد قوصير، صباحية شمالا وجنوبا. ومن البلدة إلى التلّ بني صالح، موزايا،
هواره، ريغة (الجنوب) بن حسن، أولاد عنتر، أولاد حمزة، مفاطا، أولاد أحمد، زناخة،
معاوشة شرقا، زواتنة بني خلفون، نرليوأة أولاد عزيز، بني مدور، مراحلية، أولاد
بليل، بني منصور.

1 - أنظر :- TABLEAU indiquant les territoires des tribus à soumettre aux dispositions du Sén. - Con. du 22 avril 1863 et du règlement d'administration publique du 23 mai 1863, sur la propriété en Algérie. (Annexe du décret du 22 mars 1865. B.O.G.G.A année 1866. p. 152 154

? - 2 - أنظر :- D. I. du 22 mars - 8 avril 1865. 2° partie p. 222 et suivante

2 - أنظر :- LE BŒUF (M.S.E.G.) Rapport d'Exécution du Sén. - Con. du 22 Avril 1863 - approuvé et signé par Napoléon (Emp);- Décret de délimitation du 17 octobre 1869. B.O.G.G.A. année 1870. Pp. 361-370

إنهاء اللجنة الإدارية أشغالها في 10 ديسمبر 1869، بإعدادها تقريراً حول مسألة برسم حدود القبيلة والوقوف عن مقوماتها البشرية والمادية، إلا أن قرار توزيع أراضي القبيلة بين الدواوير المستحدث تأخر إلى 29 جوان 1870⁽¹⁾. ولعل إجراء مقارنة بسيطة بين تاريخي صدور أول قرار إمبراطوري فردي جاء في حق يسر في 29 أوت / 21 سبتمبر 1863⁽²⁾ وتأخير إصدار قرار إخضاع فرع زاتيمة للمادتين الأولى والثانية من قانون (س. ك.) إلى غاية عام 1892⁽³⁾، يشهد على أن الإدارة الاستعمارية المقصد الحقيقي من هذا القانون يبقى العناية أكثر بمصالح المستوطنين عكس التصريحات والتبريرات التي قدّمتها الأطراف التي كانت وراء صدوره. ويتضح ذلك جلياً من خلال الجداول المرفقة.

د - السيناتوس كنسلت في خدمة الاستيطان

أمّا فيما يخص مسألة فرنسة الأرض لقد أفرزت المناقشات التشريعية حول وضعية الأرض طيلة الخمسينيات من القرن التاسع عشر ميلاد تعليمات أكثر دقة بدأ بفرض ما اصطلح عليه لدى المصالح الاستعمارية "عقار المحليين" والتحكم فيه أكثر. وعليه فكان مع صدور قانون 23 مارس 1855 المتعلق بكتابة الأسماء العربية بالفرنسية (la transcription) كان لزاماً على أصحاب الملكية المشخصة أثناء إقبالهم على تسجيل ملكيتهم لدى المصالح المعنية بموجب ذات القانون المثول أولاً أمام القاضي صحبة جيران المعني بالأمر قصد ضبط حدود

1 - أنظر - LE BŒUF (M.S.E.G.) Rapport d'Exécution du Sén.- Con. du 22 Avril 1863 approuvé et signé par Napoléon (Emp.);- Décret de délimitation du 29 juin 1870. B.O.G.G.A. année 1871. Pp. 298-306

2 - أنظر: B.O.G.G.A. année 1864 Il est prescrit d'entreprendre le territoire de 48 Tribus. - Opérations relatives à la constitution de la propriété arabe

3 - الأمر بتنفيذ قانون 28 أفريل 1887 الخاص بتطبيق السيناتوس كنسلت 22 أفريل 1863، حسب عرض حال تحديد دوار زاتيمة (مخطوط).

ملكيتهم، في حين تطرح الحالات المستعصية أمام المحكمة لتعرف نفس الإجراءات.
فكان على القضاة إذن تحرير العقود ليتمّ تدوينها لاحقاً من طرف ضباط محاكم الدوائر (Les Arrondissements) على سجلات خاصة تحتفظ بالمحاكم ومصلحة المسح بالجزائر بنسخ من تلك الأحكام. وتجدر الإشارة هنا إلى وجد في مصلحة الكادستر سجلات خاصة بالعمليات التي نُفذت على أوطان يسّر إذ وإن أبعدت المحاكم بين دواوير يسّر - دلس تيزي وزو الجزائر فإنّ المصلحة وطريقة التنفيذ تجمع بينهم من جديد.

ولمجرد إتمام تسجيل الملكية وتحرير العقود ويتحصّل كلّ معني بالأمر على عقد الامتلاك تتحول الأرض وإنّ اعترفت له الإدارة بملكيتها لها إلى حين فإنّها في حقيقة الأمر رسمت تحويلها حيث صارت بموجب تلك العمليات أرضاً فرنسية ما دامت عقود الملكية (Le Titre de Propriété) ⁽¹⁾ تحمل رموز الدولة الفرنسية كالإمبراطورية الفرنسية (L'Empire Français) وبعدها باسم الجمهورية الفرنسية (La République Française). كما تعرّف نفس المصير كلّ قطعة أرض وقع عليها تنازع ومن ثمّ لجوء الأطراف المتنازعة إلى المحكمة للفصل في القضية، سواء كان ذلك النزاع قائماً بين الدومين والمحليين أو بين المحليين أنفسهم لأنّ الأحكام ستصدر عن الإدارة الاستعمارية ⁽²⁾. ولن تخرج عمليات تنفيذ قانون (س. ك.) عن النهج المتخذ لفرنسة العقار (franciser la terre)

1. 1 - أنظر الملحق؛ عقد الملكية: المملكة الفرنسية؛ عمالة الجزائر؛ رسم ملكية. نابليون الثالث سلطان فرنسا وبين بفضل الله وإرادة كافة الجنس الفرنسي السلام على من هو موجود في الحال ومن سيوجد ... كتب بالجزائر في اليوم الأول من شهر نوفمبر سنة 1862
Empire Français; province d'Alger TITRE DE PROPRIÉTÉ
NAPOLÉON III, par la grâce de Dieu et la volonté Nationale, Empereur Des Français
Fait à Alger, le 1^{er} novembre 1862

Les -

2. ? - أنظر:

Congrès; T. 1 année 1908. p.607

2. ? - أنظر: (J.) 4 juin année 1872 AKHBAR;

بالجزائر (1) ما دامت كل العمليات الكبرى التي ستقوم بها لجان (س. ك.) ستنتهي حتما أمام مكاتب المصالح الإدارية للحكومة الاستعمارية. إن السرعة التي تمّ بها تسجيل وتنفيذ قانون 26 جويلية (2) 1873 يعكس مدى أهمية أوطان يسّر وعلى وجه الخصوص يسّر الجديان بالنسبة لمستقبل الاستيطان في المنطقة. في حين لم تسجل ملكيات دواوير التي جُمع بها بعض فرق بني مناصر (3) رغم أنها أخضعت بموجب قرارات منفردة لقانون (س. ك.) 22 أفريل 1863 (4) وبالتالي لم تكن الأرض قد فُرست بعد، لذا أرغم المحليون على إعادة شراء أراضيهم المحجوزة، قصد تحويلها إلى القانون الفرنسي بشكل رسمي.

1 - أنظر: ROBE; Les lois de la propriété immobilière en (E) -

:Algérie comprenant

1° Le commentaire de la loi du 26 juillet 1873 et des lois postérieures modificatives ou complémentaires 2°

Toutes les autres lois réelles annotées 3°

Un appendice pour le régime immobilier de la Tunisie. Ed. Alger 1891. (417 p.), p. 114

بعد الثلاثة شهور الممنوحة للطعن في العقود المؤقتة فتصبح العقود الغير معترض عليها ذات الحق الكامل محولة بعقود نهائية؛ في حين تخضع الباقية المعتبرة عليها إلى القضاء للفصل في شأنها. يتم تسجيل وتدوين العقود الأولى والثانية على حد سواء من طرف مصلحة العقار على نفقات أصحاب العقود. يمثل تاريخ التسجيل الانطلاقة الجديدة والوحيدة للملكية، حق المستفيدين هذا غير قابل للنقاش أنظر: ROBE; op. cit. p.114 (E).

2 - أنظر: ROBE; Les lois de la propriété immobilière en Algérie. Alger 1891. P.11 (E) -

- أنظر: المصدور نفسه؛ ص. 27

- من بين اهتمامات اللجان المكلفة بتنفيذ قانون السيناتوس كنسلت 22 أفريل 1863 : تحديد "أراضي العرش" وإعطاء الطابع الفرنسي للأراضي التي لازالت تابعة للقانون الإسلامي أحدثت الإدارة قانون 26 جويلية 1873 الذي تنص المادة 20 منه على توزيع ما تبقى من أراضي العرش على أفراد القبيلة فقط وذلك في حدود المساحة التي كان يستغلها بصفة فعلية كل واحد من أفرادها. أما الفائض منها سيتحول إلى ملكية خاصة الدوار على غرار ملكية البلدية

3 - أنظر: Grt Gnl. Al.; Département d'Alger situation foncière au 17 janvier 1952. Carte dressé par - ordre de M.ROGER (Léonard) (gouverneur général d'Alger). Echelle 1/400 000

4 - - أنظر: MAC-MAHON (Maréchal), G.G.A.;- Instructions relatives aux opérations de

délimitation du territoire des tribus et de répartition de ce territoires entre les douars (Exécution du Sén.-Cons du 22avril 1863. Rapport; Alger, le 1 mars 1865. B.O.G.G.A., année 1866. Pp. 185-246

- لوييف (Le BŒUF)(مريشال فرنسا، وزير الحرب)؛ تقرير إلى الإمبراطور؛ باريس 29 جوان 1870. تقرير خاص ببني مناصر بشرشال.

تنفيذ قانون السيناتوس كنسلت 22 أفريل 1863 - تحديد وتوزيع أراضي قبيلة بني مناصر، مقاطعة الجزائر.

2 - أنظر:

B.O.G.G. A; année 1870. Alger 1871

هـ- الدّوار-كومون نيتاج قانون س.ك. 22 أفريل 1863
اجمع المهتمون بوضعية المجتمع الجزائري خلال
القرن الثامن عشر ميلادي على أنّ الدّوّار يعد إحدى
ركائزه الأساسية⁽¹⁾. لكن هل ستبقى تلك الخلية
خلال القرن التاسع عشر على حالها؟ خاصة وأنّ
الدّوّار الطبيعي يخضع في تكوينه إلى عوامل البيئة
وإلى الواقع المعيشي للأهالي. فهو نتاج حركية
اجتماعية اقتصادية تسير وفق تفاعل تلك العناصر
مع بعضها البعض. وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ إدارة
الاحتلال تتعامل مع أراضي الدواوير على غرار أراضي
العرش بل وحتى الملكية المشخصة على أساس أنّها
تُعتبر قاعدة عقار (la matrice foncière) البايليك (الدولة).
لقد أُضيفَ إلى مهام ضباط المكاتب العربية بعد
التحول في حدود عام 1847 من مراقبة قيادات
ومشايخات الأهالي ومن البحث عن شخصيات تجمع
بين خصلتي قوة التأثير على الأهالي والميول إلى
التعامل مع إدارة الاحتلال، صار لهم دورا جديدا
يتماشى وسياسة إضعاف القبيلة بتحليلها. وما تفكيك
هذه الأخيرة إلى وحدات صغيرة في شكل دواوير
مستقلة عن القبيلة⁽²⁾ وطبعتها إداريا بالصيغة
الأوروبية في شكل "بلديات" أطلق عليها "بلديات
عرب" (communes arabes) إلّا أنّها نتاج وثمرّة نشاط ضباط
المكاتب العربية التي كانت وراء قانون التجميع 16
جوان 1851 المنفذ من قبل الحكومة الاستعمارية.
فتقسيم القبيلة إلى قيادات مفاده فسخ المجال
أمام من يعتقد بأنّ المشيخة أو القيادة مسألة
تشریف، وبالتالي ستتعدد مناصب القيادات. لقد ترتب

1 - أنظر: (H) - BRENOT; Le Douar Cellule Administrative de l'Algérie du Nord. Alger 1938.(191 p). p. 26

2 - أنظر: - SAINT-MARIE; L'Application du Sénatus-Consulte 22 avril 1863 dans la province (d'Alger 1863-1870). Thèse

- الذي تنوعت أسسه حيث هو في بعض الأحيان عبارة عن فرع تم فصله عن قبيلة
ما وتارة يكون مشكلا من عناصر جمعتها القوات العسكرية بمناطق تسهل عليها
مراقبة تحركات الأهالي،

عن قانون التجميع 16 جوان 1851 تحويل الدوار إلى بلدية عربية (la commune arabe) منفصلة عن القبيلة⁽¹⁾

ولكسر هيبة قيادتي القبيلة والدوار وإبعادهما عن الدور المنوط بهما اعتمدت الحكومة الاستعمارية السرعة في تشكيل الإدارة المحلية ثم محاربتها تحت غطاء إعادة هيكلتها لأبسط الذرائع، مما مكنها من إبعاد القيادات التقليدية واستبدالها بقيادات جديدة تكون ذات استعداد للتعامل مع إدارة الاحتلال والخضوع لسياساتها⁽²⁾. وتجدر الإشارة هنا إلى أنه حتى أولئك الذين وقع عليهم الاختيار لم يكن لديهم تنصيبهم طويلا إذ غالبا ما يصلهم قرار التنحية وتنصيبهم لم يتم بعد.

إنّ المتمعن في التعليمات الإمبراطورية فإنّه سيلاحظ حتما أنّ قانون (س. ك.) 22 أفريل 1863 لم ينطلق تنفيذه من الأوطان الأصلية (الطبيعية) للقبائل، وإنّما من أراضي معسكرات التجميع المترتبة عن قانون 16 أفريل 1851 إي بعد أن تمّ حصر القبائل وتجزئتها إلى فروع وفق ما تقتضيه مصالح الاستيطان وتأسيس الدوار المصطنع، كما هو الشأن بالنسبة لدوار زاتيمة الذي لم يرد اسمه لا في الوثائق الإدارية ولا على الخرائط العسكرية الأولى ما قبل عام 1843، لا كتلك التي رسمها أونفونتان⁽³⁾ (ENFAN TIN) ولا كسابقتها المنجزة عام 1838 من طرف بيلي (PELET).

ومع تطبيق المادتين الأولى والثانية من قانون (س. ك.) 22 أفريل 1863، حيث ضبّطت من جديد

¹ - أنظر: SAINT-MARIE; Op. cit.

- الذي تنوعت أسسه حيث هو في بعض الأحيان عبارة عن فرع تمّ فصله عن قبيلة ما وتارة يكون مشكلا من عناصر جمعتها القوات العسكرية بمناطق تسهل عليها مراقبة تحركات الأهالي،

² - أنظر: GERMAIN; La politique... op. cit. p. 234 (R).

T.S.E.F.A.

³ - أنظر: - Enfantin; Cartes des trois départements

حدود الدوار المركب تحوّل هذا الأخير إلى خلية إدارية أطلق عليها "الدوار-كومون" (Douar- commune). وحدة مفادها التسهيل على الحكومة الاستعمارية التصرف في أراضي الدوار وفق ما يقتضيه توسيع دائرة الاستيطان سواء كان المستوطنات الأولى منها أو لفتح مراكز جديدة. ولم يكن تظاهر احترام الحكومة الاستعمارية أثناء إنشاء الدواوير عادات وتقاليد الأهالي واحترام روابطهم الاجتماعية والاقتصادية إلاّ تفاديا لانتفاضة محتملة، إذ لم يكن من الممكن إخضاعهم إلى قرارات سلطة دخيلة عليهم، إلاّ عن طريق تعيين قيادة محلية تكون موالية للمحتل فإذا كان الطريق الإمبراطوري (السلطاني) وراء قرار تعيين بني مناصر مليانة لإخضاعهم لعمليات قانون (س. ك.) 22 أفريل 1863 فإنّ العوامل الأساسية بالنسبة ليسرّ تلخص في كون المنطقة أكثر جاذبية للوافدين الأوروبيين لخصوبة الحوض وشيوع أملاك البايليك من جهة وانتشار الملكية الخاصة التي يمكن الحصول عليها بأسعار زهيدة جدا. عرفت أراض يسرّ حركة استيطانية مبكرة مقارنة مع بني مناصر إذ كان على (س. ك.) أن يضمن توسيع أراضي المراكز التي فتحت على البايليك أو تلك التي حصلت عليها الإدارة عن طريق المصادرة. وتظهر أهمية سهل يسرّ بالنسبة للحكومة العامة من خلال عدد فروع يسرّ التي أخضعتها الحكومة العامة لقانون (س. ك.) و7 فروع مقابل 14 قبيلة. كما نص عليه قرار 23 ماي 1863.

إنّ أهم ما انتهت إليه تقارير اللجان الفرعية المكلفة بإخضاع القبائل إلى عمليات قانون (س. ك.) 22 أفريل 1863 تحديد كل الدواوير التي يمكن أن تنبثق عن القبيلة بحدود تُرسّم بالتراضي بين جماعات الدواوير لكن تحت إشراف الإدارة الاستعمارية

1- الدواوير- كومون بما تبقى من أوطان بني مناصر

إنّ الدواوير الجديدة ورغم التعديلات التي أدخلت عليها عبر مراحل تطور إدارة الاحتلال، ورغم تدعيم الركائز الجديدة التي ضبّطت عليها في ظل قانون (س. ك.) 22 أفريل 1863، ورغم استغناء فيها مواصفات وشروط "البلدية" إلا أنّ الدواوير ألحقت إداريا بالبلديات المختلطة (Les communes Mixtes) لأنّ الأهالي حسب منطق المحتل لم يرتقوا بعد إلى المستوى المطلوب ولذي يمكنهم من تسيير بلدياتهم الوهمية، وعليه جاء ربط الدواوير بالبلديات المختلطة (Les communes Mixtes) من أجل تعويد الأهالي على التنظيم الجديد قبل ترقية دواويرهم إلى مستوى بلديات الأهالي (Communes des Indigènes) ⁽¹⁾ صارت أراضي الدواوير وهي في مثل هذه الوضعية تحت قبضة إدارة الاحتلال تتصرف فيها كيفما تشاء، لقد اقتطعت، أثناء تنفيذ المادتين الأولى والثانية من قانون (س. ك.) 22 أفريل 1863 على أوطان قبيلة بني مناصر شرشال، شريطا من غابات تاوريغة ⁽²⁾ (Taourgha) التابع لدواري سيدي سميان ⁽³⁾ (Sidi Smain) والقورين ⁽⁴⁾ (El Gourine) كما سبق لها أن اقتطعت شمالا شريطا لإنجاز طريق موازيا للبحر يربط بين شرشال وقوراية. إنّ اقتراحات لجنة (س. ك.) نابعة التحاليل الميدانية التي قام بها المهندس المختص والذي استغلّ تجربة المشرفين على المسح في إطار

1 - أنظر: 14

(.H) BRENOT; Le Douar ...op. cit. p.

2 - نلفت الانتباه إلى عدم الخلط بين: تاويرت التابعة لقيادة بني مناصر شرشال المقصودة في النص وتاويرت بني منصور (أومال الاسم الحالي) تاوريغة التابعة لدلس، تاويرت (دوار منذ عام 1868 شرق مدينة تنس) تاويرت الدوار التابع لسيدي بلعباس.

3 - تأسس دوار سيدي سميان بموجب قرار 29 جوان 1870 المكون من فروع بني مناصر التالية: بني حبيبة، عيوسنة، تاويرت ومازير.

4 - تأسس دوار القورين بموجب قرار 29 جوان 1870 المكون من فروع بني مناصر التالية: بيداف، بني بن صالح، بن عبد الله وأولاد العربي.

العملية التي تعرضت إليها أراضي بني مناصر عام 1855 وعرف كيف يستفيد منها، إذ تبين التطابق بين محتويات تقارير الضباط من ومعطيات الخرائط⁽¹⁾ المسح المنجزة من قبل المختصين في هذا الميدان، أضف إلى ذلك تقرير اللجان الفرعية الثانوية التابعة لإدارة (س. ك.).

هذا ما ينطبق تماما على بني مناصر شرشال إذ يمكن اعتبار ارتباط دواير الكومون: سيدي سميان والقورين بالبلدية المختلطة لقوراية بمجرد الإعلان عن تأسيسهما بموجب قرار 20 جوان 1870 تتويجا للرحلات التفقدية الميدانية التي قامت بها اللجان الفرعية، مما انتهى إلى وضع أراضي بني مناصر شرشال في متناول مصلحة الاستيطان بنوعيه العسكري والمدني، ومن ثمّ توسيع دائرة قوراية من جهة ودائرة شرشال من جهة ثانية. كما سبق للحكومة العامة لمقاطعة الجزائر أن سطرت نفس المصير لبني مناصر مليانة، حيث ألحق دواير كومون بوماد وزكار بالبلدية المختلطة لحمام ريغة بموجب قرار 17 أكتوبر 1869 مما سيمكّن مستوطنيتها من الاستفادة من أراضي بني مناصر مليانة على غرار مستوطني مليانة⁽²⁾.

لم يزد هذا التقسيم، بني مناصر إلا تفكيكا وحصرًا على ما تبقى لديهم من أراضي - أملاك العرش مادامت أغلبية الملكيات قد تمّ حجرها مع نهاية كل معركة وعلى وجه الخصوص عام 1843 - هذا إلى أن توصلت الإدارة الاستعمارية من إسقاط اسم بني مناصر من قاموسها الإداري مثلما حدث مع العديد من الوحدات الاجتماعية الطبيعية

1 - خرائط كارتوغرافية يعود تاريخها إلى 1855 موجودة في مؤسسة الكادستر بالجزائر العاصمة منها على سلم 1/10 و 1/4 و 000 لكن هي الآن في حالة يصعب استغلالها.

2 - أنظر: (MM) - DELANNEY; et LAFERRIERE: Répertoire Alphabétique Tribus et des Douars
.Communes de l'Algérie. Alger 1900. P.63

1-1- دوازي-كومون بني مناصر مليانة

يعود إخضاع أوطان بني مناصر مليانة لإجراءات المادتين الأولى والثانية من قانون (س. ك.) قبل بني مناصر شرشال إلى احتوائها على قسم هام من الطريق الإمبراطوري كما سبقت إليه الإشارة، بالإضافة إلى وجود إمكانية ربط مدينة شرشال بذات الطريق عبر مدينة مليانة.

لقد تعرضت تركيبة بني مناصر مليانة، قبل صدور في حقهم قرار تقسيمهم إلى دوازين عام 1869 ثم تنفيذ قانون (س. ك.) ، تعرضت إلى المزيد من التعقيد تمهيدا لإتلاف أثرهم حيث لجأت إدارة الاحتلال إلى تشتيتهم وتوزيعهم عبر الدواوير المستحدثة نذكر منها: دوار الحمام ريغة⁽¹⁾ ودوار عادلية⁽²⁾، بلدية (B' Idia)، مليانة⁽³⁾ ، وبلدية دوبيري (Duperré)(عين الدفلة)، أولاد عريب وبني فراح.

فكان على قيادات تلك الدواوير وعلى الجماعات المنصبة أن تساهم إلى جانب الجماعتين التابعتين للجنة الفرعية المكلفة بالتحقيق فيما ألت إليه حدود القبيلة الفرعية (غير طبيعية) لبني مناصر وضبطها وفق ما يضمن للحكومة الاستعمارية السيطرة على المقومات البشرية والاقتصادية للدوازين. وهكذا ضيَّع مرة أخرى أهالي بني مناصر مليانة مساحة 350 هكتار و6 بساتين بمساحة 6 هكتار و75 أر، لتحول لصالح المركز الاستيطاني لافرانده (Lavarande) في المكان المسمي بسيدي لخضر على الطريق الإمبراطوري.

¹ - دوار حمام ريغة: دوار- كومون بموجب قرار 22 سبتمبر 1868

² - دوار عادلية: دوار- كومون بموجب قرار 21 سبتمبر 1868.

- ملاحظة: لابد من الانتباه إلى التعقيدات التي أدخلتها إدارة الاحتلال على النسيج الإداري المحلي. ففي الوقت الذي ينسب فيه أهل حمام ريغة إلى بني مناد ليربط عام 1868 بدوار - كومون عادلية يذكر نفس المصدر (أكاردو؛ "قبائل و...") بأن عادلية هي فرع من فروع قبيلة ريغة.

³ - ريغة- مليانة: أخضعت هي الأخرى إلى قانون السيناتوس كنسلت بتاريخ 21 سبتمبر 1868 حيث جُمعت في شكل دوار واحد وهو دوار ريغة الذي الحق بالبلدية المختلطة عدالية التي تأسست أصلا على أراضي ريغة.

كما كلفت هذه العملية بني مناصر أيضا تراجع بل سقوط اسم "الشجرة العائلية" لصالح اسمين لرقعتين جغرافيتين متجاورتين وكأننا أمام تجميعيين لن تتعدى مستقبلا حركية كل واحد منهما المجال الجغرافي الذي حصر عليه ⁽¹⁾ ومن ثم لم يعد اسم بني مناصر يستعمل للدلالة على سكان المنطقة إلا عند التذكير بماضي سكان زكا ⁽²⁾ وبني مناد ⁽³⁾.

- مساحة دوازي- كومون زكار وبني مناد

يغلب على أراضي بني مناصر مليانة التي قدرت مساحتها اللجنة الفرعية ب 28 992 هـ، طابع الملكية المشخصة (الخاصة)، والتي تمثل % 77,53 من المساحة الإجمالية. في حين تتوزع النسبة المتبقية على الشكل التالي: أملاك الدولة 5.441 هكتار 78 أ 25 سنتيار؛ منها 5 308 هـ غابات؛ و 133 هـ أراضي. أملاك البلدية والتي أبقتها الإدارة تحت تصرف الدوازين قدرت ب 839 هـ 5 أ 25 س، وتضاف إليها المساحة المخصصة للمقابر ب 14 هـ 36 أ. أمّا عن أملاك الدولة التي تم إبرازها على أساس التشريع الفرنسي والتي تضم عادة مساحات عامة وأراضي المتغيبين فإنّها فُقدت ب 211 هـ 13 أ 40 س. ⁽⁴⁾ أمّا تقسيم الأراضي بين دوازي زكار وبوماد فإنّه يعكس نتيجة عمليات اللجان الفرعية التي أخضع لها دوازي بني مناصر مليانة. وما توقيع الإمبراطور على تقرير 5 فيفري 1869 إلا تزكية لاقتراحات الحاكم العام المبنية على تقارير تلك اللجان والمدعمة

Rapport à l'Empereur: Paris le 17 octobre 1869. B.

1 - أنظر:

- O.G.G.A 1870 p.65

2 - أنظر: دوازي كومون زكار سيخضع إلى تقسيم فرعي فأعطي فرع زواوة وفرع الحلالشبة.

3 - دوازي كومون بوماد: فرع تلاخيخ و فرع الغرابية.

4 - أنظر: - Décret de Réparation du 17 octobre - NAPOLÉON (Emp.), au Gnl (Le) BŒUF(M.S.E.G.) -

1868. B.O.G.G.A. année 1870 p.368

بمحضر التحديد والتصميم التركيبي لدورين، والمراجعة من قبل وزير الحربية.

توزيع الأراضي بين الدوارين-كومون.

زكار		بوماد
1656 - شخص	السكان	1210 - شخص
9435 - هـ 41	أراضي الملك	13048 - هـ 26
52 س	أملك البلدية	أ 10 س
295 - هـ 80 أ	غابات	543 - هـ 23 أ
9 - هـ 13 أ	مقابر	5 - هـ 00 أ
-----	أملك	س
133 - هـ 3 أ	الدومين	-----
25 س	أراضي	133 - هـ 03 أ
2617 - هـ 75 أ	غابات	25 س
96 - هـ 57 أ	أملك الدولة	2691 - هـ 75 أ
50 س		116 - هـ 55 أ
		90 س

الوثيقة رقم 10

المساحة الإجمالية لبني مناصر مليانة = 992 28 هـ
المساحة المخصصة لدوار كومون زكار = 587 12 هـ 70 أ
المساحة المخصصة لدوار كومون بوماد = 401 16 هـ 30 أ
نلاحظ عدم تخصيص مساحة للسوق و لا لمركز بريدي مثلما هو
الشان بالنسبة لفرع بني مناصر شرشال.

1-2- دوازي-كومون بني مناصر شرشال

أنهت اللجنة الإدارية تقريرها المؤرخ في 10
ديسمبر 1867 حول مجموع العمليات المتعلقة بضبط
السياج المفروض على بني مناصر مليانة بحوالي ستة
شهور من تحريرها التقرير الخاص ببني مناصر مليانة
(¹). وشاركت تحت إشراف وتوجيهات اللجنة الفرعية

¹ - لم يذكر في منجد "القبائل و..." أن بني مناصر مليانة أخضعت إلى قانون
السيناتوس كنسلت 22 أفريل 1869 وإنما شكل من أوطانهم دوازي زكار وبوماد.

كلّ من جماعة بني مناصر- الممثلة لما تبقى من القبيلة الأمّ - حاضرة في التحديد وجماعات الدواوير الأربعة: سيدي سميان، القورين، زكار، بني مناد التي أنشئت أصلا لمساعدة لجان (س. ك.) في ضبط حدود الدواوير. تمكنت اللجنة الفرعية من تعيين المواقع الصالحة لفتح مراكز استيطانية على أراضي بني مناصر في انتظار المزيد. مع الحرص الشديد على مراعاة إمكانيات التوسيع مع مساهمة إلى جانب تلك الجماعات جماعات القبائل والدواوير المجاورة لبني مناصر.

- مساحة دواير سيدي سميان والقورين

لقد سبق لفرع بني مناصر شرشال أن فقد قبل صدور قانون (س. ك.) 22 أفريل 1863، نسبة 10 % من مساحته لصالح المراكز الاستيطانية الأولى كالفندق ونوفي و زوريخ أي ما يعادل 3 485 هكتار 16 أري 84 سنتيار، موزعة من حيث الملكية على الشكل التالي: 2002 هكتار ملكا للدولة، ومساحة 1 483 هكتار 5 أر 15 سنتيار ملكية خاصة. يؤكد التقرير أنّه تمّ تعويض ما يقارب 42,55 % لأصحاب الأراضي المحوّلّة لصالح الاستيطان. وفي ظل ندرة أملاك البايليك بل انعدامها في بعض النواحي من أوطان بني مناصر، عوضت الحكومة الاستعمارية ذلك النقس بمساحات الغابات وأراضي المتغيبين.

توزيع الأراضي بين الدواير-كومون

القورين	سيدي سميان

4929 - ش 516 11 - هـ 19 أ س	السكان أراضي الملك أملاك البلدية السوق مقابر تيزي فرانكو أملاك الدومين أراضي غابات	4727 - شخص 10921 - هـ 92 أ س
51 - أ 31 - هـ 79 أ س - مشتركة		51 - أ 33 - هـ 39 أ س 1 - هـ
138 - هـ 44 أ س 4454 - هـ 54 أ	أملاك الدولة	2342 - هـ 63 أ 45 س 4890 - هـ 26 أ
277 - هـ 19 أ س		197 - هـ 60 أ س

الوثيقة رقم 11

التعليق :

- المساحة الإجمالية لبني مناصر شرشال = 805 34 هـ 49 أ 01 س
- مساحة دوار الكومون القورين 387 18 = هـ 32 أ 01 س
- مساحة دوار الكومون سيدي سميان 418 16 = هـ 17 أ

توصلت لجنة (س. ك.) إلى ضبط التقسيم

الداخلي لكل دوار، فحصرت دوار القورين في الفروع التالية : بيداف (Bidaff، وبني بن صالح، وبني عبد الله، وأولاد العربي. ودوار سيدي سميان في بني حبيبة، عيوسنة (Aïocena)، تاويريرت (Taourrira)، مازير (Mazer). ونشير هنا إلى أن اللجنة لم تتعرض في تقريرها إلى فروع دواير كومون زكار وبني مناد وعليه فإنه لم نتحصل من خلال هذا التوزيع إلا على ثمانية فروع من بين الأربعين فرع المذكورة من طرف كاريت. وعلى العموم لم تخرج بعد أراضي الدواوير الأربعة من دائرة الحكم العسكري.

2 - دواوير يسر

اكتنف قرار إخضاع يسر إلى قانون (س. ك.) الموقع على محتواه في 29 أوت 1863⁽¹⁾ من طرف الإمبراطور بناء على اقتراح الحاكم العام بيليسي أكتنفه نوع من الغموض حيث استعمل هذا الأخير

¹ - أنظر - RANDON (M.S.E.G.); sous Couvert Napoléon (Emp.); D. I. portant qu'il sera procédé aux opérations de délimitation dans la tribu des Issers département d'Alger, du 29 août 1863 .B.O.G.G.A. Alger 1863. P. 382

عبارة "قبيلة يسّر" دون أن يحدّد إن كان المراد "بالقبيلة" قبيلة يسّر في حدودها الطبيعية أم في حدودها الإدارية لعام 1843 بالمفهوم الضيق، واستمرّ ذلك الغموض إلى غاية صدور قرار 27 سبتمبر 1867⁽¹⁾ حيث يظهر من خلال ما أطلع به الحاكم العام بالنيابة بالجزائر راندون وزير الحربية من نتائج متوصل إليها من قبل لجنة (س.ك.) أثناء تنفيذ المادتين الأولى والثانية من ذات قانون بأن عبارة "قبيلة يسّر" استعملت للدلالة على الموطن ككل، وأن قبيلة "يسّر الظهور" كفرع من الفروع الأولى⁽²⁾. كما تؤكد العبارات الواردة في التقرير الثاني على صحة هذا الاستنتاج حيث لم يترك وضوحها مجالا للشك⁽³⁾. أمّا عن "يسّر الظهور" فهي ذلك الفرع الذي سيحول إلى دوار في انتظار تجزئته لاحقا وفق حاجيات الإدارة الاستيطانية.

2-1- دواوير يسّر الجديان⁽⁴⁾

استغرقت تحقيقات اللجنة الإدارية الفرعية لدلس في حدود القبيلة ما يقارب ثلاث سنوات، بعث على إثر نتائجها راندون وزير الحربية في 27 أكتوبر 1866 إلى الإمبراطور ملف يسّر الجديان، الذي يتضمن

¹ - أنظر: NIEL (M G); sous Couvert Napoléon (Emp.); D. I. portant qu'il sera procédé aux opérations de délimitation dans la tribu des ISSER-DROUH; département d'Alger, du 27 septembre 1867. B.O.G.G.A. année 1867. Alger 1868. Pp. 1123 et suivantes.

² - أنظر: RANDON; Désignation de 48 tribus ... 16 avril-24 mai 1864. Op. Cit. B.O.G.G.A. année 1865. P. 195-196.

-الجدول الثاني الخاص بالقبائل المعنية بالسيناتوس كنسلت 22 أفريل 1863 بمقاطعة الجزائر. ص.

³ - كان يسّر الظهور (في صيغة الجمع) في العهد التركي يشكلون جزءا من قبيلة يسّر الكبرى التي تأخذ اسمها من أهم المجاري التي تقطع أراضيها. شكل من فروعها (يسّر الظهور) قبائل منفصلة.

- أنظر: NIEL; D. I.; Tribu des ISSER DROUH. B.O.G.G.A. année 1867 Op. cit. p. 1123.

⁴ - أنظر: RANDON; sous Couvert Napoléon (Emp.); Désignation de 48 tribus sur le territoire desquelles il sera procédé à l'exécution du Sén. Con. 22 avril 1863 - Il est prescrit d'entreprendre les opérations relatives à la constitution de la propriété arabe sur le territoire de 48 Tribu. dont le territoire doit être Soumis aux opérations prescrites par les paragraphes 1-2 et 3 du règlement d'administration publique du 23 mai 1863. Saint - Clout, 16 avril-24 mai 1864. B.O.G.G.A. année 1865 P.195-196

حصيلة تنفيذ المادتين الأولى والثانية (س. ك.)
مقترحا علي نابليون الثالث الموافقة على بعض
التدابير الضرورية ⁽¹⁾، كتقسيم أوطان يسّر الجديان
إلى مجموعة من فروع.

وبناء على ما ورد في التقرير المذكور أعلاه
والمؤكد على أنّ تقسيم أوطان يسّر الجديان إلى
ثلاثة فروع هي: تكدامت، يسّر الجديان ⁽²⁾ (يسّر
الجديان، المرابطين، بوبراك)، والكوانين يعود إلى ما
قبل عام 1830. ونظرا لإلحاق أوطان تكدامت بإدارة
الحكم المدني بموجب قرار 31 ديسمبر 1856 رأى
راندون في إخضاعها إلى إجراءات قانون (س. ك.)
مجرد ما هو إلا إجراء شكلي مفاده تدوين الملكية
المشخصة لدى الإدارة الاستعمارية. وتكون بذلك
قبيلة يسّر الجديان قد فقد بموجب هذا القرار 18,38
% من مساحته الإجمالية المقدرة ب 6109 هـ 52 أ
65 س

وتضمن ذات التقرير قرار تحويل فرع المرابطين
إلى دوار-كومون لكن بحجة شيوع هذا الأخير على
مستوى القطر قامت إدارة الاحتلال باستبداله باسم
"المودر" وكأنّ الأسماء نفذت ولم تجد ما تغير به
"المرابطين" إلا اسم المودر. وتوالت التغيرات تلوى
الأخرى وكلها تصب في محاولة محو أوصاف الخلية
الاجتماعية الأصلية للمجتمع الجزائري.
لقد هيأت الإدارة الاستعمارية ما يمكن القضاء به
تماما على فرع يسّر الجديان إذ أنشأت مركزا
استيطانيا بقلب دوار-كومون عين المودر ⁽³⁾ لتحوّل

¹ - أنظر: RANDON (M.S.EG); Rapport adressé à L'Emp.; Exécution du Sén.-con. - Délimitation -
et Répartition du territoire de la tribu des ISSERS -EL-DJEDIANE, cercle et subdivision de Dellys,
province d'Alger. Saint Cloud 27 octobre 1866. B.O.G.G.A. année 1866 Alger 1867. Pp. 772 - 779

² - يسّر الجديان أسم لأحد الفروع الرئيسية من قبيلة يسّر الموطن التي سبق
وأن تعرضنا إلى دراستها. أبقت إدارة الاحتلال بهذا الاسم على دوار الكومون ثم
حصرت في مجرد فرع من فروع هذا الأخير بعد إخضاعه لقانون السيناتوس
كنسلت.

³ - تتم تحويل المركز الاستيطاني الغابة المقدسة (Bois sacré) إلى بلدية كاملة
الصلاحيات بموجب قرار 27 جويلية 1873.

أجود ما بأوطان الدوار-كومون لصالح المستوطنين-
هذا في حين الحق، دائما حسب نفس تقرر القسم
الجنوبي من يسر الجديان إلى بلدية يسر المختلطة (Commune mixte des Issers)
وهذا يكفي لسلب أراضي
الأهالي.

2 - 2 - يسر الويدان (1)

أما بالنسبة لیسر الغربي لقد أخضعت إدارة
الاحتلال لقانون (س. ك.) 22 أفريل 1863 وهو أحد
الفروع الرئيسية لقبيلة يسر الموطن (2) بعد أن
حوّل إلى دوار عام 1851(3)، كما أكد عن ذلك راندون
في تقرير له موجّه للإمبراطور في 11 أوت 1866،
فشكّلت منه إدارة الاحتلال وعلى ضوء اقتراحات لجنة
(س. ك.) من دوار يسر الغربي دوارين-كومون هما:
يسر الغربي مع ترسم الاسم القديم "يسر الويدان"
بدل "الغربي" ودوار-كومون أولاد سمير. قدرت لجنة
التحقيق المكلفة بدوار يسر الغربي مساحة دوار-
كومون يسر الويدان ب 8925 هـ. ووُضعت هذه
المساحة بموجب قرار 11 أوت 1866 تحت تصرف
بلدية بلاد-القيطون الكاملة الصلاحيات. هذا في حين
أُلق الفرع الثاني دوار-كومون أولاد سمير ببلدية
يسر المختلطة بموجب قرار 29 ماي 1869.
وتجدر الإشارة هنا إلى أن أولاد سمير صُنّفوا في
قرار 16 أفريل 1864 كقبيلة مستقلة إلى جانب
قبيلة يسر الجديان ويسر الظهور في غياب يسر
الويدان (الغربي). أمّا عن إلحاق الدوار-كومون ببلاد-

1 - أنظر: - RANDON (M.S.E.G) Rapport adressé à L'Emp.; Exécution du Sén.-con. - Délimitation et répartition du territoire de la tribu des ISSERS-GHERBI, cercle et subdivision de Dellys, province d'Alger. Paris; le 11aout 1866. B.O.G.G.A. année 1866 Alger 1867. Pp.579- 582.

2 - أخضعت أراضي يسر الغربي إلي بموجب قرار إمبراطوري صدر في 16 أوت 1859 أي قبل صدور قانون السيناتوس كنسلت 22 أفريل 1863.

- أنظر: - MENERVILLE. Dict. ... op. cit. p. 174

3 - قانون التجميع 16 جوان 1851

- أنظر: Bobine 1851. Aux Archives Nationales Birkhadem. Alger. - Microfilm F80

القيطون الكاملة الصلاحيات فهو راجع إلى ما توصلت إليه اللجنة المكلفة بتنفيذ قانون (س. ك.) 22 أبريل 1863 والمشكلة في 1 مارس 1865، حيث أكدت في تقريرها أن 89,62 % من مساحته الإجمالية المقدرة ب 7558 هـ تصنف ضمن الملكية المشخصة، مما سيسهل تحويل عقارها إلى المستوطنين عن طريق الشراء.

أما عن مبررات قرار إبقاء دوار يسّر الويدان في شكل دوار- كومون واحد فإنه يعود لكون الإدارة الاستعمارية على إطلاع جيد بخصوصيات أراضيه. فإنها جدّ مشجعة على التنمية الفلاحية مستقبلا. هذا رغم ضعف نصيب الحكومة الاستعمارية من العقار بها والذي لم يتجاوز عند صدور قرار 11 أوت 1866، مساحة 220 هـ 25 أ 05 س. أي لا يتجاوز 2,50 % من مساحة الدوار-كومون. إنّ عملية تحويل العقار من الأهالي للمستوطنين بدوار- كومون يسّر الويدان مضمونة على غرار بقية دواوير- كومون المنتشرة عبر سهل يسّر لشيوع الملكية الفردية.

3 - 2- يسّر الظهور

يبدو أنّ فرع يسّر الظهور يشكل أحد أهم فروع يسّر الوطن⁽¹⁾ من حيث المساحة والتي قدّرت إدارة الاحتلال بحوالي 12013 هكتار. مما عرض الفرع إلى التقسيم حيث نص القرار الإمبراطوري المؤرخ في 29 سبتمبر 1867 على تقسيمه إلى أربعة دواوير- كومون وهي على التوالي:

- دوار-كومون أولاد مدجكان بمساحة قدّرتها اللجنة المكلفة بضبط حدود القبائل الفرعية، ب 2091 هـ 16

¹ - ملاحظة في غابة الأهمية: لأول مرة نثر على جملة صريحة تعبر من خلالها الإدارة الاستعمارية على أنّ أهل يسّر (أمازيغ وعرب اللسان) جمع بينهم حوض يسّر.

- أنظر: - NIEL (M.S.E D G.); Rapport adressé à l'Emp. Signé. et approuvé par Napoléon; Exécution - du Sén.-Con. du 22 avril 1863. Délimitation et répartition du territoire de la tribu des ISSERS - DROEUH .Province d'Alger. le 29 septembre 1867 .

أ 75 س. ويتواصل التفكيك عن طريق الاقتطاع حيث أنشئ على أراضيها مركز بعين تَصْرَة للاستيطان.

- دوار-كومون القيوس مساحته قُدِّرَت ب 3093 هـ 36 أ 35 س. تعرض إلى اقتطاع حيث فقد ما يزيد عن 100 هـ لتلحق بدوار-كومون أولاد مدجكان رغم ضعف كثافته السكانية التي كانت تقدر بأقل من شخص في الهكتار الواحد علما بأن عدد السكان عام 1867 قدر ب 445 شخص. ألحق هذا الدوار- كومون بالبلدية الكاملة الصلاحيات برج منايل، مما ينبئ بأن أراضيها هي رهن إشارة المؤسسة الاستيطانية. أمّا عن أهاليه فهم مشتتون بين إدارتي الحكّمين المدني والعسكري. فمركز استيطان يسرفيل من جهة وإلحاق مساحة 100 هـ ثانية من دوار-كومون لصالح البلدية المختلطة باليسترو.

- دوار-كومون رعيشة بمساحة تقدر 3759 هـ 95 أ 70 س. وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ الكثافة السكانية لهذا الدوار-كومون مرتفعة بالمقارنة إلى بقية الدواوير-كومون نظرا لعدد سكانها المقدر عام 1867 ب 1794 شخص. ألحق هذا الدوار-كومون عكس سابقه بالبلدية المختلطة ليسر.

- دوار-كومون أولاد عيسى قُدِّرَت مساحته ب 3070 هـ 92 أ 75 س في حين ألحق إداريا بالبلدية المختلطة ليسر علي غرار سابقه.

لقد خلص هذا التقرير إلى أنّ أراضي دواوير-كومون يسر الظهور ما دامت كلها ملكيات مشخصة وفق ما نص عليه قانون (س. ك.) 22 أفريل 1863 فلا شيء صار يعرقل الآن عمليتي بيع وشراء العقار. هذا ما يفسر وجود سجلات عقود البيع بمؤسسة المسح (il y a eu Homologation).

الفصل الثالث

انعكاسات السيناتوس كنسلت

22 أفريل 1863

أ - طبيعية ما تبقى من أراضي

ب - انتفاضة عام 1871

إنّ سير عمليتي إنشاء المؤسسات البلدية (Institutions communales) والتحقيق في العقار جنباً إلى جنب مع تشخيص ملكية الأهالي كما نصّ عليه قانون

السيناتوس كنسلت 22 أفريل 1863، مكن الإدارة الاستعمارية من التحكم أكثر في تحركات الأهالي مما سيغير حتما أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية في العمق.

أ - طبيعة ما تبقى من الأراضي في حوزة الأهالي

من الانعكاسات المترتبة عن تطبيق قانون السيناتوس كنسلت 22 أفريل 1863، تعاظم معاناة الأهالي بسبب قسوة المناطق التي شكّلت عليها الحكومة الاستعمارية الدواوير وأبقّتها تحت تصرف الأهالي تحت اسم ملكية العرش، مما يستدعي الوقوف على المجال الجغرافي الذي تمّ عليه تطويق الأهالي انطلاقاً من الحدود التي انتهت إليها عمليات التجميع⁽¹⁾، مع فتح استثناء خاص بدوار زاتيمة الذي سنتناوله مع قبيلة بني مناصر على أساس علاقته بالقبيلة أولاً وموقعه الجغرافي بالنسبة لبني مناصر ثانية⁽²⁾.

تعاملت الإدارة الاستعمارية مع هذا الفرع المستحدث بشكل مميز عن تعاملها مع بني مناصر عامة وهذا منذ بداية احتلال المنطقة. ممّا يدفع إلى الاعتقاد بأن زاتيمة قبيلة مستقلة لا يربط بينها وبين بني مناصر إلا الجوار. تضليلٌ استُهدفت من خلاله القيادتين المحليتين الغبريني والبركاني.

أمّا عن تأجيل إخضاع دوار زاتيمة لمواد (س. ك.) إلى 14 أكتوبر 1892 فإنّه يعود لعدم توفير الشروط الأساسية للاستيطان. إذ يقع الدوار بين مركزي الاستيطان شرشال وتنس، في حين أنّ أوسع دائرة لبني مناصر قبل تنفيذ قانون 22 أفريل 1863 لم تكن تتجاوز حدود بني مناصر شرشال، كما أرادته الإدارة الاستعمارية، حسب ما ورد في تقرير 10

¹ - سياسة الأرض المحروقة عام 1841، - قانون 16 أفريل 1851. مع العلم أنّ سياسة التجميع بقيت سارية المفعول إلى ما بعد عام 1871.

² - العودة إلى القسم الثاني: الاحتلال عن طريق التعديلات الإدارية. الفصل الأول: التغيرات الإدارية ومسايرتها لأحداث ما بين 1830 - 1842 .

ديسمبر 1867، والتقرير الذي ضبّطت به في 8 جوان 1868 حدود بني مناصر مليانة ⁽¹⁾.

ومن ثمّ صارت قبيلة بني مناصر المرسّخة (ريثما تخضع لتعديل أدارية أخرى) وفق ما انتهت إليه العمليات العسكرية وأقرته مصلحة الشؤون العربية التابعة للحكومة العامة، مطوقة بالعديد من مراكز الاستيطان التي أنشئت أصلا على أوطانهم كمستوطنات أفروفييل (Affreville) ⁽²⁾، ليتري (Litré) ⁽³⁾ لافرانند (Lavarande) ⁽⁴⁾ ودوبيري ⁽⁵⁾ (Duperré) المنتشرة على طول الطريق الإمبراطوري ⁽⁶⁾. وبهذا الخط تكون الإدارة الاستعمارية قد حققت عمليتين في آن واحد، حيث نسجل تبدّد أثر بني مناصر الجنوب أي مناصرية التلّ ولم يعد لاسم بني مناصر (كقبيلة أو عشيرة) أي وجود في الوثائق الإدارية الاستعمارية المتعلقة بالتلّ. ولن يكون بني مناصر الشمال أحسن حظ منهم.

فبعد أن أتمّت تلك الإدارة عزل القسم الكبير ممن تبقى من بني مناصر الشمال بجبل زكار، طوقهم بدواوير- كومون احتضنت شتات الباقية المتبقية من أبناء العشيرة الواحدة من المناصرين. ومن باب

¹ - انظر: B.O.G.G.A. année 1871

² - أفروفييل: مركز استيطاني، نقطة ربط بين مليانة وثنية الأحد. (خميس مليانة).

أنظر: - FILLIAS; Dictionnaire des communes, villes et villages de l'Algérie. Ed. Lavagne. Alger (A) 1878

³ - ليتري إيميل (LITRE Emile): 1801-1881 فيلسوف وسياسي، صاحب منجد اللغة الفرنسية (Dictionnaire de la langue française)، نائب التيار الليبرالي عام 1871، وسيناتور عام 1875. أطلق اسمه على مستوطنة بأراضي دوار عريب على المنحدرات الجنوبية-الغربية لجبال زكار.

⁴ - لافرانند (Lavarande): مركز استيطاني على أوطان سيدي لخضر، على طريق السكة الحديدية الموازية للطريق الإمبراطوري، على بعد 145 كلم من مدينة الجزائر. ولافراند أسم الضابط الذي نفذ حكم الإعدام على بوزيان قائد الزعاطشة.

⁵ - دوبيري (DUPERRE): مركز استيطان بعين الدفلة يقع على نفس الخط مع سيدي لخضر باتجاه أورليانفيل - المستعمرة العسكرية-

⁶ - يقصد به الطريق السلطاني الذي ساكه نابليون الثالث الإمبراطور الثاني خلال زيارته للجزائر عام 1860، حيث قضى ليلة في مدينة مليانة.

التذكير لابد من الإشارة إلى أنّ تلك الدواوير-
الكومون هي الأخرى تعدّ نتاج عمليات تفكيك وإعادة
تجميع قبائل الشنوة⁽¹⁾، بني مناد⁽²⁾، ريغة وأهل
مليانة⁽³⁾، وفرع عريب⁽⁴⁾ وبني فراح⁽⁵⁾ في حين
يُحدّها من الغرب بني عُمران (Beni- Ghomriane)⁽⁶⁾
وقبيلة زاتيمة⁽⁷⁾
لقد تعرض سكان منطقة الداموس إلى تجميع
إداري أفقدهم الأراضي السهلية الخصبة الشمالية
لصالح الاستيطان حيث فتحت مراكز في كل من

¹ - الشنوة: قبيلة خاضعة للحكم المدني تابعة لدائرة شرشال، حُوّلت القبيلة إلى
دوار كومون بموجب قرار 22 فيفري 1868 بعد إخضاعها للمادتين الأولى
والثانية من السيناتوس كنسلت 22 أفريل 1863. اقتطعت من أراضيها
مساحات لصالح الاستيطان لإنشاء مركز مستوطنة الناضور التي شملت أجود
أراضي الشنوة.

² - بني مناد (Beni-Menad): جاء قرار السيناتوس كنسلت في حق بني مناد ضمن
نفس القرار الذي خص بني مناصر شرشال ومليانة إي في تاريخ 22 مارس
1865 بإخضاعهم للمادتين الأولى والثانية من (س. ك.) ، في حين لم يتم
التنفيذ إلا بتاريخ 22 سبتمبر 1868 فانبثق عن دوار-كومون بني مناد ثلاث
دواوير وهي الساحل (Sahel)، وبني مريت (Beni-Merit) والحمام (El-Hammam) . ثم
تأتي الخطوة الثانية نحو المزيد من التشتيت بربط الدواوير بمراكز إستيطانية
مختلفة فبالنسبة لدواوير الساحل وبني مريت ألحقا إداريا بالبلدية المختلطة -
مُرّاد (Meurad) وقضائيا بمحكمة مارانغو (Marengo)- حوط- أما بالنسبة لدوائر
الحمام فقد ألحق بالبلدية المختلطة لعدالية (Adélia) وعن طريقها بالدائرة
القضائية لمليانة .

³ - ريغة- مليانة: أخضعت هي الأخرى إلى قانون السيناتوس كنسلت بتاريخ 21
سبتمبر 1868 حيث جُمّعت في شكل دوار واحد وهو دوار ريغة الذي ألحق
بالبلدية المختلطة عدالية التي تأسست أصلا على أراضي ريغة.

⁴ - قبيلة عريب: أخضعت لقانون السيناتوس كنسلت بموجب 24 أفريل 1867،
مع العلم أنّ دوار عريب مُرتبط بالدائرة القضائية لدوويري مشكلا إحدى نقاط
الفصل بين دائرتي البلدة و دوويري.

⁵ - بني فراح: بلدية للأهالي (Commune Indigène) تابعة لإدارة مليانة أمّا قضائيا
فهي مرتبطة بالدائرة القضائية لدوويري و المقاطعة الثانوية لأورليانفيل. بلدية
بفرعين: فرع العنب (El-Aneb) والأربعاء (El-Arbâa)

⁶ - بني عُمران: أخضعوا لقانون السيناتوس كنسلت، بموجب قرار 20 سبتمبر
1867، فصار هذا الفرع تابع للبلدية المختلطة لوادي الفضة والدائرة القضائية
لدوويري.

⁷ - قبيلة زاتيمة: تأخر صدور قرار إخضاع دوار زاتيمة لقانون السيناتوس
كنسلت 22 أفريل 1863 إلى غاية 20 ماس 1893.
- أنظر: التقرير الخاص بتحديد دوار زاتيمة بمصلحة المسح .

(cadastre)

قوراية (1) (Gouraya) ، لارهاط (2) (Larhat)، وبنى زيوي (3) (Beni Zioui) ، أما بالنسبة لأوطان هذه الأخيرة نجد الحكومة الاستعمارية قد غرزت في قلبها مستوطنة دوبليكس (Dupleix) (4) المطلة على البحر. فصار إذن المجال الجغرافي الذي تُرك في حوزة ما تبقى من بنى مناصر محصورا إداريا من الشرق إلى الغرب بمستوطنات ودواوير-كومون : من الشرق؛ دوار الشنوة، زوربخ، الساحل، براز، من الجنوب الغربي؛ دوار بوهلال، من الغرب دوار عدالة، ومن الشمال فونتان دو جيني (Fontaine du Génie) (*)، نوفي (*)، وشرشال.

كما زاد، امتداد دوائر مراكز الاستيطان الثلاث، من تضيق دائرة بنى مناصر خاصة ودوائر بقية الأهالي عامة حيث احتضنتهم جبال الظهرة الشرقية رغم قساوتها المعروفة بكثرة انكساراتها وشدة منحدراتها كما هو الشأن بالنسبة جبل بسكر (Dj. Biskr) وجبل حنقوف. وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ إغليك زاتيمة عرف نفس المصير القانوني رغم تأخير تنفيذ قانون (س. ك.) 22 أبريل 1863، حيث لم يصدر قرار إلزامية تنفيذ المادتين الأولى والثانية من (س. ك.)

1 ؟ - قوراية: قبيلة لم تخضع لقانون السيناتوس كنسلت 22 أبريل 1863. أنجزت على أراضيها مستوطنة أوروبية احتفظت باسم قوراية. أما بالنسبة لأهالي قوراية وأعمال يمثلون قسمين من البلدية المختلطة.

2 ؟ - لارهاط: لم تخضع لقانون السيناتوس كنسلت 22 أبريل 1863 . تابعة للبلدية المختلطة قوراية

3 ؟ - بنى زيوي: لم تخضع لقانون السيناتوس كنسلت 22 أبريل 1863 . تابعة للبلدية المختلطة قوراية

4 ؟ - دوبليكس (Dupleix) حسب دور (DOR) كانت أرضية مستوطنة دوبليكس محصورة في حدود 1895 ولم يبق إلا تعميرها . وهنا تظهر العلاقة بين السيناتوس كنسلت 22 أبريل 1863 المفروض على دوار زاتيمة عام 1893 وعملية الاستيطان. أما دوار الداموس فهو فمثال آخر عن كون الدوار ما هو إلا عبارة عن إدارة مصطنعة من إنتاج الإدارة الاستعمارية خاصة وأن الاسم هو اسم الوادي الذي يفصل بين بنى حواء بنى زيوي.

* - حجرة النصر

* - سيدي غلاس

على قبيلة زاتيمة إلاّ في 28 أفريل 1887 (1) ولم يتمّ الشروع في تطبيقه إلاّ في عام 1892. لم تكن عمليات التجميع مرتبطة بتاريخ أو بقانون أو بقرار أو حتى بطرف معين، وإنّما هي عملية مستمرة تسير بشكل طردي على مستوى المقاطعات الثانوية مع الهيمنة الاستعمارية وذلك بشهادة أحد معاصري الأحداث وهو السيد دور (2) (DOR) الذي كتب قائلاً: "...إنّ بلدية قوراية المختلطة حدوداً مع بلدية شرشال والبلدية المختلطة لحمام ريغة شرقاً ومع البلديتين المختلطتين حمام ريغة ثانية وبراز (3) من الجنوب والبلدية المختلطة لمدينة تنس غرباً ومن الشمال كما هو الحال بالطبع البحر والبلديتين كاملتي الصلاحيات قوراية وشرشال" (4). يتضح من خلال هذا الوصف أنّ الحكومة الاستعمارية قد توصلت إلى إسقاط اسم بني مناصر فرع مليانة من السجلات الإدارية على غرار ما فعلته مع القيادات الكبرى بعد ثورة عام 1871. تنحصر مساحة أوطان بني مناصر شرشال وبني مناصر مليانة بين مصب وادي الداموس غرباً إلى وادي الهاشم شرقاً أي ضمن النطاق الغربي من كتلة الأطلس الأوسط الممتدة على طول 350 كلم. ومن هذا الموقع الضيق يظهر القسمان بوجهين مختلفين: - فالقسم الغربي منهما تتوسطه العديد من الكتل الجبلية منها جبل زكار الغربي 1579 متر عن مستوى

1 - أنظر: Les Registres du Cadastre; Département d'Alger commune Mixte de Gouraya;

Registre du Douar Addala

2 - (فيرناند) دور DOR شغل منصب مساعد إداري. أنجز مؤلف هذا بعنوان:

"شرشال والبلدية المختلطة لقوراية" في 31 أكتوبر 1895

3 - براز: من أغاليك إلى مجرد دوار بلدية بقرار 31 ديسمبر 1866 تابع للبلدية المختلطة وادي الفضة المرتبطة بدائرة أورليانفيل.

4 - أنظر: النص الأصلي. "La commune mixte de Gouraya ... Elle est limitée à l'Est, par la commune de Cherchell et la commune mixte d'Hamam-Righa; au sud par les communes mixtes de Hamam

Righa et des Braz; à l'Ouest, par la commune mixte de Ténès et au nord, par la mer et les communes de ...plein exercice de Gouraya et de Cherchell

أنظر: - (Fernand) Imprimerie DOR; Cherchell et la commune Mixte de GOURAYA.

administrative de Blida. 1895

سطح البحر وجبل زكار الشرقي بارتفاع 1533 متر،
جبل بَسْكَرْ (Dj. Biskr) ب 1044 متر، وجبل بومعاد
1415 متر الذي ينبع منه وادي مسلمون، جبل تبرانين
853 متر ومرتفعات التوارس وجبل خنقوف منبع
وادي الداموس. كتل جبلية تحيط في شكلها الهرمي
سهولا ضيقة موازية للبحر شمالا وسهل الشلف
الواسع الممتد جنوبا نحو السفح السفلة لجبال
الونشريس. أما عن شدة الانحدارات فمرجعها كون
باطن أرض الداموس بركاني يعرف من حين لآخر
هزات أرضية تحدث الانكساريات. يسجل دور في هذا
الصدد أن المنطقة عرفت زلزالا عنيفا يوم 15 جانفي
1891⁽¹⁾.

أما فيما يخص القسم الشرقي: فإنه منحصر بين
كتلة بوماد التي تمتد من جبل بويالو (Bou Yalou) ب
1060 مترا على طول 45 كلم إلى مرتفع تماسكريت
أوشان (Temaskret-Ouchaine) التي يقدر ارتفاعها ب
1033 مترا مشكلة بذلك خطا أفقيا. يتخلل هذه
السلسلة من حين لآخر كتل جبلية قليلة الارتفاع
منها: كاف تاباراند (Tabarrande) 535 مترا وجبل
قوراية 997 مترا، وجبل سيدي دريس 649 مترا
وجبل مادين 594 مترا⁽²⁾

إن هذه التقطيعات والمنحدرات أعطت لأسرة
المجاري المائية العميقة شكل حرف V ، مما يجعل
سيولها جارفة لمجرد سقوط الأمطار. من تلك
السيول نذكر وادي الداموس غربا ووادي الهاشم
شرقا الذين يتوسطهما وادي مسلمون والسبت. لكن

1 - يقطن بني مناصر تلك الكتلة الجبلية التي تُعدّ مفتاح أهم مسلك من البحر
إلى الشلف. إن لهذه الوضعية الطبوغرافية الفضل الكبير في احتفاظ بني
مناصر على استقلالهم عن مختلف الحكومات المركزية و صمودهم في وجه
الغزو الاستعماري الفرنسي.

B.O.G.G. -

2 - أنظر:

1870; Alger année.

2 - أنظر - DOR; Cherchell...; op. cit. p. 50.

2 - أنظر: (Louis) - GLANGEAND; Bulletin du Service de la cartologie de l'Algérie . 2^e série: géologique Etude de la région littorale de la province d'Alger -Bordeaux 1932

رغم تجدد هذه المجاري المائية سنويا تربة ضفاف الأودية بتربة فيضية خصبة خلال سيرها نحو البحر إلا أنّ تربة المنحدرات الشمالية تبقى فقيرة لأنّ تلك السيول الجارفة تلقي بكميات هائلة من التربة في البحر، عكس ما يحدث مع الأودية الداخلية إذ تصب المجاري النابعة من نفس القموالي تكون وجهتها نحو الجنوب فبالإضافة إلى كونها تسقي جزءا هامنا من سهل الشلف الشرقي فإنّها تغذي الوادي ما دامت تلقي مياهها فيه.

هذا ما يفسر تمسك الحكومة الاستعمارية بإنشاء مراكز الاستيطان الأولى بما كان يمثل أوطان بني مناصر عامة، عند مصبات الأودية الشمالية والجنوبية منها. وهذا باقتراح من الضباط الطبوغرافيين لتمتدّ تلك المستوطنات لاحقا نحو السفح الجبلية إلى مستوي حدود علوي 1000 متر.

هذا بالنسبة لاغليك بني مناصر أمّا بالنسبة لأوطان يسّر فإنّ عمليات التجميع على اختلاف أساليبها القمعية والتعسفية، أفرزت في حدود عام 1860 ما يقارب 119 فرعا من أهل يسّر. هذا كما يظهر من خلال صفحات قاموس أوتري (OUTREY) ⁽¹⁾ ليُشكّل منها في حيز جغرافي مساحته أقل مما كانت عليه. نذكر خمسة فروع كبرى وهي يسّر الوديان (الغرابية) ⁽²⁾ ويسّر أولاد سمير ⁽³⁾ ويسّر الظهور ⁽⁴⁾ ويسّر الجديان ⁽⁵⁾ ويسّر الشراقة ⁽⁶⁾

¹ - قاموس أوتري (OUTREY: Dictionnaire de TOUTES LES LOCALITES DE L'ALGERIE) تمّ طبعه بالجزائر عام 1860 أهميته تمكين المستوطنين وغيرهم من الأوروبيين المتوافدين على الجزائر من التحرك بسهولة. فهو يركز على مواقع المعسكرات والمستوطنات ومختلف المحطات التي يمكن لهؤلاء قصدتها.

² - يسّر الوديان (غرابية)؛

أنظر: - ACCARDO; Répertoire Alphabétique des Tribus et Douars de l'Algérie. Dressé (F) d'après les documents officiels sous la direction de LE MYRE DE VILLERS. Alger 1879. p.86

³ - أولاد سمير؛ أنظر: المصدر نفسه. ص. 86.

⁴ - يسّر الظهور؛ أنظر: المصدر نفسه. ص. 86.

⁵ - يسّر الجديان؛ أنظر: المصدر نفسه. ص. 86.

⁶ - يسّر الشراقة؛ أنظر: المصدر نفسه. ص. 86.

إنَّ ضبط حدود المساحة الجديدة لأوطان يسّر
يفرض البحث في القبائل أو الدواوير أو حتى
المستوطنات التي لها حدود مباشرة مع قبيلة يسّر
كما أريد لها أن تكون، إذ تواصلت تجزئة القبيلة ببتير
فرع يسّر الشراقة على غرار ما فقدته من أوطان
لصالح الاستيطان.

لقد أولت لجنة (س. ك.) 22 أفريل 1863 اهتماما
كبيرا بالنسبة لاحتمال وجود حدود مشتركة بين قبيلة
معنية بالمادتين الأولى والثانية منه وأخرى مجاورة
لكن غير معنية. إذ في إطار البث في مسألة الحدود،
كان على اللجان، قبل اتخاذ أي قرار أو إجراء يتعلق
بتنفيذ السيناتوس كنسلت النظر في تسوية جميع
تنازلات إدارة العقار للمحليين؟! وتسليمها إياهم
عقود الملكية⁽¹⁾. لكن غالبا ما أوقعت وضعية بعض
القبائل أو بعض فروعها لجان (س. ك.) في الخلط
ومما جعل في معظم الأحيان تصدر قرارات متضاربة.
أمّا عن الفروع المتواجدة في نطاق الحكم الذاتي
فإنّ بوادر التفاعل بين الأهالي والأوروبيين (حسب
إدارة مصلحة العقار) بدت واضحة وأنّ عملية التجديد
ستتمّ تحت إشراف (الموظف السامي بالإدارة
المدنية) (Le préfet)

ويجمع بين القبائل التي أُخرجت من دائرة يسّر
والتي تتعامل الإدارة الاستعمارية معها على أساس
أنّها من القبائل المجاورة وليس على أساس قبائل
فرعية نذكر منها بني سليم⁽²⁾، بني ثور⁽³⁾، تاورغة

1 - أنظر: ABADIE; Essai sur la Constitution de la propriété individuelle (Louis) -

en Algérie

Constantine 1882. p 16 et suivantes

عقود الملكية: تمنح من طرف إدارة الدومين (مصلحة المسح) صدور قرار لجنة
التحقيق المكلف بالنظر فيما مدى تطابق المعلومات الواردة في الملف

والميدان ووكيل نيابة ثمّ ويقع الحاكم العام على مشروعية العقد (Homologation)

2 - بني سليم (Beni-Slyem): انتزع قسم من مساحته لصالح الاستيطان. لم يُخضع
هذا الدوار لقانون السيناتوس كنسلت على الأقل عند حدود عام 1879.

3 - بني ثور: قرار الإخضاع للمادتين الأولى والثانية من السيناتوس كنسلت 22
أفريل 1863 صدر في 30 أكتوبر 1867.

(¹)، فليسة أمُّ الليل (²)، بني خلفون (³)، زواتنة (⁴) وخشنة (⁵) كونها غير معنية ب(س. ك.) على الأقل عند حدود عام 1879. كما حوّل كل فرع إلى دوار أو أكثر بمفهوم البلدية- الكومون، فتحصلت معظم العائلات المقيمة بالدرجة الأولى على أراضي العزل (azel) على عقود ملكية. كما وضعت مساحات همة من الأراضي بين يدي المصلحة الاستعمارية. لقد أفرزت تلك العملية، على مستوى الأهالي، العديد من الجماعات الجديدة المعينة (El Djamaâ nommée) وهي تحت الرقابة المباشرة لإدارة الاحتلال والتي ستستعين بها لجان (س. ك.) 22 فيفري 1863. وللتحكم أكثر في الأهالي راحت تضاعف عدد الجماعات بمضاعفة عدد دواوير-الكومين المحاطة بقبيلة يسّر، والاستعانة أيضا باللجان الفرعية التي لن يقل عددها، هي الآخرة، عن عدد الوحدات الإدارية التي ستنبثق عن التقسيم الداخلي المتواصل لكل قبيلة أو لكل دوار.

أما عن ما كتب حول مورفولوجية إقليم يسّر، فإن تلك الكتابات جاءت في معظمها من حيث المضمون متشابهة، لكن غير متطابقة للواقع، ويرجع ذلك إلى الظروف التي تم فيها التحرير، حيث لم يكن توغل قوات الاحتلال بالمنطقة الشرقية من دار السلطان قد تم بعد، ومن ثم لم تكتمل شمولية صورة السطح لديهم بعد. وعلى هذا الأساس ارتأينا بضرورة بعض

¹ - تاورغة: دوار-كومون بموجب مرسوم 18 سبتمبر 1869، تابع لبلدية دلس الكاملة الصلاحيات.

² - فليسة أمُّ الليل: قبيلة فليسة لم تخضع لقانون السيناتوس كنسلت وألحق قسمان منها (فليسة- مكيرة و فلسية-مزالة) بالبلدية المختلطة لذراع الميزان.

³ - بني خلفون: قبيلة ألحقت بالبلدية المختلطة باليسترو من أهم قراها قرية شعبة العامر.

⁴ - زواتنة: قسمت بموجب مرسوم 9 مارس 1869 إلى دواوين وهما بودربالة ومصباحة ألحقا بالبلدية المختلطة باليسترو.

⁵ - خشنة: دوار-كومون بموجب مرسوم 23 سبتمبر 1867. أراضي خشنة السهل يشترك في تسييرها الإدارتين المدنية والعسكرية وهي مرتبطة بعدة بلديات

المعطيات حول طبيعة سطح المنطقة تنمة لما سبق
وأن تعرضنا إليه في الفصل الأول.

ففيلايس مثلاً حصر سهل يسّر، من الناحية
الغربية بوادي سيباو شرقاً إذ يكون بهذا قد بتره من
قسمه الغربي وهو الذي يمثل أصلاً الحوض الذي
تخلله السيول التي تصب في وادي يسّر. لكنه تدارك
الأمر فيما بعد حيث أضاف لوصفه ذاك، أن وادي يسّر
الذي ينبع من شمال هضبة بني سليمان حيث يتحد
وادي ملاح وديراً يصب شرق رأس جنات بعد أن قطع
200 كلم عبر السهل الذي يحمل اسمه.

تعتبر شلالات الأخضرية الواقعة على بعد 50 كلم
من منبع الوادي نقطة فاصلة بين قسمين متباينين
منه. يتميز القسم الجنوبي منها بقوة دفع لشدة ضيق
المجرى وشدة الانحدار من جهة وكمية التساقط
المعتبرة التي تتلقاها السلسلة التلية الشرقية 800
ملم سنوياً، مما مكّنها من حصر سريرها في صخور
قديمة التكوين على شكل حرف V. فكانت تلکم
العوامل وراء حث جدارٍ يقدر علوه بـ 100 م عند
الشلالات حيث تظهر ملامح القسم الثاني.

القسم الثاني هذا يتميز بتحرر سيولة المياه من
ضيق المجرى العلوي، وذلك كلما سار الوادي نحو
الشمال حيث يزداد السطح انبساطاً، ومن ثمّ صَعُفَتْ
قوة الدفع بالنسبة لوادي يسّر دون أن يؤثر ذلك على
منسوب المياه المقدرة بـ 275 مليون م³، خاصة وأنّه
يتلقى مياه أودية ثانوية عديدة، كوادي عزيز، ووادي
الزيتون إلى غيرها من الأودية التي تساهم في
تخصيب الحوض سنوياً بالتربة الفيضية. تقدّر
المساحة الإجمالية للحوض الذي يزداد خصوبة على
طول الشريط الساحلي من بودواو غرباً إلى دلس
شرقاً بـ 2 570 كلم².

يتميز على العموم سطح سهل يسّر بالانخفاض
غرباً في حدود 50 متر وكأنّه امتداد طبيعي لسهل
متيجة، في حين تعرف حدوده الشرقية بعض

التصدعات مشكلة مرتفعات في شكل هضاب مثل
هضبة رأس جينات المطللة على البحر بارتفاع يقدر ب
415 مترا ومرتفعات فليسة البحر شرقا بعلو 887
مترا.

نرفق في هذا المقام حوصلة لتوزيع أراضي قبائل
بني مناصر وقبائل يسّر المعنية بقانون السيناتوس
كنسلت 22 أفريل 1863 في شكل جدول.

جدول تفصيلي خاص بالملكية العقارية للفروع التي أخضعت لقانون
س. ك. 22 أفريل 1863 - بني مناصر

القبيلة و قرار س. ك.	الدوا وير	قر ار التن فيد	الملكية الخاصة	ملكية الدومين	أملك البلديات	أملك القطاع العام	المساحة الإجمالية
							بني مناصر ملابنة 22 ملر 1865
							بني مناصر شريشال 29 ج. 1866/1867

جدول تفصيلي للفروع التي أخضعت للسينلتوس كنسلت من - بني مناصر. الوثيقة

رقم 13

الدواوير		
تاريخ التأسيس	1870 جوان 29	1869 أكتوبر 17
المساحة	22 هكتار	20 هكتار
الموازي	33	20
المساحة	16418	12588
المساحة	332	2319
المساحة	1838	16404
المساحة		1564

س	س	س	س	1909 هـ			
						أولاد مدجان أقيوس رعاش أولاد عيسى	يسّر الظهور
						أولاد سمير	يسّر أولاد سمير

الوثيقة رقم 15

ب- انتفاضة عام 1871

لم تكن الانتقادات الموجهة لسياسة نابليون الثالث من طرف حكومة الدفاع الوطني⁽¹⁾ إنْ على المستوى الوطني أو الأوروبي، لم تكن دعاة "الجزائر أرض المستوطنين" عن تبنيهم صوريا سياسته الاستعمارية لتحقيق مآربهم. ففي الوقت الذي حوّلوا فيه مشروع "إنشاء مملكة عربية" بالجزائر⁽²⁾ إلى مجرّد نقاش بيزنطي⁽³⁾ اتخذوا من قانون السيناتوس كنسلت 22 أفريل 1863 أرضية لسياستهم العقارية⁽⁴⁾. وهكذا إذا حال موقفهم

¹ - حكومة الدفاع الوطني: هي حكومة الجمهورية الفرنسية الثالثة التي تمّ الإعلان عنها بتاريخ 4 سبتمبر 1870. كان عليها أن تقود الدولة الفرنسية في حربها ضدّ بروسيا إلى غاية جانفي 1871، وأن تسير أزمة بلدية باريس أثناء الأسبوع الدامي (ماي 1871) وأنّه توجه بالطبع المتأزم في الجزائر بعد صدور قانون كريميو في 24 أكتوبر 1870

² - أنظر: REY-GOLDZEIGUER; Le Royaume arabe ...op. cit (Annie)

³ - جمال قنان؛ قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر. منشورات المتحف الوطني للمجاهد. الجزائر 1994.

⁴ - ملاحظة: أجمعت الصحيفتان: الجزائر الفرنسية (L'Algérie) والتل (Tell) على أنّ إخضاع كل المبادلات العقارية إلى القانون الفرنسي مفاده توقيع موت فكرة المملكة العربية بمعنى لا مجال لوجود مجتمعين أوروبي و عربي جنبا إلى جنب

المتصلب ضد الإمبراطورين دون تحقيق مشروع المملكة العربية فأته لم يمنعهم في اعتماد قانون السيناتوس كنسلت وسيلة لفرنسة الأرض الجزائرية ومن ثمّ تبديد فكرة "المملكة ..."

أمّا فيما يخص سياسة حكومة باريس الجديدة ممثلة في الحكومة العامة الموالية لها بالجزائر تجاه قيادة الأهالي، فإنّها على قدر ما سلّطت جمّ سخطها على قادة المشايخ على قدر ما سارت تجاههم فيما بعد على درب الإمبراطور المنهزم والمخلوع. فبعد معاتبة الحكومة العامة الجديدة لهم على موقفهم السلبي تجاه الجمهوريين الذي تمثل بالنسبة لهم في عدم مساندتهم لهم أثناء ثورتهم عام 1870 ضدّ الإمبراطورين على غرار ما فعلوه مع هؤلاء أثناء حرب فرنسا الإمبراطورية ضد ألمانيا التي وقعت منذ شهور خلت من نفس السنة. واصلت إذن ذات الحكومة سياسة التفكيك وحصر الأهالي من خلال إصدار قانون كريميو (Crémieux) في 24 أكتوبر 1870⁽¹⁾.

وهكذا فَجَّر الأَهالي من جديد عام 1871 انتفاضتهم تعبيرا عن رفضهم المطلق لأحد الأمرين وهما إمَّا الالتحاق بالحكم المدني، وإمَّا البقاء تحت الحكم العسكري بكل ما يحمله هذا الأخير من طغيان وغطرسة وتميز عنصري. أمَّا عن الأسباب التي أوقدت من جديد فتيل الانتفاضة يمكن تلخيصها في جملة من النقاط.

أنظر: AKHBAR; Jeudi (j)

22 février 1872

1- ? 1- أنظر: (J) LE TELL CREMIEUX Le Décret (P.) BATAIL; journal du 2 juin 1897 -
1863 en année (إسحاق، أدولف) كريميو: اشتغل محاميا ثم نائبا في البرلمان عام
1842 ثم عُيِّن عضو في الحكومة المؤقت عام 1848 وزير للعدل. وآخر عهد له
بالجزائر يعود إلى جوان 1870.

2. - أنظر :- RINN Histoire de l'insurrection de 1871 en Algérie. Alger 1891. P. 93 (L)

1 - السياسة المنتهجة تجاه الأهالي

كان مستقبل فرنسا في نظر واريني (1) بعد انهزامها في حرب عام 1870 مهدداً. إذ في الوقت الذي كانت فيه الأمة الفرنسية تعيش العديد من الأزمات السياسية والصراعات على السلطة، كان مهاجرو العالم الجديد على وشك تحقيق ميلاد أكبر أمة على الكرة الأرضية بالولايات المتحدة الأمريكية والتي ستقتحم عن قريب لا محال ميدان المنافسة من أجل الهيمنة مهددة القوتين التقليديتين. ولعلّ فرنسا أول من سيزاح من طريقها إنّ لم تُحسن هذه الأخيرة استغلال هيمنتها على الجزائر (2) .

فكيف للجزائر أن تساهم في إنقاذ فرنسا من تراجع هيبتها على الساحة الدولية؟ وكيف ستعالج حكومة الدفاع الوطني (3) الوضعية التي آلت إليها الدولة بعد حرب (4) والتي ذهب ضحيتها خيرة شباب الأمة، وما ألحقته من دمار شامل للمناطق التي تمكنت فيها القوات الجرمانية من شلّ صمود المقاومين الفرنسيين؟

1 - واريني؛ تحويل هذه الفقرة: وكيل للجمهورية الفرنسية في وهران عام 1848 ، والي للجمهورية في الجزائر عام 1870. - من دعاة الحفاظ على الجمهورية الموحدة غير قابلة لتقسيم بما فيها الجزائر. - ويرى في الجزائر أنها ملجأ ضحايا الحروب وسلامة فرنسا.

- أنظر: AKHBAR (J.) Dépêches Télégraphiques

1871

WARNIER;Correspondances de; 15 Février 1870 Assemblée Nationale année-

2 - أنظر

1873.

N° du rapport 1770

3 - حكومة الدفاع الوطني: (Gouvernement de la Défense Nationale) تمّ الإعلان عن تأسيسها يوم 4 سبتمبر 1870 على إثر سقوط الإمبراطورية الثانية (1852-1870). مهامها تحضير إلى الأجواء لتنظيم الانتخابات الرئيسية والبرلمانية في ظل دستور جديد (الجمهورية الثالثة). عيّن على رأسها في 17 فيفري 1871 لويس أدولف تيري (Louis Adolphe THIERS).

4 - الحرب الألمانية الفرنسية: محاولة منه استرجاع أمجاد فرنسا على المستوى الأوروبي وتحسباً لأطماع بسمارك، أعلن نابليون الثالث في 19 جويلية 1870 الحرب على ألمانيا. لكن صمود جيشه لم يدوم طويلاً فكان الاستسلام 2 سبتمبر 1870، في لم يتمّ الإعلان من طرف بسمارك عن احتلال باريس رسمياً إلا في 28 جانفي 1871.

اقترح إذن واريني على باريس لتجاوز تلك
الوضعية الصعبة، الاعتماد على "التّقنين" لتغطية
تعسف الإدارة الاستعمارية بالجزائر أو إضفاء عليه
الشرعية. فكان أوّل إجراء قد اتخذته حكومة الإنقاذ
الوطني أنّها كلفت وفدا ينوب عنها بالجزائر في
تحديد وتعين المساحات التي تتوفر فيها شروط
الاستيطان، ومن ثمّ التي تكون صالحة لتوسيع دائرة
الحكم المدني في انتظار تقطيع إداري جديد للقطر
وفق تصور الجمهوريين من أجل إلحاقه هذه المرة
بالمقاطعات الفرنسية.

أمّا عن الأراضي التي شدّت اهتمام الوفد النيابي
فهي أراضي القبائل المجاورة لنطاق الحكم المدني،
سواء ورد أسمها أم لم يرد بعد ضمن قوائم (س. ك.)
22 أفريل 1863 وذلك

لأنّ موقعها هذا وضعها حسب ما حددته تعليمات 21
ماي 1866 في دائرة الاستيطان، في انتظار ترقية
دواويرها إلى مستوى البلديات كاملة الصلاحيات، هذا
كخطوة أولى. في حين يتعلق الإجراء الثاني بقيادات
الأهالي، إذ بعد أن تعرضت أراضي القبيلة - الطبيعية -
إلى ضربتين في وقت واحد من جراء عقوبة الحجز
على ممتلكات قيادتها الدينية والعسكرية المطلقة
عليها منذ عام 1841⁽¹⁾. عمدت الحكومة الاستعمارية
على مواصلة إضعاف قيادة الأهالي عن طريق
تشقيتها مع تشييت هذه المرة فروع القبيلة الموزعة
على وحدات إدارية مستحدثة⁽²⁾ في شكل دواوير
الكومون كما سبقته إليه الإشارة.
لكن هل كان اجتماع القيادتين العسكرية والدينية
في شخص الزعيم على غرار بن سالم والبركاني

¹ - قانون الحجر: العودة إلى الفصل صفحة

- أنظر: R.O.B.O.; la société. Tome 6 année 1865

² - شكلت بعض الدوائر عن طريق الجمع بين عناصر تمّ ترحيلها من أوطانها
الأصلية ليفرض عليها الاستقرار على أراضي لم يرفع عنها الحجر ومن ثمّ لتصبح
تحت مراقبة الإدارة الاستعمارية مباشرة.

- أنظر: B.O.G.G., année 1865

وغيرهما من المشايخ البارزين كفيلاً بالتقليل من
حجم الأضرار التي لحقت بالوحدة الترابية لأوطان
بني مناصر وأهل يسر؟
لم يكن لهذه الوضعية أن تعيق من طموحات
الحكومة الاستعمارية، ما دامت قادرة على الإبداع في
مبررات تسليط الحجز على ممتلكات الأهالي - قيادة
وعامة - وفي أي وقت.

2- تدني المستوى المعيشي

لقد شهد المستعمرون الأوائل بما وجدوا عليه
اقتصاد الأهالي إي بانتعاش محاصلهم الزراعيه حيث
ذكر أحدهم: "... أن سكان متيجة كانوا مكثفين بما
يستخلصونه من موارد غذائية معيشية من أوطانهم
وهم لم يتجاوزوا ... وادي جرّ ومليانة غرباً إلا عند
الضرورة القصوى ..." (1) وهنا إشارة واضحة لخصوبة
أوطان بني مناصر. لقد كانوا يعرضون منتجاتهم في
أوطان السبت المركز التجاري الرئيسي ومن ثمّ
الالتقاء والاختلاط بين القبائل المجاورة.
في الواقع استمرارية المقاومة لعقود طويلة
تكفي لوحدها أن تعكس حقيقة المستوى المعيشي
الذي كان يتمتع به المحليين قبل احتلال أوطانهم.
أليس الصمود من صحة البدن وأن هذه الأخيرة من
وفرت الإنتاج؟

لكن مع استحواد مؤسستي الاستيطان والدومين
(العقار) على الأراضي الخصبة، تراجع المردود
الفلاحي فتردّت أحوال الأهالي وانتشرت الأوبئة
والأمراض بين سكان الدواوير خاصة عام 1868 حيث
عرفت الجزائر (2) مجاعة ناجمة عن تنالي كوارث

R -

1 - أنظر:

O.B.O. la société; Tome 6 année 1865

2 - 1 - أنظر: Préfet d'Alger; Rapport suite au conseil général de la province d'Alger (J.) -

AKHBAR

.du 7 Octobre 1869

2 - أنظر:

TIQUET; Une expérience de petite colonisation (J.) -
.indigène en Algérie

طبيعية لم تنجو منها المقاطعات الثلاث. فمن زلزل
 عنيف مدمر عرفته المنطقة صبيحة يوم 2 جانفي
 1866 والذي قضى على قرىتي العفرون وموزاية
 وألحق أضرارا بالغة ببوركيكة وعامر-العين والشيفة،
 إلى أسراب الجراد التي تعرضت لها مقاطعة الوسط
 ما بين أفريل- ماي من نفس السنة والتي أتلفت
 المحاصيل الزراعية، ولم يتمكن السكان تجاوز محنتهم
 تلك حتى وصالت أسراب جديدة في شهر جانفي
 للسنة الموالية. ويبقى الاحتلال أقوى وأخطر
 المتسببات فيما آلت إليه صحّة الأهالي من علة⁽¹⁾
 إنّ تدني المستوى المعيشي والصحي للمحليين
 جعلهم إذن عرضة لأمراض الفتاكة كالتيفوس
 والجذري اللذين عصفا بسكان المنطقة الغربية، في
 حين بلغ ترد أحوال الأهالي من الشلف إلى غاية
 متيجة⁽²⁾ ذروته في شهر سبتمبر 1873 ولم ينجو
 من الوضعية المأسوية تلك لا بني مناصر الشراقة ولا
 الغرابة ولا حتى زاتيمة. وهذا أمر طبيعي لما تعرض
 له النظام الاقتصادي المحلي المبني على التكافؤ
 والتكافل المتبادل بين العشائر والعائلات تحت إشراف
 قياداتها وشيوخها التقليديين⁽³⁾.
 أمّا عن كيفية احتواء الحكومة الاستعمارية تلك
 الحالة المزرية، فإنّها لم تجد إلا فكرة إنشاء، بالملجأ
 الذي ركن إليه بني مناصر، فرن أطلقت عليه "الفرن
 الاقتصادي" قصد توزيع مائة وجبة حساء في اليوم⁽⁴⁾.

"... Les colons Arabes chrétiens du cardinal Lavigerie." Ed. Alger 1936. (Thèse) ..."

Anonyme; Article du 15 février 1870. AKHBAR (J)

¹ - أنظر: -

"...Il faut l'avouer, on y supplée par une iniquité flagrante par l'emploi des sources financières des arabes, mesure qui devait aboutir et qui a abouti à la catastrophe de 1868, c'est -à dire à la famine... a enlevé le 1/5 de la population...les tribus, depuis leur soumission sont une des principales sources du ...pays"

et 7 février 1873.

² - أنظر: 21 Journal Officiel

décembre

³ - أنظر: - (Robert) -Chap. II l'évolution des AGERON; Histoire de l'Algérie contemporaine.

musulmans algériens et la politique indigène 1870-1930

⁴ - أنظر: - (F) - cit DOR;Cherchell...

3- التعديلات الإدارية الجديدة

لم يكن من السهل على السلطة الاستعمارية إخضاع الأهالي إلى تنظيم إداري بدون إثارة مخاوف هؤلاء وهم يدركون أنّ إعادة التنظيم التي تخضعهم لها تعدّ إحدى وسائل التطويق المعتمدة من طرف الإدارة. بالفعل لا نكد نعر، طيلة الفترة الاستعمارية، على عملية تنظيمية جديدة إلا واصطحبها تمزيق جديد للنسيج الاجتماعي، وتعطيل للنمو الاقتصادي ردّ عليها الأهالي بانتفاضات عارمة. ولعلّ انتفاضة عام 1864 أحسن دليل على ذلك حيث عبّر أولاد سيدي الشيخ عن رفضهم الامتثال لقرارات الحاكم العام راندون (RANDON) ⁽¹⁾ القاضية بتوزيع فروعهم بين إدارتي النظامين المدني والعسكري، بل قاوموها بانتفاضة كادت أن تتحول إلى انتفاضة شاملة خاصة وأنّ بني مناصر في الشمال هم في انتفاضة مماثلة ولنفس السبب.

أمّا عن التعديلات التي أدّخلت على إدارة الشؤون العربية ومن خلالها على قيادة الأهالي، لابدّ من التطرق إلى ما عرفته المكاتب العربية ومن ثمّ ما ألت إليه القيادات المرتبطة بها مباشرة. هناك من ربط تراجع جدية المكاتب العربية بتراجع حرص الحكومة الاستعمارية وصرامتها في اختيار الضباط العسكريين لرئاسة تلك المكاتب. فتهاونها في احترام مقياس اللغة كشرط أساسي لهذا المنصب أضعف عملية رصد أحوال الأهالي بدقة. كما أدى أيضا إلى إخفاق الإدارة في اختيار القيادات التي تصلح - في نظر الضباط - أن تكون وسيطا بينها وبين الأهالي. وبالتالي محاولة إقحام عناصر محلية من خارج القبيلة، أفقد المكاتب العربية، سيطرتها على العناصر القاعدية للقبيلة، مما

¹ - راندون (جاك لويس سيزار ألكسندر) ... حاكم المقاطعة الثانوية لعنابة على غاية . 1847 مدير شؤون الجزائر من 11 ديسمبر 1851 إلى 31 أوت 1858

عطل هيمنة الإدارة الاستعمارية العامة على الأهالي (1). هذا ناهيك عن وعيد كريميو عام 1870 الموجه لإدارة المكاتب العربية (القادة المعينين) في حالة وقوع أية انتفاضة، لأنه كان يرجع أسباب هذه الأخيرة إلى تهاون وعدم قيام أعضائها بالمهام المنوط بهم كرسد نشاط وتحركات العناصر المحرصة (2). قرارات تصب كلها في اتجاه واحد أي زعزعة مشايخ القبائل. وما دامت المسألة لا تخص جهة أو ناحية واحدة أو مشيخة بعينها بمعزل عن بقية القبائل، عرفت المقاومة عام 1864 امتدادا سريعا عبر الصحراء والتل وجمال الظهرة مهددة المصالح الاستعمارية. وللحيلولة دون التنسيق بين قادة أولاد سيدي الشيخ وقيادة دواوير بني مناصر شددت القوات العسكرية سياجها حول بني مناصر- وهم في مواجهة سياسة التفكيك لم تتمكن الحواجز العسكرية في بداية الأمر، من الحيلولة دون ظهور بصمات بني مناصر في انتفاضة عام 1871، حيث جمع الحاج قدور بن صحراوي (3) وهو قائد لأحد فروع البراكنية في الجنوب التالي لمقاطعة الجزائر، حوله القبائل استجابة لطلب سي محمد بن حمزة، فكان له دور رئيسي فيها (4). لقد

1 - أنظر: REY-GOLZEIGHER: Op. cit. Chap. : " Les masses algériennes en (A) - " mouvements

P.p. 275-434

2 - أنظر: CREMIEUX;- Décret: La délégation du gouvernement de la Défense nationale en attendant

la constitution définitive des territoires civils dans les trois départements de l'Algérie, telle qu'elle sera déterminée ultérieurement décret: - article 5. AKHBAR (J) du 1 janvier 1871

3 - الحاج قدور صحراوي: إنَّ عدم الاهتمام بببليوغرافية القادة المحليين من طرف الكتاب الاستعماريين خلال القرن 19 إلا بأولئك الذين خدموا الإدارة الاستعمارية يصعب إنجاز ترجمة الشخصيات البارزة في المقاومة الوطنية في تلك الفترة. فعلى ذكر سي قدور صحراوي يصعب استيعاب العلاقات العائلية بينه وبين البراكنية الذين عَزَلُوا بهضبة بني مناصر.

Op. cit. p. 285

:- (A) REY-

4 - أنظر: GOLZEIGHER

- رسالة من سي محمد بن حمزة إلى الحاج بن صحراوي من أولاد سيدي خالد: " الحمد لله هذه الرسالة موجهة ... إلى ابن خالنا وفي نفس الوقت إلى أصدقاء العائلة الأوفياء، إلى كل الأحرار من أولاد زيان دون استثناء، وإلى

انضم إليه كل من أهل أولاد زيان، وكعابرة وشواحة، وأولاد بني منصور وأولاد بوعليف الذين لم يترددوا في تلبية النداء. وتحرك في نفس الوقت من الشمال مالك صحراوي البركاني قائد بني مناصر مليانة على إثر عدم إنصات الحكومة العامة لمطلب المناصرة والمتمثل في إعادة قيادتهم إلى سابق عهدها موحدة لكن إدارة المحليين تعرضت على إثر انتفاضة عام 1871 إلى المزيد من التفكير. فبالنسبة للهيكل الجديدة لأهل يسّر (نظرا لتشعب فروع قبيلة يسّر) ألغي منصب القيادة وأمين الأمناء في حين انتقلت قيادة جماعة دواوير كومون القيوس وترفة، والوديان، وخشنة الجبل إلى ضابط عسكري مكلف بشؤون المحليين إلى جانب رئيس بلدية برج منايل، فصار الحكم العسكري في هذا الطرف بالذات ساري المفعول ⁽¹⁾. كما تعرضت أجور قيادات المحليين المتعاملين مع الإدارة الاستعمارية إلى خفض، فاعتبرت تلك القيادة العملية تمهيدا للتخلص منها . ⁽²⁾

ولم يكن أهل بني مناصر أحسن حظ من أهل يسّر حيث فرضت عليهم حالة الطوارئ (Etat de Siège) من خلال إخضاع مقاطعتهم الثانوية (subdivision) لهذا القرار الذي صار ساري المفعول منذ 19 جويلية 1871 كخطوة أولى لتطويق الانتفاضة أهالي هضبة بني مناصر. قرار تسبب في تعطيل إلحاق دوائر أورليانفيل، مليانة، المدية، وأومال بإدارة الحكم المدني كما نص عليه قانون 24 ديسمبر 1870 المكمل لقانون السيناتوس كنسلت ⁽³⁾، حيث أعيد

موالينا من الشواحه، والكعابره، وأولاد بن منصور، وأولاد بن عليف...إلى كل من هو منضم إلى صفنا..."

¹ - أنظر:

B.O.G.G.A année 1871 p. 285

² - أنظر: - (J.) - AKHBAR; année 1871

³ - أنظر:

- B.O.G.G.A

النظر في إدارة دواوير الكومون التي أفرزها قانون 22 أبريل 1863. وألغيت قياداتها في حين وُضعت الجماعة دواوير كومون تحت تصرف ضابط إداري، مع إلزامية مُثول ممثل الجماعة أمام هذا الأخير مرة في كل شهر ومرة كل ثلاثة شهور أمام رئيس الكومون (Le Maire de commune).

أمّا إذا كان التقطيع الإداري الجديد لشرق مقاطعة الجزائر على شكل أقاليم إدارية (Districts) كإقليمي برج منايل وباليسترو بالنسبة ليسر استجابة للتحوّلات التي أفرزتها ثورة 1871، فإدارة بني مناصر عرفت هي الأخرى تعديلا أعيد من خلاله مَرَكزة القيادة (centraliser) من جديد. لكن ليس كما كان يطالب به سي مالك صحراوي إذ حوّل ما تبقى من قبيلة بني مناصر إلى كومون أنديجان (Commune Indigène) تضم الدواوير الأربعة، مرتبطة بدائرة مليانة الخاضعة للنظام العسكري⁽¹⁾، بدل أن يحوّل كل دوار كومون إلى كومون أنديجان كما كان مقررا في إطار قانون السيناتوس كينسلت 22 أبريل 1863. لكن لم تكن تلك المركزية إلا إجراء احتياطيا فرضته ظروف ما بعد الانتفاضة عامة وقرار حالة الطوارئ الصادر بتاريخ 19 جويلية 1871 خاصة.

فالوضعية المُزرية التي ألت إليها حالة الأهالي عام 1868 ساهمت في حل كومون الأهالي لبني مناصر لتعود من جديد دواوير-كومون إلى الواجهة مع قرار تنفيذ المادتين الأولى والثانية من قانون (س. ك.). فألحق دواوير-كومون سيدي سميان والقورين إلى البلدية المختلطة لقوراية، مما أبقى بني مناصر الشراقة ضمن نطاق الحكم العسكري. في حين أعيد دواوير-كومون بني مناد وزكار إلى دائرة أورليانفيل.

Circulaire; circonscriptions administratives - -

1 ? - أنظر:

constitution en cercle des circonscriptions cantonales

Organisation administration de Cherchell et de Ténès. Arrêté du 20 décembre 1873. P. 666 -

- Circonscription Territoriale suspension de l'application du décret du 24 décembre 1870, dans certain territoires dépendant des cercles d'Orléanville, Miliana, Médéa et Aumale arrêté du 20 décembre 1873.

P. 670 Décret portant confirmation des arrêtés qui ont crée des circonscription cantonales dans les trois départements de l'Algérie du 20 février. B.O.G.G.A. année 1873

ولم يفوّت لافيغري (Lavignerie) الفرصة للتقرب من حاكم بلدية شرشال ملتصبا منه الالتزام بتنفيذ قرار تزويد مستوطني المدينة والمستوطنات المجاورة لها بكنيسة عام 1870 ، مما زاد من سخط بني مناصر. لقد كانت وجهتهم يوم 14 جويلية 1870 صوب الكنيسة فكان ذلك أذانا لاندلاع الانتفاضة.

ج - مجريات أحداث الانتفاضة ودور القيادات المحلية
أول ما وصلت أخبار تحرك أهالي دواوير بني مناصر الشراقة فرّ مستوطنو قرية نوفي إلى مستوطنة شرشال للاحتباء بها. ولإنقاذ المستوطنة من هلاك أكيد على غرار ما وقع لمستوطنة باليسترو شرق المقاطعة أرسلت الحكومة الاستعمارية مساعدة بحرية في شكل زورق لإنقاذ مستوطني المنطقة.

وهكذا ورغم مباغته الأهالي للقوات الأمنية المرابطة بالمستوطنات الثلاثة نوفي، شرشال، وزورخ يوم 14 جويلية 1870، ورغم سيطرتهم على مدينة شرشال طيلة شهر كامل، إلا أنّهم لم يتمكنوا من وضع حدّ لسياسة التفكيك وذلك ارتفاع عدد المراكز العسكرية بالمنطقة والتي يتصدّرها مركز القليعة الذي تحرك منه 600 زواوي (Zouaves) باتجاه دواوير بني مناصر الشراقة لإخماد الانتفاضة هناك. أرجع البعض أسباب انتفاضة عام 1871 بالقسم الغربي من مقاطعة الجزائر، على غرار ما فعلوه في السابق، إلى وجود أحقاد وبغضاء بين عائلتي الغبريني والبركاني، كانت وراء تحريك الصراع بينهما على القيادة، علما أنّ التوتر بينهما ليس بجديد على الإدارة الاستعمارية خاصة وأنّها منذ بداية الاحتلال عمدت ذات الأسلوب لغرس الضغائن بين القيادتين وتغذيتها⁽¹⁾.

¹ - أنظر: (L.) - Rinn; *L'Insurrection...* op. cit. p.p. 510 et suivantes

وهناك من رأى في انتفاضة بني مناصر عام 1871 امتدادا طبيعيا لانتفاضة الشيخ المقراني، حيث تمّ ربطها أو إرجاعها إلى نشاط مريدي الطريقة الرحمانية بين أوساط مشايخ بني مناصر وأهل المنطقة ⁽¹⁾ . لكن يبقى محررو التقارير العسكرية أدري من غيرهم بما بطن وظهر من أسباب لأتّهم طرف مباشر في الحدث. تطلعنا بعض التقارير على أنّ الأسباب الجوهرية تكمن في ما يلي:

- رفض المحليين قرار إلحاق القبائل التي انتهت اللجان الفرعية من تحديد موطنها الجديد (مجالها الجغرافي) كما يقتضيه قانون (س. ك.) 22 أبريل 1863، إلحاقها بالحكم المدني ثمّ تقسيم أراضيها وأراضي دواويرها إلى نطاقات قبل الاعتراف بالملكية المشخصة.
- ما كانت تسعى إلى تحقيقه الحكومة العامة من وراء قرارات تسجيل أو تدوين الملكية المشخصة وفق القانون الفرنسي بإلحاقها بالحكم المدني أي إلى تسهيل تحويل العقار لصالح المستوطنين عن طريق شراء القطع المشخصة ⁽²⁾.
- شروع رئيس بلدية شرشال في التنفيذ قانون 22 أبريل 1863 دون رضا بني مناصر ودون الاكتراث بطلب سي مالك صحراوي البركاني المتمثل في إعادة جمع شمل بني مناصر (الشراقة والغرابة) تحت قيادة واحدة كما كان عليه هؤلاء قبل الاحتلال. في الواقع ذلكم هو الدافع الحقيقي لتفجير الانتفاضة بالمنطقة.
- لقد انقسم موقف جماعة بني مناصر حول إلحاق أوطانهم بالحكم المدني بشرشال. فالمؤيدون يرون في الإلحاق فرصة للتخلص من قبضة الإدارة

¹ - هناك مريدون من الطريقة الرحمانية بشرشال لكن نفوذها لا يضاهي نفوذ البراكينة.

² - بعد حجز أراضي يسّر الوادي أصدرت الحكومة الاستعمارية قرار توسيع مساحة "العالمة" (Alma) وسان بيار (Saint-Pierre)، وسان بول (St-Paul) ومراكز أخرى بتاريخ 19 نوفمبر 1872

- أنظر: B.O.G.G.A. année 1872.

العسكرية ومراقبتها لتحركاتهم. ناهيك عن مزايا
الرأسمالية التي حسبما أشاعه أصحابها أنّها لعلّ
الإنضمام إلى الحكم المدني أنّه سيحررهم من نظرة
المستعمر المشحونة بالاحتقار والتعالي. أمّا عن
أصحاب هذا الاتجاه فهم أولئك الذين أغرقتهم
الحكومة العامة بامتيازات وهمية كتمليك من لم يسبق
له أن اكتسب قط قطعة أرض خارج الملكية الجماعية
وضعاف النفوس (1)

أمّا التيار الثاني من الجماعة فيكفي أن نذكر أنّ
مشيختي الغبارنية والبراكنية، ورغم تباين تصرفات
السلطة الاستعمارية تجاه العائلتين ومعاملة
شيوخهما، إلّا أنّهما سلكتا هذه المرة موقفاً موحداً
لمواجهة سياسية إلحاق أوطان أهاليهما بإدارة الحكم
المدني. موقف أوعزته الإدارة الاستعمارية إلى ضياع
امتيازات المشيختين. فلا سي محمد ولد سعيد
الغبريني، التحق بمنصبه الجديد كقائد على بني
مناصر، رغم ما خصت به الإدارة الاستعمارية عائلة
الغبريني من معاملة مميزة منذ عام 1832، ولا سي
مالك صحراوي البركاني راضيا على ما آل إليه حال
بني مناصر من تشتيت.

إذن لم يتأخر البراكنية ولا الغبارنية عن الانتفاضة
عام 1871. فعقوبات الحجر المسلطة على
ممتلكاتهما لا تدلّ على مشاركتهما الواسعة في
انتفاضة عام 1871 فحسب وإنّما على أنّهما من
حركاتها. فجاءت خيبة أمل السلطات الاستعمارية في
شخص سي مالك صحراوي البركاني الكبيرة، خاصة
وأنّها كانت تعوّل عليه كثيرا في إخضاع بني مناصر
لإرادتها. لكن يبدو أنّ إقامة الجبرية على أرض
فرنسا لما يقارب الأربعة عشر سنة، قصد تحضيره بل
تغريبه، لم تجد نفعا. فبدل من جري الأهالي وراءه
لصالح الإدارة الاستعمارية تحقيقا لأمالها راح يقودهم
في انتفاضاتهم إلى أن استشهد في 2 أوت 1871

1 - أنظر: RINN; L'Insurrection... op. cit (L) -

بعد أن باغته قوات الكولونيل بونصار (C. PONSARD).⁽¹⁾

أمّا أن يُنظر إلى انتفاضة عام 1871 على أنّها مجرد تمردٍ لقيادات محلية نائمة على ما ضيعته من امتيازات بحرمانها من توليتها مناصب واقعية في إدارة شؤون المحليين، مستدلين برفض محمد بن الحاج المقراني أقل من منصب الخليفة وعدم اكتفائه بمنصب باشاغا مجانة⁽²⁾، وعدم قناعة، في نظرهم أيضا، سي مالك صحراوي بقيادته على فرع بني مناصر الشراقة دون الغرابية ودون زاتيمة فهو تظليل يراد به خلق فجوة بين القيادات والأهالي.

لقد أثبتت وقائع الانتفاضة أنّ تفسيرات الحكومة الاستعمارية لمسببات الانتفاضة ما هي إلا تفسيرات واهية، ما دامت استجابة الفروع الغربية لنداء سي مالك يوم 13 جويلية 1871 انطلقا من سوق بني مناصر⁽³⁾ كانت عفوية وواسعة، حيث تحرك الجميع دون قيد أو شرط لمجرد أن بلغهم الإعلان عن تفجير الانتفاضة. وتجدر الإشارة إلى أنّ سي محمد ولد سعيد الغبريني أغا فرع زاتيمة رفض الالتحاق بمنصبه الجديد كقائد على بني مناصر الغرابية بدل ملود الحيتوشي المههد من قبل بني مناصر.⁽⁴⁾

1 - اشتدّ الحصار على بني مناصر مع مطلع الأسبوع الثالث من شهر جويلية 1871 حيث انطلقت عدّة فرق عسكرية في وقت واحد من فيسول بينيان يوم 24 جويلية بقيادة مونا (MOTHA)، وفرقة بقيادة نيكوت (NICOT) من مليانة تجاه شرشال وفرقة أخرى من الجزائر نحو شرشال، فوصلت بقيادة الكولونيل بونصار في الفاتح أوت 1871 إلى قرية زوربخ ومن هناك إلى شرشال سالكا الجبال مما مكّنه من مباغته مالك البركاني 2 أوت 1871
أنظر: - RINN;... op. cit. p. 532.

2 - أنظر: - RINN;...Ibid. Chap. I : Les révoltes locales du départ des troupes à la proclamation du djihad (14 juillet 1870 - 8 avril 1871). Pp. 79 - 194

3 - المصدر نفسه. أنظر: - RINN;...Ibid. Chap. I : Les révoltes locales du départ des troupes à la proclamation du djihad (14 juillet 1870 - 8 avril 1871). Pp. 79 - 194
à la prise de Bou-Mezrag. (13 juil. 1871-20janv. 1872). p.511

Op. Cit. - -

Livre IV: Les dernières luttes de soumission de Cheikh-El-Haddad

4 - المصدر نفسه. أنظر: - RINN;...Ibid. Chap. I : Les révoltes locales du départ des troupes à la proclamation du djihad (14 juillet 1870 - 8 avril 1871). Pp. 79 - 194
Chap. I Malek-El- Berkani. P. 515

وهكذا ففي الوقت الذي تحرّكت فيه قوات الشيخ المقراني من مجانية مهددة متيجة الشرقية بعد اجتياحها أوطان يسّر حيث تفاعلت مع القيادات هناك، وصلت إلى المركزية أخبار مفادها ظهور مؤشرات تنذر بالخطر غرب المقاطعة. ⁽¹⁾ لكن لم تكثر حينها الحكومة الاستعمارية بتلك الأخبار. ومن ثمّ صادف إعلان بني مناصر عن تفجير "الثورة المقدّسة" يوم وصلهم خبر إلقاء القبض على الشيخ الحداد القائد الروحي للمقاومة. إنّهُ إذن الجهاد وليس مجرّد احتجاج.

جهادٌ ردّ به الثوار على قرار فرنسة الأرض الجزائرية في جانفي 1871 كما جاء به الحاكم العام كريميو، والذي جاء فيه: "...أنّ الجمهورية الفرنسية ستعترف بملكية الأهالي للأراضي المستغلة من قبل الذين سبق لهم وأن دفعوا ضريبة الدمّ في العديد من المناسبات إن على المستوى الداخلي أو على المستوى الخارجي كحرب القرم 1856 - 1850 ⁽²⁾ والحرب الفرنسية الألمانية عام 1870 " ⁽³⁾. هذا وتبقى نقمة المحليين على استيلاء إدارة الاحتلال

¹ - المصدر نفسه؛ ص. 515 - 512

² - المصدر نفسه، ص. 81 - 80

مشاركة المحليين ضمن صفوف الجيش الفرنسي:
- إنّ شيوع أخبار من قسنطينة مفادها إلقاء القبض على الحاج محمد بن الحاج أحمد المقراني في الجزائر يكشف عن حدّة التوتر بينه وبين الحكومة العامة، إلّا أنّ رين يفنّد ذلك بإشارة منه إلى المقراني يكون قد راسل في نفس الأثناء الإمبراطور يعرض عليه خدمات المحليين في صفوف الجيش الفرنسي لمواجهة بروسيا، مؤكداً أنّ القيادات الكبرى في المقاطعات الثلاث مستعدة للمشاركة على غرار من سبقوها من المحليين بمشاركتهم في كوشنشين (Cochine-chine)، القرم (Crimée) والمكسيك، وإيطاليا... " لم يكن ممثلي بني مناصر وأهل يسّر ضمن القائمة المذكورة في صفحة 81. أمّا عن سليمان بن سيّام(*) (وبوعلام بن شريفة الأول من دائرة مليانة والثاني باشا إغليك جندل وهما من تعين الإدارة الاستعمارية.

- أنظر المصدر نفسه ص. 81

* يقول رين في كتابه الانتفاضة... أنّه عندما وصلت الأغا سليمان بن سيّام أخبار تحرك القوات العسكرية لمحاصرة سي مالّ البركاني راح يُبرّئ نفسه من الاضطرابات التي تعيشها المنطقة مع تحيل محمد سعيد البركاني مسؤولية ذلك.

- أنظر المصدر نفسه ص. 530

³ - أنظر: - Lois de Crémieux. B.O.G.A. année 1871, p. 36

على أملاك الحبوس⁽¹⁾ دافعا مُباشرا في تحريك
انتفاضة عام 1871.

ونظرا لتداخل المسببات في بعضها البعض لشدة
الارتباط فيما بينها، فتدهور المستوى المعيشي الذي
انجرّ عن تطبيق قانون (س. ك.) 22 أفريل 1863، قد
ساهم في تحريض وبقوة الأهالي على التحرك
وخوض المقاومة من جديد. ومن بين الأدلة على أنّ
انتفاضة عام 1871 مردّها مقاطعة الأهالي لقانون
(س. ك.) خاصة وأنّ الضربات الأولى للمقاومة في
14 جويلية 1871 كانت مصوبة ليس ضدّ مراكز
العسكريين وإنّما ضد المستوطنات التي أنشئت
ووسعت على حساب الأراضي التي انتزعت منهم
باسم الصالح العام.

لقد ضرب الأهالي تحت قيادة البراكنية مستوطنة
نوفي، والمزارعة الواقعة على الشطر الغربي لمدينة
شرشال، وفيسول بنيان، بومدفع وغيرها من
المستوطنات⁽²⁾

ألم تكن أوطان يسرّ وأوطان بني مناصر الأوطان
الأولى لتنفيذه مشروع الملكية المشخصة الذي جاء به
قانون (س. ك.)؟ وما يزيد من هشاشة ادعاءات
السلطات الاستعمارية نذكر تلك الرسالة التي بعث
بها سي مالك صحراوي البركاني إلى ملكة بريطانيا
(³) سعيًا منه الحصول على دعم دولي. وعليه
فالقضية هي أكبر من مجرد سعي وراء منصب إداري
أو قيادة أو مشيخة في ظل إدارة الاحتلال.

1 - المصدر نفسه، ص. 252

2 - أنظر - Insurrection des Beni Cour d'assises du tribunal d'Alger. Audience du 6 février 1872.

Menasser. AKHBAR (J) 9 février 1872

3 - 1 - المصدر نفسه، ص. 252

2 - الملكة ألكسندرينة فيكتوريا اعتلت عرش المملكة المتحدة البريطانية

العظمى وإرلندا في 20 جوان 1837 وهي ابنت 18 ربيعاً، واطعة بذلك حدا
لسياسة إقصاء المرأة من النشاط السياسي وفي عام 1876 صارت إمبراطورة
المملكة المتحدة والمستعمرات الهندية وذلك إلى غاية عام 1901.

ففي مثل هذه الحالة، مجرّد محاولة التقرب من أعداء فرنسا يكفي أن يُكسب انتفاضة عام 1871 طابعا وطنيا وأنّ يبرهن على النضج السياسي الذي كانت تتمتع به القيادة المحلية آنذاك. إنّ السياسة المنتهجة منذ 19 جوان 1871 من طرف الحاكم العام لمقاطعة الجزائر لإخماد المقاومة وتدعيم القوات الاستعمارية المتواجدة بشرشال بفرق أخرى من الجزائر والتحكم في الانتفاضة (1) لا دليل عن كون ما تعيشه مقاطعة الوسط من أحداث أكبر من كونه مجرد عصيان بسبب عدم تحقيق أغراض ضيقة. لكن في الواقع هي رفض ومقاومة من قبل الأهالي لسياسة خلق فرص جديدة للمزيد من التفكيك والافتكاك.

فبعد أن صار قانون السيناتوس كنسلت 22 أفريل 1863 عاجزا على ضمان تغطية حاجيات الدولة (ممثلة في الحكومة الاستعمارية) من أراضي وهي مقبلة على إسكان الآلاف من المهاجرين بعد انهزامها أمام ألمانيا الموحدة عام 1870 إلى الضغط على أوطان أهالي أوطان يسّر وأغاليك بني مناصر، لصالح مهجري الألزاس واللورين، بحجة عدم مساندتهم الجمهوريين كما سبقت إليه الإشارة. إنّ قرارات الحجر المكثفة والتي أمطرتها الحكومة الاستعمارية على أولاد مدجكان بدون تمييز بين القيادة وعامة الأهالي، بتهمة المشاركة في الانتفاضة مفادها تفنيد كون الأحداث التي عرفها سهل يسّر مجرّد تنافس على القيادة (2) وإنما هي نتاج الضغوط التي تعرض إليها الأهالي عامة من جراء الاستيلاء المتواصل على ممتلكاتهم بل وكل ما يمكن أن يشكل مصدر رزق، خاصة وأنّ أوامر إدارة الحكم المدني تنص كلها على ضرورة الإسراع في توزيع الأراضي المحجوزة على إثر انتفاضة عام 1871

1 - المصدر نفسه، ص. 289

2 - أنظر: B.O.G.A. année 1871. p.289

من أوطان يسّر الجديان وتحويلها إلى مصلحة
الاستيطان.

أمّا عن مبررات موقف الحكومة الاستعمارية من
القيادات المحلية المرتبطة بالمكاتب العربية وزجرها
يعود إلى اتهامها بالتواطؤ مع المقاومة وتأميرها ضدّ
مصالحها وعرقلة الاستيطان، لعدم إبلاغ المصالح
المكلفة بأمن الدوائر بحقيقة ما كانت تحضر له
القبائل.

أخفقت إذن في تحويل القيادات المحلية إلى
عيون تترصد أخبار أهاليهم، ومن ثمّ أسقطت عليهم
تهما لا حصرت لها كالتجسس لصالح المقاومة
والتحريض والسرقة وغيرها من التهم التي ستبرر بها
استيلاءها على المزيد من العقار بحجز ممتلكاتهم⁽¹⁾
، ولعلّ صدمة إدارة الاحتلال بقيادة يسّر (الوحدة
الإدارية caidat) كانت أشدّ وطأة لاعتقادها بأنّ مراكز
الاستيطان الواقعة بتلك القيادة في مأمن من
تحركات المجاهدين، لوجود حولها شبكة من الأحياء
والزوايا وعلى رأسها مريدين وخدام لا يشكلون أي
خطر على الكولان ولا على مشايخ الطريقة الرحمانية
ما دام هؤلاء موالون لفرنسا.

إنّ ما يشدّ الانتباه فيما يخص المشيخات في
القسم الشرق من مقاطعة الجزائر أنّها أكثر عددا من
تلك المتواجد بالقسم الغربي - بني مناصر - مما
يعكس عدد الوحدات الإدارية بالنسبة لأهل يسّر.
وللوقوف على ما تعرض له هؤلاء بعد انتفاضة عام
1871 يستدعي منا البحث في ملفات الدوائر
القضائية كما أقرّته إدارة (س. ك.) عند تنفيذ المادتين
الأولى والثانية منه على أهل يسّر. لكن التفاعل

1-1 - أنظر:

- B.O.G.G.A. année 1872

2-2 - أنظر: (L.)

RINN; Histoire op. cit. ; P. 510.

"... Dès que nous avons été maître du pays nous avons travaillé à transformer ces seigneurs en de
simples fonctionnaires, exécuteurs plus ou moins corrects de notre politique. Les indigènes se sont
détachés de ces seigneurs réduits à de simples administrateurs..." p. 510

السريع لأهالي يسرّ مع الانتفاضة برهن مرة أخرى على بطلان ذلك الإدعاء.

لقد استجابت قيادات الدواوير لنداء الشيخ الحداد لمجرّد وصلها خبر الجهاد عن طريق سي محمد ابن الشيخ الذي قراءة النداء في سوق أيت إيجر في 11 أفريل 1871، فتناقله ونشره مريدي الطريقة الرحمانية بسرعة البرق عبر أسواق فور-ناسيونال، وتيزي وزو، وأومال.

انتفاضة هي إذن شاملة، ورغم ذلك أصرّ، مرة أخرى، رين على إرجاعها إلى عدم رضي القيادة المحلية على ضياع امتيازاتها. في حين يظهر جليا من خلال قراءة الأحداث أنّ القيادات المعنية في معظمها كانت تتربص الفرصة للتخلص من قيود الخضوع للإدارة الاستعمارية.⁽¹⁾

- تقيم الوضع عشية ظهور الجمهورية الفرنسية الثالثة⁽²⁾

ورد في تقرير إداري لسنة 1869 أنّه إشكال بين جماعة دوار القورين ومؤسسة العقار حول مساحة تقدر ب 4800 هـ من المساحة التي اعترفت بها الحكومة لصالح الدوار والمقدرة ب 387 18 هـ أي ما يقابل 26 % من هذه الأخيرة. تسعى مؤسسة العقار من وراء إسرارها على اقتطاع المزيد من أراضي دوار القورين توسيع رصيدها العقاري. ويتجل من خلال المنهجية المتبعة من طرف مصلحة الطوبوغرافيا لتحضير أرضية التقسيم من قبل اللجان الفرعية حيث كان الدوار يقسم إلى نطاقات صغيرة، يعين على رأس أهالي كل واحدة منها قيادة محلية. ثمّ تثبت على خريطة بسلم 1/10000 المعلومات الأساسية بعد أن أطلقت عليها الإدارة اسما معلوما. فالأمر لا يغدو عن كونه تجميع أفرزه قانون (س. ك.).

¹ - رين؛ الانتفاضة... المصدر نفسه، ص. 297.

² - الجمهورية الفرنسية الثالثة (1875-1940) أول رئيس للجمهورية الثالثة هو ماك - ماهون. عرف المدّ الاستعماري الفرنسي في ظل الجمهورية الثالثة أوجّه.

إنَّ اختراق اللّجان الفرعية صفوف القبائل بحجة الوقوف على أنواع الملكيات وتوزيعها على الدوائر مع الحفاظ على نصيب الحكومة العامة (الدولة)، سهل على الإدارة الاستعمارية غداة انتفاضة 1871 الاستحواذ على ما تبقى من أرضي لدي الأهالي. لقد تمكنت من إحكام قبضتها على الملكيات الخاصة بمجرد الإعلان عن قائمة الأفراد المتهمين بالتورط في الانتفاضة طريق الحجر سواء أكان الشخص مقيما قريبا أو بعيدا عن أملاكه (1).

كما أنَّ يد الاستعمار طالت حتى الملكيات الجماعية كما هو الشأن بالنسبة لـ 263 شخص من المقاطعة الثانوية لمليانة فمن بين الـ 107 من بني مناصر الذين ضربت الإدارة أراضيهم بقرار الحجر منهم 31 خارج أراضيهم نظرا لإقامتهم بدوار ريغة الشمالية.

أمَّا عن فروع مناصرية مليانة الأكثر تضررا هي زواوة الحلاشي وتلاخيخ الغرابية وبني بوعمران (2) (قرارات لها ما يبررها خاصة وأنَّ تلك الممتلكات الفردية والجماعية تقع على طول الطريق الإمبراطوري. ويذكر رين بأنَّ جنديّة أهل يسّر أفقدتهم تركيبتهم الاجتماعية (3))

- أول إجراء اعتمدته الإدارة العامة يتمثل في إعادة النظر في التنظيم الإداري.

- فرض الحجر على أراضي المقاومين مع العلم أنّه لم يتم الإعلان عن كل العمليات في الجرائد.

- فتح مكاتب للإحصاء بدائرة يسّر مهامها: إحصاء الأهالي المقيمين بالدائرة وممتلكاتهم حيوانية كانت أو مادية، ووضع أرضية لمصلحة التوثيق (NOTARIAT) التي تعدّ المصدر الأساسي لبناء الحالة المدنية (Etat civil) بالنسبة للأهالي.

1 - أنظر: SUDRE (chef de service des domaines) J.O.A. -

2 - أنظر: B.O.G.G.A. 1871. Pp. 720-730 -

3 - أنظر: RINN; L'Insurrection... Op. cit. 1872 P. 247 -

- الإدارتان العسكرية والمدنية تتقاسمان مهام إحصاء أهل يسّر. فالأولى تستحوذ على الأرض عن طريق ملاحقة المقاومين وتنفيذ قانون الحجز بالقوة مثل ما هو الشأن بالنسبة لسكان الدائرة الثانية لدلس عام 1871 أمّا الثانية فمهامها مرتبطة بالضرائب وعليه تقوم بفتح سجلات الحالة المدنية في نفس السنة (1).

- بعد الحجر تأتي مرحلة إلحاق الأراضي المحجوزة بملكات الدومين وهذا بالطبع لتحقيق المستوطنات المنتظرة كمستعمرة ألما (Alma)، وسان بيار (Saint-Pierre) وسان بول (Saint-Paul) وخشنة، ويسّر الويديان كما نص عليه قرار 19 فيفري 1872

د - انعكاسات سياسة الحكومة الوطنية على الأهالي

لقد انجر عن انتفاضة عام 1871 إخضاع الأهالي إلى المحاكم الاستثنائية التي لا يراعى فيها حق المتهم في الدفاع عن نفسه. تراوحت الأحكام ما بين 3 سنوات سجن نافذة، أحكام بالأشغال الشاقة مدى الحياة، و20 سنة من نفس العقوبة و20 سنة أشغال شاقة (2). ومن بين النتائج المترتبة عن تقطيع الأراضي الجماعية تسهيل أمام إدارة الاحتلال إنشاء مستوطنة قوراية عام 1873 انطلاقا من 3129 قطعة تمّ تحويلها لصالح الاستيطان تحت غطاء المصادرة للصالح العام (expropriation pour cause d'utilité publique)، أمام أصحابها مهلة 18 يوما (12-22 أكتوبر 1873) للإدلاء بملاحظاتهم على سجل مخصص لهذا الغرض المتواجد لدى مكتب مقاطعة شرشال... (3)

- La Loi Crémieux;

1 - أنظر:

.B.O.G.G.A; année 1871 p.187

2 - أنظر: - Insurrection des Beni Cour d'assises du tribunal d'Alger; audience du 6 février.

.Menasser

.AKHBAR (J), 9 février 1872

3 - أنظر: - Wolff (Commandant la division) Territoire militaire division d'Alger. Création d'un

centre de population aux Gouraya. Expropriation pour cause d'utilité publique. Avis; du

Gouvernement Général Civil de l'Algérie du 7 octobre 1873. B.O.G.G.A. année 1874

واصلت الحكومة الاستعمارية سياسة التشتيت تجاه بني مناصر حيث بحجة ضمان السير الحسن لشؤون الأهالي عمدت أسلوب توحيد الهيكل الإداري للمقاطعات الثلاثة. فبالنسبة لغرب مقاطعة الجزائر استبدلت الأغاليك بدائرتي (Cercles) وهما دائرة تنس ومركزها المدينة ذاتها، ودائرة شرشال آلتان أبقيتا تابعتان للحكم العسكري عن طريق إدارة المقاطعة الثانوية أورليانفيل. أمّا عن شعاع هذه الأخيرة فهو يمتد حسب المادة الثانية من قرار 20 ديسمبر 1873 إلى الدواوير التالية: زاتيمة، بني زيوي، زوقارة، بني بومليك تاشته، قوراية، لارهاط، دوايري-كومون القورين وسيدي سميان⁽¹⁾ .

من خلال الوثيقة الخاصة برفع الحجر (La main levée) التي يتضمنها الملف الذي يحمل رقم 100 والصادر في 29 مارس 1877 نسجل عودة أسماء للفروع الكبرى للقبائل كفرع بني مناصر غرابة دائرة شرشال. ومع رفع الدومين يده على الأراضي الحجر تكشف بوضوح أسماء العائلات. شيوع فكرة إعادة شراء الأراضي من قبل أصحابها كما شاع بين أهل عين مودر يسّر الجديان بلدية دلس، حيث وافق جماعة عين المودر في 16 جوان 1873 على استرجاع ولم جزءا من أراضيهم عن طريق إعادة الشراء. فبعد أن تانزلت مؤسسة الدومين على 2166 هـ (14,40% من المساحة الإجمالية) لصالح مستوطنة جديدة وهي صاكري-أبابو (Sacré-Abbo)، ومساحة 263 هـ (1,74%) وزعت على الأهالي الذين بقوا أوفياء للإدارة الاستعمارية. وهناك من رفض إعادة شراء أملاكه المضروب عليها الحجر عام 1871 كما هو الحال بالنسبة لـ 11 شخص من قبائل قوراية.

¹ - أنظر: B. O. G. G. A. année 1873

**وهكذا تكون الإجراءات القمعية المتخذة من قبل
إدارة الاستعمار قد تجاوزت فكرتي الردع والتجميع
إلى إبادة الجماعية وإلى القلع من الأساس.**

الخاتمة

إذا كانت التغييرات التي عرفتھا فرنسا في القرن التاسع عشر ميلادي تجسيدا لأفكار نخبھا آنذاك والتي عكست التطورات الحاصلة في المجتمعات الأوروبية من جراء الثورتين الصناعية والفرنسية في

النصف الثاني من القرن الثامن عشر ميلادي، فإنّها في الجزائر بالإضافة إلى الركود الفكري على غرار مختلف الأقطار الإسلامية، قد تعرضت إلى المزيد من التعطيل خلال القرن التاسع عشر، حيث أبدعت فرنسا عن طريق أجهزتها الإدارية الاستعمارية في تقنين تفكيرك ما أبقت عليه، مدفعية جنراليتها، من المجتمع الجزائري. فبعد اغتصاب التراب الجزائري في 10 جوان 1830 بالدفاع الانتقام لشرف فرنسا، واعتماد ضباطه على حرب الإبادة كأسلوب ناجع للاستيلاء على الأوطان طيلة العقود الثلاث الأولى من الغزو، جاءت بترسنة من القوانين أرادت من خلالها تحويل أصحاب هذا الوطن إلى مجرد أجسام بلا روح، قوة عضلية مسخرة لصالح الكولون. لم يكن ليخفى على المحتل أنّ مصطلحي "القوم" و"الوطن" في مجتمع ريفي كالمجتمع الجزائري أنّهما سنويين متلازمين بالنسبة للأمة. لذا صهر على أن تُصَبَّ قراراته وتعليماته في سياق واحد من أجل تحقيق الهدف الجوهري المسطر منذ بداية الغزو ألا وهو أن تسهل عليه عمليتي تجزئة "الوطن" وتفكيك "القوم" معا. ولعلّ ما نصت عليه تعليمة 1 أكتوبر 1844 الخاصة بالملكية المشخصة، وتعليمة 21 جويلية 1846 أي قانون الحراسة الذي أخضع له الأهالي، وقانون التجميع الصادر في 16 جوان 1851. وما قانون السيناتوس كنسلت الصادر في 22 أفريل 1863 إلا حلقة من حلقات الاستيلاء على ما تبقى في حدود ذلك التاريخ من مساحات خصبة في حوزة الأهالي وذلك تحت غطاء تمكين الأهالي من حق الامتلاك المشخص من العقار. لقد أثبتت الوثائق بأنّ الملكية المشخصة كانت شائعة لدى كلّ من أهل يسّر وبني مناصر وإن اختلف مصدر الامتلاك. فإذا كانت الملكية، عند بني مناصر، نتاج تفاعلات الاجتماعية فردية أو جماعية تبلورت عبر حقبة تاريخية غابرة، فإنّها بالنسبة لأهل يسّر نتاج

تفاعلات سياسية تنظيمية اقتصادية، أي نتاج قرارات كانت قد أصدرتها الإدارة المركزية قبل الغزو. ورغم ذلك الوضع البين إلا أن أول ما استهدفته الإدارة الاستعمارية بقانونها ذاك كانت أراضي قبيلتي (كما ضبطتهما في شكل دواوير) يسّر وبني مناصر. إن معظم الملكيات العقارية المنتشرة بسهل يسّر تمّ تدوينها أي تسجيلها (Homologuée)، كما هو ثابت بسجلات مصلحة المسح الرئيسية بالجزائر العاصمة. في حين لم يعرف تدوين العقار بما تبقى من أراضي لدى بني مناصر من قبل مصلحة العقار نفس الاهتمام حيث لم تخضع للتسجيل على غرار الأولى وذلك راجع لتعقيد تضاريس المنطقة. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الإدارة الاستعمارية انتهت مع بني مناصر إلى إسقاط اسمهم من قاموسها الإداري والخرائط التي أنجزت ما بعد عام 1872⁽¹⁾ في حين أبقت على اسم البراكنية لا كوحدة اجتماعية مترامية الأطراف وإنما كمجرّد اسم عائلة.

فبات من الضروري الاهتمام بالأسماء العائلية وضبطها وفق مقتضيات الإدارة الاستعمارية بدءاً من القضاء على الأسماء الثلاثية التي عرقلت سيطرتها على المحليين. إذن كان على هؤلاء اتخاذ القابا لأنفسهم أو التأقلم مع ما سيطلق عليهم من أسماء غريبة، كلما وجدوا أنفسهم أمام مصلحة إدارية أو اضطروا إلى التعامل معها⁽²⁾. فكانت عقود الملكية سواء تلك التي يتمّ التصريح بها أمام الموثق⁽³⁾ أو تلك الناجمة عن تنفيذ قانون السيناتوس كونسلت 22 أفريل 1863، كانت فرصة لتبديد أصول ثقافة "الانتماء إلى الجماعة" بالقضاء على الانتماء الطبيعي

¹ - أنظر: - GLANGEAND (Louis); Bulletin du service de la carte-géologique de l'Algérie, 2^o série; - Etude géologique de la Région Littorale de la Province d'Alger. Ed. Bordeaux 1932

² - أنظر: - Ministère de Agriculture; Algérie (Alger - Oran - Constantine) Paris; 1870 L'Agriculture, - du commerce et des travaux publics. Enquête. P. 18

³ - الموثق معين من طرف وزارة الحربية.

أنظر: MONITEUR Algérien; 25 janvier 1843 n° 519- 12^o année-

للشخص - المتمثل في العائلة الكبرى بمفهومها
الواسع - وإقحامه في ثقافة "الفردية" الضيقة التي
تحركها الماديات - ظهور نزاعات بين أفراد العائلة
واحدة على قطعة أرض كانت في الأصل ملكا للعرش
بعد تشتت هذه الأخيرة. لكن غالبا ما كانت جاءت
النتائج تلك القوانين معاكسة للأهداف المسطر من
خلالها حيث ساهمت في صقل الفكر القبلي الضيق
ليتحول إلى فكر وطني أوسع وأشمل.
لقد انتهجت إدارة الاحتلال في الأربعينات من
القرن التاسع عشر الميلادي بقرار من بيجو سياسة
التحكم في الأهالي عن طريق قيادات محلية حيث بعد
الجلاء الناتج عن سياسة الأرض المحروقة، فرض على
القادة المعينين بالإقامة في بنايات ثابتة يتم إنجازها
في الحين أي بعد التعيين مباشرة وتكون على نفقات
الأهالي (سنتيم الإضافي)، لتكون بمثابة دار للحكم
تابعة لإدارة الاحتلال، وهي بمثابة مسكن وظيفي
للقائد. فكانت بهذا الصنيع تسعى إلى إبعاد الأهالي
الذين صاروا مرتبطين بمثل هذه الإدارات غير
المألوفة في نظرها، عن حياة الترحال. إذ كان بعد
إتمام البناء يحوّل المسكن إلى مركز لدوار جديد، كما
فعلته الإدارة الاستعمارية بالنسبة لمسكن كل من
خليفة برج حمزة عند بني سليمان، ومسكن باشا - أغا
بجندل، على غرار ما تمّ أنجازه في أطراف مدينة
مليانة وثنية الحد⁽¹⁾.
لقد ترتب عن تفكيك خيوط النسيج الاجتماعي
انقلابا جذريا على المستوى الاقتصادي حيث انتشر
البؤس والفقر، واعتلت الأبدان.
أمّا فيما يخص طبيعة النضال الذي خاضه الأهالي
في الفترة ما بين 1830 و 1872 فإننا خلصنا إلى
قناعة مفادها أنّ ما وُصِفَ بالمقاومات طابعين إياها
تارة بالإقليمية وتارة بالجهوية وتارة أخرى بالشخصية
والتي مفادها الانتقام، بأنّها حملت منذ عام 1830

¹ - أنظر: Monsieur le Ministre de la guerre; Le Rapport... op. cit. pp. 48 - 54.

صبغة وطنية، وذلك لما لمسناه من تكامل بين قيادات الجبهة الأمامية التي بصمودها حمت المناطق الجنوبية منها لأزيد من عقدين من الزمن. خاصة وأنّ قوات الاحتلال لم تتمكن من اختراق أطراف أوطانها إلا بعد عشر سنوات من سقوط مدينة الجزائر، وذلك رغم اعتمادها سياسة الأرض المحروقة والإبادة. فأوطان بني مناصر لم تتمكن القوات الاستعمارية اختراقها إلا مع بداية غزو مدينة شرشال عام 1840 وأوطان أهل يسّر مع سنة 1844 ، يبدأ الاحتلال في الانتشار تدريجيا بتلك الأوطان .

ويزداد هذا الاستنتاج ترسيخا مع الأبعد التي اتخذتها انتفاضة عام 1871 التي وإنّ انطلقت من مجانة إلا أنّ نقمة الأهالي على قانون أدولف كريميو (Adolphe Crémieux) كانت عارمة، ولعلّ ما تعرّض له بني مناصر من إبادة وحرّق للأرزاق ونفي ومصادرة للأراضي على غرار أهل يسّر في الشرق من مقاطعة الجزائر من جراء تحركاتهم وضربهم لمصالح الاستعمار، يبقى شاهدا على البعد الوطني لانتفاضة عام 1871، كما كان عليه الحال بالنسبة لانتفاضة عام 1864.

وهكذا يتبين لنا بأنّ نضال الأهالي من 1830 - 1872 لم يكن مجرّد مقاومات جهوية كما عمد بعض المؤرخين قديمه. فالتنكر لوجود فكر قومي، وروح وطنية لدى الشعب الجزائري (الشرطان الأساسيان في نظر المستعمر) لنشأة دولة قومية، كان المراد منه في الواقع تبرير الفعل الاستعماري.

الملاحق

**الملحق رقم 1- خريطة تضاريس الجزائر الوسطى كما رسمها
بيلت Pelet عام 1838**

**الملحق رقم 2 - الخريطة الإدارية لدولة الأمير عبد القادر عام
1839⁽¹⁾**

¹ - من إنجاز خديجة كريمي انطلاقاً من ما كتبه بوايي

التعليق على خريطة إدارة الأمير عبد القادر عام 1839 كما قدّمها بوايي لإنجاز هذه الخريطة على ضوء المعلومات المستقاة خريطة إدارة الأمير عبد القادر عام 1839 الذي حاول، عند رسمه الحدود الإدارية، تجاوز تردد من سبقوه في هذا المجال، مشيراً إلى نسبية الدقة، مما يؤكد على صعوبة الضبط حتى في وقت تميّز بنوع من الاستقرار.

مصادر بوايي في هذا الإنجاز :- معاهدة التافنة عام 1837
- على ما قدّمه الجنرال دوماس

ملاحظتان:

- تبقى المعطيات التاريخية لهذا الخريطة نسبية لعدم تطابق بين مصدر الجنرال بيجو لأنّ الأوضاع الأمنية غير متحكم فيها بعد.
- اعتماد دوماس على التقطيع الإداري لدولة الأمير عبد القادر في حين لم يركز هذا الأخير كثيراً على الحدود الداخلية لدولته

الملحق رقم 3 - خريطة التقسيم الإداري للمحليين ما بين
1842 - 1843

**التعليق على الملحق رقم 3 - القسم الإداري للأهالي
1842 - 1843**

**خريطة من إنجاز خديجة كريمي انطلاقاً من حوليات الجزائر
لعامي 1842 - 1843. خريطة تبين أقصى ما تمكنت القوات
الغازية من احتلاله بعد أزيد من عقد من الزمن**

**الملحق رقم 4 - جدول - صورة طبق الأصل للجدول المتضمن
أسماء القبائل المعنية بإجراءات قانون السيناتوس كنسلت
22 أفريل 1863 (1) - قبائل مقاطعة الجزائر-**

**الملحق رقم 5 - مخطط برج منايل (نموذج عن رسم الحدود
الإدارية)**

¹ - أنظر: - Bulletin Officiel du Gouvernement de l'Algérie. 5 année 1865. Edition Alger 1866

**الملحق رقم 6 - نسخة طبق الأصل لعقد ملكية عقارية (نموذج عن
إحدى وسائل فرنسة العقار الجزائري**

البيليو غرافيا

المصادر والمراجع باللغة العربية

أ - المصادر

- 1 - ابن خلدون عبد (الرحمان) المغربي: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخير في أيام العرب والعجم والبربر وَمَنْ عاصرهم مِنْ ذوي السلطان الأكبر. الناشر دار الحياء التراث العربي، بيروت لبنان. (588 صفحة).
- 2 - ابن محمد الوزان الفاسي (الحسن) (ليون الإفريقي)؛ وصف إفريقيا. مجلدان الطبعة الثانية بيروت 1983.
- 3 - تشرشل (شارل هنري)؛ حياة الأمير عبد القادر. ترجمه وقدم له وعلق عليه الدكتور أبو القاسم سعد الله. الدّار التونسية للنشر تونس عام 1974.
- 4 - الجزائري (محمد بن عبد القادر)؛ تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر. شرح وتعليق ممدوح حقي. الجزائر الأول والثاني؛ الطبعة الثانية. دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر. بيروت عام 1964. (960 ص.).
- 5 - الزهار (أحمد الشريف)؛ مذكرات نقيب الأشراف. تحقيق أحمد توفيق المدني، دار النشر الشركة الوطنية والتوزيع. الطبعة الثانية 1168-1246هـ / 1754 - 1830 م.
- 6 - الهلالي (أبو زيد)؛ سيرة بني هلال. تقديم: روزلين ليلي قريش. الجزء الأول. (188 ص)، منها 6 صفحات للمقدمة. سلسلة الأنيس تحت إشراف محمد بلقايد.
- 7 - وولف (WOLF) (جنرال المقاطعة)؛ المكاتب العربية أمام القاضي (محاكمة ضدّ الجرائد: الأخبار، الجزائر الفرنسية، مونيتور الجزائر والتل). الجزائر 1871. 127 صفحة.

ب - المراجع

- 1 - ابن محمد الجيلالي (عبد الرحمان)؛ تاريخ الجزائر العام. الجزء الأول. الطبعة الثانية؛ مكتبة الشركة الجزائرية الجزائر ومنشورات دار مكتبة الحياة بيروت 1965 م - 1374 هـ. (421 صفحة).
- 2 - ابن محمد الجيلالي (عبد الرحمن)؛ تاريخ الجزائر العام. الجزء الثالث. طبعة جديدة ومزودة. طبع ونشر ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ودار الثقافة بيروت 1982.
- 3 - أرغوده ده (عبد القادر)؛ السلطين العثمانيون. ترجمة من اللغة العثمانية إلى اللغة العربية محمد جان دار سحنون للنشر، تونس عام 1990
- 4 - أمين (أحمد)؛ رعماء الإصلاح في العصر الحديث. بحث وتحقيق عبد الرحمان بوزيدة سلسلة الأنيس. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرعاية الجزائر 1990. (54 ص.).

- 5 - بورويبة رشيد؛ الدولة الحمادية: تاريخها وحضارتها. ديوان المطبوعات الجامعية. المركز الوطني للدراسات التاريخية. الجزائر 1977 م - 1397 هـ
- 6 - بوعزيز (يحي)؛ علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا. دار النشر ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر. الطبعة 1980
- 7 - بوعزيز (يحي)؛ كفاح الجزائر من خلال الوثائق. المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر. 1986
- 8 - التميمي (عبد الجليل)؛ بحوث في التاريخ المغربي. الجزائر، تونس، ليبيا: 1816-1871. طبعة الثانية منشورات ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1985. منشورات مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني. زغوان 1985.
- 9 - جلال (يحي)؛ مصر الحديثة، 1517 - 1805. الإسكندرية 1969.
- 10 - الحفناوي (امقران) وجلول (يلس)؛ المقاومة الجزائرية في الشعر الملحون. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر عام 1974
- 11 - حليمي (عبد القادر علي)؛ جغرافية الجزائر (طبيعية، بشرية، اقتصادية). الطبعة الثانية. مطبعة الإنشاء، دمشق 1968
- 12 - رزيق (قسطنطين)؛ في معركة الحضارات؛ دراسة ماهية الحضارة وأحوالها وفي الواقع الحضاري دار العلم للملايين بيروت الطبعة الأولى افريل 1964.
- 13 - الزبيري (محمد العربي)؛ مذكرات احمد باي، وحمدان خوجة، وبوضربة. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع لجزائر عام 1981
- 14 - سعد الله (أبو القاسم)؛ أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر. الجزء الثاني. المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986.
- 15 - سعد الله (أبو القاسم)؛ الحركة الوطنية الجزائرية. الجزء الثاني 1930 - 1900 الطبعة الثالثة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1983.
- 16 - سعيدوني (ناصر الدين)؛ دراسات في الملكية العقارية. المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986
- 17 - سعيدوني (ناصر الدين)؛ النظام المالي للجزائر في العهد العثماني (1792-1830). المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر
- 18 - السمحراني (اسعد)؛ مالك بن نبي: مفكرا وإصلاحيا. دار النفائس بيروت 1404 هـ 1984 م الطبعة الأولى.
- 19 - شنيقي (محمد البشير)؛ الاحتلال الروماني لبلاد المغرب سياسة الرومنة 164 ق م - 40 م. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر عام 1985. الطبعة الثانية. (173 ص)
- 20 - قنان (جمال)؛ قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر. منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر

عام 1994

21 - قنان (جمال)؛ نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر بين 1830 - 1914. ديوان المطبوعات الجامعية

عام 1993.

22 - قنان (جمال)؛ نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500 - 1830. المؤسسة الجزائرية للطباعة 1987.

24 - المدني (أحمد توفيق)؛ محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766 - 1791. المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986.

25 - الميلي (مبارك بن محمد الهلالي)؛ تاريخ الجزائر في القديم والحديث. الجزء الثاني. بيروت 1963. (405 ص)

26 - مناصرية (يوسف)؛ مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832-1847. المؤسسة الوطنية للكتاب، لجزائر (104 ص)

27 - ناصيف يوسف جّني؛ النظرية في العلاقات الدولية. دار الكتاب العربي الطبعة الأولى. بيروت لبنان 1405 هـ 1985

28 - مجموعة من المؤلفين؛ المنجد في اللغة والأعلام. الطبعة الحادية والعشرين. دار المشرق

بيروت عام 1986

ج - المقالات

1 - عبد الرحيم (عبد الرحمان عبد الرحيم) الهلال؛ " نشوء الرأسمالية المصرية خلال العهد العثماني 1517-1798 وأثرها على الحياة الاقتصادية من خلال وثائق المحاكم الشرعية"، (المجلة التاريخية الغاربية R.H.M. العدد 38-39 تونس 1985. ص. ص. 56-77.

2 - المبشر (جريدة) لسنوات 1848 ، 1850 ، 1852، 1855، 1869.

المصادر والمراجع باللغة الأجنبية

- المصادر

أ - عقود وأشرطة

Actes; Empire Français; province d'Alger TITRE DE PROPRIETE. - 1
NAPOLEON III; par la grâce de Dieu et la volonté Nationale, Empereur Des
Français. Fait

.à Alger, le 1 novembre 1862

Bobine F 80; HH année 1851 493-10. Division d'Alger; Subdivision de Blida; - 2
Cercle

.de l'Ouest. Statistique des Tribus du Cercle. Tribu des ISSERS

ب - حواشي

1- Annales de la colonisation Algérienne des années:(1852-1854), (1855-186), (1857)

2- Annales de la colonisation Algérienne; Bulletin Mensuel de la colonisation Française
Etrangère. - PEUT (Hippolyte) (Directeur) Paris 1852.(384 p.)

3 - Annuaire de l'Algérie des années 1843, 1851-1850

ج - خرائط

- 1 ROGER (Léonard) (Gouverneur Général d'Alger) Gouvernement Général

l'Algérie Département d'Alger situation foncière au 17 janvier 1952. Carte
dressé par ordre de ROGER (L) d'Alger). Echelle 1/400 000.

2- Martonne de (Ed.); Cartographie coloniale. Ed. Paris 1935.

3- Cartes Topographiques à l'échelle 1/4000 et 1/10000 au Cadastre

د - سجلات ومراسلات

1- Registre ALGERIE Département d'Alger; commune Mixte de GOURAYA;

Tribu des AGHBAL. Exécution de la Loi du 28 avril 1887. Application
des paragraphes 1 et 2 du Sénétus Consulte du 22 avril 1863.

- 2- Registre désigné à l'inscription des actes publics passés par-devant le Cadi
Des BENI MENASSER de la circonscription générale (Cercle de CHERCHELL);
Côté et paraphé LIERBERT Général de Brigade. A Miliana; le 14 février 1867.
- 3- Registre Type C. voir 30 juin 1867.
- 4- Les Registres du Cadastre; Département d'Alger commune Mixte de Gouraya;
Registre du Douar ADDALA
- 6Les Registres du Cadastre; Département d'Alger commune Mixte de Gouraya;
Registre du Douar de SIDI - SIMIANE
- 7Les Registres du Cadastre; Département d'Alger commune Mixte de Gouraya;
Registre du Douar D'El - GOURINE
- 8- Les Registres du Cadastre; Département d'Alger commune Mixte de Gouraya;
Registre du Douar Zatima.
- 9- Les Registres du Cadastre d'Homologation des terres des ISSERS.
- PROCES - VERBAUX, de délimitation des DOUARS...
- Les Registres du Séquestre. (les domaines).
- 10- Registre du séquestre; n° du dossier 1046. Tribu des Beni Menasser Cheragha.
Cherchell. La famille des Braknaser BenKanis à l'exception de: Ahmed-Ou-Malek
et Brahim Ben Mohamed Ben Mohamed Ben Malek, tous deux exonérés du
séquestre collectif. Décision du 11 novembre 1871.
- 11- Correspondance du Général BUGEAUD; 2 EE E1 -12 Janvier 1840.
- 12- Correspondances de WARNIER (A); Le 15 Février 1870.
- 13- Document Statistique des Tribus du Cercle. F80 -Bobine F 493/10. Année 1851 HH
Bobine n° 20 F 80 au Centre d'Archives Nationales à Bir-Khaddem

هـ - جرائد رسمية ومجلدات

- 1- Annales de Colonisation Algérienne . 8° Volume. Paris 1855
- 2- Bulletin Officiel d'Algérie Actes du Gouvernement Général; T1 du 13 oct. 1838 au 30 déc. 1841. T. 2. 1844 Paris 1844.
- 3- Bulletin Officiel du Gouvernement Général de l'Algérie, 2° volume. 1838 à 1843
- 4- B.O.G.G.A.; années 1850, 1852, 1863, 1864, 1865, 1866, 1870, 1871, 1872, 1873.
Ed. Alger.
- 5- B.O.G.G.A. années 1875, 1876. Alger 1877.
- 6- Bulletin officiel de l'Algérie et des Colonies. Tome 1, (1834 - 1857). Paris 1859.
T. 2 (1858 - 1860). T. 3. (1861-1926).
- 7- Collection des actes du gouvernement depuis l'occupation d'Alger jusqu'au 1 Octobre

1834. Paris 1834

8- Journal Officiel (colonial); (n° 1; 1 janvier 1873) Voir :1 décembre et 7 février 1873
Alger.

9- Journal Officiel de L'ALGERIE n° 1, 1 janvier 1873.

10- Journal Officiel ALGERIEN; 19 avril 1873. Alger.

11- Recueil des Actes du Gouvernement Général de l'Algérie 1830 - 1854. Ed. Alger
1856.

12- Recueil de Bulletin du Gouvernement de l'Algérie :1830-1854.

13- Revue Algérienne et Tunisienne de législation et de Jurisprudence. Tomes de 1 à 5
1885, 1886, 1887, 1888, 1889.

14- Revue de l'Orient et de l'Algérie; n° 5, année 1857.

15- Tableau de la Situation des Etablissements Français Par le ministère de la guerre.
-1 Volume pour l'année 1839. Ed. Paris 1840.

16 - Tableau de la Situation des Etablissements Français Par le ministère de la guerre.
- Volume pour l'année 1849. Ed. Paris 1851.

17- Tableau de la Situation des Etablissements Français Par le ministère de la guerre.
- Volume Spéciale pour les années 1856 - 1858. Ed. Paris 1858.

و - تعليمات

1- Etat Civil des Indigènes. Application de la loi du 23 mai 1882. Ouverture des
opérations en vue de la constitution de l'Etat civil. B.O.G.G.A Tome 17° année
Ed. Alger 1888

2- MAC-MAHON Duc de Magenta (Maréchal), Gouverneur Général de l'Algérie.
- Instructions relatives aux opérations de délimitation du territoire des tribus et de
répartition de ce territoires entre les douars (Exécution du Sénatus -Consulte du
22 avril 1863) Rapport; Alger, le 1 mars 1865. B.O.G.G.A., année 1866. (185-246).

3- MENERVILLE; Dictionnaire... - Recensement des TRIBUS; Circulaire Générale
n° 19 - 30 septembre - octobre 1844

ز - تقارير رسمية

1- BONET (Comte) Gnl; Programme des Instructions pour la Commission Spéciale
à envoyer en Afrique 1833

2- BOUZET (De Charles); Rapport adresser à L'Empereur sur le Sénatus - Consulte
du 16 Avril 1863. Rédiger à Paris le 17 mars 1869. BOGGA 1870.

3- La Commission de colonisation de l'Algérie; Expropriation pour l'utilité publique en
Algérie. Rapport du 10 juin 1842 rédigé par DUMON. F 80 - B1.

- 4- MINISTERE de l'Agriculture, du Commerce et des Travaux Publics;
Enquête Agricole Algérie: Alger, Oran, Constantine. Paris 1870.
(Questionnaire Spécial). (12 p.)
- 5- PREFET d'ALGER; Rapport suite au conseil général de la province d'Alger
(J.) AKHBAR du 7 Octobre 1869
- 6- RANDON (Ministre secrétaire d'Etat au département de la guerre) à l'Empereur;
Rapport concernant l'exécution du Sén. - Con. du 22 avril 1863.
Délimitation répartition du territoire de la tribu des Issers-El-Djedian.
Le 27 octobre 1866. B.O.G.G.A. année 1867.
- 7- REGNAND (De) (Saint Jean d'Angely); Rapport sur le gouvernement et l'administration des tribus arabes. Ed. Paris 1851.
- 8 - WARNIER (Auguste); Assemblée Nationale année 1873 n° du rapport 1770

ج - تقارير عامة

- 1 - LE BŒUF (M.S.E.G.) Rapport d'Exécution du Sénatus - Consulte du 22 Avril 1863
approuvé et signé par Napoléon (Emp);- Décret de délimitation du 17 octobre 1869.
B.O.G.G.A. année 1870. Pp. 361-370.
- 2- LE BŒUF (M.S.E.G.) Rapport d'Exécution du Sénatus - Consulte du 22 Avril 1863
approuvé et signé par Napoléon (Emp.);- Décret de délimitation du 29 juin 1870.
B.O.G.G.A. année 1871. Pp. 298-306.
- .Rapport concernant l'importance de la ville d'Alger, rédigé en 1838. T.S.E.F.A -3
Ed. Paris 1839
- 4- Rapport concernant les camps militaire de l'Est, rédigé en 1838. T.S.E.F.A.
ed. Paris 1839.
- Rapport concernant la Propriété en Algérie, rédigé en 1838. T.S.E.F.A. -5
ed. Paris 1839

هـ - الكتب

المصادر

- 1- ABADIE (Louis); Essai sur la constitution de la Propriété individuelle en Algérie.
Edition Constantine 1882. (36 pages)
- 2- ABRIAL (Amiral); Service cartographie, service des Forêts; Carte Forestière de l'Algérie et de la Tunisie. Alger 1941.
- 3- ACCARDO (F); Répertoire Alphabétique des Tribus et Douars de l'Algérie. Dressé d'après les documents officiels sous la direction de LE MYRE DE VILLERS.
Alger 1879. p.86.
- 4- ADRIEN (Jacques); Du régime de l'expropriation pour cause d'utilité publique en Algérie Paris 1901. (Novembre) (234 p)

- 5- AMAURY (A.); De l'Algérie et du paupérisme en France. Ed. Bastide Alger 1847
- 6- Anonyme; Etude sur les Mœurs Arabes et sur les Moyens d'amener ceux de l'Algérie à la civilisation. Edition Marseille, (sans date). (48 p).
- 7- Anonyme; Fillias (Achille)(Préface); Dictionnaire des Communes, Villes et Villages de l'Algérie. Edition 1873.
- 8- Anonyme; Vocabulaire destiné à fixer la transcription des noms indigènes en 1885. Ed. Alger 1891.
- 9- AVEZAC (D'); Etudes de géographie critique sur une partie de l'Afrique septentrionale. Paris 1836. (188 p.)
- 10- AZAN (Paul); L'expédition d'Alger 1850. Paris. (s. d.)
- 11- AZAN (Paul); BUGEAUD et l'Algérie. Ed. Paris (s. d.)
- 12- AZAN (Paul); Les Grands Soldats de l'Algérie. n° 4
- 13- BASSET (André) Articles de Dialectologie Berbère .Préface de (E.) BENVENISTE. Paris, 1959.
- 14-BASSET (René); Etude sur la ZENATIA de l'Ouarsenis et du Maghreb Central. Paris 1895
- 15- BAUDICOUR (Louis); La Guerre et Le Gouvernement de L'ALGERIE. Ed. Sagnier Paris 1853. (600 p)
- 16- BEHAGHEL; L'Algérie: Conquête et Colonisation. Ed. Paris, 1870. (230 p.)
- 17- BARTHELEMY (A.); Un mot sur l'Algérie par un caporal au nom de tous ses camarades de l'armée. Paris 1845.
- 18- BARTHELEMY (F.M); Etudes Morales, Economiques et Politiques sur l'Algérie. Paris 1840.1^{er}Vol.
- 19- BERARD (Victor); Indicateur général de l'Algérie, recueil d'arrêtés et d'actes administratifs et d'un annuaire pour l'année 1848. (620 p.)
- 20- BLONDEL; Aperçu sur l'état actuel de l'Algérie. Alger 1844.
- 21- BOURJADE (G); Notes Chronologiques pour servir à l'Histoire de l'Occupation Française dans la Région d'Aumale, 1846 - 1887. Alger 1891. (222 p.)
- 22- BOURJOLLY (Le Pays de); Projet sur l'Algérie. Ed. Librairie militaire de Dumaine, Paris 1847. (124 p.)
- 23- BUGEAUD (Le Maréchal Duc D'Isly); De la colonisation de l'Algérie. Edition imprimerie du Gouvernement Alger 1847.
- 24- BUGEAUD; Correspondance du Général BUGEAUD; 2 EE E1 12 Janvier 1840
- 25- BUSSY (Genty) (M.P.) (De); De l'établissement des français dans la Régence

d'Alger. 2^o édition, Tome 1. Paris 1839. (197 p).

- 26- BUSQUET (Raoul); Affaire des Grottes du Dahra (19 - 20 juin 1845)
Edition Jourdan Alger 1908. (Extrait de la Revue Africaine n° 266-267 1907)
(168 p). Appendice; Au bivouac de Khar El Frachich, 22 juin 1845. Rapport du
Colonel PELLISSIER à Maréchal Bugeaud, Gouverneur général de l'Algérie.
- 27- CARDINI (Lieutenant-colonel); L'Avenir D'Alger. Edition Dumaine Paris 1846.
(85 p.)
- 28- CARDON (E) et NOIRO; Guide du visiteur à l'exposition permanente de l'Algérie
et Des colonies. Edition Paris MDCCC (242 pages)
- 29- CARETTE (E.); Description et division de L'Algérie. Paris 1847. 8^o petit format.
(70.)
- 30- CARETTE (E) ; Recherches sur l'origine et les migrations des principales Tribus
de l'Afrique septentrionale et particulièrement de l'Algérie. Tome iii, Paris
MDCCCLIII. (489 p.)
- 31- CARETTE (Antoine - Ernest - Hippolyte) et () ROZET; Etude sur les routes
suivies par les Arabes dans la partie méridionale de l'Algérie et de la Régence
de Tunis pour servir à l'établissement du réseau géographique de ces contrées,
accompagnée d'une carte itinéraire 1844.
- 32- CARETTE (A.E.H.) et WARNIER (Auguste); Notice sur la Division territoriale
de l'Algérie. T.S E.F.A. Paris 1844-1845.
- 33- CARPENTIER (P.); ALGER, M. Le Duc De ROVIGO et M. Pichon, en Mars et
Avril 1832. Essai Politique, Ed. Paris 1832.
- 34- CAPPEE; Les bases de la société nouvelle. Notes fournies au Lieutenant Général
le Comte d'ERLON, pour servir de complément à un entretien au sujet du
Respect de la propriété concilié avec le logement militaire chez l'habitant.
Paris 1834 (16 p.)
- 35- CAVAIGNAC (Eugène); La Régence d'Alger (notes sur l'occupation). Edition
Paris 1839. (245 p.)
- 36- CHARLETY (S); ENFANTIN; Les Réformateurs Sociaux. Paris 1930. (109 p.)
- 37- CHEVILLOTTE; De la famille musulmane en Algérie. Paris 1873 (16 p.)
- 38- COMTE (Auguste); Leçons du cours de philosophie positive. Pare de 1830 1842.
- 39- COLIN (Maurice) ; Quelques Questions Algériennes. Etudes Judiciaires,
Administratives, Economiques et Sociales. Paris 1899. (299 p.)
- 40- DAUMAS (Melchior, Joseph, Eugène) (Général); Exposé de l'état actuel de
la société arabe, et de la législation qui la régit. Alger 1844. (169.p.)

- 41- DAUMAS (E.) et CHANCEL (A. de.); Le Grand Désert, Itinéraire d'une caravane du Sahara au pays des Nègres (Royaume de HAOUSSA). Edition Chaix, 1848 (XV 445 p.)
- 42-DAUMAS (Eugène); Les Chevaux du Sahara. Ed. Schiler 1853 (483 p)
- 43- DAUMAS (E.) Mœurs et Coutumes de l'Algérie .Introduction d'Abd El Kader Djeghloul Edition Sindbal, Paris 18, 1988. (287 p.)
- 44- DELANNEY et LAFERRIERE; Répertoire Alphabétique, Tribus et des Douars Communes de l'Algérie. Alger 1900..
- 45- DESJOBERT (A.); L'ALGERIE en 1838. Ed. Dufart, 1838. (184 p.)
- 46- DESJOBERT (A.); L'ALGERIE en 1844. Ed. Paris 1844 (164 p.)
- 47- DESJOBERT (A.); L'ALGERIE en 1848. Ed. Crapelet, Paris 1849. (vii-164 p.)
- 48- DJENDER (Mahieddine); Introduction à l'Histoire de l'Algérie:
Système Historique. Conception générale de l'Histoire. Ed. SNED Alger, 1966.
- 49- DOR (Fernand) ; Cherchell et la commune de Gouraya. Blida 1895 (158 p.).
- 50- DUVAL (Jules), WARNIER (Auguste); Bureaux Arabes et Colons. Réponse au constitutionnel pour faire Suite aux lettres à M. ROUHER. Ed. Challamel Ainé. Paris Janvier 1869.
- 51- DUVAL (Jules) Tableau de l'Algérie ,Annuaire, Descriptif et statistique de la colonie pour 1854. Manuel des émigrants, des colons, des commerçants, des administrateurs, et des voyageurs en Algérie. Paris 1854.
- 52- DUVEYRIER (Henri); Journal d'un voyage dans la province d'Alger. Février, mars, avril 1857.
- 53- ENFANTIN (Barthélemy Prosper); (Membre de la commission scientifique d'Algérie);COLONISATION de L'ALGERIE. Ed. P. BERTRAND, Paris 1843.
- 54- EPREMENIL (d'). Notes sur la construction des Blockhaus sur une montagne
- 55- ESTOUBLON (R.); Jurisprudence algérienne, 1830 -1876. Alger 1890-91.
- .ESTOUBLON (R.) & LEFEBURE; Code de l'Algérie annoté, T.1 1830 -1895 -56
Ed Jourdan Alger. éd. Challamel Paris. 1896. (vii - 1064- 135 p.)
- 57- ESTRE (D') (Henry); Mémoires du Général CHANGARNIER,
(Campagnes d'Afrique 1830 -1848) Ed. Berger-Levrault Paris 1930. (328 p.). P. 54.
- 58- ESTRE (D') (Henry); Les conquérants de l'Algérie (1830-1857) .Ed. Berger Levault Paris 1930..(328 p.)
- 59- ESQUER (Gabriel); Correspondances du Duc de ROVIGO. (G.G.A) Collection de document inédits sur l'Algérie après 1830). Paris 1924.(73 p.)
- 60- ESQUER (Gabriel); Correspondances du Maréchal CLAUZEL 1835-1837. T. 1, Paris 1848.

- 61- FAUCON (Narcisse); Le livre d'Or de l'Algérie. Histoire politique, militaire, administration, évolution et faits principaux biographie des hommes ayant marqué dans l'armée les sciences 1830 à 1889. T.1, éd. Paris 1889.
- 62- FILLIAS (Achille); Dictionnaire: des Communes, Villes et Villages de l'Algérie. Ed. Alger 1878. (144 p.)
- 63- FILLIAS (Achille); Géographie de l'Algérie. Ed. librairie Hachette Paris 1886. 5° éd
- 64- FOUCHER (VICTOR); Les BUREAU ARABES en Algérie. Paris 1858. (51 p.)
- 65- FREGIER (président du tribunal de 1° instance de Sétif); De la Naturalisation des Indigènes et des Etrangers en Algérie. Ed. Sétif 1863. (32 p.)
- 66- FRUSTON (LA) (F.); Le Maréchal BUGEAUD considéré comme Tacticien et Stratégiste. Paris 1861 (26 pages)
- 67- GAY (Eugène); L'Algérie colonisation par enfants assistés de la Seine. Conférence, du 17 février 1897 l'association polytechnique Paris 1897. (24 p)
- 68- GOUVERNEUR Général d'Algérie; Vocabulaire destiné à fixer la transcription en Français des noms des Indigènes établi en vertu de l'arrêté du G.G.A. du 27 mars 1885 Alger 1891.
- 69- HAIN (V. A); A la Nation sur Alger. Ed. Paris 1832.
- 70- HATIN (Eugène); Histoire de l'Algérie pittoresque. Ed. Paris 1854. (116 p.)
- 71- HEDDE –AINE (J.A.); Observation sur la colonisation de la régence d'Alger. Paris 1834. (29 pages)
- 72- HEINRICH (Pierre); L'alliance Franco-algérienne au 16 siècle. Traduit de l'allemand au français (sans nom). Ed. Mougin – Rusand, Lyon 1898. (229 p)
- 73- HUGONNET (Ferdinand); Souvenir d'un chef de Bureau Arabe. Ed. Michel Lévy Paris 1858. (286 p.)
- 74- ISNARD (Hildebert); la Réorganisation de la propriété rurale dans la Mitidja 1846-1847 - ROSEAU (H.); Histoire d'un village d'Algérie NOVI colonie agricole de 1848. Mélanges d'Histoire algérienne. Alger 1948.
- 75- JACQUES (Andrien); Du Régime de l'Expropriation pour cause d'utilité publique en Algérie, Paris 1901. (234 p).
- 76- JONNART (Gouverneur Général de l'Algérie); Tableau général des Communes de l'Algérie. Edition Alger 1908.
- 77- KHODJA (Hamdan); “LE MIROIR”; Aperçue historique et statistique sur la Régence d'Alger. Introduction; (D'Abd El Kader) DJAGHLOUL, (sociologue). Ed. Sindbad 1985.

- 78- LAMORICIERE: Colonisation projet LAMORICIER; ROBSO.; année 1847, T. 1
- 79- LAPASSET (Ferdinand); Aperçu sur l'Organisation des Indigènes dans les Territoires Militaires et dans les Territoires Civils. Alger 1850.
- 80- LANDMANN (l'Abbé): Les fermes du petit Atlas ou colonisation Agricole, Religieuse et Militaire du Nord d'Afrique. Ed. Paris 1841.
- 81- LEFEVRE (E.) Journal de mon deuxième voyage en Algérie et en Tunisie 1889 à 1890
- 82- LUNEL (Eugène); Question Algérienne Les Arabes, L'Armée, Les Colons. Ed. Lachaud, Paris 1869. (135 p.)
- 83- LORIN (Henri); La France puissance coloniale. Paris 1906. (500 p.)
- 84- MARION (M. A.); Lettre sur la construction de la propriété en Algérie. Adressé à Enfantin. Alger 1842
- 85- MARION; Notice sur les impôts de perception sous la domination de l'Emir Abd El Kader. Edition Alger 1842.
- 86- MARGUERITTE (Général.); Chasse de l'Algérie. 3^{ed}. Paris 1884. (273 p.)
- 87- MELIA (Jean); Le triste sort des indigènes musulmans d'Algérie. 2 édition Paris MCMXXXV.
- 88- MENERVILLE (Charles, Louis, Pinson); Dictionnaire de la législation Algérienne, code, annoté et manuel raisonné. Des lois, ordonnance, décrets décisions et arrêtés publiés au Bulletin Officiel des actes du gouvernement, 1830-1860. 2^o éd. Alger Paris 1860.
- 89- MIRIBEL (De) (Guy); Mémoires du Maréchal de Mac Malon Duc de Magenta. Paris librairie Plon MCMXXXII. 6^o édition.
- 90- MONTAGNE (D. J); Physiologie, Morale Et Physique D'Alger 1833. Editions: Mille et Senés ,Marseille & Alger,1834. (335.p.)
- 91- MONTAGNE (D.J.); Commentaire explicatif et critique de l'ordonnance royale du Octobre 1844 sur la propriété en Algérie. Alger 1845. (293 p.)
- 92- MORNAND (Félix); La vie arabe. (Sans maison d édition) (sans date) (319p.)
- 93- MOLL (L); Colonisation et Agriculture de l'Algérie. T. 1 Paris 1845.
- 94- NETTEMENT (Alfred); Histoire de la conquête d'Alger, écrite sur documents inédits et authentiques. Ed. Lecoffre 1856.
- 95- OBERT () & CARLES (Jules); Aperçu général sur la colonisation de l'Algérie pour service de bases à l'organisation du travail. Ed. Vassal frères 1843. (40 p.)
- 96- OUTREY (Marius); Dictionnaire De TOUTES LES LOCALITES DE L'ALGERIE

Suivi des tableaux des distances légales. Alger 1860.(424p. et IV catalogue des ouvrages de fonds et en nombre.)

- 97- PADEL (W) et STEEG (L); La législation foncière Ottomane. Ed. Fedone, (s.d) (350 p)
- 98- PARADIS (De) VENTURE (De) (Jean Michel); Grammaire et Dictionnaire Abrégés de la Langue Berbère. Revus par (P. Amédée) JAUBERT et publiés par la société de Géographie. Ed. imprimerie ROYALE, Paris MDCCCXLIV (236 p)
- 99- PELET (Gnl.) ; Note sur la situation de l'Algérie à la fin de Janvier. Paris 1839.
- 100- PELLISSIER (de)(Reynaud)(Aimable, Jean-Jacques, duc de Malakoff); Exploration Scientifique de l'Algérie pendant les années 1840-1841-1842. Connu sous le nom ou titre Mémoires Historiques et Géographiques sur l'Algérie 1844. Volume 1 – tome VI.
- 101- PELLISSIER (de)(R) (A. J-J.) Malakoff; Les Annales Algériennes. Nouvelle édition, Paris, Librairie militaire, (J.)DUMAINE, librairie éditeur de l'empereur, Alger, librairie Bastide, Octobre 1854. Tome 1° (478 p.)
- 102- PELLISSIER); (de)(R) (A. J-J.) Malakoff Projet de décret sur le cantonnement des indigènes Alger 1861
- 103- PELLISSIER(de)(R) (A. J-J.) Malakoff); Documents officiels relatifs à la constitution de la propriété en Algérie dans les territoires occupés par les Arabes. Alger 1864.
- 104- PENZA (H.); Le code Spécial de l'Indigénat en Algérie.
- 105- PERONNET (Raymond) (commandant); Livre d'Or des officiers des affaires Indigènes 1830 à 1930. Edition Alger 1930.
- 106- PERRET (E.); les Français en Afrique. Récits Algériens 1830-1886. Ed. Paris (s. d.).
- 107 - PERRIOUD (J-R.); Commentaire par ordre alphabétique du SENATUS-CONSULTE du 22 Avril 1863 et des Lois, Décrets, Instructions sur la constitution de la propriété en Algérie . Alger 1867.
- 108-PEUT (Hippolyte); Annales de la colonisation Algérienne. 1° volume. Ed. Paris 1852. (384p.)
- 110- PEYERIMHOFF (H. de); Enquête sur les résultats de la colonisation officielle de 1871 à 1895. Ed. Torrent Alger 1906. Tome premier. (243 p.)
- 111- PEYERIMHOFF (H. de); Enquête sur les résultats de la colonisation officielle De 1871 à 1895. Edition Alger 1906. Tome deuxième. (600 p.)

- 112- PEYRE (A.); Administration des Communes Mixtes. Ed. Jourdan Alger 1881-1894. (415 p.)
- 113- PHARAON (Florian); Voyage de sa Majesté NAPOLEON III en Algérie. Illustré par Darjou, Ed. Plon Paris 1865 (96 p.)
- 114- PHARAON (Florian); De la législation française musulmane et juive à Alger. Edition Paris 1835.
- 115- POUYANNE (H.); La propriété foncière en Algérie. Alger, Jourdan, 1895, (Préface xxiv) (415p.)
- 116- PREVOT-PARADOL (Lucien Anatole); La France nouvelle. Edition Leroy Paris 1868. (423 p.).
- 117- RAOUSSET-BOULBON (Gaston de); de la colonisation et des Institution civiles en Algérie. Ed. Paris 1847. (77 p.)
- 118- RICHARD (Charles.); Etude sur l'Insurrection du Dahra, 1845-1846. Alger 1846. (203 p.)
- 119- RINN (Louis); L'ALGERIE ASSIMILEE. Etude sur la constitution et la Réorganisation de l'Algérie par un chef de bureau arabe. Ed. Constantine Paris 1871. (160 p.)
- 120- RINN (Louis); L'Insurrection de 1871 en Algérie. Alger 1891.
- 121- RINN (L); Marabouts et Khouan Etude sur l'Islam en Algérie. Alger 1884. (551 p.)
- 122- ROBE (Eugène); Origines, Formation et état actuel de la propriété immobilière en Algérie. Paris 1885. (165 p.)
- 123- ROBE (Eugène); Exposé Historique du Régime administratif et politique des Indigènes Domination Romaine, domination Française .Alger 1896.(60.p.). P.19.
- 124 - ROBE (Eugène); Les lois de la propriété immobilière en Algérie. Ed. Imprimerie générale Algérienne. Alger 1891.
- 125- ROUSSET (Camilles); - La Conquête de l'Algérie 1841-1857, T. 1. 3^o éd. librairie Plon, Paris 1904 (383 p.)
- 126- ROUSSET (Camilles); - La Conquête de l'Algérie 1841-1857; T. 2. 3^o éd. Librairie Plon, Paris (409 p.), plus trois cartes.
- 127- ROZET (A.G.) et CARETTE (E.) ; Etudes des Routes suivies par les Arabes dans la partie méridionales.
- 128- ROZET et CARETTE ; Recherches sur l'origines et les migrations et principalement de L'Algérie 1853.
- 129- ROZET et CARETTE ;L'Algérie ; Etats Tripolitains,

- 130- SAINT-ARNAUD (Leroy): Lettres du Maréchal de SAINT-ARNAUD. Tome 1°. Publié par Leroy de SAINT-ARNAUD. Paris 1855. (573 p.)
- 131- SCHEFER (Christian); L'Algérie et l'évolution de la colonisation française. Ed. Paris MCMXXVIII. (542 p.)
- 132- SHALER (William); Esquisse de la Régence d'Alger. 3° édition; Alger 1888. (521 p.)
- 133- STEEG (M. Th.) (De); Gouverneur Général d'Algérie. Table Général des Communes de l'Algérie (colonisation: Centres de peuplement et Fermes) (Sénatus-consulte / Douars-communes, tribus) Justice: Cantons judiciaires et Mahakms
- 134- TABET (Elie); Ethnologie Arabe, notes sur l'organisation des tribus et d'Ethnologie des noms propres. Ed. Imprimerie de l'association ouvrière, Oran 1892. (44 pages)
- 135- TRUMELET (C) (Le Colonel); Le Général Yusuf. Tome premier. Ed. (Paul) Ollendorff, Paris 1890. (543 p.)
- 136- TOCQUEVILLE (de) (Alexis) Ecrits et Discours politiques . Textes établis et Annotés par JARDIN (A.) et par CHEVALIER.(J.J). Ed.Gallimard. 3 v, t. 1 (557 p) (s.d.)
- 137- URBAIN (Joseph); Notice sur l'Ancienne Province de TITTERI. Organisation de la province sous la domination Turque. T.S.E.F.A 1843.
- 138- VENTURE DE PARADIE (Jean Michelle) Grammaire Et Dictionnaire Abrégés De la langue. Revus par AMEDES JAUBERT et Publiés par la société de Géographie. Paris, MDCCXLIV.
- 139 - VILLOT (E.); Mœurs, Coutumes et Institutions des Indigènes de l'Algérie. 3° édition, éd. Jourdan Alger 1888. (521 p.)
- 140- VOLNEY (M.C.F.); Voyage et en Syrie. tome. Paris 1959. P 78.
- 141- VOISIN (Georges); L'Algérie pour les Algériens. Edition Michel Lery, frères; Paris 1861.
- 142- WORMS; De le constitution Territoriale des pays musulmans. Paris 1842.
- 143- WURTZ; De l'expropriation pour cause d'utilité publique. Ed. Jourdan, Alger 1886. (68 p)
- 144- YVER (Georges) ; Correspondance du Maréchal VALEE (Gouverneur Général des possession françaises dans le Nord de l'Afrique) .remarque: Collection de Documents inédits sur l'histoire de l'Algérie après 1830 1re série – correspondance générale Volume VI . Ed. Larose Paris Ed. (Victor) Heintz Alger 1949. (467

- 1- ACHOUR (Christine) et MORSLY (Dalila); Voyage en langues et en littératures.
Edition. O.P.U. Alger Mars 1983
- 2- AGERON (Robert); Histoire de l'Algérie contemporaine. -Chap. II l'évolution
des musulmans algériens et la politique indigène 1870-1930
- 3- ANCEL (Jacques); Manuel Historique de La Question d'Orient 1792-1926.
Ed. libraire Delagrave Paris. 3° éd. 1927
- 4- ANGERS (Maurice); Initiation pratique à la Méthodologie des Sciences Humaines.
Ed. Casbah 1996.
- 5- ANOUAR (Abdel-Malek); la participation des classes populaires du mouvement
National d'indépendance XIX et XX siècle. T.1. Paris 1971.
- 6- ARNAUDIES (Fernand); Singulière jeunesse Du chemin de Fer. Paris.1959.
- 7- AUMONT-THIEVILLE (Jacques); Du Régime de l'Indigénat en Algérie.
(Thèse). Paris 1906
- 8- BERNARD (Auguste); L'Afrique du Nord. Paris1913.
- 9- BERNARD (Auguste) L'Algérie. (Histoire des Colonies Françaises et de l'expansion
De la France dans le Monde). T. II. Paris 1930.
- 10- BOYER (Paul) L'EVOLUTION DE L'ALGERIE Médiane (Ancien Département
d'Alger) de 1830à1956. Adrien-Maisonneuve, 1960. (XX p-426 p.)
- 11- BREMOND, (Janine), MERLE (Vincent), SALORT (Marie Martine); Sciences
Economique et Sociales. Classe de Première. Edition Hâtier 1988.
- 12-BRENOT (Henri); Le Douar Cellule Administrative de l'Algérie du Nord. Alger
1938. (191 pages).
- 13- CHANDRON (Eric), KNAFOU (Reimy); Histoire - Géographie. 4 ° Edition;
Belin 2002.
- 14- CHARLES - ROUX (F); France et Afrique Du Nord avant 1830. Les précurseurs
de la Conquête. Paris 1930. (749 p.)
- 15- CHEVALIER (Louis); Classes Laborieuses et classes dangereuses.
- 16- CUVILLIER (Armand): Textes choisis des auteurs philosophiques, Logique et
Philosophie Des Sciences Morale Philosophie Générale .Edition. Armand
Colin, Paris 1959. 5° éd.
- 17- DARMESTETER (Arsène); La vie des mots, étudiés dans leurs significations.
Librairie Delagrave, Paris 1946
- 18- DEMONTES (Victor); La Colonisation Militaire sous Bugeaud. Ed. (Emile)
LAROSE Paris. Ed. Alger Imprimerie Algérienne 1917. (633 p.).
- 18- DECOUST; Kantalou, Bertchu, Toberak. La Renaissance Basque. Autrement

N° 16 Novembre 1978

- 19- DELANOUE (Gilbert); Moralistes et Politiques Musulmans dans l'Egypte du 19^e siècle 1798-1882. Paris 1980.
- 20- DERMENGHEM (Emile); Le culte des Saints dans l'Islam maghrébin. Ed. Gallimard 1954, Reproduit en 1982. (352 p.)
- 21- DRIAULT Edouart et LHERITIER (M); Histoire Diplomatique de la GRECE de 1821 à nos jours T1 de 1821 à 1830.Ed. Paris 1925
- 22- EMERIT (Marcel); La Révolution de 1848 en Algérie. Mélange d'histoire par (Pierre) BOYER, (Marcel) EMERIT, (Lucien) GENET, (Laure) KLINGER et (Pierre) MENEZO. Ed. Larose Paris 1949.
- 23- GAUTIER (E.F.); L'ALGERIE et la Métropole. Paris 1920.
- 24- GAUTIER (E.F.), DOUTTE (Ed); Enquête Sur la disparition de la langue Berbère en Algérie. Faite par ordre de M. le Gouverneur Général. Alger 1913.
- 25- GERMAIN (Roger); La Politique Indigène de BUGEAUD. Edition Larose Paris 1959.
- 26- GIRAULT (Arthur); Condition des indigènes au point de vue de la législation Civile et criminelle et de la distribution de la justice Paris 1900.
- 27- GIRAULT (Arthur); Principes de colonisation et de Législation Coloniale, Algérie et Tunisie. Ed. Larose et Forcel Paris 1908 (571 p.) T. III.
- 28- GLANGEAND (Louis); Etude géologique de la région littorale de la province d'Alger. Bulletin du service de la carte-géologique de l'Algérie 2^e série. Edition. Bordeaux 1932.
- 29- GRIMBERG (Carl) et (Ragnar) SVANSTROM ; Révolution française et l'empire. Histoire Universelles T.9. Traduit par (Gérard) Colson, Adaptation française sous la direction de (George) (H) Dumont. Mise en page est (d'Yvan) Robert. Cartes de (Willy) ROUSSEAU et fils. Collection Marabout. Ed. Gérard, Verrières Belgique 1964
- 30- GRUSSENMEYER (MGRA); Documents Biographique sur son Eminence le Cardinal LAVIGERIE. 2 vol. Alger 1888.
- 31- HARMAND (Jules); Domination et Colonisation. Edition Ernest Flammarion Paris 1910 (370 p. plus 8 p. de bibliographie)
- 32- JULIEN (Charles André); Histoire de l'Algérie Contemporaine. T1. La conquête et les débuts de la colonisation 1827-1871. Paris 1964.
- 33- JOBERT (H.); Les Ressources Domaniales de la colonisation en Algérie. Thèse pour le Doctorat. Paris 1904.
- 34- MARSEILLE (Jacques) (sous la direction de); HISTOIRE: les Fondements du

Monde Contemporain. Classe de 2^o. Ed. Nathan 1997.

- 35- MARTY (Paul); Etudes sur l'Islam et les tribus Maurs de BRAKNA. Edition Ernest Larousse Paris 1921 (399 p.)
- 36- MERCIER (Ernest); La Question Indigène en Algérie au commencement du 20^e siècle. Paris 1901. (248 p.)
- 37- MEMORIAL; Du service géographique de l'armée. MEMORIAL Tome V; Paris 1930.
- 38- PIER PAOLO COSSU; Bureaux Arabes E IL Bugeaud Ed. Milano. 2^e moitié du 20^e siècle.
- 39- REY-GOLDZEIGUER (Annie); LE ROYAUME ARABE La politique Algérienne de Napoleon III 1861-1870 . Edition S.N.E.D. Alger 1977. (814 p.)
- 40- SABOUL (A.); Livre d'Histoire - Géographie. Classe de 4^e Information Historique Mai 1960
- 41- SAINT-MARIE (M.A); L'Application du Sénatus-Consulte 22 avril 1863 dans la province (d'Alger 1863-1870). Fac. des lettres et sciences humaines de Nice. Alger 1969. (Thèse) (196 p.).
- 42- SARI (Djilali); La dépossession des Fellahs 1830 - 1962, Alger.
- 43- SASSIER (Martine) et (Daniel), BAILLEUX (Nathalie) avec la collaboration de plusieurs historiens et enseignants: AZAIEZ (Salha), BROCHARD (Philippe), Lowys (Elisabeth), MALFOY (Valérie), MARUEJOL (Florence), MASTALSKI (Gilles): Histoire du Monde de 40 000 avant Jésus Christ à nos jours. mise en page et montage atelier (Lauriot) PREVOST. Edition Nathan; Paris 1998.
- 44- SCHONE (Maurice); Vie et Mort des Mots. Série que sais-je? 1959.™™
- 45- SERVIER (Jean); Les Berbères. Edition DAHLAB. Série Que sais Je? Alger
- 46- TAILLIART (Charles); L'Algérie dans la littérature française. Ed. Champion, 1925 (iv-676p.) (Thèse Lettre, Paris)
- 47- TIQUET (J); Une Expérience de petite colonisation Indigène en Algérie: Les colons Arabes Chrétiens du cardinale Lavigerie. Maison - Carrée 1936.
- 78- TOYNBYEE (Arnold); La Civilisation à l'épreuve. Traduit par (R.) VILLOTEAU, N.R.F. Librairie Gallimard, 1951. (Extrait) p. 253
- 49- VATIN (Jean Claude); L'Algérie politique, Histoire et Société. Paris 1983.
- 50- VIGNON (Louis); Un programme de Politique coloniale. Les questions Indigènes. Paris 1919. (369 p.) Préf. XLIII-XLIV.
- 51- YACONO (Xavier); La Colonisation des plaines du Chélif (De Lavigerie confluent de la Mina.). T. 1, T. 2 .Ed. Alger.

- 52- YACONO (Xavier); Les Bureaux Arabes et l'évolution des genres de vies indigènes Dans l'ouest du TELL Algérois (Dahra, Cheliff, Ouarsenis Sersou). Paris 1953.

ط - مداخلات (Communications)

- CONGRES

- 1- DEMONTES; "Les Colonies Agricoles de 1848." CONGRES de la Colonisation Rurale 1930.
- 2- DEMONTES; Notice "Topographique de la province d'Alger". C. C. R. 1930 p.16
- 3- DUPIN; "La colonisation de l'Algérie est une chose absurde". Séance du 29 Avril 1834.- Les Congrès; T. 1 année 1908.
- 4- ROUVEROUX;" Un village de colonisation de Bugeaud: FOUKA". C.C.R 1930
- 5- FRANC; "Un miracle colonial en Algérie : Boufarik 1830 – 1930". C.C.R

ي - مقالات

- 1- Anonyme;" Prisonniers arabes en France. Ile de Sainte Marguerite", Fort de Brescon. ILLUSTRATION (Journal) 1844.
- 2- WOLF (Général de Division); "Les Bureaux Arabes devant le jury " (Procès contre Les journaux l'Akhbar, l'Algérie française, le Moniteur de l'Algérie et le Tell. Ed. Alger 1871.
- 3- Anonyme; "Des colonies militaires". AKHBAR (J.) du 12 janvier 1845
- 4- Anonyme; (sans titre). AKHBAR (J.) du mardi 12 janvier 1846.
- 5- Anonyme; "Route de Miliana à Adélia". AKHBAR (J.) 2 mai 1872.
- 6- Anonyme; "Villages départementaux en Algérie". Revue de l'Orient et de l'Algérie Et des colonies Tome 14. Paris 1853.
- 6- Anonyme; "La constitution de la race arabe". R.O.B.S.O. T. 1, année 1845.
- 7- Anonyme;" Prisonniers arabes en France.Ile de Sainte Margueritte", fort de Brescon. ILLUSTRATION (Journal) 1844 p. 275
- 8- Anonyme; "Tableau des Tribus Indigènes soumises à la domination française – 1856". (Pp.180-181.T.S.E.F.A. Paris 1856 -58 en 1 vol.
- 9- AUCAPITAINE (Le Baron): "Origines des Marabouts de la Kabylie". Revue Africaine. N° 13, 1858 - 1859
- 10- AUMERAT; -" La naturalisation collective". LE TELL (Journal) du 3 février 1897.
- 11- AUMERAT; -"La naturalisation collective de 1870" LE TELL (Journal).du 19 Juin 1897.

- 12- AUMERAT; -" La responsabilité collective" LE TELL (Journal) du 7 Juillet 1897
- 13- BATAIL (Pierre);" Le Décret ". LE TELL (Journal) du 2 juin 1897
- 14- BERTHOUD; " L'Indigénat Algérien". AKHBAR (j) du 29 mars 1872.
- 15- BERNARD (Augustin); " L'organisation communale des Indigènes de l'Algérie"
Ed. Emile Larose Paris 1918. (36 p.). Extrait de la Revue Politique et
Parlementaire
Août - Septembre 1918
- 16- BOUDERNOOT () ; -" la République ouverte". LE TELL (Journal) du 17 février
1897.
- 17- BUGNOT et VERNEUIL;" Esquisses Historiques sur la Mauritanie Césarienne
Cherchell". Revue Africaine, année 1870. n°79
- 18- CREMIEUX (Adolphe); "Décret": La délégation du gouvernement de la défense
Nationale en attendant la constitution définitive des territoires civils dans les trois
départements de l'Algérie, telle qu'elle sera déterminée ultérieurement: article 5.
AKHBAR (J) du 1 janvier 1871.
- 19- EMERIT (Marcel); "La Révolution de 1848 en Algérie". Mélange d'histoire par
(P) Boyer.
- 20- ESQUER (Gabriel); "La vie intellectuelle en Algérie". Revue Simoun, 6° année.
Oran (s. d).
- 21- FERAUD (Charles); "Destruction des Etablissement Français de la CALLE, en
1827". D'après des documents indigènes. In Rev. Af. 17° année, N° 102 Novembre
(1873). Pp.421 / 437. Ed. Alger
- 22- FORTIN (D'Isry); " De la crise d'Alger et de sa fin". R. A. O.; t. III. p.373-383.
- 23- GUIN (L); " Notice sur la famille de GHOBRIINI de Cherchell". In Rev Af, 17°
année n° 102, novembre 1873. Edition O P U. Alger
- 24- JULIENNE () ; "Les RIRA de la subdivision de Miliana". Rev. Af. année 1856 n° 1,
premier volume .
- 25- LAMERT (A.); " La colonisation par les chemins de fer". AKHBAR; 2 novembre
1863.
- 26- PHARAON (F) " Notes sur les Tribus de la subdivision de Médéa". Rev. Af. Année
1856 n° 1, premier volume .
- 27- URBAIN (Joseph); Notice sur l'Ancienne Province de TITTERI. Organisation de
la province sous la domination Turque. T.S.E.F.A. 1843. Ed. Paris (523 p). P.400
- 28- RINN (Louis.); " La régence d'Alger sous le royaume du dernier Dey". Rev. Af. 41°
année; n°² 225 / 226, 2° et 3° trimestre 1897. Edition Alger, (s. d.) P.121, p.350.
- 29- TAUXIER (H.); " Une Emigration Arabe en Afrique, un siècle après Jésus Christ".
Réponses aux questions de M L'interprète MERCIER. In Rev. Af. N°24, année

1880, Edition. O.P.U. Alger (sans date).Pp. (373 - 397).

30- VERNEUIL et BUGNOT; "Esquises Historiques sur la Mauritanie Césarienne Cherchell". Rev. Af. année 1870.

31- XYZ; "Etude sur les bureaux arbes". La Revue Algérienne. (Pp.641 - 644).

32- YVER (Georges); "Les Maronites et l'Algérie". Rev. Af. Volume 60° année 1920.
Ed. Alger.(s.d.). Pp.165-214.

ملاحظة: هناك العديد من المقالات التي تم الإطلاع عليها واستغلالها في الجرائد

والمجلات التالية

- 1- AKHBAR (Journal) fondé en 1839; (1839-1845), (1845-1861), (1861-1897)
- 2- AKHBAR (Journal); Mardi 1 Juillet 1845..
- 3- AKHBAR (J.) 1871; Dépêches Télégraphiques;
- 4- AKHBAR (J.); 22 février, 18 avril, 4 juin 1872
- 5- BULLETIN Mensuel de Colonisation Française et Etrangère; Article:(J.) COHEN,
sous la direction de (Hippolyte) PEUT; Chronique du mois. Volume Annales de
la Colonisation Algérienne. Paris 1852
- 6- COURRIER (Le) de l'Algérie. (Journal des intérêts coloniaux) N° 1 décembre 1861.
N°s 1861, 1862.
- FRANCE ALGERIENNE (LA) (Journal); du 3 janvier au 8 juillet 1846. N°s 69, 70:
14-17- janv.46.
- 8- GUIDES; Algérie, Tunisie. Guides (Les) Bleus, Paris 1950.
- 9- ILLUSTRATION (Journal Universel); année 1844
- 10- ILLUSTRATION (J.U.) année 1845.
- 11- ILLUSTRATION (J.U.-) année 1850
- 12- Mélanges et Nouvelles d'Orient et d'Algérie. Année 1852
- 13- MOBACHER (Le) en langue française. 1°année 1848
- 14- MOBACHER (Le) 28 juin 1869.
- 15- MONITEUR ALGERIEN (JOURNAL);Algérien; journal créé par arrêté
de M. PICHON en date du 8 février 1832. N°s 30 janvier 1843, mars 1845,
10 février 1855.
- 16- Revue des deux Monde - Tome septième, Bruxelles 1839.
- 17- REVUE de L'ORIENT et de l'ALGERIE; Extension de l'administration civile en
Algérie année 1847, t. 1 , année 1857 n°5
- 18- R.O.B.O.; la société. Tome 6 année 1865

محتوى البحث

- الإهداء 3

- كلمة الشكر 4

- قائمة المختصرات 5

- المقدمة 6

- نظرة عن البيبليوغرافيا 12

المدخل: حركية المجتمع الجزائري

أ - طبيعة المجتمع قبيل الغزو 17

ب - القواسم المشتركة بين قبائل المجتمع 18

1 - عنصر النسب في الميزان 19

2 - إشكالية ضبط القبيلة وحدودها 30

ج - أدوات التمييز بين مختلف وحدات المجتمع الجزائري 31

د - بعض العينات من المجتمع الجزائري 33

القسم الأول: أصول وأوطان

الفصل الأول: دراسة في أصول أهل يسّر وبني مناصر..

أ - أهل يسّر قبيلة نسب أم موطن؟ 35

- قبيلة يسّر من إشكالية الأصل إلى إشكالية الوجود.. .. . 42

ب - بني مناصر قبيلة موطن أم نسب؟ 43

ج - لسان حال القوم.. .. . 51

1 - لسان حال أهل يسّر.. .. . 58

2 - لسان حال بني مناصر 62

د - أخبار تاريخية من خلال تحليل اسمي بني مناصر وأهل يسّر.. .. . 66

1 - اسم بني مناصر.. .. . 68

2 - أخبار تاريخية من خلال تحليل اسمي بني مناصر وأهل يسّر.. .. . 70

1 - اسم بني مناصر.. .. . 73

76	..	..	..	..	..	2 - اسم يسر ..
79	..	..	..	..	..	الفصل الثاني: حدود بني مناصر وأهل يسر..
80	..	..	..	..	..	أ- الأبعاد على أساس نفوذ المشايخ ..
81	..	..	..	..	..	1 - النفوذ الروحي لدى بني مناصر ..
84	..	..	..	..	..	2 - النفوذ الروحي لدى أهل سيباو ..
85	..	..	..	..	..	ب - الحدود على أساس انتشار الأسماء الشخصية..
85	..	..	..	..	..	1- بعض الأسماء الفرعية لاسم للبركاني..
88	..	..	..	..	..	2 - حدود على أساس انتشار الأسماء..
90	..	..	..	..	..	3 - حركية بني مناصر من حركية البراكنية..
91	..	..	..	..	..	ج - حدود بني مناصر وأهل يسر عشية الغزو ..
98	..	..	..	..	..	1 - صعوبة ضبط الحدود من صعوبة استقراء الوثائق الاستعمارية ..
102	..	..	..	..	..	2 - الحدود عند غزو الأوطان..
104	..	..	..	..	..	3 - حدود الوحدتين من خلال مصدرين متباينين ..
104	..	..	..	..	..	3 - 1 - حدود بني مناصر..
107	..	..	..	..	..	3 - 2 - حدود أوطان أهل يسر..
110	..	..	..	..	..	4 - التأكد من الطرح الاتحاد..
111	..	..	..	..	..	د - طبيعة أوطان بني مناصر وسيباو ..
111	..	..	..	..	..	1 - دراسة مرفولوجية..
114	..	..	..	..	..	2 - التساقط..
114	..	..	..	..	..	3 - نوعية التربة والغطاء النباتي..
117	..	..	..	..	..	الفصل الثالث: المواجهة والصمود ..
118	..	..	..	..	..	- " المواطنة" كما تصورهما بعض الأقلام..
122	..	..	..	..	..	أ - تصدي أهل دار السلطان للغزو..
122	..	..	..	..	..	ب - الوضعية السياسية لبني مناصر وأهل يسر ما بين 1834-1837..

125	..	..	..	..	ب - 1 - ارتباط بني مناصر بحكومة الأمير عبد القادر ..
126	..	..	..	..	ب - 2 - حدود أوطان بني مناصر عند عام 1834 ..
127	..	..	..	..	ب - 3 - أهل يسّر ضمن قيادة سيباو ..
130	..	..	..	..	ج - خدمات أمنية لصالح الدولة الوطنية ..
131	..	..	..	..	د - بني مناصر وأهل يسّر من خلال معاهدة 1837 ..
132	..	..	..	..	هـ - صمود بني مناصر وأهل يسّر ..
136	..	..	..	..	1 - تأزم الوضع في خريف عام 1839 ..
136	..	..	..	..	1 - 1 - قوات الاحتلال تحصن معاقلها ..
137	..	..	..	..	1- 2 - اعتماد الأمير عبد القادر على ولاء المشايخ ..
139	..	..	..	..	1 - 3 - المعركة السياسية والتملص من المعاهدة ..
143	..	..	..	..	1- 4 - عشية استئناف الحرب ..
144	..	..	..	..	ب - حرب الإبادة
132	..	..	..	..	ب - 1 - خطط عسكرية على ضوء تحركات بني مناصر ..
134	..	..	..	..	ب - 2 - تأمين الجبهة الشرقية متيجة للتفرغ لبني مناصر ..
152	..	..	..	..	القسم الثاني: الاحتلال عن طريق التعديلات الإدارية ..
					الفصل الأول: احتلال الأوطان وملاحم إدارة الأهالي
153	..	..	..	..	ما بين 1843 - 1847 ..
154	..	..	..	..	أ - محاصرة بني مناصر وأهل يسر بالتناوب ..
157	..	..	..	..	1 - حملة 1843 على أوطان بني مناصر ..
158	..	..	..	..	- مجريات الأحداث وانعكاساتها ..
163	..	..	..	..	2 - احتلال يسّر عام 1844 ..
165	..	..	..	..	ب - احتلال الأوطان من التحكم في القبائل ..
168	..	..	..	..	ج - التغيرات الإدارية ومسايرتها للأحداث ..
168	..	..	..	..	1 - نظرة عن التنظيم الإداري قبيل الغزو ..

171	..	..	..	..	2 - التقطيع الإداري في ظل دولة الأمير عبد القادر ..
175	..	..	..	..	3 - المحاولات الأولى لضبط تقطيع إداري خاص بالأهالي ..
177	..	..	..	..	3 - 1 - تنظيم إداري في خدمة الاحتلال ..
183	..	..	..	..	3 - 2 - بني مناصر حقلّ التجارب الإدارية الأولى ..
184	..	..	..	..	- شروط التفاوض ..
186	..	..	..	..	د - التقطيع الإداري المفروض على الأهالي علم 1842
187	..	..	..	..	1 - تفكيك خلافة بني مناصر عام 1842 ..
187	..	..	..	..	1 - 1 - إغليك بني مناصر ..
188	..	..	..	..	1 - 2 - إغليك جندل ..
188	..	..	..	..	- 1 - 3 - خلافة سيدي على المبارك ..
189	..	..	..	..	2 - تصدّع خلافة سيباو وتأسيس قبيلة يسّر ..
190	..	..	..	..	- جدول التغيرات الأولية التي تعرض إليها إغليك عمراوة 1844 - 1845 ..
193	..	..	..	..	الفصل الثاني: التنظيم الإداري المفروض على المحليين 1849 ..
194	..	..	..	..	أ- العوامل التي وجّهت سياسة تأطير المحليين ..
194	..	..	..	..	1 - المستجدات في إدارة المحليين 1843-1845 ..
195	..	..	..	..	2 - التركيبة البشرية ..
196	..	..	..	..	3 - فكرة الإدماج ..
197	..	..	..	..	4 - ضرورة التحكم في حركية المجتمع الجزائري ..
198	..	..	..	..	5- أولوية أمن المستوطنات ..
199	..	..	..	..	6 - نشاط المكاتب العربية ..
200	..	..	..	..	7 - الحركية الاجتماعية ..
202	..	..	..	..	ب - تشتيت القبيلتين ما بين الحكّمين العسكري والمدني ..
205	..	..	..	..	1 - في ظل ازدواجية الحكم ..
207	..	..	..	..	2 - الكومون قاعدة الحكم المدني ..

208	ج - تطورات التقسيم الإداري ..
208	1 - أراض الحكم المدني ..
209	2 - أراض الحكم العسكري ..
210	د - إدارة البلدية المختلطة بأراضي الحكم المدني ..
210	- الإداري (L'administrateur) ..
210	- مساعد وكيل الحكومة ..
210	هـ - إدارة المحليين بأراضي الحكم العسكري ..
210	1 - في البلديات المختلطة ..
211	2 - في بلديات الأهالي ..
212	و - الأوضاع السياسية والإدارية في مطلع الخمسينيات من القرن 19 ..
214	الفصل الثالث: من الاحتلال إلى الاستيطان ..
215	أ - الاستيطان بين النظري والتطبيقي ..
217	1 - حتمية الاستيطان ومسألة الأرض ..
220	2 - الطرق المعتمدة لتوفير الأرض ..
222	ب - سياسة الرّدع والتجميع ..
229	1 - أسس التجميع والأهداف المتوخاة منه ..
231	2 - التعمير (le peuplement) حسب جريدة "أخبار" ..
233	ج - انعكاسات الردع والتجميع على بني مناصر وأهل يسر ..
234	1 - انعكاسات التجميع على بني مناصر ..
237	2 - التجميع قبيلة يسر ..
239	د - تنوع في أساليب الاستيطان والهدف واحد ..
240	1 - الاستيطان العسكري ..
244	2 - دور الدولة في الاستيطان ..
249	القسم الثالث: الاستيلاء على العقار بالجزائر ..

250	..	..	..	..	الفصل الأول: إجراءات الاستيلاء على العقار
252	..	..	..	..	أ - أملاك البايليك عشية الغزو..
255	..	..	..	..	ب - أراضي البايليك بأوطان القبيلة..
257	..	..	..	..	1 - طبيعة العقار بأوطان بني مناصر ..
259	..	..	..	..	2 - طبيعة العقار بأوطان أهل يسّر..
259	..	..	..	..	ج - إجراءات تحويل الملكية العقارية..
262	..	..	..	..	1 - السيطرة على "الأوطان" ..
263	..	..	..	..	2 - استغلال الظروف غير العادية ..
266	..	..	..	..	د - قنوات تحويل العقار إلى التشريع الفرنسي..
266	..	..	..	..	1 - عن طريق التجميع المقنن..
271	..	..	..	..	2 - عن طريق التعديلات الإدارية..
273	..	..	..	..	3 - عن طريق مسح الأراضي ..
274	..	..	..	..	جدول: إخضاع قبيلة يسّر
274	..	..	..	..	4 - عن طريق التحكم في قيادة المحليين..
276	..	..	..	..	5 - عن طريق قانون 22 أبريل 1863 ..
277	..	..	..	..	الفصل الثاني: السيناتوس كنسلت قانون 22 أبريل 1863..
278	..	..	..	..	أ - نظرة على قانون السيناتوس كنسلت 22 أبريل 1863 ..
281	..	..	..	..	1 - إدارة السيناتوس كنسلت..
283	..	..	..	..	- الجماعة المحلية..
284	..	..	..	..	- مهام الجماعة..
285	..	..	..	..	- أرشيف مصلحة السيناتوس كنسلت..
285	..	..	..	..	2 - وثائق الكادستر أرضية للسيناتوس كنسلت..
287	..	..	..	..	ب - أسس ضبط قوائم القبائل المعنية بقانون 22 أبريل 1863
288	..	..	..	..	1 - حسب انتشار المراكز المخصصة للاستيطان ..

ج - تنفيذ السيناتوس كنسلت 22 أبريل 1863

- 291
- 1 - يسر تحتل طليعة التنفي 294
- 295 - جدول القائمة الأولى للقبائل المعنية بقانون (س.ك.) 22 أبريل 1863 ..
- 296 - جدول يوضح المستوطنات التي ستستفقد حتما من تطبيق تنفيذ س.ك. على قبيلة يسر ..
- 297 - القبائل المعنية بـ (س.ك.) 22 أبريل 1863 بمقاطعة الجزائر
- 299 - بعض مراكز الاستيطان القريبة من القبائل بقانون (س.ك.)
- 300 2 - أوطان بني مناصر مركز اهتمام الحكومة الاستعمارية
- 300 القبائل المعنية بـ (س.ك.) 22 أبريل 1863 قرار إمبراطوري ..
- د - السيناتوس كنسلت في خدمة الاستيطان 301
- هـ - الدوار الكومون نيتاج السيناتوس كنسلت 22 أبريل 1863 303
- 1 - الدواير - كومون بما تبقى من أوطان بني مناصر 306
- 1 - 1 - دواير كومون بني مناصر مليانة 308
- 309 - مساحة دواير - كومون زكار وبني مناد
- 1 - 2 - دواير كومون بني مناصر شرشال 310
- 311 مساحة دواير سيدي سميان والقورين
- 311 - توزيع الأراضي بين الدواير الكومون
- 2 - دواير يسر 312
- 2 - 1 - دواير يسر الجديان 313
- 2 - 2 - يسر الويدان 314
- 2 - 3 - يسر الظهور 315

الفصل الثالث: انعكاسات قانون السيناتوس كنسلت

- 317
- أ - طبيعة ما تبقى من الأراضي في حوزة الأهالي 318
- 327 جدول تفصيلي خاص بالملكية العقارية للفروع التي أخضعت لقانون (س.ك.) بني مناصر ..

328	..	..	..	جدول تفصيلي للفروع التي أخضعت للسيئاتوس كنسلت من بني مناصر..
329	..	..	..	جدول تفصيلي للفروع المعنية بقانون (س.ك.) من قبيلة يسر ..
330	..	..	..	الملكية العقارية دواوير يسر ..
331	..	..	..	ب - انتفاضة عام 1871..
332	..	..	..	1 - السياسة المنتهجة تجاه الأهالي ..
334	..	..	..	2 - تداني المستوى المعيشي..
335	..	..	..	3 - التعديلات الإدارية الجديدة..
339	..	..	..	ج - مجريات أحداث الانتفاضة ودور القيادات المحلية..
346	..	..	..	- تقييم الوضع عشية ظهور الجمهورية الفرنسية الثالثة..
350	..	..	..	الخاتمة ..
355	..	..	..	الملاحق..
356	..	..	..	الملحق رقم 1 خريطة تضاريس الجزائر الوسطى ل بيليت Pelet عام 1838 ..
357	..	..	..	الملحق رقم 2 - الخريطة الإدارية لدولة الأمير عبد القادر عام 1839..
358	..	..	..	التعليق ..
359	..	..	..	الملحق رقم 3 - خريطة التقسيم الإداري للمحليين ما بين 1842 - 1843 ..
360	..	..	..	التعليق ..
361	..	..	..	الملحق رقم 4 جدول يتضمن أراضي القبائل الخاضعة لإجراءات قانون (س.ك.) ..
362	..	..	..	الملحق رقم 5 مخطط برج منايل (نموذج عن رسم حدود الإدارة) ..
363	..	..	..	الملحق رقم 6 نسخة لعقد ملكية عقارية ..
364	..	..	..	البيبلوغرافيا ..
364	..	..	..	المصادر والمراجع باللغة العربية ..
364	..	..	..	أ - المصادر..
364	..	..	..	ب - المراجع ..
367	..	..	..	ج - المقالات..

368	..	..	..	..	..	المصادر والمراجع باللغة الأجنبية
368	..	..	..	..	..	المصادر:
368	..	..	..	..	..	أ - عقود وأشرطة..
368	..	..	..	..	..	ب - حوليات ..
368	..	..	..	..	..	ج - خرائط ..
368	..	..	..	..	..	د - سجلات ومراسلات..
369	..	..	..	..	..	هـ جرائد رسمية ومجلدات..
370	..	..	..	..	..	و - تعليمات..
370	..	..	..	..	..	ز - تقارير رسمية..
371	..	..	..	..	..	ح - تقارير عامة ..
371	..	..	..	..	..	هـ - الكتب..
371	..	..	..	..	..	- المصادر..
379	..	..	..	..	..	- المراجع ..
	..	..	..	..	..	ط - مداخلات (Communications) ..
						382
383	..	..	..	..	..	ي - مقالات ..